

مصر وشرق الأدنى القديم

(١٠٠)

تاريخ الشرق القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

أسناد تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفة الجامعية
١٠ شارع ستيفن - الإسكندرية
الاسكندرية



والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولرسوله
وللمؤمنين .

« وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » .

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلى رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م .

المجلة العامة للكتبة الاسكندرانية
قم العدد : ١٠٠
رقم التسجيل : ١٠٠

مصر والشرق الأدنى القديم

(١٠)

تاريخ الشرق الأدنى القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفية الجامعية
٤ شارع ستيرز الأفريقية
الاسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على

ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما

باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين، انك حميد مجيد»

إهداء

الى من هو أعز على من نفسى ..

الى زينة الدنيا ، ودعوة الآخرة ..

الى ولدى : الحسين

أهدى هذه الدراسة

تقديم

تمثل مصر والعراق القديم مركزا الثقل السياسى والحضارى فى منطقة الشرق الادنى القديم حتى أننا نستطيع بدراسة تاريخها - وخاصة منذ الالف الثانية قبل الميلاد - التعرف على تاريخ المنطقة بأسرها . ذلك أن الباحث فى تاريخ مصر فى عصورها الفرعونية ، ليتمكن أن يتعرف أهم الاحداث السياسية ، والتيارات الحضارية ، فى بلاد الشام وآسيا الصغرى ، فضلا عن الصلات السياسية والحضارية فى بلاد الرافدين ، وجزر شرقى البحر المتوسط .

ولعل الأمر يشبه ذلك الى حد كبير فى بلاد الرافدين ، ومن ثم فالباحث فى تاريخ العراق القديم إنما يمكنه كذلك أن يتعرف الصلات - السياسية والحضارية - فى ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر ، فضلا عن بعض مناطق الخليج العربى ، والقبائل العربية - الطاعنة والمرتحلة - فى شمال شبه الجزيرة العربية .

وعلى أية حال ، فليس هناك الى سبيل من ريب فى أن العراق القديم ، إنما يحتل مكانة ممتازة ، بين مناطق الشرق الادنى القديم ، كما أنه لا يختلف عن غيره من بلاد تلك المنطقة ذات الحضارة العريقة ، فقد قامت فى بلاد الرافدين دول ، ونشأت فيها حضارات ، وأنزلت على أرضها رسالات ، واصطفى الله تعالى - جل جلاله - من بنيتها بعض أنبيائه ومرسله ، وأسهمت بنصيبها فيما قدمه هذا الشرق الحاد للانسانية من أياد بيضاء .

ومن ثم فقد تأثرت بلاد الرافدين بحضارة تلك المنطقة ، وأثرت فيها ، وارتبطت بها بعلاقات ، سادها الود أحيانا ، وسادها النفور أحيانا أخرى ، وهكذا كان للعراق القديم علاقات بمصر ، وبلاد الشام وآسيا الصغرى وإيران ، ومن ثم فتاريخه جزء من تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعرض للغزو الأجنبي يوم تعرض هذا الشرق لهذا الغزو أو ذاك ، ونعم بخيراته يوم أن كان أمر هذا الشرق في أيدي أبنائه ، ولاقى ما لاقى هذا الشرق ، يوم أن كانت قوى أجنبية تتحكم في مصيره ، وتجنى خيراته ، ومن ثم فليس عجبا أن كان التاريخ العراقي القديم متأثرا بتاريخ الشرق الأدنى القديم ، ومؤثرا فيه .

وتقدم هذه الصفحات دراسة عامة لتاريخ العراق القديم وحضاراته ، وإن نال الجانب التاريخي اهتمامها الأكبر ، ذلك لانه من الصعوبة بمكان أن يتحدث كتاب في مثل هذا الحجم عن تاريخ العراق القديم وحضاراته ، ومع ذلك فقد تحدثت عن كثير من الجوانب الحضارية - السياسية والاجتماعية والعسكرية والتشريعية والدينية والمعمارية - .

على أنه من الجدير بالاشارة أننا لم نتعرض في الجانب الديني للديانات السماوية ، وذلك لأمرين : الواحد : أننا أصدرنا من قبل كتابا عن الرسائل السماوية في العراق القديم (١) ، والثاني : أننا سوف نتحدث بالتفصيل عن الديانات البشرية والسماوية في كتاب قادم سوف نخصصه لحضارة العراق القديم - إن شاء الله - .

(١) انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - في العراق - بيروت ١٩٨٨ م ، وقد تحدثنا فيه عن :

- ١ - سيرة نوح عليه السلام ص ٩ - ١٠٢ .
- ٢ - سيرة ابراهيم الخليل عليه السلام ص ١٠٣ - ١٧٢ .
- ٣ - سيرة يونس عليه السلام ص ١٧٣ - ٢١٠ .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولسوله
وللمؤمنين .

« وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » .

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلي رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م .

الباب الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

في شمال العراق

يقسم المؤرخون عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم الى
الاقسام التالية : ١ - العصر الحجري القديم ٢ - العصر الحجري
الوسط ٣ - العصر الحجري الحديث ٤ - العصر الحجري النحاسي *

(١) العصر الحجري القديم :

لعل من اللافت للنظر أن الآثار التي عثر عليها في العراق القديم
(ميزوبوتاميا)^(١) من العصر الحجري القديم (مرحلة جمع الطعام) انما
أنت من شمال العراق ، دون جنوبه ، ذلك لأن هذا الجنوب انما كان
وقت ذاك مغطى بالامواه ، ربما حتى عصر حضارة العبيد - أي ربما
حتى أخريات الالف الخامسة قبل الميلاد - بل ان شمال العراق نفسه
لم يقدم لنا آثار ترجع الى ما قبل العصر الحجري القديم - في مرحلته
الوسطى - حيث عثر على عدد من المواقع التي تنتمي الى هذه المرحلة
في شمال شرق العراق *

ولعل أشهر هذه المواقع : بردة بالكة - على مبعدة ٢٣ كيلا شمال

(١) ميزوبوتاميا (Mesopotamia) : لفظ اغريقي ترجمه المؤرخون
العرب بمعنى «بلاد ما بين النهرين» أو «بين النهرين» ، ورغم دقة
الترجمة ، فانها قاصرة غير شاملة ، ذلك لان حضارة العراق القديم لم
تقتصر على ما بين النهرين ، وانما امتدت الى ما حول النهرين أيضا ،
بل ان طائفة من أقدم المواقع الاثرية مثل العبيد وأريدو وأور ومارى ،
قامت غرب الفرات ، وليس فيما بينه وبين الدجلة ، كما قامت اشنونا
وتل أسمر ونوزي شرق دجلة ، وليس فيما بينه وبين الفرات ، وقد فطن
الاغارقة أنفسهم الى قصور لفظ «ميزوبوتاميا» ، فأضاف بعضهم اليه
لفظ «بارابوتاميا» (Parapotamia) أي ما وراء النهرين أو ما حولهما ،
وهنا يحسن - فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح - أن نقول
«بلاد النهرين» ، هذا الى أن تعبير «بلاد الرافدين» أو «حضارة
الرافدين» لا يؤدي المعنى كاملا ، ذلك لان روافد النهر تختلف عن النهر
ذاته فيما هو معروف (عبد العزيز صالح : الشرق الادنى - الجزء الاول -
مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٧١) *

شرق ججمال — ومعظم انتاجه أدوات من الطران من الاسلحة ذات الحدين التى تتميز بطرف مدبب ، ومن المحكات ، وهناك موقعان آخران، الموحد : فى «كهف هزارمرد» ، على مقربة من السليمانية ، والاخر : «كهف شانيدر» ، جنوب غرب بحيرة أرومية ، وقد أسفر التقيب الاثرى بأرضية كهف شانيدر عن أربع طبقات أثرية متعاقبة ، يبلغ سمكها حوالى ١٥ مترا ، عثر فى أقدمها (ط D) على بقايا مواقد ، وعظام مهشمة لانسان نياندرتال ، أحدها لطفل ، ربما لم يكمل عامه الاول ، وأما الثلاثة الاخرى فكانوا الأشخاص بالغين^(٢) .

وهناك من مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى بعض كهوف فى منطقة السليمانية ، لعل أهمها : «كهف زارزى» ، والذى تعبر صناعته الحجرية عن تفوق ملحوظ ووفرة وتنوع فى الانتاج من أزاميل ونصال مسننة ورؤوس سهام ، هذا فضلا عن صغر الحجم ، واشتمالها على بعض الاسلحة القزمية ، الامر الذى يدل على أن انتاج «كهف زارزى» انما يمثل أخريات مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى^(٣) .

(٢) العصر الحجري الاوسط :

يمثل هذا العصر الحجري الاوسط فترة الانتقال بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، الذى عرف فيه الانسان الزراعة وبالتالي الاستقرار فى قرى ، هذا ويمثل العصر الحجري الاوسط انتاج «كهف شايندر» (ط B) وقرية «زاوى شمس» — على مبعدة ٤ كيلا من كهف شايندر — فضلا عن بعض مواقع أخرى ، وخاصة «كريم شاهر» على مقربة من كركوك ، ولعل أهم مظاهر الانتاج الحضارى لهذا

2) R. S. Solecki, in Sumer, 8, 1952, P. 127-130, 137, 141, 9, 1953, P. 230-231, 13, 1957, P. 59-60, 14, 1958, P. 106-707.

وانظر : محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم — الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٣٠ — ٣١ .

3) D.A.E. Garrod, Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970, P. 86-87.

العصر، إنما هي الأسلحة القزمية، التي تعبر عن اقتصاد يعتمد على صيد الحيوان والأسماك والطيور *

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنه قد حدث في بداية الألف التاسعة قبل الميلاد، تحول نحو الزراعة البرية، واستئناس الحيوان، كما يشير إلى ذلك إنتاج قرية «زاوى شمي» (ط B) إنما تخلو من إنتاج الفخار، وإن تضمن إنتاجها الأجران وأحجار الجرش ومقابض المناجل، وبقايا الحصر والسلا، الأمر الذي قد يشير إلى اقتصاد يعتمد على الزراعة البرية، فيما يرجح البعض — وهي زراعة لم يمارسها القوم وقت ذاك كحرفة، فضلا عن الاعتماد على الزراعة البرية — على صيد واستئناس الحيوان، كمصدر أساسي للغذاء، ذلك لأن الطبقة الأثرية (B) إنما قد احتوت على كثير من عظام الماعز والأغنام والغزلان، فضلا عن محار المواقع التي ربما كانت تمثل جزءا من غذاء القوم وقت ذاك *

وعلى أية حال، فرغم أن قرية «زاوى شمي» إنما تمثل منطقة استقرار مؤقت، غير أنها تعد من أقدم مناطق الاستقرار في العراق القديم، وتؤرخ بحوالي بدايات الألف التاسعة قبل الميلاد، ويشير إنتاجها الحضاري إلى الاتجاه نحو الزراعة والاستقرار، وهي أهم سمات العصر الحجري الأوسط، ومن ثم فإن موقع «زاوى شمي» إنما يمثل هذا العصر في العراق القديم^(٤) *

وأما المواقع الأخرى — كريم شاهر وملفعات وجرد شاي — فإن الموقع الأول (كريم شاهر)، رغم أنه موضع استقرار موسمي — شأنه

(٤) محمد عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٣٣ — ٣٧، وكذا J. Mellaart, The Earliest Settlements in Western Asia from The End of The Fifth Millennium B. C., in CAH, 1, Part, I, Cambridge, 1970, P. 254-256.
J. Mellaart, Earliest Civilizations of The East, London, 1974, P. 19-21.

في ذلك شأن زاوى شسمى — فان مخلفاته الاثرية لا تتضمن بقايا واضحة للمنازل والاكواخ ، غير أنها تتميز بالمتاجل الحادة من الطران ، والتي استخدمت على الارجح في حصد زراعة برية ، كما عثر فيها على تمثالين من الطين المحروق ، وأما موقع «ملفعات» ، فيما بين الموصل وأربيل ، فتكشف مخلفاته الاثرية — والتي تؤرخ بنهاية الالف السادسة قبل الميلاد — عن بقايا حيطان حجرية غير منتظمة الشكل لمساكن بيضاوية ، وقد عثر في بقاياها على عدة طبقات احتوت بقايا أثرية اغلبها تشبه في نوعيتها انتاج كريم شاهر الحضارى ، وأما موقع «جرد شاي» فلعله لا يضيف في انتاج المواقع السابقة جديدا^(٥) .

(٣) العصر الحجري الحديث

لعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا — وقبل الحديث عن العصر الحجري الحديث في العراق القديم ، والذي يتميز بمعرفة الزراعة ، وما تبع ذلك من اقامة المجتمعات المستقرة — أن نشير ، بادئ ذي بدء ، الى الجدل الذي قام بين العلماء ، حول «الموطن الاول للزراعة» ، فذهب فريق الى أن ذلك المكان اتما كان في جنوبي غربى آسيا ، وبخاصة في جنوب سورية وفلسطين وميزوبوتاميا وغرب ايران^(٦) — على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنه مصر ، انما كانت هي الموطن الاول للزراعة ، ذلك لأن وادى النيل ، انما كان — دونما أى ريب — هو المكان الوحيد الذى نشأت فيه أول حضارة متميزة خارج منطقة غربى آسيا^(٧) .

وفي الواقع ، فانه على الرغم من صعوبة التوصل الى مكان وزمان نشأة الزراعة على وجه اليقين ، ورغم أن ظروف الجفاف جعلت

٥) J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 256-257.

R. S. Solecki, in Sumer, 13, 1957, P. 168-169.

وكذا

٦) J. de Morgan, La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926, P. 76.

٧) G. Clark, Prehistory of The World, Cambridge, 1962, P. 99.

المجتمعات التي تعيش نفس الظروف ، تستجيب استجابة تلقائية سريعة الى هذا الاكتشاف منذ بداية ظهوره ، ومن ثم فربما قد اكتشفت الزراعة في عدة مناطق في وقت واحد تقريبا — في وادي النيل ، وفي جنوب غربى آسيا — ويذهب بعض الباحثين الى أن جميع شعوب الشرق الادنى القديم والشرق الاقصى ، انما قد نسبت الى شخصيات خرافية في تاريخها ، شرف التوصل الى معرفة القمح⁽⁸⁾ .

وليس هناك من ريب في أن البيئة المصرية انما قد ساعدت على معرفة الزراعة ، فالنيل في فيضانه المنتظم ، واخصابه للتربة ، فضلا عن دور الشمس في البيئة المصرية ، كل ذلك قد ساعد على الوصول الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، قبل أمم أخرى .

وفي الواقع أن أرض مصر انما قد انفردت بميزة خاصة ، ذلك أن فيضان النيل انما كان يأتى في أواخر الصيف وأوائل الخريف ، حتى اذا ما تقدم هذا الفصل الاخير في السنة ، بدأت مياه الفيضان تتحسر عن جوانب الوادى ودلتاه ، وهنا نلاحظ أن منتصف الخريف أو أواخره هو الوقت الملائم لزراعة نباتات الحبوب الشتوية ، وأهمها القمح والشعير ، وبعبارة أخرى ، كان الفيضان يأتى فيمد أرض مصر بالطمي والماء ، ثم ينحسر عنها في أصلح وقت للزراعة تلك النباتات ، حتى اذا ما زرعت ونبتت كان فصل الامطار الشتوية في مصر قد بدأ .

والظاهر أن تلك الامطار في العصر الحجري الحديث وما بعده أوفر منها الان ، فكانت تغذى النباتات وتمدها بسبل الحياة في أشهر الشتاء ، حتى اذا ما جاء آخر الربيع وأول الصيف ، وكانت نباتات الشتاء قد أكملت نموها ، انقطع المطر وحل فصل الحصاد ، وهكذا تكامل عنصران في مصر — هما عنصر الفيضان وعنصر الامطار الشتوية — وكان من

8) F. Hartman, L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923, P. 48.

ثمرات ذلك التكامل أن أصبحت أرض النيل صالحة — كل الصلاحية —
لتكون مهدا من مهدات الزراعات الشتوية القديمة *

على أن التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية في مصر لا يقف عند ذلك ،
فبعد أن يتم الحصاد ، يحل أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ،
فتجف التربة وتنشق الأرض ، وتموت الحشائش الضارة ، والتي
تمتص خير الأرض ولا تفيد شيئا ، ويؤدي التشقق الى تفتيح التربة
ودخول غازات الهواء التي تجدد التربة ، حتى اذا ما جاء الفيضان من
جديد في آخر الصيف ، عاد فغطى الأرض وكساها بطبقة من الطمي ،
حتى ينحسر النهر ، ويגיע الانسان ليزرع الأرض من جديد *

وهكذا أصبحت دورة الطبيعة متكاملة العناصر والعوامل ، وتلك
ظاهرة لا نكاد نجد لها في نهر آخر من أنهار العالم الكبرى ، بل تلك
ظاهرة ميزت أرض مصر منذ فجر التاريخ ، وربما كانت هي العامل
الاساسي ، فيما عرفناه من استمرار الحياة والحضارة وتجدهما في
أرض مصر على مر السنين^(٩) *

وعلى أية حال ، فلقد عثر في العراق القديم على موقعين يمثلان
العصر الحجري الحديث (جرمو — حسونه) والذي يقوم على الزراعة
والاستقرار ، وهي زراعة لا ريب في أنها بدأت في مساحة صغيرة ، ولكنها
تقوم بمهمة الاكتفاء الذاتي في الانتاج للزراع ، كما أنها زراعة متنقلة ،
ولعلها أشبه — في مرحلة الاستقرار الدائم — بزراعة الفلاحين البدو .
ربما بسبب استنفاد خصوبة الأرض ، و عدم معرفة الانسان وقت ذاك
بالاسمدة ، وربما بسبب عدم معرفة الزراع بزراعة جزء من الأرض ،
ثم تركه بورا في السنة التالية^(١٠) ، وعلى أية حال ، فإن الموقعين اللذين
يمثلان هذا العصر ، انما هما جرمو وحسونه *

(٩) سليمان حزين : البيئة والانسان والحضارة في وادي النيل
الادنى — تاريخ الحضارة المصرية — القاهرة ١٩٦٢ ص ١٦ .
(١٠) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — القسم الاول —
تاريخ العراق القديم — بغداد ١٩٥٥ ص ٤٠ — ٤١ .

(١) حضارة جرمو :

تقع «جرمو» على حافة واد عميق في سهل جمجمال في لواء كركوك (فوق وادي طوق جاي ، أحد روافد دجلة ، على مبعده ٣٥ كيلا شرق كركوك) — أى خارج نطاق السهل الميزوبوتامى شرقا — وتبلغ مساحة قرية «جرمو» ما بين ثلاثة وأربعة أفدنة ، وقد كشف فيها عن ١٦ طبقة أثرية متتالية ، يؤرخ أقدمها بحوالى عام ٦٧٥٠ ق.م ، وان ذهب «كول» الى أنها تؤرخ ، فيما بين ٧٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ق.م ، وتضم ما بين ٢٥،٢٠ منزلا ، ويقدر سكانها بحوالى ١٥٠ فردا ، وان قدرها «طه باقر» بحوالى ٥٠ بيتا ، تضم حوالى ٣٠٠ فردا (١١) .

هذا وقد اختلف الباحثون في أقدمية موقع جرمو ، فذهب فريق الى أنها تمثل أقدم قرية زراعية في العراق القديم ، وبمعنى آخر ، تمثل أول عهد الانسان بتعلم الزراعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها موضع شك في نسبتها الى عصر بداية الزراعة ، بل وفي تمثيلها لمرحلة حضارية متميزة ، وأنها لا تعدو أن تكون مجرد قرية مختلفة ترجع الى أواخر العصور الحجرية أو ما بعدها ، وأن موقع تل حسونة انما يمثل في أولى طبقاته السفلى أول موقع زراعي في شمال العراق .

على أن المحفريات انما قد كشفت في الطبقات الاثرية الاولى — والتي تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخارية — على الادلة التي توضح توصل الانسان الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، فقد عثر على حبوب القمح والشعير المتكرنة ، أحيانا انطباعات تلك الحبوب في الارضية الطينية للافران كما عثر على العديد من الادوات المتصلة بالعمل الزراعى ، كالمناجل والفؤوس الحادة الاطراف والاجران والمحاريث ،

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٤١ ، ٤٢ ، وكذا
P. Mortensen, On The Chronology of Early Village Farming Communities in Northern Iraq, in Sumer, 18, 1962, P. 74-76.
S. Cole, The Neolithic Revolution, London, 1961, P. 48. وكذا

هذا فضلا عن استئناس الانسان للماعز والكلاب ، وربما الاغنام والخنازير كذلك ، ولعل هذا كله انما يشير الى أن موقع حضارة جرمو ، انما يعد مركزا رئيسيا في حضارة العصر الحجري الحديث ، هذا ويرجع البعض أن القواقع البحرية انما كانت تمثل جزءا من غذاء الانسان في جرمو ، حيث عثر على كمية كبيرة من أصداف هذه القواقع ضمن مخلفات القرية (١٣) .

هذا ولم تقدم لنا أنقاض القرية آثارا فخارية ، الا في الطبقات الخمس الاخيرة ، وربما يرجع ذلك الى أن الانسان في المراحل السابقة قد اكتفى بالوانى الحجرية ، هذا فضلا عن أن ما عثر عليه من أوان فخارية ، في الطبقتين الخامسة والرابعة ، أفضل من تلك التى عثر عليها في الطبقات الاخيرة ، الاحدث عهدا ، وقد زينت هذه الاوانى بخطوط حمراء مائلة ، ونظرا لجودة الاوانى الفخارية المبكرة التى كشف عنها ، فانه ربما كان من الصعب اعتبارها انتاجا محليا خالصا ، هذا فضلا عن عدم وجود مثيلات لها في المنطقة ، مما يرجح القول بأنها مستوردة من الشرق ، وخاصة من «تبة جوران» ، جنوبى كرمنشاه في ايران ، حيث كشف هناك عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون (١٣) .

هذا وقد بنى القوم منازلهم من كتل طينية ، أقيمت في بعض الاحايين فوق أسس من حجر ، وسويت حيطان المنازل بطبقة من طين ، كملاط ، كما نشرت طبقة طينية مماثلة فوق حزم من بوص غطيت بها

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، أحمد سليم : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم - بيروت ١٩٨٩ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
رشيد الناصورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا - الجزء الاول - بيروت ١٩٧٧ ص ١٣١ - ١٣٢ ، وكذا

J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 257-258.

J. Mellaart, Earliest Civilizations, of The Near East, P. 48.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

(١٣) أحمد سليم : دراسات في تاريخ ايران القديم وحضارتها - الجزء الاول - بيروت ١٩٨٨ م ص ١١٨ .

أرضية المنزل ، أما السقف فكان من حزم البوص المغطاة بطبقة سميكة من الطين ، وكان تصميم المنزل على شكل المستطيل ، وبه عدد من الحجرات الصغيرة ، لا يتجاوز طول الواحدة منها أقدام ستة ، وقد عثر فيها على مواقع احتوى كثير منها على بعض الاواني (١٤) .

وهناك ما يشير الى تطور الصناعة الحجرية بدرجة كبيرة في جرمو ، وقد عثر على أنواع من الرحي البسيطة التي قوامها حجران بسيطان ، وكذا الاطباق الفخارية التي استعملت لفرك الحبوب ، وأحيانا للمعجن ، فضلا عن المحاريث البسيطة والمناجل المكونة من أسنان الصوان ، والادوات الصوانية ، ويرجح البعض أن الانسان عرف الغزل والحياكة ، كما تدل على ذلك أفراس المغازل الفخارية (١٥) .

هذا وقد شاع استخدام الاسلحة القزمية المتعددة الاشكال ، وصنع العديد منها من حجر الاوبسيديون (الزجاج البركاني) ، ولعل استخدام الاوبسيديون في جرمو مما يذكى امكانية الاتصال بمنطقة الاناضول ، كما أن العثور على بعض الاساور والخرز تبين الاتجاه الى بعض النواحي الكمالية في حياة انسان جرمو ، كما عثر على بعض المحكات الرقيقة التي استخدمت لطحن المغرة ، فضلا عن بعض الاواني الحجرية ورؤوس المقامع والاقراس المثقوبة والخواتم ، كما استخدم القوم العظيم في صنع المخارز الابر وحببات العقود والدلايات (١٦) .

هذا وقد نسب الى حضارة جرمو تماثيل طينية بدائية متواضعة

(١٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨ - ٣٩ ، وكذا
P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.
J. Mellaart, Op. Cit., P. 258.

(١٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٢
(١٦) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٣٣ ، محمد عبد اللطيف :
المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ ، وكذا

R. S. Solecki, Op. Cit., P. 170-171.

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cii., P. 75.

وكذا
وكذا

لحيوانات ، ورجال ، ونساء جالسات ذوات أرداف غلاظ ، كما شكل القوم من الطين عددا من التماثيل الصغيرة لالهة الامومة ، فضلا عن بعض البكرات والمخاريط الطينية التي ربما كانت دمي للاطفال ، وقد مثلت الهة الامومة على شكل أنثى بدينة متضخمة المساقين ، تجلس المقرصاء ، وربما قد قدس فيها انسان العصر الحجري الحديث مظهر الخصوبة الذي أدرك أثره في حياته الزراعية المستقرة التي تعتمد على خصوبة التربة (١٧) .

بقيت الاشارة الى أن هناك من يذهب الى أن حضارة جرمو انما قد امتد تأثيرها الى ما وراء نهر ديبالى ، فقد عثر على سطح بعض تلال مندلى على أدوات من المظران وحجر الاوبسيديان ، وكسرات آنية فخارية ، وأخرى تماثل انتاج جرمو (١٨) .

هذا وقد عثر على ما يشبه عضو الذكر ، مما دفع الى الظن بقيام لون من عبادة الجنس والرمز للخصوبة ، ويرجح بعض الباحثين أن لونا من ألوا التفكير الدينى نشأ في هذه المرحلة بقيام عبادة للشمس التي قدست على هيئة معبودة (١٩) .

(٢) حضارة تل حسونة :

يقع تل حسونة في غرب نهر دجلة ، على مبعدة ٣٥ كيلا جنوبى الموصل ، ٨ كيلا شرقى قرية الشورة ، وهو موقع صغير (٢٠٠ × ١٥٠ مترا) يرتفع نحو سبعة أمتار عن السهل المجاور ، ويعد أقدم المواقع

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، محمد عبداللطيف : المرجع السابق ص ٤٠ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

18) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52-53, 1969. P. 133.

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الخامس - الاسكندرية ١٩٦٣ ص ٦٠ ، وكذا

G. Childe, New Light on The Most Ancient East, 1952, P. 59.

الحضارية من صميم السهل الميزوبوتامى ، ويعبر عن انتقال مركز الثقل الحضارى من المنطقة الشرقية الى هذا السهل ، ويرجح البعض أن أصحاب حضارة تل حسونة قد أفادوا من حضارة جرمسوا الأسبق . ونقلوا عنها في البداية ، الامر الذى يبدو بوضوح فى تشابه الانتاج المبكر من فخار تل حسونة ، مع فخار جرمو الخشن ، وفى بناء منازل تل حسونة من الطين ، أسوة بما كان متبعاً فى جرمو .

هذا وقد كشف فى تل حسونة عن ١٧ طبقة أثرية ، أقدمها تلك التى تعلو الارض البكر مباشرة ، وتمثل بداية عصر حضارة حسونة ، وأما أحدثها فهى الطبقة (XV) من عصر حضارة العبيد ، كما كشف عن بعض المواقع الأخرى لهذه الحضارة ، وخاصة تل الصوان وسامراء وتل المطارنة (٢٠) .

ويمثل تل حسونة حضارة قرية مستقرة فى العصر الحجري الحديث ، ولم يعثر الاثاريون على أى معدن فى تل حسونة ، مما يدل على أن القوم وقت ذاك لم يصلوا بعد الى عصر استخدام النحاس والحجر ، وانما هم قوم يمثلون صميم العصر الحجري الحديث ، فقد تمكنوا من التوصل الى الزراعة ، وخاصة القمح ، كما استأنسوا بعض الحيوانات كالأغنام والماعز والخنازير (٢١) .

هذا وقد بنى القوم مساكنهم من الطين ، ومن أحجام مختلفة ، وكان المنزل فى الغالب الاعم يتكون من بعض الحجرات التى كانت تتجمع حول أو الى جانب فناء مكشوف يقع فيه غالباً فرن وجرار لتخزين الطعام والمشرب فضلاً عن صوامع الغلال ، وغير ذلك مما تحتاجه الحياة

(٢٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٠ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤ ، وكذا

P. Mortensen, Op. Cit., P 35.

S. Liory and F. Sagar, Tell-Hassuna, JNES, 4, 1945, P. 272.

(٢١) رشيد الناصورى : المرجع السابق ص ١٣٣

المنزلية ، هذا وقد أحرزت مبانى تل حسونة ، ابتداءً من الطبقة الثانية مظاهر جديدة من التفوق ، كتزويد الحيطان بركائز للتدعيم من الداخل ، وربما تميزت مبانى الطبقة الثالثة بوجود ممرات تفصل فيما بينها ، وإن لم يستمر وجود هذه الفواصل في الطبقات التالية ، ولعل أفضل مجموعات مبانى تل حسونة ما كشف عنه في الطبقة الرابعة التى تقدم معالم واضحة للأقسام التى كان يتكون منها المنزل (٣٣) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن مبانى «تل الصوان» ، انما تقدم تطوراً ملحوظاً فى تشييد المبانى ، فقد شيدت من قطع الاجر الكبيرة المستطيلة الشكل ، وطلبت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ، ودفن القوم موتاهم أسفل أرضيات المنازل ، كما عمل القوم على تحصين الموقع ، وذلك بحفرة ذات ثلاثة أضلاع شيد بداخلها حائط ضخم مزود بركائز ، وهى مثال فريد للتحصين فى بلاد النهرين فى هذا التاريخ المبكر .

هنا وقد دفن القوم موتاهم — كما أثرتنا آنفاً — فى اسفل أرضيات المنازل ، فلقد عثر بين موقدين من المرحلة الاولى فى الطبقة (Ia) على هيكل عظمى لانسان ، وبجواره جرة كبيرة ، ربما قد احتوت طعامه أو شرابه كما وجد قرب رأسه فأسان من الظران ، الامر الذى قد يشير الى اعتقاد القوم فى حياة أخرى ، كما تضمنت بقايا المرحلة الثالثة جرة من الفخار الخشن احتوت هيكلًا عظمياً لطفل ، وبجوارها جرة أخرى ربما كانت كذلك للطعام أو الماء (٣٣) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه قد كتشف عن بقايا جثث للأطفال دفنوا فى بعض الاوانى الفخارية وكان اتجاه رأس المتوفى نحو

(٢٢) عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٦ - ٤٨ ، وكذا
S. Liroyd and F. Safar, Op. Cit., 273.
23) F. El-Wailly and B. Abu es-Soof, in Sumer, 21, 1965, P. 18-21.
K. A. Al-Adami, in Sumer, 24, 1968, P. 58.

الشمال ، ويذهب أستاذنا الدكتور الناضوري الى أن وجود بقايا الهياكل العظمية للأطفال ، إنما يتصل بظاهرة التضحية البشرية لا بسترعاء القوى الالهية ، وعلى رأسها الهة الامومة التي عبر عنها في شكل تماثيل صغيرة (٢٤) .

هذا وقد كشف اسفل مباني الطبقة (I) بئل الصوان عن جبانة ضخمة تضم أكثر من ١٣٠ قبرا ، حفرت أسفل أرضيات الحجرات فوق الارض المبكر مباشرة ، وزودت جميعها تقريبا بالكثير من الانية المرمية المتعددة الاشكال والاحجام من الجرار والاكواب والأطباق ، وبعض قطع أخرى على هيئة عضو الذكر ، فضلا عن مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة الجيدة الصنع ، التي في معظمها لالهة الامومة ، التي تمثل هنا غالبا واقفة (وكانت في حضارة جرمو تمثل جالسة القرفصاء) ، وقد زود بعضها بغطاء رأس من القار وعيون المحار ، هذا وقد اختلف الباحثون حول تماثيل الهات الامومة هذه ، فذهب فريق الى أنها كانت تودع في مدافن الذكور ، دون الاناث اللائي قد أودعت في قبورهن قطعاً حجرية منحوتة على هيئة عضو الذكر ، خاصة وأن الحفائر لم تكشف عن الاثنين معا في قبر واحد ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن هذه التماثيل اتما تعبر عن الامومة الفعلية التي تضى حمايتها على الاطفال الذين تغلب هياكلهم العظمية في مدافن تل الصوان وتل حسونة ، خاصة وقد عبرت أشكال تماثيل الهات الامومة عن اهتمام صانعيها بأبراز صفة الاخصاب فيهن ، حيث تمثلن غالبا ، وقد اتجهت أيديهن نحو بطونهن أو نحو أسفل أقدامهن (٢٥) .

هذا ويمثل فخار تل حسونة نماذج فخارية من أقدم ما عثر عليه في

(٢٤) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥١ وكذا

S. Liøyd and F. Safar, Op. Cit., P. 275.

J. Mellaart, Op. Cit., P. 272.

Abu Al-Soof, (B.), in Sumer, 27, 1971, P. 5.

W. Yasin, in , Sumer, 26, 1970, figs, 39-42.

العراق القديم ، وقد كشفت الحفريات عن تطور مستمر للفخار في تل
 حسونة ، ففي بداية الطبقات ظهر الفخار العتيق ، والمصنوع من مادة
 طينية هشة غير نقية ، وتغلب عليها النوعية الخشنة ، ثم تظهر بعد ذلك
 الانواع المزينة باللون الاصفر أو القرمزي ، وقد زخرفت بحزوز في
 شكل تصميمات اتخذت في الغالب شكل سعف النخيل أو سنابل القمح ،
 ثم يلى ذلك ظهور الفخار المزين بالاشكال الحيوانية والخطوط المتوجة ،
 وهو الفخار الذي يسمى «فخار سامراء» نسبة الى موقع سامراء — على
 الضفة اليسرى لنهر الدجلة ، وعلى مبعدة حوالى ١٠٠ كيلا شمالى بغداد
 — والذي كان يظن من قبل أنه يمثل عصرا حضاريا مستقلا ، ولكنه يعتبر
 الان ضمن عصر حضارة حسونة ، الممتد على طول الطريق غربا بين نهر
 دجلة والبحر المتوسط ، اعتمادا على العثور على فخار حسونة في اقليم
 العمق ، وكذلك في مرسين (٢٦) .

وقد كشف أيضا عن كثير من الادوات الحجرية في تل حسونة وثل
 الصوان ، وتتضمن العديد من الاسلحة القرمزية ورؤوس السهام، وغيرها
 من الالات من الطران وحجر أوبسيديان ، فضلا عن الفؤوس الحجرية
 التي طليت بالمقار ، والمناجل ذات الاسنان الظرائية ، والتي تكثر في تل
 حسونة (ط Ib) حيث يبدأ ظهور الابنية السكنية التي يظهر معها
 تشييد صوامع الغلال وأفران الخبيز ، وصناعة بعض تماثيل غير كاملة
 لالهات الامومة (التي تبدو متواضعة للغاية بالمقارنة بتماثيل تل
 الصوان) .

هذا وقد عثر في صوامع الغلال على القمح المتكربن ، وعلى كثير من
 كسرات الانية ، فضلا عن عظام الماعز والاغنام والحيوانات البرية
 كالغزلان والخنازير والارانب ، وقد استخدمت في التزيين بالخروز
 وصنع الثقوب التي تظهر بوضوح في حبات العقود والدلايات ، التي

26) S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 262, 266, 278-279, 286.
 T. Dabbagh, Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965, P
 P. Mortensen, in Sumer, 18, 1962, P. 77-78.

تزين به القوم في مجتمعات حسونة والصوان والمطارة وتبة ياريم ، وقد انفردت الاخيرة بأقراص حجرية ذات حزوز ، يمكن اعتبارها نوعا من الاختتام البدائية (٢٧) .

وقد تميز موقع تل الصوان بالعثور على بعض القطع النحاسية الصغيرة ، وان لم تكن انتاجا محليا ، كما كشف في الطبقة (VII) في «تبة ياريم» (أ) عن رقاقة صغيرة من النحاس لفت في شكل اسطوانة ، وعلى قطعتين نحاسيتين أخريين ، الامر الذي يشير الى استخدام القوم هنا الى النحاس منذ بداية عصر حسونة ، خاصة وقد كشف في «تبة ياريم» من نفس الطبقة ، عن أنثون ضخمة شيد فوقه مبنى مقبى من الطين ، وهو أقدم نموذج من نوعه في بلاد النهرين ، وقد استخدم في احراق الانية النحاسية ، وربما في تليين صلابة قطع النحاس — التي ربما جلبت من ديار بكر — الامر الذي يساعد على تشكيلها (٢٨) .

بقيت الاشارة الى أن الانثروبولوجيين لم يتوصلوا بعد الى جنس أصحاب تلك الحضارة ، رغم العثور — كما أشرنا من قبل — على جثث أطفال دفنت في أوان كبيرة من فخار ، هذا فضلا عن عدم الوصول حتى الان الى رأى نهائى بشأن أولوية التوصل الى الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم ، أو بالاحرى بين حضارة الفيوم (أ) وممرمة بنى سلامة من ناحية ، وبين عصر حضارة جرمو وتل حسونة من ناحية أخرى ، وإن كانت الظواهر حتى الان تعطى لكل منهما أقدمية في بعض

(٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٨ - ٦٠ ، وكذا

N. Merpert and R. Munchajev, in Sumer, 25, 1969, P. 128-129.

S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 268-269.

K. J. Bradwood and Others, Mattarah, JNES, XI, 1952, P. 69.

R. M. Munchajev and N. Merpert, Excavations at Yarim Tepe, 1972. in Sumer, 29, 1973, P. 9.

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق : ص ٦٠ - ٦١ .

K. A. Al-Adami, Op. Cit., P. 59.

R. M. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 28, 29, 1973. P. 6-9.

النواحي ، وربما تكشف الحفائر مستقيلا عن رأى نهائى فى الموضوع ، ومع ذلك فنتائج الحفائر حتى الان تثبت توصل كل منها الى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى ، فكلاهما أنتج المناجل الحجرية ، وتوصل الى الصناعات العظمية وصناعة الاجران والاسبنة فى الفيوم (أ) والحصير فى جرمو (٢٩) .

(٤) العصر الحجرى النحاسى

(١) حضارة تل حلف :

يتميز هذا العصر بالتوصل الى معرفة واستخدام النحاس ، منذ حوالى منتصف الالف الخامسة قبل الميلاد ، ويتمثل فى عصر حضارة حلف ، نسبة الى تل حلف — ويقع فى أعلى نهر الخابور ، على مبعده ١٤٠ كيلا شمالى غربى «نينوى» ، وان لم يكن موقع تل حلف أفضل مواقع هذه الحضارة ، حيث كشف فيه عن شوارع مبلطة بالحجارة ، وقد أحيطت القرية بأسوار ، وقامت فيها مبان عامة كانت بمثابة المعابد الدينية ، مما يدل على تقدم فى الحياة الاجتماعية (٣٠) .

وتشغل حضارة حلف الفترة منذ أواخر الالف السادسة ، وحتى أواخر الالف الخامسة قبل الميلاد ، وقد انتشر انتاجها فى الشمال خاصة وفى مساحة واسعة تتمتد من الزاب الاعلى وسفوح جبال زاغروس شرقا ، الى ما وراء الفرات غربا ، وإلى الحدود التركية وسفوح جبال طوروس شمالا ، وأما من ناحية الجنوب والجنوب الشرقى ، فكان من المعتقد أنها لم تتجاوز موقع سامراء ، غير أن الحفريات كشفت حديثا عن فخار حلف فى الطبقتين العلويتين فى تل الصوان ، وفى أعلى تل (Choga Mami) فى إقليم مندلى (٣١) .

(٢٩) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٣٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٣ .

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٣ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 276-277.

T. Dabbagh, Op. Cit., P. 32.

J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 56, 25, 1969, P. 134.

هذا ويختلف المؤرخون في أصل حضارة حلف هذه ، فهناك وجه للنظر يذهب الى أن مركزها ربما كان في المنطقة الممتدة من الموصل شمال شرق العراق الى منطقة الخابور في شرق سورية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها ربما ترجع الى أصل أرميني ، على أن الاتجاه التقليدي انما يذهب الى أنها نشأت في تل حلف ذاتها ، على أساس أن المفخر المميز لتلك الحضارة انما قد بدأ العثور عليه هناك *

وعلى أية حال ، فان حضارة حلف هذه لم تتصل بصميم منطقة ايران ، وذلك لوجود الحواجز الطبيعية ، وخاصة جبال زاغروس التي عملت على منع حضارة حلف من دخول ايران ، كما أنها لم تمتد جنوبا في العراق القديم ، وذلك لأن تلك المنطقة لم تكن قد سكنت بعد ، ومن ثم فقد امتدت الى منطقة الموصل ، فضلا عن منطقة سنجار عبر نهر الخابور ، وفي منطقة جبل عبد العزيز ، كما امتدت غربا في سورية حتى منطقة العمق ورأس الثمرا ، بل وفي حدود الاناضول الجنوبية الشرقية (٣٢) *

هذا وتتميز حضارة حلف هذه بمظاهر حضارية جديدة ، وخاصة في العمارة والفخار والنحت على الحجر ، فضلا عن استخدام النحاس ، ومن ثم فقد اعتبرت في التقسيم التقليدي لعصور ما قبل التاريخ ، ممثلة للعصر الحجري النحاسي في العراق القديم ، وان كان الامر يحتاج الى اعادة نظر في هذا التقسيم ، في ضوء ما عثر عليه حديثا من مصنوعات نحاسية من عصر حضارة حسونة ، كما أشرنا من قبل *

وأيا ما كان الامر ، ففي مجال العمارة : سادت الابنية ذات التصميم الدائري ، والتي كشف عنها في شمال العراق ، وهي عبارة عن مبان أساسها من حجر ، وحيطانها من طين . في الاغلب الاعم ، وهي —

(٣٢) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ١٧١ ، وكذا
R. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971. P. 30 29 1973 P. 10

على أية حال — تتكون من حجرة دائرية ، قطرها خمسة أمتار ونصف المتر ، يتصل بها ممر مستطيل ، وإن كانت أبنية «تل الأريجية» إنما تشير الى أنها قد ألحقت بها حجرات جانبية مستطيلة ، أصغر حجما ، دون وجود ممر أو فواصل بينهما ، كما تدل نفس بقايا أبنية تل الأريجية ، على أن البناء الاصلى — وهو الحجرة الدائرية — إنما كان لها سقف مقبب ، أما الحجرة الجانبية فقد كانت غير مسقوفة ، أو كان لها سقف مسطح أو «جمالون» (٣٣) .

وأما الفخار ، فقد تميز بألوانه وزيناته التي تمثل تفوقا صناعيا لأصحاب حضارة حلف ، وقد لون الفخار بألوان مختلفة ، منها البرتقالي والقرمزي والاحمر والبني والمصفر ، قد غطت الزينات كل سطح الاناء الفخاري الخارجى بالنسبة للجرار ، أما الاطباق والسلاطين فقد غطت الزينات فيها السطحين ، الداخلى والخارجى ، كما ضمت الزينة مجموعات مختلفة من الرسوم الهندسية ذات الاشكال المثلثة والمربعة وذات الخطوط المتعرجة والمستقيمة ، ومن الرسوم الفريدة على فخار حلف رسم مركبة على آنية فخارية ، قد توحى بأن القوم ربما قد اخترعوا وقت ذلك المركبات ذات العجلات ، كما استخدمت في التصميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران ، على أن الظاهرة المميزة إنما هي كثرة الاشكال الحية في الزينات من اشكال بشرية وحيوانية ونباتية ، فضلا عن اشكال الطيور ، وقد تميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة في المناظر (٣٤) .

هذا وقد أنتجت حضارة حلف عددا من الاوانى الحجرية ، ورؤوس المقامع والمغازل وغيرها ، مما يعبر عن تفوق في تشكيل المادة الحجرية ، الامر الذى يظهر بوضوح في أدوات الزينة التي شكلت من الحجر ، كما

33) J. Mellaart, Earliest Civilizations of The Near East, London, 1974, P. 122.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣١ ، رشيد الناصورى : المرجع السابق : ص ١٧٠ .

استخدم القوم الطين في صناعة المسامير الملونة والخواتم ، فضلا عن تماثيل الهات الامومة التي اعتنى الفنان فيها بإبراز مظهر الخصوبة المتضخم ، وذلك بتضخيم وطلاء ثدييها وساقها ، فضلا عن تمثيلها وهي تضم ذراعيها أسفل ثدييها ، هذا الى جانب انتاج بعض الاختمام التي استخدمت ، ربما لأول مرة ، في الطباعة على قطع من طين مجفف ، وأخيرا فلقد عثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والازاميل ، غير أن عددها انما كان محدودا ، رغم توفر النحاس في منطقة ديار بكر وملاطيا ، في شمال وشمال غرب حلف^(٣٥) .

وأما عن مدافن القوم ، فقد كانت غالبا تحت أرضية مساكنهم ، وكان الميت يرقد على جنبه الايمن ، في وضع مقرفص ، بينما تتجه رأسه نحو الغرب ، هذا وقد احتوت المقابر على بعض المتاع الشخصي كالآنية الحجرية الصغيرة والاكواب والاونى الفخارية وحبات العقود المرمرية ، فضلا عن دلايات من حجر ، زينت احداها بصور لطيور ورؤوس حيوانات^(٣٦) .

(٣٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٩ - ٧١ ، وكذا

J. Mellaart, CAH, I, Part, I, Cambridge. 1970, P. 277-278.

T. Dabbagh, Op. Cit., P. 23-26.

N. Merpit, in Sumer, 27, 1971, P. 20-21.

36) A. Parrot, Sumer, London, 1960, P. 48.

R. Munchajev and N. Merpert. in Sumer, 27, 1971, P. 31, 29, 1973. P. 14.

الفصل الثاني

في جنوب العراق

شهدت بلاد العراق في أواخر عهد حضارة حلف النشاط الحضاري في مناطقها الوسطى والجنوبية ، حتى ذهب البعض الى أن مركز الثقل الحضاري ، وربما السياسي ، قد انتقل من القسم الشمالي للسهل الميزوبوتامي الى القسم الجنوبي من هذا السهل ، حتى أن القسم الشمالي أصبح أكثر شبهاً بتابع يدور في فلك الجنوب غالباً ، وحتى حلول الاموريين بأرض آشور في بداية الالف الثانية قبل الميلاد .

وقد ارتبط ذلك كله بتطور صناعي جديد ، وربما بتحركات شعوبية أو قبلية جديدة أيضاً ، أما التطور الصناعي فهو معرفة معدن النحاس واستخدامه على نطاق ضيق ، جنباً الى جنب ، مع الادوات الحجرية ، فيما يعرف اصطلاحاً باسم «العصر الحجري النحاسي» أو «عصر بداية المعادن» ، وفرقت الابحاث الاثرية بين ثلاث مراحل شهدها العراق في هذا العصر ، ونسبت كلا منها الى أقدم اماكن التي عثر فيها على مخلفاتها فسمتها بأسماء : حضارة العبيد ، وحضارة الوركاء ، وحضارة جمدة نصر ، وقد تعاقبت ثلاثتها في مواضعها من جنوب العراق الى وسطه على مسافات متفاوتة ، ولكنها تداخلت مع بعضها البعض في أزمنتها وخصائص منتجاتها ، الى حد أن مال الرأي الحديث الى ادماج ثالثتها ، وهي جمدة نصر ، في حضارة الوركاء ، واعتبارها مرحلة أخيرة منها^(١) .

غير أن الحفريات أثبتت منذ عام ١٩٤٦م وجود حضارتين أسبق عهداً من حضارة العبيد ، هما : حضارة أريدو ، وحضارة الحاج محمد (حجي محمد) ، ويرى بعض الباحثين في هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد ، ومن ثم فهم يقسمون هذا العصر

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ .

الحضارى الى ثلاثة مراحل هى : العبيد «١» (حضارة أريدو) والعبيد «٢» (حضارة الحاج محمد) والعبيد «٣» (حضارة العبيد الصميّة) (٢)، غير أن هناك وجها آخر للنظر يذهب أن لكل من هاتين الحضارتين (أريدو — الحاج محمد) انتاجها المتميز عن حضارة العبيد ، فضلا عن تأثره الواضح بحضارتى حسونه وحلف السابقتين ، بينما لا نكاد نلمس هذا التأثير فى حضارة العبيد (٣) .

(١) حضارة أريدو :

تقع أريدو — وهى أبو شهرين الحالية فى أقصى جنوب السهل الميزوبوتامى ، وعلى مبعدة ٢٤ كيلا جنوب غرب مدينة أور ، ٢٤٠ كيلا من الخليج العربى — وطبقا للتقاليد السومرية ، فإن أريدو أول المدن الخمس قبل الطوفان وأول مقر للملكية (٤) ، وعلى أية حال ، فهناك من يرجح أنها كانت ميناء على احدى البحيرات الواسعة ، وكان لها اتصال بالخليج العربى عن طريق عدد من البحيرات (٥) ، ومن ثم فقد احترف أهلها صيد السمك وقدموه كقربان للمعبود ، كما أن كثيرا من مساكن القوم انما كانت أكواخا من بوص ، هذا فضلا عن أن هناك نصا من عهد «شولجى» (٢٠٩٥ — ٢٠٤٨ ق م) — أحد ملوك أسرة أور الثالثة — يشير الى أن «أريدو» انمسا تقع على شاطئ البحر ، وهذا ما أثبتته الحفريات الاثرية هناك .

هذا وقد أسفرت نتائج الحفريات التى قامت بها مديرية الاثار العراقية فى الفترة (١٩٤٦ — ١٩٤٩ م) فى المنطقة السكنية من «أريدو»

2) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52, 58, 25, 1969, P. 135

3) S. Liloyd and F. Safar, in Sumer, 4, 1948, P. 124-125.

(٤) انظر

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 43

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, 1966, P. 265.

5) M. Mallowan, The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1971, P 331

واسطر : محمد عبد اللطيف : المراجع السابق ص ٧٤ — ٧٦ .

أن فخارها ينتمي الى عصر أربع حضارات (أريدو — الحاج محمد — العبيد — الوركاء) وأن أشكاله السائدة انما هي الأكواب والساطين ، وأحيانا الاطباق الكبيرة ، وقد تعددت ألوانها وزينت بتصميمات هندسية تكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقط . بينما يندر وجود الاشكال الطبيعية الحية^(٦) .

وكانت منزل القرم أكواخا من بوص ، وبعضها من آجر ، وأما المبانى الدينية فكانت بقاياها ، كما في أولى الطبقات ، أربعة حيطان من آجر ، شيدت فوق كثيب من رمل ، لعله أول تعبير عن المنصة المرتفعة التي يعلوها المعبد (الزاقورة) ، والتي سوف تصبح مظهر العبادة في العراق القديم منذ أيام العبيد وما بعدها ، هذا وقد كشفت الطبقات التالية في أريدو عن مبان مختلفة أكثر اتقانا ، تمثل المعبد القديم في العراق ، بما فيه من هياكل وموائد للقرابين^(٧) .

(٢) حضارة الحاج محمد :

يقع موقع حضارة الحاج محمد على ضفاف الفرات ، على بعد ١٨ كيلا جنوب غرب الوركاء ، ويتميز بأدواته الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة ، وقد زينت بخيوط مائلة ومتعرجة ومربعة ، هذا ويمثل فخار حضارة الحاج محمد تطورا لفخار حضارة أريدو ، وقد لون بنفس ألوانه (الاسود والبني والاحمر والاصفر) فضلا عن اللون القرمزي القاتم .

وهناك ما يشير الى أن فخار الحاج محمد انما قد تأثر بحضارة

6) A. Jawad, The Aridu Material and Implications, in Sumer, 30, 1974, P. 31-33.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 341

وكذا

A. Parrot, Op Cit , P. 52-53.

وكذا

7) A. Parrot, Op. Cit., P. 52.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 332-339.

وكذا

H. Frankfort, The Art and The Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 18.

خلف ، أكثر من تأثره بحضارة أريبدو ، سواء أكان ذلك في الشكل أو الزينة أو الصناعة ، يبدو هذا واضحا في أواني «الرأس العمياء» الذي امتدت إليه حضارة الحاج محمد ، حيث عثر على آنية فخارية تشبه تماما ذلك الطبق الذي يتوسطه رسم زهرة كبيرة ، والذي يميز حضارة حلف (٨) •

(٣) حضارة العبيد :

تتميز حضارة العبيد — وقد أخذت اسمها من تل يقع على مبعدة بضعة كيلو مترات الى الغرب من «الناصر» قرب أريبدو — تتميز بانتشارها في جنوب العراق وشماله ، ويمثلها في الجنوب : تل العبيد والموركاء ورأس العمياء وتل العقير وأريبدو وأور ولجش والحاج محمد ويمثلها في الشمال : تبة جاور أو تل الاربجية وجبل سنجار وتل البراك ونوزي وتل حسونة ونينوى وتل حلف ، وهذا يعني أنها شملت كل أرض بابل جنوبا ، وكل أرض آشور وتخومها الشرقية والشمالية والغربية ، حتى حدود الخابور ، وقد أثبتت الدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود تشابه واختلاف بين انتاج هاتين الحضارتين ، ولكنهما ينتميان أصلا الى حضارة واحدة ، سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فأعطتها شكلها المعين •

وهناك من الباحثين من يذهب الى أن حضارة العبيد ليست تطورا لغيرها من حضارات العراق القديم السابقة ، وانما هي حضارة مستوردة من الهضبة الايرانية ، جاء أصحابها من غرب ايران في أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ، أو قبلها بقليل ، وذلك اثر حدوث تغير مفاجيء أنشاع الجفاف في مواطنهم الاولى ، وقد عثر من مصنوعاتهم في «أريبدو» على فخار ملون ذي أرضية خضراء شديد الشبه بالفخار المميز لمصنوعات معاصريهم سكان أرض عيلام في جنوب غرب ايران ، وكان أولئك النازحون على معرفة بطريقة البناء باللبن في مواطنهم الجديدة تشجعت

(٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٥ - ٨٢ ، وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 341-342, 366-367.

هجرة إيرانية أخرى من بنى عمومهم على المنزوح الى ما يلي مواطنهم شمالا من بلاد النهرين ، ولو أنه ليس من الضروري أن نفترض أن المسرح قد خلا لهجرتهم حينذاك ، وانما لا يبعد أنه كانت تقابلها في الوقت نفسه هجرات سامية شقت طريقها من الغرب الى بلاد النهرين بالتسلل السلمى حيناً ، وبالغزو القبلى حيناً آخر^(٩) .

هذا وقد كشف في شمال الجزيرة العربية أكثر من ثلاثين موقعا ، ينتمى الى حضارة العبيد ، فيها أربعة مواقع عبارة عن أماكن استقرار ، والباقي مناطق سطحية تحيط بالاربعة السابقة ، وتتوزع هذه المناطق على مساحة واسعة داخل المنطقة الشرقية ، وكذا على الساحل ، وتوجد الاولى في العروض الجنوبية ، بينما توجد الثانية في العروض الشمالية ، وان اتفقت جميعا في أن الفخار الملون — وكذا الادوات التى عثر عليها فيها — انما تتشابه جميعا مع مثيلاتها في منطقة العبيد^(١٠) .

وقد أدى ذلك كله الى أن يفترض «الدكتور عبد الله المصرى» وجود علاقات بين سكان شرق شبه الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك في ايجاد نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فقد كان هناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الادوات الحجرية والمنتجات البحرية ابان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية من جانب الرعاة والصيادين أو جامعى الطعام ، وأن التطور الاقتصادى في كل من المنطقتين (الصيد والجمع وصيد الاسماك في شرق الجزيرة العربية — والزراعة في جنوب العراق) قد ساعد على عملية التبادل المادى والحضارى بين الناحيتين^(١١) .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

10) Abdullah Hassan Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974, P. 1-11

11) Ibid., P. 16

وعلى أية حال ، فلقد كان من نتائج فحص مناطق الاستقرار التي تنتمي الى حضارة العبيد في شمال شرق الجزيرة العربية ، أن الجنوب قد سادت فيه حضارة العبيد المبكرة ، بينما سادت في الشمال نفس الحضارة في عصرها المتأخر ، وان عثر في موقع وحيد — على مقربة من بلدة الهفوف — على فخار يشبه فخار العبيد المبكر ، كما أن الحضارات التي تعاقبت بعد ذلك في جنوب العراق — كالوركاء وما قبل الكتابة — لا أثر لها في تلك المواقع التي عثر فيها على حضارة العبيد في بلاد العرب (١٣) .

وطبقا لعلم الطبقات ، فإن العنصرين الحضاريين وجدا أنهما على علاقة مباشرة ومتتابة في موقع «عين قناص» في الداخل ، وفي جنوب غرب المنطقة الشرقية ، هذا فضلا عن أن تحليل الرواسب من هذا الموقع انما قد أهدنا بدليل مباشر على تواجد سكاني دوري في المنطقة في العصر الحجري .

وهكذا يمكننا أن نستنتج أن حركات سكانية وهجرات دورية حدثت على المدى الطويل تجاه الوادي الغربي في جنوب العراق ، وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التي تنتمي الى حضارة العبيد في بلاد العرب خاصة تلك التي تقع على طول الساحل ، قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هذه تتمثل في الاصداف والملاهي والمنتجات البحرية الاخرى ، فضلا عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل الجزيرة العربية ، كما أن وجود حجر الاوبسيدون في مواقع شبه الجزيرة العربية انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق (١٣) .

12) Ibid., P. 17-18.

وانظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم — الرياض ١٩٧٧ ص ٢٠٤ — ٢٠٨ .

13) A. H. Masry, Op. Cit., P. 19.

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، قد توافقت زمنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، مما يحمل على الظن بأن هجرة كبيرة نزحت الى العراق القديم في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه لعلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق انما كان حاسما في قيام المراكز المدنية هناك (١٤) .

وأخيرا فهناك وجه ثالث للنظر يذهب الى أن أصحاب حضارة العبيد انما أتوا من المنطقة الشمالية في العراق نفسه (بلاد الاشوريين فيما بعد) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن حضارة العبيد انما كانت أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب ، رغم كونها جنوبية الاصل ، هذا وقد ظهر انتاجها في كثير من المجالات ، مثل صناعة الاوانى الفخارية الملونة والمزينة ، مما أدى الى انتشار أنواع راقية نسبيا من الفخار المرسوم ، ثم سرعان ما طغى انتاجها شيئا فشيئا على انتاج فخار حسونة الشمالى ، ووجدت بعض نماذجها في «سامراء» ، على نهر دجلة ، وباغوص ، على نهر الفرات ، وفي نينوى وفي حسونة نفسها ، وهذا مما يعنى قيام المبادلات والاتصالات بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، وقد بلغ من رقة بعض أوانى هذا الفخار ما دفع بعض الاثاريين الى التعبير عنها باسم «أوانى قشر البيض» .

وعبر مهرة الصناع حينذاك عن فنون عصرهم على أفضل انتاجهم من الاوانى الفخارية ، فزينوا سطوحها الخارجية بأشكال تخطيطية متجانسة ، وبألوان حمراء وسمراء ، واستغلوا بواطنها المتسعة لتصوير مجموعات تخطيطية أيضا يمكن أن تعتبر بعض نماذجها الراقية مفخرة لعصرها — ان صحت نسبتها اليه فعلا — فمن هذه المجموعات الراقية

14) Ibid., P. 20.

التي نقدمها على حذر : مجموعات صورت ست اناث يتوزعن على محيط دائرة تتطير شعورهن داخلها ، وتحيط بها ست عقارب كبيرة توزعت هي الاخرى على المحيط الدائري لباطن الصفحة ، وليست أشكال النساء هنا غير خطوط تقريبية لا تزيد الرأس فيها عن بقعة سوداء ، ولا يزيد المساقان فيها عن خطين متجاورين ، ولكنها تميزت ، على الرغم من ذلك ، بتناسقها واستدارة خطوط الفخذين فيها والفصل بين الساقين ، وصحفة أخرى صورت فيها أربعة طيور طويلة الرقاب والاجنحة ، توزعت على أركان باطن الصفحة واتجهت نحو مركزها ، والنقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، واستغل الرسام الفراغات بين هذه الطيور ، فوزع حولها مجموعة أخرى من الاسماك في شكل دائرة ، ثم عبر عن مركز الدائرة في الصفحة بخطوط متقاطعة تكاد تقرب من هيئة الصليب المعقوف ، ولم يكن الصانع العبيدي أقل توفيقا في صحفة ثالثة فرسم فيها أربع مثلثات تلاقت رؤوسها على أطراف شكل معين ، واستغلها لتصوير أربع عنزات تصويرا تجريديا لطيفا بالنسبة لعصره (١٥) .

هذا وقد كشف عن كثير من الصناعات في مواقع العبيد الشمالية ، ومنها بعض الادوات النحاسية التي عثر عليها في «تبة جاورا» ، ومنها خاتم صغير وازميل من النحاس ، هذا وقد تميز القسم الشمالي لحضارة العبيد بانتاج أختام الطابع ، وقد عثر عليها في «تبة جاورا» ، وهي تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الانواع ، وتحمل هذه الاختام أو طبعتها من الطين رسوم بسيطة من خطوط مستقيمة أو متقاطعة ، كما تتضمن في بعض الاحايين ، أشكالا حيوانية (١٦) .

وكان من أهم انتاج حضارة العبيد الجنوبية ما كان يتصل بمهنتي صيد الاسماك والزراعة ، ومن ثم فقد انتج القوم مسامير مثنية من

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

(١٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

طين ، ويرجح البعض أن الغرض منها أن يعلق عليها الصياد صيده من السمك ، وربما شبكة جيدة ، وقد عثر على نماذج ملونة وغير ملونة لهذه المسامير في مواقع أريدو وتل العبيد وتل العقير ، وفي رأس العمياء ، وربما كان في رأس العمياء أدوات صحن بسبب رؤوسها الأكبر حجماً ، كما استخدم القوم المادة الطينية التي وفرتها البيئة المحلية ، وخاصة في الجنوب ، كبديل للاحجار الصلبة والمعادن التي افتقر إليها هذا الجنوب ، وذلك في صناعة الفؤوس والمناجل ، وقد كشف عن العديد من التماثيل الطينية في الجنوب — كما في أريدو وتل العبيد وتل العقير (على مبعده ٧٥ كيلاً جنوبى بغداد) — والتي كانت ، فيما يبدو ، ابتكاراً له أهميته العملية ، خاصة عندما تحرق الى درجة عالية لتصبح ذات حادة قاطعة ، فضلاً عن أنه يمكن استبدالها بسهولة حينما تكسر ، وقد ظهرت — لأول مرة — في أولى طبقات حضارة العبيد بموقع أريدو (ط ١٢) ، كما ظهر منها نماذج ملونة في (ط ٩) من نفس الموقع^(١٧) .

وأما في مجال العمارة ، فقد شيدت منازل القوم في الشمال من الآجر ، وأما في الجنوب ، فقد استعمل الآهالى الآجر أحياناً ، والبوص والطين أحياناً أخرى ، وقد كشف في تل العقير عن منطقة استقرار من عصر العبيد تضم سبع طبقات ، وكانت في أقدمها (ط ٧) من جدائل البوص ، يليها بناء من الآجر ، وأما في الطبقات العليا من موقع العقير هذا ، فقد بنيت معظم المنازل من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة والمتراصة ، وقد بلغ سمك حيطانها أحياناً قرابة المتر ، كما صفت على جانبي ممر أو حارة في صفين متقابلين^(١٨) .

هذا وقد وجدت المنازل في «تبة جاورا» (تبة كورا) — وتقع على

17) V. G. Child, Op. Cit., P. 137-138.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 345, 359, 369.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 47.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٩١ — ٩٣ ، وكذا

M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.

S. Liloyd and F. Safar, in JNES, 2, 1943, P. 137-139, 149.

مبعدة حوالي ٢٠ كيلا شمال مدينة الموصل — مع المعابد في منطقة واحدة ، وكلاهما — المنازل والمعابد — قد بنى بالآجر ، وان أقيم بعضها فوق أسس من حجر ، هذا ويضم موقع «تل الاربعية» — على مبعدة ٨ كيلا شمال شرق نينوى — منطقة سكنية في وسط الجبانة ، وقد كشفت الحفريات عن أربع طبقات من منازل طينية متواضعة ، وقد زودت معظم المنازل بالافران والالوعية الفخارية الكبيرة لخرن الحبوب والماء^(١٩) .

وأما عن مقابر القوم فقد كشفت الحفريات في جبانة أريدو أنها تضم ما لا يقل عن ألف مقبرة ، وتشير بعض الطبقات التي ترجع الى أخريات عصر العبيد الى أن الموتى انما كانوا يوضعون في صناديق من الآجر ، تدفن في باطن الارض ثم يهال عليها التراب وتعلق بالآجر أيضا ، هذا وقد وجدت بعض المدافن الجماعية في جبانة أريدو ، الامر الذي يستدعى بالضرورة إعادة فتح القبر ، بين حين وآخر ، ثم دفع الهياكل العظمية الاسبق ، وبالتالي تناثر عظامها،وقد زودت المقابر ببعض الاواني الفخارية التي تتصل بالطعام والشراب كالاطباق والفناجين ، الامر الذي قد يشير الى ايمان بالعالم الآخر ، كما زودت المقابر أيضا بعدد من تماثيل الالهات الامومة الصغيرة ، والتي كان لبعضها رؤوس تشبه رأس الضفدعة أو السحلية ، مما يشير الى تأثر الانسان في جنوب العراق القديم ببيئته المستنقعية^(٢٠) .

هذا وقد اهتم القوم كثيرا بدور العبادة ، والتي يمثل بقاياها ما عثر عليه في موقعين رئيسيين ، «أريدو» في أقصى الجنوب ، و «تبة جاورا» في الشمال ، وفي «أريدو» نواجهه ، ولأول مرة ، بمظهر معماري جديد ، يتمثل في بناء المعبد فوق تل صناعي ، وتؤدي بعض المنحدرات الى

19) N. Egami, in Sumer, 13, 1957, P. 6-8, 22. 1966, P. 2-5.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.

وكذا

20) A. Parrot, Op. Cit., P. 55.

M. Mallown, Op. Cit., P. 347, 352.

وكذا

S. Lloyd and F. Safar, Sumer, 4, 1948, P. 117.

وكذا

منصته^(٢١) ، وهو تصميم قدّر له أن يصبح علما على مباني السومريين الدينية فيما بعد ، وقد شاده القوم لمعبود كان ذا صلة بالمعبود «ايا» الذى اعتبره خلفاؤهم فى العصور التاريخية ربا للمياه العذبة ، وتخليوه مستقرا فى أعماقها •

وعلى أية حال ، فلقد كان معبد اريدو هذا متواضعا يناسب عصره ، ويتكون من مقصورة بسيطة (بلغ اتساعها ١٢ × ١٥ قدما) كانت لها مشكاة لتمثال لمعبودها أو رمزه ، ومائدة لبنية للقرايين وضعت أمام هذه المشكاة ، وتجدد معبد اريدو ، وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر العبيد^(٢٢) ، ودل تخطيطه فى مراحل الناضجة على تطورات جديدة ، فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدى اليه درج ، ويدعو الارتفاع بمثل هذا المعبد فوق المسطح ذى الدرج الى أكثر من فرض واحد ، فهو قد يعتبر مجرد تطور معمارى محض فى أسلوب بناء المعبد ، أو مجرد اجراء عملى محض للارتفاع بقاعدته عن مستوى الارض الرطبة المحيطة به ، أو يكون تعبيرا دينيا يدل على رغبة أصحابه فى التسامى بمعبودهم ومعبودهم الى العلى ، أو يكون تعبيرا عن فكرة شعوبية تدل على أن أصحابه كانوا فى بداية أمرهم من سكان المرتفعات الذين عبدوا آلهتهم — آلهة الربوات — فوق قمم جبالهم وهضابهم العالية، فلما تركوا ربواتهم واستقروا فى سهول النهرين ، استعاضوا عنها بمسطحات صناعية من صنع أيديهم ، وليس هناك من سبيل الى ترجيح أحد هذه الفروض دون غيره بالنسبة لهذا العصر ، وان كنا سنلاحظ فيما بعد ، أن الفرض الاخير منها قد زكته شواهد متأخرة ظهرت فى آثار أواخر بواكير العصر الكتابي، وفى آثار العصور السومرية وأساطيرها •

21) M. Mallowan, Op. Cit., P. 337.

(٢٢) انظر

A. Parrot, Op. Cit., P. 54.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 335-337.

وكذا

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 19.

وأيا ما كان لامر ، فلقد زاد أصحاب معبد اريدو في محتويات مقصورته ، فأضاعوا مذبحا جديدا على مبعده من مائدة القربان القديمة ، وأحاطوا المقصورة بحجرات جانبية ، وشكلوا واجهة جدران المعبد الخارجية على هيئة مشكاوات رأسية مستطيلة بسيطة ، تعاقبت الواحدة منها بعد الاخرى على مسافات متساوية (٢٣) .

وأما في شمال العراق ، فقد كشف في موقع «تبة جاورا» عن معابد من عصر حضارة العبيد ، والتي يمكن أن تنقسم الى قسمين ، الواحد : مبكر ، ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية بالآجر ، وتشغل مساحة كبيرة ، وتشتمل على فناء تتوسطه مائدة قرابين ، فضلا عن معابد صممت على الشكل الدائري ، المأخوذ عن حضارة حلف ، والاخر : وهو القسم المتأخر زمنيا ، ويمثله ثلاثة معابد ، شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجهات الاربع الاصلية ، وقد زودت جدرانها بكثير من الركائز ، التي استخدمت كدعامات للجدران ، وقد طليت بعض جدران المعابد بلون أبيض (٢٤) .

(٤) حضارة الوركاء :

تنسب هذه الحضارة الى الوركاء — وتقع شرق الفرات ، قرب مركز السماوة ، وعلى مبعده ١٢٨ كيلا شمال غربى أور — واسمها القديم «أوروك» (urk) ، وذكرتها التوراة باسم «أرك» ، ونسبت بناءها الى نمرود ، وتتمثل حضارتها في عدة مواقع أثرية في جنوب العراق ، مثل اريدو وأور ولجش وتل العقير ، كما انتشرت في مرحلتها المبكرة في شمال العراق في تبة جاورا ونيوى وتل جراى رش بمنطقة سنجار ، وهى ،

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، وانظر H. Frankfort, Op. Cit., P. 2 F.
Sumer, 3, 1947, P. 84 F, 4, 1948, P. 115 F.
(٢٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٨٩ — ٩٠ .

على أية حال ، الحضارة التالية لحضارة العبيد في العراق القديم (٢٥) .

هذا وقد اختلف الباحثون في جنسية أصحاب حضارة الوركاء ، وهن هم السومريون أم الساميون ؟ فأما السومريون فقد دخلوا العراق في عصور ما قبل الاسرات بوجه عام ، وكان لهم دورهم الحضاري الهام والمتصل بكل من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصر ما قبل الاسرات الاخير .

وأما الساميون فقد سبق لهم الاستقرار أيضا في جنوب العراق ، وكانوا ذوي مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء ، على أساس أن هناك أوجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع السورية والفلسطينية ، وعلى أية حال ، فأكبر الظن أن السومريين والساميين ، فضلا عن عناصر أخرى — عيلامية وجيلية متسللة من منطقة جبال زاغروس في غربي إيران — إنما قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، غير أن السومريين إنما كانوا أصحاب أولوية حضارية ، خاصة في عصر حضارة الوركاء ، وفي عصر حضارة جمدة نصر التالية لها (٢٦) .

هذا ويعد الفخار أهم انتاج عصر الوركاء المبكر ، وهو من أنواع مختلفة ، شكلا ولونا ، فمن ناحية اللون ، فان فخار الوركاء يسوده اللون الواحد ، الرمادي أو الاحمر المصقول كما أن منه الاسود المصقول ، والمزين بنماذج ملونة ، وان كان هذان النوعان الاخيران قليلين ، بل ان الفخار المزين لا يرد في غير الطبقات المبكرة من عصر حضارة الوركاء ، وذلك في موقعي اريدو والوركاء ، ويغلب تزينهما بالشرائط العريضة والاشكال الهندسية البسيطة ، وقد صنع الفخار

(٢٥) هناك من الباحثين من يقسم عصر حضارة الوركاء الى قسمين ، الواحد : الوركاء (١٢ - ٦) ويدخل في نطاق عصور ما قبل التاريخ ، والاخر : الوركاء (٥ - ٤) ويطلق عليه ، وكذا حضارة جمدة نصر (الوركاء ٢-٢) «عصر بواكير العصر الكتابي» (Proto-Literate Period) أو «عصر ما قبل الكتابة» أو «العصر الشبيه بالكتابة» .
(٢٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤١ .

الرمادى من طينة رمادية محمرة ، وهو جيد الاحتراق والصقل وتغطيه قشرة رمادية ، أما الفخار الاسود فأغلبه من طينة نقية حمراء ، وهو على درجة عالية من الاحتراق والصقل ، وتغطيه قشرة حمراء أو طلاء أحمر ، وقد خصصت لأحراقه أفران كثيرة ، عثر على بقاياها في «أور» (تل المقبر) ، وتنسب الى هذه المرحلة معرفة عجلة الفخار في الطبقة (H) التي أدت الى التحول من الصناعة اليدوية الى الصناعة الآلية (٢٧) .

وهناك الفخار البسيط غير الملون ، وأكثره شيوعا الجرار والآنية ذات الصنابير ، وذات المقابض ، وذات الاذان (٢٨) ، هذا فضلا عن الفخار الذى سمي باسم «الآنية النذرية» وهى آنية خشنة مصنوعة باليد ، وتبدو فى شكل سلاطين تتسع عند الحافة المشطوفة ، وتضيق تدريجيا نحو القاعدة المسطحة ، الى غير ذلك من أنواع الفخار البسيط ، مثل الجرار الطويلة التى تتميز بضيق اتساع الاناء وقصر الرقبة ، فضلا عن الآنية ذات الحواف المنثنية الى الخارج بشكل فوهات القوارير (٢٩) هذا وقد انتشر فخار الوركاء شمالا ، وكانت «نينوى» (تل قوينجق فى مدينة الموصل) أول المناطق الشمالية التى كشف فيها «مالوان» عن فخار الوركاء فى المجرى العميق الذى أجراه فى «تل قوينجق» ، كما عثر فى منطقة جبل سنجار على العديد من فخار الوركاء المصقول (٣٠) .

27) S. Lloyd, Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948, P. 44-48.

وكذا

B. Abu-Al-Soof Uruk Pottery from Eridu, Ur and Al-Ubaid, in Sumer, 29, 1973, P.

M. Mailoman, Op. Cit., P. 355.

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٤ ، وكذا

S. Lloyd, Op. Cit., P. 44, 49.

29) M. Mallowan, Op. Cit., P. 402.

S. Lloyd, Op. Cit., P. 44-45, 49.

وكذا

30) Ibid, P. 401-404.

هذا وقد تميزت هذه المرحلة المبكرة بانتاج عدد أوفر من الادوات النحاسية في جنوب بلاد النهرين ، وهى — وان كانت أدوات بسيطة مثل الازميل ورأس الحربه وخطاف صيد السمك والابرة — غير أنها أكثر وفرة ، بالمقارنة بانتاج المصنوعات النحاسية من عصر حضارة العبيد •

وأما القسم الشمالى من حضارة الوركاء هذه فكان متفوقا بدرجة كبيرة فى انتاج المصنوعات المعدنية التى لم تقتصر على النحاس ، وانما تضمنت أيضا الذهب والاحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها ، والتى استخدمت فى أدوات الزينة ، ولعل أفضل ما يعبر عن ذلك ما كشف عنه حديثا فى «تل قالينج أغا» الذى احتوت قبوره من مرحلة حضارة الوركاء الكثير من القطع الذهبية الصغيرة المتنوعة الاشكال ، فضلا عن اعداد كثيرة من حبات العقود والقلائد من الذهب واللآلئ والعقيق والاحجار شبه الكريمة ، ولعل أروع ما كشف عنه مجموعات فى قبر امرأة غنية ، معظمها من خرز الذهب والاحجار الكريمة ، داخل جرة وجدت فوق رقبة الهيكل العظمى ، وهى عبارة عن قلادة تحتوى على سبع حلقات من الذهب ، وثمانى خرزات ذهبية كبيرة ، وأربع عشرة خرزة ذهبية متوسطة ، وأخرى أسطوانية ، ٣٤ خرزة ذهبية صغيرة ، ١٥ خرزة من العقيق الاحمر ، ١٥ خرزة من حجر أزرق ، فضلا عن مجموعة من خرز الصدف (٣١) •

هذا ويرجع الى تلك المرحلة أقدم ما عثر عليه من طبقات طينية لأختام الطابع فى الجنوب ، وهى لختم مربع يحمل شكلا لوعلى ذى قرون ، أسفل المنحدر الصاعد الى معبد الطبقة (١٠) فى زاقورة «أنو» فى الوركاء ، غير أن هذه الطبقات المبكرة لا تعبر عن أى مدلول كتابى،

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٢٧-١٢٩، وكذا

V Child Op Cit., P. 149, 161.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.

Abu-Al-Soof and Es-Siwani, in Sumer, 23, 1967, P. 72.

وانظر : شاه الصبوانى : مجموعة قبور تل قالينج أغا — اربيل —

مجلة سومر — العدد ٢٧ لسنة ١٩٧١ ص ٤٧ — ٥١ •

الامر الذى سوف يظهر فى الجنوب فى المرحلة التالية (مرحلة ما قبيل الكتابة) ، ويذهب البعض الى أن بعض أختام هذه المرحلة الاخيرة فى موقعى الوركاء وخفاجى — والتي تحمل أشكال عجالات حربية — انما تشير الى أن ابتكارا أقل تطورا لعربات ذات عجالات استخدمت فى النقل ، قد سبقها ، وأنه قد أتى من المرحلة السابقة فى الوركاء ، وأنه قد أحدث ثورة فى النقل (٣٢) .

وفى المرحلة الثانية من الوركاء ، بدأ التوصل الى بداية التعبير الكتابى ، الذى انفرد بتقديمه جنوب العراق ، وقد أدى بالتالى الى بداية العصر التاريخى ، هذا وقد بدأت الكتابة فى أول أمرها بسيطة مبدؤها تدوين الاشياء المادية الملوفة برسم صورها ، وهذا ما يدعى «بالكتابة الصورية» ، وقد أخذ القوم ألواح الطين للكتابة عليها ، وهى طرية بقلم من قصب أو خشب ، ورغم أن الطين ظل أهم مواد الكتابة فى جميع تاريخ العراق القديم ، غير أن الكتابة بقلم من قصب أو خشب سرعان ما تطورت الى كتابة على الاحجار أو المعادن ، بالذبت أو النقش، كما تطور الشكل الصورى باستعمال علامات للتعبير عن المعانى المجردة ، وقد تحولت الكتابة الى علامات تنتهى بما يشبه المثلثات أو المسامير ، ومن هنا كانت تسميتها باسم «الكتابة المسمارية» (الاسفينية) ثم استخدمت مقاطع صوتية لكتابة الكلمات والجمل ، بعد تقسيمها الى مقاطع ، وقد وصلت الكتابة الى بداية المرحلة الصوتية فى أواخر عصر الكتابة ، كما أثّرنا آنفا .

هذا وقد شهدت هذه المرحلة تطورات حضارية هامة ، وخاصة فى مجال العمارة الدينية ، التى تميزت بالمعابد الضخمة ، التى أقيمت فوق مساطب صناعية من عدة طبقات هى أصل «الزاقورات» التى وجد لها نموذج فى العقير ، وكانت العمارة تقوم من قبل على كوخ القصب الذى

(٣٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.
V. Child, Op. Cit., P. 149, 161.

ظل طويلا يمثل المسكن ، ثم استبدل بالنسبة للمعبود ببيت من اللبن يقوم على أساس من الحجر ، وقد استعويض عن هذا المبنى في الوركاء بحوش له جدران تزينها أعمدة وأنصاف أعمدة ، وبها زخارف في مخاريط فخارية مدهونة باللون الاحمر والازرق والابيض ، ويقوم بالقرب من مسكن المعبود برج ضخم هو «الزاقورة» (كبرج بابل المشهور ، وبرج أور المقير ، وبرج بورسبا المسمى الان برس نمرود وبرج عقروق) ، وكان يعلو الزاقورة معبد صغير يشيد فوقها مثلث ، على جدرانه صور ملونة تمثل حيوانات ، وتعد هذه الصور أقدم صور جدارية ، هذا وكان يرقى الى قمة البرج بسلاسل لكل طبقة (٣٣) .

هذا وقد بدأ المجتمع الزراعى منذاً واخر عصر الوركاء (أو منذ بواكير العصر المكتابى الجديد) يصنع تصبغة مدنية ، فنشأت فيه بلدان أو مدن صغيرة ، تطورت عن القرى الكبيرة ، وامتازت عما يحيط بها من أراضي الزراعة والقرى العبادية ، باتساع عمرانها اتساعا نسبيا ، وبأهمية معبدها وقصور حكامها ، وكفاية صناعاتها وفنانيها ، وباتساع مجالات الانتاج وفرص التشجيع فيها ، وان ظل ذلك كله في حدود نسبية بطبيعة الحال (٣٤) .

(٥) حضارة جمدة نصر :

تنسب هذه الحضارة الى تل صغير ، على مقربة من مدينة «كيش» القديمة ، وقد عثر على نماذج لهذه الحضارة في الوركاء والعقير وتل أسمر وأور وشروباك وتل العبيد وتوبلياس ، ويميز هذه المرحلة تطور فن البناء والنحت والكتابة ، ويعد المخطط الثانى من هذه المرحلة الحضارية أقرب الى العهد التاريخى منه الى عهد ما قبل الاسرات ، وهو

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٦ - ٦٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ .
(٣٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

يقابل في مصر المرحلة الأخيرة من عصر جزرة ، وقيام مملكة الصعيد والدلتا (٣٥) *

هذا وتتمثل العمارة الدينية لمرحلة جمدة نصر بشكل واضح في «المعبد الأبيض» الذي أقامه أصحابه لمعبودهم «آن» (أنو) إله السماء ، فوق تل صناعي يرتفع نحو ١٢ مترا عن مستوى السهل المتدحوله ويشرف عليه ، وسورا جوانب هذا التل بسور ذي مشكاوات ، واعتبروه — فيما يحتمل — بديلا عن أمثال سطح معبد اريدو ، أو هم اعتبروه على الأرجح ، نموذجا لأصله الجبلي القديم ، و كان يؤدي الى سطحه طريق صاعد ، ودرج طويل بقي جزء منه ، وتوسط المعبد الأبيض سفح التل ، واستكملت جدرانها هيئة المستطيل (٧٤ × ٥٠ قدما) وتشكلت على هيئة مشكاوات متتالية ، تتعاقب في كل منها عدة مستويات داخلية ، وقد بنيت باللبن كالعادة ، ودعمتها فلولق نخل قصيرة ، ثم كسيت بملاط أبيض ، وتوسطت المعبد مقصورتته الرئيسية ، وتضمنت في داخلها عنصرها الرئيسيين ، وهما المذبح ومائدة القربان ، ولكن مذهبها تميز بأنه كان ذا درج ، وبلغ ارتفاعه نحو أربعة أقدام ، وجاور مائدة القربان فيها موقد منخفض نصف دائري ، وأحاطت بالمقصورة بضع حجرات فصلت بينها جدران ذات مشكاوات *

واستمر تل هذا المعبد باقيا حتى احتوته أسوار معبد «آن» (أنو) الكبير في العصور الهلينية ، أى بعد بداية البناء فوقه بنحو ثلاثين قرنا ، وقد يعنى ذلك أنه كان يرتبط بقداسة خاصة عند أهله أدت بهم الى المحافظة عليه (٣٦) *

وهناك أيضا من مرحلة جمدة نصر بعض المباني الدينية المبكرة في تخوم أرض بابل شرقا ، وتتمثل في الطبقات الخمس المبكرة لمعبد إله

(٣٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

القمر «سن» في خفاجي ، وفي أقدم طبقات معبد الاله آنسو في «تل أسمر» (اشنونا) ، ويتبين من الطبقة الاولى لمعبد سن في خفاجي أن مخططه يشبه الى حد ما المعبد الابيض في الوركاء ، ويمكن أن نطالع فيه السمات الاساسية للمعبد في جنوب العراق ، وهي الفناء المستطيل الذي يقع الهيكل في نهايته ، وتطل عليه حجرات جانبية ، غير أنه لم يبق فوق منصة عالية ، وأصبح — فيما تدل مباني الطبقة الخامسة — عبارة عن بيت لسكنى المعبود ، أسوة بمنزل البشر التي تجاوره .

وفي اشنونا كشف عن بقايا معبد «آنو» في طبقات يرجع أقدمها الى نهاية مرحلة جمدة نصر ، وهي لمزار صغير ذات تصميم مشوه ، ربما بسبب ضيق المساحة التي أقيم عليها بين منازل القوم ، وان كانت الطبقة التالية — وترجع الى بداية العصر التاريخي — تشير الى اعادة التخطيط على غرار معبد خفاجي ، ويذهب المرحوم الدكتور عبد اللطيف الى أن اقامة معابد خفاجي وشنونا بين المساكن ، وعدم تشييدها فوق منصة عالية ، ربما بسبب طبيعة الارض التي أقيمت فوقها المعابد ، وهي أكثر ارتفاعا ، وبمنجاة عن خطر الفيضان الذي تتعرض له عادة الارض الخفيضة في جنوب العراق ، هذا فضلا عن تفاوت مدى قوة العقيدة في المعبود بين أهل الجنوب وسكان التخوم الشرقية ، الامر الذي تفسر اليه المباني الدينية بوضوح^(٣٧) .

هذا ويتميز فخار جمدة نصر بأنه مصنوع على عجلة الفخار ، وهو جيد الاحراق والصقل ، ومن أحجام مختلفة ، وأغلب أنيته ذات شكل كروي منتفخ ، ولها قواعد مسطحة أو مقوسة ، وقد زودت فوهاتها في بعض الاحايين بسدادات من الطين ، قد شغلت زينتها الجزء العلوي من الاناء ، بما فيه الرقبة ، وذلك بأشكال هندسية سوداء وحمراء فوق

(٣٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، أنتلون مورترجات : الفن في العراق القديم — نرحمة عيسى سليمان وسليم التكريني — بغداد ١٩٧٥ ص ٦٩ - ٧١ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., P. 23.

أرضية فاتحة اللون ، أما باقى الاناء فلا تتجاوز زينته طلاؤه بلون أحمر أو مائل الى الحمرة (٣٨) .

وقد انتشر فخار جمدة نصر في جنوب العراق ، في أور والوركاء وكيش وتل العقير ، وفي التخوم الشرقية في خفاجى وتل اسمر ، كما امتد الى منطقة كركوك ، وربما امتداده — عن طريق التجارة على الأرجح — الى آفاق أبعد في الشمال ، ذلك لأن أقدم فخار نينوى انما يشبه فخار جمدة نصر ، في تزيينها بأشكال هندسية ، وتلون بلون أحمر أو بنى قائم فوق أرضية فاتحة ، وربما انطبق هذا على موقع «تبة جاورا» ، وربما موقع تلوث الثلاثات وتل البراك ، وان قد ساد العراق الشمالى في أخريات عصر جمدة نصر ، وبداية العصر التاريخى في الجنوب ، فخار نينوى (٣٩) .

هذا وقد قدم عصر جمدة نصر كثيرا من نماذج النحت على الحجر ، والتي تلقى بعضا من أضواء على الفكر الدينى والسياسى المبكر في العراق القديم في أخريات عصور ما قبل التاريخ والانتقال الى بداية العصور التاريخية ، ومن هذه النماذج وأمتعها ، ما أطلق عليه «الاناء النذرى» ، وهو آنية أسطوانية من المرمر ، محفوظة الان في المتحف العراقى في بغداد ، وقد قسمت سطوحها الى ثلاثة صفوف ، وظهرت المعبودة «انانا» في صفها الاعلى ينسدل غطاء رأسها على ظهرها وكتفيتها ، وتتدثر بثوب طويل أو شال واسع ، وتجمع بيسراها مجامع ثوبها ، بينما ترفع يمينها لتبارك بها سلة فاكهة قدمها اليها أحد كهنتها العرافة ، وتلاها

(٣٨) فرج بصمة جى : بحث في الفخار — صناعته وأنواعه في العراق القديم — مجلة سومر ، العدد ٢١ لسنة ١٩٦٥ ص ٢٤ — ٢٥ ، وكذا S Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 151.

H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part 2, Cambridge, 1973, P. 81.

(٣٩) فرج بصمة جى : المرجع السابق ص ٢٤ — ٢٦ . وكذا Abu-Al-Soof, in Sumer, 23, 1967, P. 210, 30, 1974, P. 6-8.

وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٨ — ١٤٩ .

تصوير رمز معبدها (النباتى ؟) ومجموعات الهدايا الفاخرة التى تقدمت اليه ، ثم رجل وامرأة بملابس طويلة ، وشعر مرسل طويل (أو غطاء رأس طويل) يصعدان مسطحى المعبد المسورين ، وشغل الصف الثانى من نقوش الانية عدد من الكهنة العراة حاملى القرايين ، بينما صورت فى صفها الثالث مجموعة كباش ونعاج ونباتات ، وعبرت صور الكباش فيها عن الانواع الشائعة فى عصرها ، فمنها كباش أفقية القرون ، ومنها مرتفعة القرون ، وكلها كباش قصيرة الذبول ذات طيات سمكة تحت رقابها وفى مقدمات صدرها ، ولا تزال نقوش هذه الانية تعتبر خير نقوش أوانى عصرها ، بل ولم يعثر بعد على ما يدانى نقوشها فى آثار عدة قرون تالية لها من الالف الثالث قبل الميلاد^(٤٠) .

وهناك لوحة «صيد الاسود» ، وهى من حجر الجرانيت الاسود ، وقد تحطم طرفاها العلوى والسفلى ، وتضم اللوحة منظرين ، الواحد وهو الاسفل ، يصور فيه الفنان مقاتلا ، يجذب وتر قوسه الكبير ، ليطلق سهما على أسد سبق أن أصابته سهامه ، وأسفل هذا الاسد يوجد أسد آخر صرخته سهام هذا المقاتل ، هذا الى أن هناك خلف هذا المقاتل أسدا ثالثا صرع بهذه السهام ، ويمثل هذا المقاتل بالزى والسمات المميزة للهاكم أو البطل ، فهو يرتدى زيا كاسيا يصل الى أسفل الركبة ، ويشد خصره حزام عريض ، وله لحية كثيفة وشعر غزير ربط بالشريط الذى يشبه العقال ، ويدور حول الرأس فوق الجبين ، وأما المنظر الثانى ، وهو الاعلى ، فيصور نفس المقاتل ، على الأرجح فهو يمثل بنفس الزى والسمات المميزة ، ويمسك برمح طويل يتأهب لغرسه فى عنق أسد يثب نحوه مهاجما .

ويذهب «هنرى فرانكفورت» الى أن المادة التى صنع منها لوح صيد الاسود هى الجرانيت ، وقد جلبت الى الوركاء من منطقة خارجية ، لاقتار جنوب العراق الى هذا النوع من الحجر ، ولكنه يتساءل عن

(٤٠) عبد العزيز صالح المرجع السابق ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

الهدف من تسجيل صيد الاسود ، وهل هو لتخليد ذكرى الصراع مع البيئة في جنوب العراق ، وتهيئة للاستقرار ، ثم التطور الى مرحلة المدنية ؟ فضلا عن جهود طبقة الحكام الاوائل ، ذلك لأنه صور المقاتل في اللوحة بزي وسمات الحاكم أو البطل ، والذين أراد الفنان أن يعبر عن بأسهم في مواجهة الحيوانات الضارية ، وكفاحهم الشاق في سبيل تأمين الحياة في بيئتهم ، وان لم ينجح ناقش اللوح في تصوير النسب الجسمية السليمة لهذين الرجلين (وربما نفس الرجل المقاتل) ، وان نجح الى حد ما في التعبير عن حركة أذرعهما خلال اطلاق القوس وتصويب الرمح ، وصورهما بأنف أقمى بعض الشيء^(٤١) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى ازدياد مجالات الصلات الخارجية في عصر جمدة نصر في هذه الفترة ، والتي امتدت حتى مصر وبلاد السند ، وأكبر الظن أن الطريق البحري انما كان هو الطريق الذي استخدم في تلك الصلات ، ولعل الايام تكشف لنا في المستقبل عن آثار المحطات الحضارية التي كان على السفن أن تتوقف عندها في سواحل عمان وحضرموت والبحر الاحمر *

على أنه من الجدير بالاشارة الى أن هناك من هذه الفترة مؤثرات حضارية من العراق القديم ، لم يكشف بعض عن مؤثرات مصرية في بلاد النهرين تنتمي الى نفس الفترة ، ويعمل البعض ذلك بسبب صعوبة الملاحة من البحر الاحمر الى البحر الابيض بسبب التيارات البحرية الشديدة في منطقة باب المندب ، غير أن الصلات المصرية البشرية الحامية ، فضلا عن الجوانب الحضارية مع شرق أفريقيا ، وخاصة مناطق الصومال ، في طلب البخورا للازم للطقوس الدينية المصرية ، انما

(٤١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٥٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٠ ، وكذا

H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part, 2, P. 87-88.

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 33-34.

تؤكد قدم تلك الصلات التي استخدمت فيها الطرق البرية والبحرية ، هذا الى جانب أن حقيقة الاتصال بالصومال انما ينطبق أيضا على تلك المحطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن سواحل البحر الاحمر ، للوصول الى حل نهائي للمشكلة^(٤٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى تلك الصلات التي كانت بين مصر وجنوب العراق فيما قبل عصر التأسيس وأثنائه ، فلقد أشار كثير من الباحثين الى وجود صلات تجارية وحضارية بين البلدين ، اعتمادا على مجموعة الاوانى الفخارية ذات الصنابير المائلة ، فضلا عن ذات الآذان المثلثة في المستجدة والبدارى ، بمحافظة أسيوط ، والتي تنتمي الى حضارة جمدة نصر ، هذا الى جانب الاختتام الاسطوانية الاربعة التي عثر عليها في «جرزة» بمحافظة الجيزة ، وفي نجع الدير بمحافظة سوهاج ، والتي تنتمي الى حضارتى الوركاء وجمدة نصر في العراق القديم^(٤٣) .

(٤٢) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٤٣) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ ، وكذا

H. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relations With Egypt, JNES, XI, P. 239 F.

I.E.S. Edwards, CAH, I, Part, II, 1971, P. 42-43.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 101

الباب الثاني

السومريون

الفصل الأول

قصة الطوفان

(١) تقديم :

من المعروف أن بداية العصر التاريخي في مصر ، انما تختلف عنها في العراق القديم ، ذلك لأن بداية التاريخ المصري القديم انما كانت منذ توحيد مملكتي الصعيد والدلتا في دولة واحدة ، ذلك لأن المصادر المصرية انما قد اعتبرت الملك «نعرمر» (عما - مينا) على رأس الاسرة الاولى المصرية ، فهو - كما تصوره آثاره - قد لبس التاج الابيض لمصر العليا (الصعيد) على أحد وجهي لوحته المشهورة (لوحه نارمر) ، بينما نراه على الوجه الاخر - وكذا على رأس دهبوس له نفس الاهمية - يضع على رأسه التاج الاحمر لمصر السفلى (الدلتا) ، ومن الواضح أنه أول ملك يفعل ذلك في تاريخ مصر كله (١) .

وهكذا بدأ العصر التاريخي في مصر (حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م) ، ذلك لأن مصر انما كانت قد بدأت تعرف الكتابة ، وأخذت تسجل حوادثها المختلفة على آثارها ، ومن ثم فقد أصبح اعتمادها الاكبر على ما خلفه المصريون القدامى أنفسهم مسطرا على آثارهم (٢) .

على أن الامر في العراق انما هو جدد مختلف ، حيث يبدأ العصر التاريخي بحادث الطوفان المشهور ، ومن المعروف أن حوادث الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة في العراق القديم ، انما كانت من أهم وأخطر المحوادث التي تعتبر بمثابة البداية للعصر التاريخي في بلاد النهرين .

وفي الواقع فان حادث الانتقال الى العصر التاريخي في كل من مصر

1) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 403-404.

وكذا

J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, 1900, Pl. XXIX, P. 10, II, 1902, P. 43.

(٢) محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨

والعراق انما يعبر عن أصول المفاهيم السومرية من ناحية ، والمصرية من ناحية أخرى ، فقد كانت عملية النقلة الى بداية العصر التاريخي في العراق القديم عملية بيئية بحثية ، وغير مطمئنة للانسان ومصيره ، مما أدى الى اعتبار هذه الحقبة عمادا تدور حوله الحضارة العراقية القديمة ، بينما كان حادث الوحدة السياسية في بداية التاريخ المصري القديم ، مؤكدة لاستقرار الانسان واطمئنانه ، فضلا عن توطيد كيانه السياسي ، وتكوين وتشكيل مدنيته على ذلك المفهوم الواضح طوال العصور الفرعونية ♦

على أن هناك ظاهرة مشتركة بين مصر والعراق في مرحلة الانتقال الى العصر التاريخي ، وأعنى بذلك التوصل الى التعبير بالرموز ، فالكثافة وسيلة اتصال بين الافراد والجماعات في كافة المعاملات التجارية والخاصة ، فضلا عن تحرير الوثائق الحكومية وتنظيم شئون الدولة ، وقد توصل الانسان في كل من مصر والعراق الى هذه الظاهرة الفكرية الهامة ، واختراع الكتابة الصورية ، الهيروغليفية في مصر ، والمسمارية السومرية في العراق القديم^(٣) ♦

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قصص الطوفان الكبير الذي أهلك البشرية ، انما تكاد تنتشر انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم منذ زمن جد طويل ، وهكذا انتشرت الروايات عن الطوفان في كثير من مجتمعات الشرق الادنى القديم ، وفي الهند وبورما والصين والملايو وأستراليا وجزر المحيط الهادى ، وفي مجتمعات الهندو الحمر^(٤) ، وطبقا لدراسة (جيمس فريزر) فقد انتشرت قصص الطوفان في قارات : آسيا وأستراليا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية — فيما قبل العهد الاوربي — ولكنها قليلة نسبيا في قارة أوروبا ، وأقل منها

(٣) رشيد الناضورى : جنوب عربى آسيا وشمال افريقيا — الجزء الاول — بيروت — ١٩٧٧ ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

٤) E. Sollberger, The Flood, London, 1962, P. 11

• في أفريقيا^(٥)

على أن قصص الطوفان — رغم كثرتها وسعة انتشارها — فإنها تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ، فضلا عن أن قسما منها أساطير ، وضعت وضعا لتفسير بعض العوارض الأرضية كالمنخفضات الواسعة في البلاد التي وضعت فيها تلك الأساطير^(٦) ، هذا الى جانب أنه ليست هناك رواية واحدة أصيلة عن الطوفان الكبير دونت في أفريقيا ، فمثلا ليس هناك من أثر لهذه القصة في الادب المصري القديم — وهو دونما ريب أهم الادب الافريقية وأكثرها أصالة دون منازع — •

وأما رواية الطوفان في «غينيا الشمالية» فهي أسطورة أكثر منها قصة ، اختلطت فيها الخرافات بالمعجزات ، حتى بات من الصعب علينا مقارنتها بنيرها من قصص الطوفان ، فضلا عن أنها نقلت إلينا عن طريق المبشرين الاوربيين ، حتى أصبحنا غير قادرين على أرجاعها الى أصول غينية أو أوربية ، أضف الى ذلك أن هناك رواية أخرى يزعم أصحابها أن الرجال قد تحولوا — بعد الطوفان — الى قرود ، كما تحولت النساء الى سحالي ، وأن ذيل القرد هو بندقية الرجل ، الامر الذي يدل بوضوح على مدى التأثير الاوربي الحديث في هذه الاسطورة الافريقية عن الطوفان ، كما أن الروايات التي اكتشفها الكتاب الالمان عن الطوفان الكبير بين سكان أفريقيا الشرقية ، ليست سوى روايات مختلفة لقصة الطوفان في الكتاب المقدس ، والتي تسربت الى هؤلاء البدائيين عن طريق المبشرين^(٧) •

ومن البدهي أننا لن نناقش هنا كل القصص والاساطير التي دارت

(٥) جيمس فريزر : الفلكلور في العهد القديم — ترجمة نبيل إبراهيم
ومراجعة حسن ظاظا — القاهرة ١٩٧٢ ص ٩١ — ٢١٩ •
(٦) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — بغداد ١٩٥٥
ص ٤٦٠ •
(٧) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٢٠١ — ٢٠٢ •

حول الطوفان الكبير الذى أغرق العالم وقت ذاك ، ولكننا سوف نقتصر على دراسة قصة الطوفان فى المصادر السومرية والبابلية فى روايات ثلاث رئيسية تتشابه فى خطوطها العامة ، وفى كثير من تفاصيلها ، وأول تلك الروايات نسخة مدونة فى السومرية يسمى بطلها «زيوسدرا» الذى أنقذ البشرية من الفناء أثناء الطوفان العظيم ، الذى عم الأرض جميعها. فيما يعتقد الاقدمون ، وجاءت الثانية فى ملحمة «جلجاميش» ، حيث قام بطلها المسمى «أوتنا بشتيم» ببناء سفينة ضخمة حمل فيها ما استطاع من بشر وطيور وممتع .

ويذهب «جيمس فريزر» الى أن قصة الطوفان السومرية انما تتفق فى ملامحها الاساسية ، مع قصة الطوفان البابلية ، كما جاءت فى ملحمة جلجاميش التى تتميز عن أختها السومرية بطولها وكثرة حوادثها ، وفى كلتا القصتين قرر اله كبير أن يهلك الجنس البشرى عن طريق اغراق الأرض بالامطار ، وفى كليتهما حذر اله آخر رجلا من حدوث الكارثة ، ومن ثم فقد أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة أمر ببنائها ، وفى كلتا الحالتين بلغ الفيضان ذروته فى ليوم السابع ، وفى كلتا الحكايتين قدم الانسان أضحيته للالهة بعد أن انتهى الطوفان ، تم رفعته الالهة بعد ذلك الى مصافها .

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بين الروايتين ، فيتمثل فى اسم البطل فى كل منهما ، فهو «زيو سودرا» (Ziusudra) فى الرواية السومرية ، وهو «أوتنابيشتم» (Utnapishtim) فى الرواية السامية ، وأما الرواية الثالثة فهى قصة «أتراخاسيس» (Atrahasis) نسبة الى اسم الرجل الذى يقوم بدور مشابه لنظيره «زيوسودرا» و «أوتنابيشتم»^(٨) ، ولنتحدث الآن عن هذه القصص التى دارت حول

(٨) فاضل عبد الواحد على : الادب - من كتاب حضارة العراق -
مجمع الآمل - بغداد ١٩٨٥ ص ٣٣٠ - ٣٣١ ، جيمس فريزر : الفلكلور
ش' العهد القديم ص ١٠٥ .

الطوفان في العراق القديم :

أولا : قصة الطوفان السومرية

كان الناس يعتقدون حتى أخريات القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان^(٩) ، غير أن الاكتشافات الحديثة قد أثبتت أن ذلك مجرد وهم ، حيث عثر في عام ١٨٥٣م على نسخة من رواية الطوفان البابلية ، وفي الفترة فيما بين عامي ١٨٨٩م ، ١٩٠٠م ، كشفت أول بعثة أمريكية قامت بالحفر في العراق عن اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة «نيبور» (نفر) ، وكان «أرنو بوبل» أول من قام بنشرها في عام ١٩١٤م ، ثم تبعه آخرون ، وان كانت ترجمة «بوبل» هي الأساس الذي ما يزال يعتمد عليه الباحثون^(١٠) .

هذا يبدو من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع الى عهد الملك البابلي الشهير «حمورابي» (١٧٣٨ - ١٦٨٦ ق م) ، وان كان من المؤكد أن القصة نفسها انما ترجع الى عهد أقدم من ذلك بكثير، ذلك لأنه في هذا الوقت الذي كتب فيه اللوح لم يكن هناك وجود للسومريين ، بوصفهم عنصرا مستقلا ، فقد كانوا قد ذابوا في الشعب السامي ، هذا فضلا عن أن لغتهم كانت من قبل قد أصبحت لغة ميتة، على الرغم من أن الكهنة والكتاب الساميين كانوا ما يزالون يدرسون الأدب القديم والنصوص المقدسة عند القوم ، والمحفوظة في ثنايا تلك

(٩) قدم الباحث دراسة مفصلة عن قصة الطوفان : انظر :
(محمد بيومي مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - الرياض
١٩٧٥) .

(١٠) انظر :

Arno Poebel, in PBS, V, 1914.

PES, IV, P. 9-70.

وكذا

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-98.

L. W. King, Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, 1918.

T. Jacobsen, in AS, 11, P. 58-59.

الاداب ، ويعيدون كتابتها ، ومن ثم فان الكشف عن رواية قصة الطوفان السومرية انما يدعو الى افتراض أنها انما ترجع الى زمن سبق احتلال الساميين لوادى الفرات ، وأن هؤلاء الساميين انما قد أخذوا هذه القصة ، فيما يبدو ، عن السومريين بعد هجرتهم الى وادى الفرات (١١) .

هذا وتتضمن قصة الطوفان السومرية عدة وقائع هامة ، يتعلق أول ما يمكن قراءته من سطورها بخلق الانسان والنبات والحيوان ، وبأصل الملكية السماوى ، فضلا عن خمس مدن ترجع الى ما قبل الطوفان ، ومن أسف أنه من بين اللوحات التى تتناول القصة لم يبق سوى لوحة واحدة ، وحتى هذه لم يبق منها سوى ثلثها الاخير ، وقد فقدت مقدمة النص ونهايته ، ومن ثم فهو نص غامض فى أكثر نواحيه ، وعلى أية حال ، فان النص انما يتكون فى جملته من ثلاثمائة سطر ، لم يعثر منها الا على حوالى المائة ، ورغم ذلك فانها تقدم لنا الخطوط الرئيسية للنص .

وعلى أية حال ، فبعد ٣٧ سطر ، نلتقى بمعبود يشير الى أنه سوف ينقذ البشر من الهلاك ، وأن الانسان سوف يبني المدن والمعابد ، ويلى ذلك ثلاثة أسطر غامضة ، ربما كانت تتضمن ما سوف يبذله المعبود فى هذا السبيل ، ثم الحديث عن خلق الانسان والحيوان ، وربما النبات . . . ثم ٣٧ سطرًا ضائعة . . . نعرف بعدها أن الملكية هبطت من السماء ، وأن خمس مدائن قد أسست ، ثم ٣٧ سطرًا ضائعة . . . ربما تشير الى اصرار الالهة على الاتيان بالفيضان وتدمير البشر ، وحين يصبح النص مقروءا نجد بعض الالهة غير راضين ، وتجتاحهم التعاسة بسبب القرار القاسى ، ثم نلتقى ببطل القصة «زيوسودرا» الذى يوصف بالتقوى ، وبأنه ملك يخاف الاله ، وينكب على خدمته فى تواضع وحيسوع ، ويطلب النظر الى المكان المقدس ، وهو يقيم بجوار حائط

(١١) جيمس فربزر : المرجع السابق ص ١٠٣ .

يستمتع منه الى صوت معبوده «أنكى» الذى أخبره بالقرار الذى اتخذه
مجمع الالهة بارسال الطوفان «لاهلك بذرة الجنس البشرى» •

ولعل من المؤكد أن ما يلى ذلك تعليمات مسهبة الى «زيوسودرا»
ببناء سفينة هائلة لينقذ نفسه من الهلاك ، غير أن هذا كله ناقص لوجود
كسر كبير فى اللوحة ، بما كان يشغل ٤٠ سطرا ، ومن ثم فنحن ننقل
فجأة من موضوع تحذير الاله للانسان الى موضوع الطوفان ، فيصف
اللوحة العاصفة والأمطار ، وقد ثارت جميعا ، ثم تستمر الرواية فتقول
«وبعد أن هبت العاصفة الممطرة على الارض سبعة أيام وسبع ليال ،
يكتسح الفيضان فيها الارض ، ويدفع الفك قدما على المياه المضطربة ،
ثم يظهر بعد ذلك اله الشمس «أوتو» وهو يسكب الضوء على السماء
والارض ، وعندما تشرق أشعة الشمس السفينة ،و يرى «زيوسودرا»
نور ربه ، ويعلم بصفحه ، يخرج من الفك ويسجد للرب مضجيا له
بفعل وشاة» •

ويلى ذلك كسر يشغل ٣٩ سطرا ، ثم تصف الاسطر الباقية كيف
نفث الاله روح الخلود فى «زيوسودرا» مستقرا بأرض دلمون ، حيث
تشرق الشمس ، أى حيث القوة القاهرة للموت ، دلمون التى هى مركز
المخلق فى الاساطير السومرية ، جنة الخلد ، «أرض دلمون مكان طاهر ،
أرض دلمون مكان مقدس ، ثم يوصف «زيوسودرا» بعد ذلك بأنه
«الشخص الذى حافظ على سلامة الجنس البشرى» •

ويحتمل من سياق لوح صغير أى «زيوسودرا» كان قد تلقى الحكمة
عن أبيه «شورباك» بن «وبار — توتو» أحد ملوك ما قبل الطوفان ، وقد
كرر فى وصاياه لولده أن يتقبل نصائحه ، وأن يعمل بها ، وأن لا يحد
عنها (١٢) •

(١٢) صمويل نوح كريم : اساطير العالم القديم — ترجمة احمد
عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٧ ،

=

ولعل سائلا يتساءل : أين دلمون هذه التي تحدثت عنها قصة الطوفان السومرية؟

في الواقع أن العلماء مختلفون حول موقع «دلمون» السومرية هذه ، فذهب فريق إلى أنها في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس (أي الجزء الشرقي من ساحل الخليج العربي) ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب إلى أنها منطقة وادي السند ، بينما يذهب وجه ثالث للنظر إلى أنها سهول العراق الكائنة إلى جنوب بابل ، بل أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب إلى أنها في القسم الشرقي من شبه جزيرة العرب ، في المنطقة فيما بين «مجان» و «بيت نيسانو» ♦

على أن جمهرة المؤرخين إنما يتفقون — أو يكادون — على أن موقع «دلمون» إنما هو جزيرة البحرين الحالية ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لها (١٣) ♦

صموئيل نوح كريم : من ألواح سومر : ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخري — القاهرة ١٩٥٧ ص ٢٥٢ — ٢٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٥ ، رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٤ ، محمد بيومي مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة — الرياض ١٩٧٥ ص ٣٨٥ — ٣٨٨ ، محمد عبث القادر : قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين — القاهرة ١٩٦٥ ص ١١٠ — ١١٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٩ ، وكذا

E. O. James Mythes et Rites dans le Proche-Orient Ancien, Paris, 1960, P. 247.

J. Mougayrol et J. M. Aynard, La Mesopotamie, Paris, 1965, P. 58-59.

W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960, P. 92 1°.

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1960, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97 F.

S. Langdon, Semitic Mythology, 1930. P. 206-208.

(١٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٩٠ ، جون الدر : الاحبار تنالهم — ترجمة عزت زكي ص ٣٠ ، وكذا

J. Finegan, Light from The Ancient Past, Princeton, 1969, P. 32.

P. B. Cornwall, On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946, P. 3-11.

=

وسؤال البدهاة الان : هل هناك من الادلة من الادلة اثريسة في العراق ما يثبت قصة الطوفان السومرية هذه ؟

ليس هناك من ريب — بعد الاكتشافات الحديثة — أن هذه الادلة الاثرية قد وجدت ، فلقد عثر «سير ليونارد وولي»^(١٤) في حفائره في خرائب «أور» — وهى تل المقير الحالية على مقربة من محطة القطار في الناصرية ، وعلى مبعدة ١٦ كيلا شرقى نهر الفرات ، ١٩٠ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية — وذلك في عام ١٩٢٩م على طبقة من الغرين السميك والرواسب الخالية من الآثار ، فيما بين ٦٩ مترا ، ٢٠ مترا ، فوق مستوى سطح البحر ، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفان السومري ، نظرا لكثافة تلك الطبقة الغرينية ، وتوافقها الزمنى الى حد كبير مع النصوص السومرية ، هذا الى جانب أن تلك الطبقة الغرينية انما تقع فوق آثار تنتمى الى عصر حضارة العبيد ، والتي تمثل عصر ما قبل الاسرات الاولى في جنوب العراق .

هذا وقد اتجه «وولي» بعد ذلك الى الحفر في موقع بعيد عن «أور» بحوالى ٣٠٠ ياردة من ناحية الشمال الغربى للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية ، وكانت نتيجة الحفر ايجابية ، مما أدى الى القول بوجهة النظر المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذى ذكرته الكتب المقدسة^(١٥) .

S. N. Kramer, Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944, P. 18-28.

S. N. Kramner, The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964, P. 45.

F. Hommel, Grundris, I, P. 250.

14) C. L. Woolley, Ur of The Chaldees, London, 1950, P. 22-29.

C. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 26-36.

(١٥) وردت قصة طوفان نوح عليه السلام في التوراة في سفر التكوين في الاصحاحات من ٦ الى ٩ ، وفي القرآن الكريم في سورة الاعراف (٥٩) - ٦٤ ويونس (٧١ - ٧٣) وهود (٢٥ - ٤٩) والانبياء (٧٦ - ٧٧)

على أن أستاذنا الدكتور الناضوري انما يرى أنه لا ينبغي الجزم بصورة حاسمة في هذا الشأن ، ذلك لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان ، فهناك أدلة غرينية على فيضان أو طوفان كبير في «شوروباك» (غارة) يرجع الى نهاية عصر جمدة نصر ، وآخر في «كيش» (تل الاحيمر) ، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأيها هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، ولعل فيضان «شوروباك» أكثر قربا منها على أساس أن تلك القائمة قد أشارت الى المدينة الاخيرة ، كآخر مدينة قبل حدوث الطوفان ، ولكن في نفس الوقت علينا ألا نستبعد كلية طوفان أور ، ذي الطبقة السميكة للغاية ، أضف الى ذلك ان عدم العثور على الطبقة الغرينية الموازية في كافة المدن السومرية انما يدفع الى الاتجاه باحتمال كون الطبقة الغرينية التي عثر عليها «وولي» في أور ، انما هي مجرد ترسيب محلي ، ليس له الصفة الشاملة (١٦) .

وهناك من الادلة أيضا على حدوث طوفان قائمة الملوك السومرية ، والمكتوبة بالخط السماري بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد (١٧) ، أو في فترة لا تتأخر كثيرا عن منتصف عهد أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ، وربما قبيل عهد «أوتو حيجال» من أسرة الموركساء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م) (١٨) ، وان كان يبدو أنها نسخت عن قوائم

والمؤمنون (٢٣ - ٣٠) والشعراء (١٠٥ - ١٢٢) والعنكبوت (١٤ - ١٥) والصفاءات (٧٥ - ٨٢) والقمر (٩ - ١٧) ثم سورة نوح ، فضلا عن ذكره في مواضع متفرقة من القرآن الكريم (انظر : محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية في القرآن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٨٨ ص ٧٣ - ١٠١) .

(١٦) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، تقى الدباغ : حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ ص ١٤٠ ، وكذا H. W. F. Saggs, The Greatness That was Babylon, London, 1962, P. 34-35.

J. Finegan, Op. Cit., P. 24.

17) S. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 14.

18) CAH, I, Part, 2, P. 998, (Chronological Table of The Sumerian Period).

قديمة ، ربما ترجع الى أخريات العهد الاكدي (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م) ، وعلى أية حال ، فانها تتضمن معلومات تاريخية ترجع الى بداية العصر التاريخي في العراق القديم ، وربما ترجع الى أقدم من ذلك (١٩) .

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بقولها : «عندما أنزلت الملكية من السماء أصبحت أريدو مقرا للملكية» ثم تذكر القائمة ثمانية ملوك حكموا قبل الطوفان في خمس مدن هي : أريدو ، و «بادتبير» (نل المدائن قرب تلالو) و «لارك» (الوركاء) و «سييار» و «شوروباك» ، وأن هؤلاء الملوك قد حكموا ٢٤/٢٠٠ سنة ، وأن آخرهم كان «وبار - توتو» ، أنه قد حكم في مدينة «شوروباك» لمدة ١٨٦٠٠ سنة ، ثم جاء من بعدهم الطوفان الذي أغرق الارض ، وبعد زوال الطوفان هبطت الملكية من السماء ثانية ، وأصبحت كيش مقرا للملكية ، ثم تعود القائمة مرة أخرى الى ذكر أسماء المدن التي حكمت العراق القديم بعد ذلك (٢٠) .

هذا ورغم الارقام الاسطورية التي تقدمها قائمة الملوك السومرية كفترة لحكم ملوكها ، حتى بات من الصعب علينا أن نعرف منها متى انتهى العصر الاسطوري ، ومتى بدأ العصر التاريخي ؟ ، رغم ذلك ، فإن الوثيقة ، دونما ريب ، انما تحمل بين طياتها كثيرا من المعلومات التاريخية الصحيحة ، ومع ذلك ، فما يهمنا هنا وفي الدرجة الاولى ، أن الوثيقة انما تتحدث بوضوح عن طوفان يفصل بين فترتي حكم ، الواحدة

19) J. Finegan, Op. Cit., P. 29.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 14.

وكذا
(٢٠) انظر عن قائمة الملوك السومرية : (محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٥ - ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 265-267.

G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, P. 346 F.

J. Finegan, Op. Cit., P. 29-30.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 249-253.

T. Jacobsen, The Sumerian King List, Assyrian Studies, 11, 1939.

مسابقة له ، والثانية تالية له ، تبدأ بنزول الملكية مرة ثانية من السماء الى كيش ثم الموركاء ، ثم أور ، ولعل في هذا دليلا واضحا على أن قائمة الملوك السومرية انما تعتبر حادث الطوفان الخطير ، بمثابة كسر في عملية استمرار تاريخ العراق القديم ، و من ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي •

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن الادلة الاثرية التي عثر عليها في طبقات مدينتي أريدو والوكاء لتثبيت حقيقة ما نصت عليه وثيقة قائمة الملوك السومرية ، من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق بين تلك المدن (٢١) •

هذا ويعتبر «سير ليونارد وولي» هذا الطوفان — موضوع الحديث، طوفانا كبيرا مروعا ، لا مثيل له في أي عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فقد ظل عالقا بأذهان الاجيال التالية ، ومعروفا لديهم باسم «الطوفان» صحيح أن هناك في أور ، وفي مواضع أخرى من بلاد النهرين ، أدلة على فيضانات مؤقتة ومحلية ، حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ، وفي بعض الاحيان لم تكن أكثر من نتيجة لأمطار هطلت في منطقة محدودة ، ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذي وضع نهاية لحضارة العبيد ، إنما يتفق في توقيته مع التاريخ السومري الذي وصل اليينا عن طريق التقاليد ، وأنه بعينه الطوفان الذي تحدثت عنه قائمة الملوك السومرية ، وهو الطوفان الذي روته التوراة في سفر التكوين •

على أنه يجب أن لا يفهم أن القصة السومرية صحيحة بحذافيرها ، صحيح أن الخلفية حقيقة تاريخية ، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرفها المؤلف السومري — وكذا فعل صاحبه العبري — ببيانات وأوصاف تتفق وهدف كل منهما من كتابتها ، فمثلا تقول التوراة أن الماء

(٢١) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٤٧ •

قد ارفع ٢٦ قدما، وهذا — فيما يبدو — صحيح الى حيد كبير كما أن القصة السومرية تصف انسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش في أكواح من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر في المبيد وفي أور ، وأن نوحا — في رواية التوراة — قد بنى فلكه من خشب خفيف لا ينفذ منه الماء ، ولا يؤثر فيه ، وأنه قد طلاه من داخل ومن خارج ، وهو أمر قد أثبتته الحفائر (٢٢) .

وهناك من الادلة أيضا ما حدثنا عنه «سيرليونارد وولى» من أنه قد وجد في «أور» أسفل طبقة المبانى السومرية ، طبقة طينية مليئة بقدر من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركاني ، وكان سمك هذه الطبقة حوالى ٣ أمتار تقريبا ، أسفل المبانى الطينية التى يمكن تأريخها بحوالى عام ٢٧٠٠ ق م ، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان ، ولم تجر حتى الآن حفائر على نطاق واسع في هذه المنطقة ، وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى .

ويذهب «وولى» الى أن السبب في اختفاء هذا الفخار الملون الذى كان منتشرا في بلاد الوافدين قبل الطوفان اختفاء تاما ، مرة واحدة ، هو أن الطوفان قد قضى تماما على سكان هذه البلاد ، وحتى من بقى منهم حيا ، فقد فقد القدرة على الانتاج ، فجاء شعب جديد ، هم السومريون ، الى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة ، وكان فخارهم مصنوعا على دولاب الفخار ، بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذى كان سائدا في عصور ما قبل الطوفان ، كما استعملوا الادوات المعدنية ، بدلا من الصوان (٢٣) .

ولعل سائلا يتساءل : هل كان الطوفان السومري هذا طوفانا عاما أغرق الدنيا كلها ؟ أم كان مقصورا على جنوب العراق ؟

22) Sir Leonard Woolley, Excavations At Ur, London, 1963, P. 34-36.
(٢٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٦ — ٩٧ .

والرأى عند «سير ليونارد وولى» بأن هذا الطوفان لم يكن طوفانا عابثا عم الكون بأسره^(٢٤)، وإنما كان مقصورا على المحوض الاسفل لنهرى الدجلة والفرات ، وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكنى هناك بين الجبال والصحراء — والتى كانت بالنسبة للسكان الذين يعيشون فيها بمثابة العالم كله — وأن المساحة التى شملها الطوفان ربما كانت (٤٠٠ ميلا طولا ، ١٠٠ ميلا عرضا) وأن الغالبية العظمى من السكان قد أغرقهم الطوفان ، وأن القوم قد رأوا أن هذه الكارثة بمثابة عقاب من الاله بسبب آثام الناس وخطاياهم ، وأن قلة نادرة قد نجت ، وأن رأس هذه القلة قد نظر اليه كبطل للقصة ، وهو هنا «زيوسودرا»^(٢٥) .

ثانيا : قصة الطوفان البابلية

وفى الواقع أن قصة الطوفان البابلية ليست قصة واحدة ، وإنما ثلاثة ، الواحدة : ملحمة جلجاميش ، والثانية : قصة بيروسوس ، والثالثة : قصة اثراخاسيس .

(١) ملحمة جلجاميش :

لقد ظل العالم لا يعرف شيئا عن قصة الطوفان البابلية ، الا من خلال رواية «بيروسوس» التى كتبت باللغة الميونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، الى أن عثر «(رسام)» H. Rassam فى عام ١٨٥٣ م على نسخة من رواية الطوفان البابلية فى مكتبة الملك «أشور باينبال» (٦٦٨

(٢٤) ترى جمهوره الباحثين أن جميع الطوفانات — السومرية والبابلية ، فضلا عن طوفان نوح عليه السلام ، الذى جاء ذكره فى التوراة والقرآن العظيم ، إنما كانت خاصة ، ولم تكن عامة ، كانت فى جنوب العراق فحسب (انظر : محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة — الرياض ١٩٧٥ ص ٤٣٦ — ٤٥١ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الجزء الرابع — فى العراق — بيروت ١٩٨٨ ص ٨٣ — ١٠١) .

25) S. L. Woolley, Op. Cit., P. 36.

وكذا W. Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 50-51.

— ٦٢٦ ق م) في العاصمة الاشورية «نينوى» ، ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد *

وفي الثالث من ديسمبر عام ١٨٧٢م ، أعلن «سيدنى سميث» نجاحه في جمع القطع المتناثرة من «ملحمة جلجاميش» بعضها الى بعض ، مكوبة في اثني عشر نسيدا ، أو بالاحرى لوحا ، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادى عشر (٢٦) *

وأما «جلجاميش» هذا ، فهو أحد الملوك الذين ورد اسمهم في ثبت ملوك أسرة الوركاء الاولى ، التى لا نعرف عنها سوى أسماء ملوكها ، وقد صار بعضهم — مثل جلجاميش — موضوعا لقصص وملاحم شعرية ، ويرجح العلماء أن هؤلاء الملوك قد حكموا في العراق — في مدينة الوركاء — قبل عصور فجر الاسرات أو في بدايته (٢٧) ، على أننا نستطيع أن نعين تاريخا تقريبا لعهد جلجاميش عن طريق قطعة من المرمر محفوظة الان في المتحف العراقى ببغداد — وان كانت مجهولة الاصل — كتب عليها «مى — براج سى» ملك كيش ، وقد ثبت أنه الملك الثانى والعشرون من أسرة كيش الذى حارب ضد جلجاميش — خامس ملوك الوركاء — كما تحدثنا أسطورة جلجاميش وأجا السومرية (٢٨) *

ويذهب «جورج روكس» الى أن «مى — براج سى» هو أقدم حاكم سومرى معروف لنا ، واذا ما اعتبرنا أن «سرجون الاكدى» كان يعيش في الفترة (٢٣٧٠ — ٢٣١٥ ق م) ، فانه من الممكن تقدير تاريخ حكم «مى — براج سى» بحوالى عام ٢٧٠٠ ق م ، كما يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية العصر التاريخى في العراق القديم ، ومن ثم فان

(٢٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٦ — ٩٧ ، وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, P. 371.

(٢٧) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٥٩ *

(٢٨) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم — الجبرء السادس ص ٢٦٥ — ٢٦٧ ، وكذا S. N. Kramer, ANET, P. 44-47.

جلجا ميش انما كان يعيش بعد هذا التاريخ بفترة ليست بعيدة على
آية حال (٢٩) •

هذا ويمكن تلخيص ملحمة جلجاميش في السطور التالية ، والتي
يؤلف خبر الطوفان جزءا منها : —

تبدأ قصة الطوفان ، بعد أن ينتهي جلجاميش من قصته ، التي فقد
في أحيائها صديقه «أنكي دو» ، ذلك أن جلجاميش كان ملكا حكيما واسع
المعرفة ، شجاعا جريئا ، ولكنه كان ظالما مستبدا ، ومن ثم فإن الالهة
قد خلقت له «أنكي دو» ليدفع عن الناس ظلمه ، غير أن الصراع بينهما
لم يحسم في مصلحة واحد منهما ضدا لآخر ، ومن ثم فقد تم الصلح
بينهما ، وقام الاثنان بمغامرات كثيرة ، ثم مات «أنكي دو» فجأة ، فحزن
جلجاميش لفقده ، ثم أسلمه الحزن الى المرض ، وظل خائفا يترقب
مصيره المحتوم ، وان كان في الوقت نفسه بدأ يفكر في وسيلة يتقى بها
غائلة الموت ، وهكذا هداه تفكيره الى البحث عن جده «أوتنابيشتم» بن
«وبار — توتو» ليسأله عن كيفية امكان أن يكون الانسان المفاني مخلدا ،
فقد كان على يقين من أن «أوتنابيشتم» على علم بهذا الامر ، ذلك لان
الالهة قد رفعتة الى مصافها ، وجعلته يسكن بعيدا في مكان ما ، متمتعا
بنعمة الخلود •

ويتحمل جلجاميش من أجل تحقيق بغيته هذه رحلة مضيئة خطيرة ،
يلتقى في أثناءها برجل وامرأة في شكل شعبانين يحرسان جبلا ، فضلا عن
اختراقه طريقا مفرعا مظلاما لم تطأه قدما انسان من قبل ، ثم يعبر بحرا
مترامى الاطراف ، وأخيرا يلتقى باحدى الالهات فيطلب منها أن تدله
على مكان جده «أوتنابيشتم» ولكنها — وقد علمت هدفه — تسدى اليه

(٢٩) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ السرق الادنى القديم
ص ٣٤٩ — ٣٥٠ ، وكذا

Sir Leonard Woolley, Op. Cit., P. 14.

George Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 119-120.

النصح قائلة : الى أين تسعى يا جلجاميش ، ان الحياة التى تبغى لن تجدها ، ذلك لان الالهة لما خلقت البشر جعلت الموت من نصيبهم . واستأثرت هى وحدها بالخلود ، لتكون مبتهجا ليل نهار ، ولتجعل كل يوم من حياتك يوم فرح وحبور ودلل الطفل الذى يمسك بيدك ، أدخل السرور الى قلب المرأة التى فى أحضانك ... فهذا هو نصيب البشر ، ومع ذلك فان جلجاميش يصر على سؤاله ، فلا تجد الالهة الا أن تجيبه الى ما يريد *

ويلتقى جلجاميش بجده «أوتنا بيشتم» فيطرح سؤاله عن كيفية تحقيق الانسان للخلود ، وهنا يجيبه «أوتنا بيشتم» : هل بنينا بيتا يقوم الى الابد ؟ هل عقدنا عهدا على أن نستمر الى ابد الابد ؟ لم يكن هناك خلود منذ القدم ، ما أعظم الشبه بين الميت والنائم ، ألا تظهر على وجهيهما هيئة الموت ؟ ، وهكذا مصير السيد والعبد حتى ينتهى أجلهما فى هذه الدنيا *

وحين يتعجب جلجاميش من هذه الاجابة من شخص كان هو نفسه انسانا فانيا ، ثم أصبح مخلدا فيما بعد ، كان على «أوتنا بيشتم» أن يشرح له كيف استطاع هو نفسه أن يهرب من المصير المحتوم لكل انسان فقص عليه قصة الطوفان الكبير التى تجرى على النحو التالى :

قال أوتنا بيشتم لجلجاميش : سوف أكشف لك يا جلجاميش عما خفى من الامر ، سوف أخبرك بسر الالهة ، «شوروباك» مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، وهى مدينة قديمة قدم الالهة التى أتت بها ، عندما انتوت الالهة احداث الطوفان ، كان من بينهم «أنسو» أبوهم ، و«انليل» الشجاع ، مستشارهم ، و«نينورتا» مساعدهم ، و«اينوجى» مفتش الترع ، وكان حاضرا معهم «نينجيكو - أيا» الذى أعاد قولهم الى كوخ القصب (ربما يعنى مسكن أوتنا بيشتم) : يا كوخ القصب ، يا حائط ، يا حائط ، اصنع يا كوخ القصب، استمع يا حائط ، يا رجل شوروباك ، يا ابن «وبار - توتو» *

اهدم هذا البيت وابن فلكا ، دع الاملاك وانقذ حياتك ، اهجر المتاع
ودع الروح حية وأحمل على ظهر الفلك بذرة كل شيء حى ، والفلك التى
ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ، واجعل
سقفها كسقف الايسو (العالم السفلى) ، ففهمت وقلت لمولاي «ايا» :
نعم يا مولاي ، ان ما تأمر به يشرفنى أن انفضه ، لكن بم الجيب
المدينة : الناس والتشيوخ •

ففتح «ايا» فاه ، وأجاب خادمه قائلا ، لى أنا : قل لهم : علمت
أن ايليل يعادينى ، ومن ثم فلا أستطيع أن أقيم فى مدينتكم ، أو أضع
قدمى فى أملاك انليل ، ومن ثم فسوف أنزل الى الاعماق ، وأسكن مع
مولاي «ايا» ، وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطرا مدرارا خير
الطيور وأندر الاسماك ، وسوف تمتلىء الارض بمحاصيل كثيرة ووفيرة ،
ومع انبثاق الفجر تجمعت الارض من حوالى (النص مهشم)
..... وحمل الصغار القار ، وجاء البالغون بكل ما احتجنا اليه •

وفى اليوم الخامس أقيمت هيكلها (أى السفينة) ، وكانت أرضيتها
فدانا كاملا ، وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعا ، وطول كل
ضلع من السطح ١٢٠ ذراعا ، وبنييت هيكل جوانبها وربطتها الى بعضها ،
وجعلت فيها ستة أسطح ، قسمتها الى سبعة طوابق ، وقسمت أرضيتها
تسعة أجزاء ، ودققت سدادات المياه بها ، وجعلتها بما نحتاج اليه من
المؤون ، وصببت فى الفرن ست سار (المسار = ٨٠٠ جالون) من القار ،
كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت ، وثلاثة سار من الزيت ، نقله
حاملو السلال ، فضلا عن سار من الزيت استهلكته القلطة ، كما خزن
الملاح سارين من الزيت ، وذبحت ثيرانا للناس ، ونحرت ماشية كل
يوم ، وأعطيت العمال عصير فواكه ، ونبيذا أحمر ، وآخر أبيض ، وكأنه
مياه النهر ، ليشرىوا وكأنهم فى عيد رأس السنة ، وفتحت
الدهون ، لوضعها فى يدي •

وأكمل الفلك فى اليوم السابع ، وكان انزاله الى الماء بالغ الشقة ،

حتى أنهم اضطروا الى دفع اللواح الارضية من أعلى ومن أسفل ،
حتى أمكن انزال ثنى هيكله الى الماء ، وحملتها بكل ما عندي ، حملتها
بكل ما لدى من فضة ، حملتها بكل ما لدى من ذهب ، حملتها بكل
ما أهلك من الكائنات الحية ، وكل عائلتي وذوي قرياي ، أركبتهم الفلك ،
وكذا حيوان الحقل ووحوشه ، وكل الصناعات أركبتهم معي •

وقد حدد لى «شمس» (شماس) وقتا معيناً ، عندما ينزل الموكل
بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، أصعد الى الفلك وأوصد بابه ، وجاء اليوم
الموعود ، وأنزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، وأخذت أرقب وجه
السما ، وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب ، فصعدت الى الفلك
وأوصدت بابه ، وعهدت الى النوتى «بوزور — أمورى» بقيادة الفلك ،
وبسدد جميع منافذه •

ومع انبثاق الفجر ، ظهرت فى السماء غمامة سوداء ، وأرعد «أداد»
من داخلها . و تقدمها «شولات» و «هانيش» كنذير فوق التل والسهل ،
ونزع ايرجال (نرجال اله العالم السفلى) الاعمدة (أى الاعمدة الخاصة
بسدد العالم) ، وجاءت «نينورتا» وجعلت السدود تفيض ، وحمل
«أنوناكى» المشاعل ، وجعلوا الارض تشتعل نارا ، ووصل الذعر من
«أداد» الى عنان السما ، فأحال النور الى ظلمة ، وانصدت الارض
الواسعة ، وكأنها جرة ، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة
حتى أخفت الجبال ، وحلت بالناس وكأنها حرب ، فلا يرى الاخ أخاه ،
ولم يعد الناس يعرفون من فى السما •

وخشى الالهة الطوفان ، فأجفلوا وصعدوا الى سما «أنو» (أعلى
سما فى النظرية العالمية عند الاكديين) حيث ربضت كالكلاب على
الاسوار الخارجية ، وصرخت عشتار ، وكأنها امرأة جاءها المخاض .
وناحت سيدة الالهة ذات الصوت الشجى بصوت عال : واصرته ، لقد
تحولت الايام المخوالى الى طمى ، لأنى لعنت الناس فى مجمع الالهة ،
ولكن كيف ألعن الناس فى مجمع الالهة ، وأعلن حربا لفناء الناس ، بينما

أنا التي وهبتهم الحياة ، انهم يملأون البحر كبيض السمك ، وبكى آلهة «أنوناكى» معها ، وجلس الالهة جميعا بيبكون في ذلة ، وقد التصقت شفافهم بعضها ببعض ، واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ، وعاصفة الجنوب تكتسح الارض *

وفي اليوم السابع سكنت عاصفة الجنوب عن الحرب التي شنتها ، وكأنها جيش من الخيالة ، وهدأ البحر ، وسكنت العاصفة ، وتوقف الطوفان ، وتطلعت الى الجو ، فاذا السكون شامل ، واذا الناس وقد تحولوا الى طين ، واذا الارض قد تشققت وكأنها جرة ، ففتحت كوة وسقط الضوء على وجهي ، فجلست وبكيت وسالت دموعي على وجهي وتطلعت الى الدنيا في عرض البحر ، في كل من الاقاليم الاربعة عشر (الاثنى عشر) طلع نجم *

واستوت الفلك على جبل نيصير^(٣٠) ، وأمسك جبل نيصير بالفلك ولم يدعها تتحرك ، ويوم ، ثم يوم آخر ، وجبل نيصير يمسك بالسفين فلا

(٣٠) تصف النصوص البابلية القديمة جبل نيصير (نيزير) بأنه بين الدجلة والزاب الاسفل ، وحيث سلسلة جبال كردستان في شرق الدجلة ، وعلى أى حال ، فهو يمكن توحيدده بجبل بئر عمر جدرون
J. Finegan, Op. Cit., P. 35. وكذا
W. Kelled, Op. Cit., P. 57. وكذا
E. Speizer, AASOR, 8, P. 7, 17-18. وكذا

ولعل من الجدير بالاشارة الى أن المصادر الاسلامية تكاد تجمع على أن طوفان نوح عليه السلام انما بدأ وانتهى في العراق القديم ، فهناك رواية نذهب الى أن التنور انما كان بأرض الكوفة ، وأخرى تذهب الى أنه كان بأرض الجزيرة ، وثالثة تذهب الى أن سفينة نوح انما بدأت رحلتها من «عين وردة» و «عين وردة» هذه ، فيما يرى ياقوت ، انما هي رأس عين المدينة المشهورة في الجزيرة فاذا أضفنا الى ذلك ما جاء في القرآن الكريم من أن سفينة نوح قد استوت على أنجودى - الجودي جبل يقع شرق جزيرة ابن عمر ، الى جانب دجلة عند الموصل وان كل هذه الاماكن الآتفة الذكر انما تقع في العراق، فمن البدهى اذن أن رحلة سفينة نوح، انما بدأت وانتهت في العراق (تاريخ الطبرى ١٩٠/١ ، الكامل لابن الاثير ٧٠/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢١١/١) .

تستطيع حراكا ، ويوم خامس ، ثم يوم سادس ، وجبل نيصير يستمسك بالسفين فلا تستطيع حراكا ، فلما كان اليوم السابع أطلقت حمامه ، فذهبت وعادت وعز عليها أن تجد مكانا ظاهرا تحط عليه ، ثم أطلقت «سنونو» ، غير أنه عاد ، إذ لم يكن ثمة مكان طاهر يحط عليه ، ثم أطلقت غرابا فذهب ورأى الماء يتناقص فأكل وعب ودار ، ولم يعد ، ثم أطلقت الجميع الى الرياح الاربعة ، وضحيث وأرقت سكبىة على قمة الجبل ، ونصبت ؛ أقدار ، وعلى صحاف قوائمها كومت القصب وخشب الارز والآس ، فشمت الالهة الرائحة الزكية ، وتكأأت حول الاضاحى ، وعندما وصلت سيدة الالهة (عشتار) نزلت المجوهرات العظيمة التى لا أنسى حقا عقد اللازورد الذى فى عنقى ، فسوف أذكر هذه الايام ولا أنساها ليتقدم الالهة الى القربان ، ما عدا «انليل» فانه لا يتقدم ، لأنه أحدث الطوفان دون روية ، وقاد شعبي الى التهلكة •

ولما جاء «انليل» ورأى الفلك عز عليه ذلك ، وامتلأ غضبا على آلهة «اجيجى» (الهة السماء) ، وقال : هل نجت روح ، ما كان لبشر أن يبقى ، ففتح «نينورتا» فاه ، وقال : من غير «ايا» يفشى الخط ، فانه يا «انليل» الباسل ، يعلم كل شئ ، وفتح «ايا» فاه ، وقال لانليل البطل : أنت يا أحكم الالهة ، أيها البطل ، كيف تصدث الطوفان دون روية ، على الاثم وزر ائمه ، وعلى المعتدى وزر اعتدائه ، كن رحيمًا ، والا قطع ••••• كن صبورا ، والا أقصى •••••

- ليت أسدا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من أن تأتى بالطوفان
- ليت ذئبا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان
- ليت مجاعة هبت وقللت من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان
- ليت طاعونا هب وقلل من بنى الانسان ، بدن من احداث الطوفان

لست أنا الذى أفشيت سر الالهة العظام ، بل جعلت «أتراخاسيس» (حكيم الحكماء — اوتنابيشتم) يرى حلما كشف فيه سر الالهة ، فاقض فيه ما أنت قاض ، وعنئذ صعد انليل الى ظهر السفين ، وأمسك بيدي

وأخذني الى ظهرها ، وأخذ زوجتي وجعلها تركع بجانبى ، ووقف بيننا ليباركنا ، وقال : لم يعد أوتنابيشتم بشرا ، وانما سيكون وهو وزوجه أشبه بنا معشر الارباب ، وعلى ذلك أخذوني وأسكنوني بعيدا عند مصاب الانهار ، ولكن أنت يا جلجاميش من يجمع لك مجمع الالهة ، ليهبوا لك الحياة الى الابد (٣١) .

(٢) قصة بيروسوس :

كان هناك فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وابان حكم الغزاة السلوقيين ، وعلى أيام الملك «أنتيوخس الاول» (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) على وجه التحديد ، أحد كهنة المعبود «مردوك» البابلى ، يدعى «بيروسوس» (Berossos) قد كتب تاريخ العراق القديم ، منذ أول الخليقة والطوفان وحتى عهد الاسكندر المقدونى (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) ، باللغة اليونانية فى ثلاثة أجزاء .

ومن أسف أن كتابات «بيروسوس» — شأنها فى ذلك شأن كتابات المؤرخ المصرى «مانيتو» (٣٢) (٣٢٣ - ٢٤٥ ق.م) — والتي تقدم وجهة

- (٣١) محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٣٩٥ - ٤٠١ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٨ - ١١٠ ط١ ، باقر : المرجع السابق ص ٤٦٧ - ٤٧٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٤٧ - ٣٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٧ - ١٠١ .
- S. Langdon, Semitic Mythology, 1931, P. 210-223.
- T. Gray, Near Eastern Mythology, New York, 1969, P. 47-60.
- S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.
- S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-98.
- T. Jacobsen, in Assyriological Studies, II, Chicago, 1932, P. 58-59.
- J. Finegan, Op. Cit., P. 33-36.
- E. A. W. Budge, The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, N. Y., 1920.
- A. Heidel, The Gilgamesh Epic and Oold Testament Parallels, 1949
- E. Cambell Thompson, The Epic of Gilgamesh, 1930.
- (٣٢) انظر عن المؤرخ المصرى «مانيتو» (محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٦٥ - ٦٨ ، وكذلك W. G. Waddle, Manetho. With an English Translation, Cambridgl, London, 1940)

النظر القومية ء تاريخ العراق القديم ، لم تصل اليها كاملة ، وكل ما وصلنا منها مقتطفات حفظها لنا المؤرخون المتأخرون من الاغارقة ، ومن حسن الحظ أن هذه المقتطفات كانت تحتوى على قصة الطوفان البابلية ، والتي تجرى أحداثها على النحو التالى : —

فى عهد الملك «أكسيوثروس» ، وفى ليلة ما ، رأى هذا الملك ، فيما يرى النائم ، أن الاله «كرونوس» يحذره من طوفان سوف يغمر الارض، ويهلك الحرث والنسل ، فى اليوم الخامس عشر من شهر «دايسوس» — وهو الشهر الثامن من السنة المقدونية — ومن ثم فان عليه أن يكتب تاريخ البشرية منذ بدايتها ، وأن يدفن ما يكتبه فى مدينة «سيار» (تل أبو حبة) بلد الشمس ، حتى لا يضيع فى طوفان سوف يدمر كل شىء؛ كما أمره أيضا أن يبنى فلكا يأوى اليه *

ويسأل «أكسيوثروس» ربه عن المكان لذى يبدر اليه بفلكه هذا ، فاذا به يجيبه «الى الالهة ، ولكن بعد أن تصلى من أجل خير الناس»، ويصدق الملك بالامر ، ويبنى فلكا طوله مائة ألف ياردة . وعرضه أربعمائة وأربعون ياردة ، يجمع فيه كل أقربائه وأصحابه ، ويختزن فيه زادا من اللحم والشراب ، فضلا عن الكائنات الحية من الطيور وذوات الاربع *

ويغرق الطوفان الارض ، وعندما ينحسر عنها يطلق الملك سراح بعض الطيور التى ما تلبث أن تعود اليه ثانية ، ثم يطلقها بعد أيام، فاذا بها تعود وأرجلها ملوثة بالطين . وفى المرة الثالثة لا تعود الطير الى الفلك ، ويعلم الملك أن الملاء قد انحسر عن الارض ، وينظر من كوة فى السفين فىرى الشاطئ الذى يتجه اليه ، وهناك تستقر الفلك عند جبل ، حيث ينزل الملك وزوجه وابنته وقائد الدفة *

ويسجد الملك لربه شكرا ، ويقدم القرابين ، ثم يختفى هو ومن معه ، ويبحت الذين ما يزالون فى الفلك عن الملك ورفاقه ، ولكنهم لا يجدون

لهم أثرا ، وحين يجدون في البحث عن المختفين يسمعون صوتا يدوى في الهواء ، ويطلب منهم أن يتقوا الالهة ، ويكفوا عن البحث عن المختفين ، لأن الالهة قد اختارتهم لكي يسكنوا الى جوارها .

ثم يأمرهم نفس الصوت بالعودة الى بابل ، والبحث عن الكتابات المدفونة هناك ، وأن يوزعوها فيما بينهم ، كما أخبرهم الصوت أن الارض التي يقفون عليها ، انما هي أرض أرمينيا ، وهكذا عاد القوم — دون المختفين — الى بابل ، واستخرجوا الكتابات المدفونة في «(سيبار)» ، وشيدوا مدنا كثيرة ، وأعادوا الارض المقدسة وعمرها بابل بنسلهم (٣٣) .

(٣) قصة أتراخاسيس :

كشف عن هذه القصة على لوح مهشم في مدينة «(سيبار)» أثناء عمليات الحفر التي قامت بها الحكومة التركية ، ويرجع تاريخه الى حوالى عام ١٩٦٦ قبل الميلاد ، وبطل القصة هنا هو «(أتراخاسيس)» (أترام خسيس) ، وهى تشير بوضوح الى أن الطوفان انما كان آخر سلاح تلجأ اليه الالهة للحد من تكاثر البشر ، بغية القضاء على صخبهم الذى صار يقض مضاجع الالهة ، ويسبب انزعاجها ، وكان انليل — اله الجو والرياح — هو المحرض على القيام بسلسلة من الاجراءات المتلاحقة لاهلاك البشر ، وقد استطاع انليل في المرة الاولى اقناع الالهة بانزال الامراض والابوئة بين الناس فى جميع أنحاء البلاد ، وفوضت الالهة «(نمتار)» للقيام بالمهمة ، وسرعان ما انتشر الوباء فى البلاد ، وأخذ يלתهم الناس التهاما ، وعنئذ استنجد «(أتراخاسيس)» بانه الحكمة «(ايا)» ليخلص الناس من هذه المحنة فأوصى «(ايا)» بأن يقوم الناس ببناء معبد للاله «(نمتار)» وأن يقدموا له الهدايا والندور ، «وعنئذ سوف يرفع نمتار يده عنهم» .

(٣٣) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٤ - ٩٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

غير أن الناس سرعان ما تكاثروا من جديد ، وتزايد ضجيجهم في البلاد ، ومن ثم فقد قرر انليل أن يرسل عليهم الجفاف والمجاعة ، فأصدر أوامره الى «أدد» أن يحبس المطر ، والى «أيا» أن يمنع تدفق المياه من المينابيع ، والى «نيسابا» المهة الحنطة «أن تمنع فيض ثدييها» ، كما أمر أن تهب الرياح لتلفح وجه الارض ، وأن تتلبد الغيوم ، ولكن دون أن تنهمر قطرة من مطر ، وهكذا حلت المجاعة سنوات ست •

على أن الاله «ايا» سرعان ما تأخذه الشفقة بالناس ، فيسمح بتدفق المياه من المحيط السفلى ، لارواء الارض وتخليص الناس من الجفاف ، الامر الذي كان سببا في غضب «انليل» ، وفي أن يصمم على أن تؤدي جميع الالهة القسم لارسال الطوفان الاعظم ، وتدمير ارض ، ومن عليها وما عليها ، غير أن اله الحكمة «ايا» الذي عرف بحبه للناس ، رفض أن يربط نفسه بالقسم ، بل وأنذر رجلا تقيا حكيما من سكان «شروباك» (فارة) بالاستعداد للحدث الخطير الذي بات يهدد أهل الارض جميعا ، وتلقى رجل شروباك الامر بالطاعة ، وبدأ يحشد كل الطاقات لانجاز المهمة ، وبعد سبعة أيام استطاع أن يصنع السفينة التي أسماها «منقذة الحياة» ، ثم حملت بالبشر والحيوانات والمؤون •

وسرعان ما جاء الطوفان الهائل ، رعد يشق عنان السماء ، أعاصير مدمرة ، تعصف وتزمرجر ، «مثل نهيق حمار الوحش» ، فيضان عارم تخور مياهه ، كما يخور الثور ، وظلام دامس ودمار في كل مكان من الارض ، حتى أن الالهة نفسها تراجعت لهوله ، مذعورة الى أقصى السموات ، واستمرت الحال السيئة هكذا طوال سبعة أيام وسبع ليال ، قضى الطوفان فيها على كل من في الارض من مخلوقات «فأصبح الناس يملأون البحر ، كأنهم صغار السمك» •

غير أن هلاك الناس على هذا النحو ، انما كان سببا في ندم شديد ، وحزن عميق من الالهة ، وخاصة تلك التي عرفت بحبها للناس ، مثل

الاله «أيا» والالهة «عشتار» ، ثم هدأ البصر ، وسكنت العواصف ،
وانتهى الطوفان •

وعندما خرج رجل الطوفان من السفينة لأول مرة بعد أربعة عشر
يوما من دخوله ، سكب الماء المقدس على قمة الجبل ، وقدم القرابين
للآلهة ، الذين «تجمعوا حول مقدم القربان كالذباب» ، وبعد أن التهموا
القرابين ، وندموا على إرسال الطوفان ، منحوا رجل السفينة وزوجه
الخلود (٣٤) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن رواية أخرى لقصة
الطوفان قديمة كل القدم ، اكتشفت في مدينة «نيبور» (٣٥) في أثناء
عمليات الحفر التي قامت بها جامعة بنسلفانيا الامريكية ، وقد دونت
هذه الرواية على كسرة من الفخار غير المحترق ، وقد ذهب الاستاذ
«هيلبرخت» - اعتمادا على أسلوب الرواية ، وعلى المكان الذي عثر
عليها فيه - الى أن هذه الرواية لم تدون الا بعد عام ٢١٠٠ قبل
الميلاد •

(٣٤) فاضل عبد الواحد على : الادب - من كتاب حضارة العراق -
الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ - ص ٣٢٠ - ٣٣٨ •

(٣٥) نيبور : تقع نيبور - وهي نمر الحالبية - على مبعدة ١٦٠ كيلا
جنوبى بغداد ، وفي منتصف المسافة تقريبا بين المدينتين القديمتين «كيش»
و «شورباك» ، وتعتبر نيبور من أهم المراكز الثقافية السومرية فى العراق
القديم ، ورغم أنها لم تكن أبدا مقرا لآلية سلطة سياسية ، فقد كانت أكبر
مدينة مقدسة ، وربما أكبر مركز دينى فى بابل ، كما أن «انليل» اله
المدينة انما كان رئيس مجمع الآلهة البابلى ، هذا وقد أمدتنا الحفائر التى
أجرها عدد من المعاهد الامريكية منذ عام ١٨٨٩م ، بألاف من اللوحات
المكتوبة والجذاذات التى صنف فى الالف الثالثة والثانية قبل الميلاد،والتي
تدل بوضوح على مدى انتشار الثقافة السومرية ، كما تغطى مراحل تاريخ
المدينة حتى العصر الفرتى ، (ليواوينهام : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠٠ -
٥٠١ ، وكذا

J. P. Peters, Nippur, in Excavations on The Euphrates, 2 Vols, 1897.

H. W. Hilprecht, The Excavations in Assyria and Babylonia, 1903, P.
289 F.

KFTS, P. 277.

هذا وقد أشارت الرواية الى أن الاله قد ظهر ليذيع نبأ حدوث
طوفان سوف يكتسح البشرية جمعاء وفي الحال ثم حذر من هذا
الطوفان شخصا بعينه ، وطلب منه أن يبني فلكا كبيرا ، ذا سقف قوى،
لينجو فيه بحياته ، كما أمره أن يأخذ معه في الفلك صنوفا من الحيوانات
الاليفة ومن طيور السماء (٣٦) .

(٣٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٢ .

الفصل الثاني

السومريون

(١) نقيديم :

تقع بلاد سومر وأكد في الوادي الاسفل لنهرى دجلة والفرات ،
والى جنوبها وغربها تقع الصحراء الغربية والخليج العربى الذى كان
يمتد في أيام سومر المبكرة شمالى مجاورات أريدو ، وربما كان نهر دجلة
يكون أصلا حـدا طبيعيا من ناحية الشرق ، وهى الناحية التى كان من
الممكن التوسع من ناحيتها ، وربما كان الطمع فى التوسع نحو الشرق
كان السبب فى الصراع مع عيلام ، وأيا ما كان الامر ، فان مدى النفوذ
السومرى والاكدى انما كان يمتد الى المنحدرات السفلى للتلال
العيلامية ، ومن ثم فان المساحة التى كانت تشغلها سومر وأكد لم تكن
كبيرة *

وتتكون أرض سومر وأكد من سهل فيضى ، وتعتمد الحياة فى هذه
المنطقة على نهرى دجلة والفرات ، واللذين كانا يغيران مجراهما
باستمرار ، ولكن مجرى دجله — بسبب ضفافه العالية المتينة نسبيا —
أقل عرضة للتغيير من الفرات ، الذى يبدو تغيير مجراه واضحا فى
الاكوام التى تمثل المواقع القديمة للمدن ، والتى تمتد فعلا على مجارى
جافة الى شرق المجرى الحالى ، فالاكوام التى تمثل أبو حبة وتل
ابراهيم والاحيمر ونفر ، انما تمثل مواقع مدن سيبار وكوتا وكيش
ونيبور على التوالي ، وكلها تقع شرق النهر *

ومن ثم فانه مما تجدر ملاحظته أن مدن سومر وأكد ، انما كانت
تقع جميعا على ضفاف الفرات ، أو أحد أو بعض روافده ، وليست على
ضفاف الدجلة ، فيما عدا «أوبس» أبعد مدن أكد الى الشمال ، ويذهب
البعض الى أن ذلك انما يرجع الى أن جريان دجله سريع ، وأن ضفافه
عالية ، وأن هذين الامرين معا انما يشكلان عقبة تحول دون استثماره
فى الرى ، بنفس الدرجة التى يستثمر بها الفرات الذى ييسر ذلك الامر

بسبب ضفافه المنخفضة وسهولة وصول مياهه الى الارض المحيطة به مباشرة ، أو حتى عن طريق القنوات الصناعية ، هذا فضلا عن بطء جريان مياه النهر نسبيا في شهور الصيف •

ولم يكن هناك حد فاصل طبيعي بين سومر وأكد ، كالحـد الذي يفصلهما معا عن اقليم آشور وميزوبوتاميا في الشمال ، وكان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم «أكد» ، كما كان القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج العربي يعرف باسم «سومر» •

ولعل أول ظهور لاسمى سومر وأكد في النصوص العراقية القديمة انما يرجع الى عهد ملوك أور ، الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر وأكد» (Lugal Ki-en-gi Ki-uri) والذي ترجمه الاكديون الى لغتهم (Shar Mat Shumerim u Akkadim)

وفي عام ١٨٦٩م ذهب بعض الباحثين الى أن كلمة «أكد» في لقب «ملك سومر وأكد» انما تعنى تلك الاقوام التي تتكلم لغة سامية ، سواء أكانوا أكديين أم بابليين أم آشوريين ، بينما تدل كلمة «سومر» في اللقب ذاته على أولئك الذين تعود اليهم النصوص المدونة باللغة غير السامية •

ومع ذلك فالمعروف أنه منذ عصر موغل في القدم قد أطلق أهل الجنوب على بلادهم اسم «كلم» (Kalam) أى الارض ، وعرف حاكم البلاد باسم «ملك الارض» ، أما العالم خارج هذه البلاد فكان يعرف باسم «كوركور» ، وكان لقب الاله انليل «لوجال كور كورجى» أى ملك البلاد ، ويعنى العالم المسكون أو بمعنى أدق «البلاد الاجنبية» •

وانا لالتقى في نصوص «أياناتوم» و «لوجال زاجيزى» و «أنشاج كوشانا» بلفظ «كى ان جى» الذى يعنى سومر أو شومر على الاصح ، وقد حرقت الكلمة الى «كنجى» ، وتعنى كذلك «البلاد» أو «الارض» ، ويقصد بها «شومر» (Shumer) •

وأما كلمة «أكد» أو «أكادو» (Akkadu) انما هي النطق السامى لكلمة «أجاد» Agade وهو الاسم القديم للمدينة ، ويرجع اطلاق الاسم على القسم الشمالى الى فترة لاحقة بسبب تزايد سلطان المدينة فى عهد «شارجانى شارى» و «نارام سن»^(١) .

(٢) الموطن الاصلى للسومريين :

قام ، وما يزال ، جدل طويل بين العلماء حول جنس وموطن السومريين الاصلى ، ولعل السبب فى ذلك انما يرجع الى أن التمييز بين السومريين والاكديين وغيرهم من الاقوام التى سكنت جنوب العراق القديم ، انما يمكن أن يكون لغويا أكثر منه عرقيا ، بل ان هناك من يذهب الى أن الدراسات الانثربولوجية لبقايا الهياكل العظمية التى عثر عليها فى المقابر السومرية انما تشير الى عدم وجود ما يمكن تسميته بالعرق أو الجنس السومرى ، وانما هناك خليط يتمثل فى قوم ذوى رؤوس طويلة ، وهو ما يعرف بجنس البحر المتوسط ، وآخرين ذوى رؤوس مدورة ، وهو السائد فى أوروبا الوسطى وأرمينيا .

هذا الى أن الحفريات الاثرية فى المدن السومرية المختلفة قد أثبتت أن هذه الاقوام من سومريين وأكديين انما قد مارست جميعا أنظمة سياسية وأعرافا وعادات اجتماعية متشابهة ، فضلا عن معتقدات وطقوس دينية واتجاهات فنية متشابهة أيضا ، وبعبارة أخرى ، فقد كانوا جميعا جزءا من حضارة واحدة نشأت وازدهرت فى جنوب العراق ، تعرف اليوم باسم «الحضارة السومرية» ، ومن ثم فنحن نقصد بكلمة «سومرى» هؤلاء الذين كانوا يتكلمو اللغة السومرية ، ونقصد بكلمة «أكدي» تلك القبائل التى كانت تتكلم اللغة السامية ، وموطنها الاصلى شبه الجزيرة العربية .

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٨٧/٥ - ٩٥ / ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون - كتاب العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٦٣ - ٦٤ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٩٠ ،

على أن هذا الفاصل اللغوي لم يكن أبدا حلا لمشكلة أصل السومريين ، ذلك لأن اللغة السومرية انما هي لغة منفردة لا يمكن ارجاعها الى عائلة لغوية حية أو مندثرة ، وقد ذهب فرض حديث الى تقريبها الى مجموعة اللغات التي تأخذ بطريقة الالتصاق (Agglutination) — مثل المجموعة الآسيانية أو مجموعة الاورال طاي ، و التي منها اللغات الصينية والتركية والمجرية والفلمندية — وفيها تتكون الجملة الفعلية من عدة عناصر بعضها ملصق ببعض الآخر ، فهناك أداة الجملة الفعلية التي تكون عادة في المقدمة ، ثم جذر الفعل الذي يسبقه أو يلحق به ضمير الفاعل ، وهناك أدوات أخرى للدلالة على زمان ومكان حدوث الفعل ، ويتبع آخر ، فان الجملة الفعلية عبارة عن كلمة مركبة من عدة مقاطع ، أما الاسم فتلصق به عدة أجزاء ، كضمائر الملكية وأدوات الاضافة وحروف الجر ، فضلا عن الاداة الدالة على الفاعل عندما يكون الفعل متعديا ، الامر الذي يؤدي الى ظهور تغييرات صوتية بسبب هذا الالتصاق ، ومع ذلك ، ورغم أن الالتصاق صفة لغوية معروفة في عدد من اللغات القديمة كالعلامية مثلا ، والحدية كالتركية مثلا ، فان اللغة السومرية ليس لها ما يشبهها من حيث المفردات والقواعد والنحو في أية لغة أخرى ، ومن ثم فقد بقي أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطع الدراسات اللغوية أو الانثروبولوجية أو الاثرية حلها ، وان كان المؤرخون يتفقون على أنهم جنس غير سامي ، وأن لغتهم غربية لا تشبه اللغات السامية ، ولا يعلم زمن مجيئهم الى بلاد النهرين ، وان رأى البعض أن ذلك ربما كان في فترة مبكرة من الالف الرابعة قبل الميلاد (٢) .

وانطلاقا من كل هذا ، فهناك عدة آراء بشأن الموطن الاصلى للسومريين ، فهناك رأى يذهب أصحابه الى أن السومريين ربما جاءوا عن طريق البحر الى جنوب بلاد النهرين في العصر السابق للوركاء ، أى في عصر العبيد ، وأنهم سكنوا في أول الامر في «دلمون» (البحرين) التي

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٧ ، محمد بنومي مهران : المرجع السابق ص ٣٨٦ .

تحتل مكانة بارزة في التراث السومري ، ثم نزحوا بعد ذلك شمالا في اتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين الذي عرف فيما بعد باسم «بلاد سومر» ، وذلك اعتمادا على العناصر الحضارية الجديدة التي تقترب عادة بوجود السومريين ، والتي ظهرت في عصر الوركاء ، كالاختام الاسطوانية والنحت ودولاب الفخار والكتابة •

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن السومريين بدو مما وراء القوقاز ، أو مما وراء قزوين ، اندفعوا على مناطق غرب ايران فيما يعاصر أيام العبيد ، وأوائل الوركاء ، ونجحوا في اقتباس حضارة بلاد النهرين التي امتدت منها عبر حدود ايران ، ثم استعانوا بما تعلموه منها ، وبخفة الحركة اليدوية ، في الاندفاع منذ الربع الاخير من الالف الرابع قبل الميلاد الى جنوب العراق وسيطروا عليه تدريجيا خلال فترة من فترات حضارة الوركاء ، وكان لما أشاعوه به من الاضطراب حينذاك أثر في بداية فترة ركود حضاري شملته ، وان يكن قد نشأ خلال هذه الفترة نفسها (حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد) عصر البطولة السومري الذي قام على المشجاعة الفردية للقادة السومريين ومحاولاتهم لتملك زمام السلطة في المدن المغلوبة على أمرها ، لا سيما وأنه لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حدود العراق ، وعندما تمت الغلبة للسومريين وتم اندماجهم في السكان الاصليين الذين كانوا أرقى منهم بدا العصر الشبهي بالكتابي في العراق حوالي القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد •

على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب صاحبه «روترني» Hrozny أن السومريين انما قدموا مهاجرين من آسسيا الصغرى في موجتين من موجات الهجرة ، وهناك وجه رابع للنظر يذهب أصحابه الى أن السومريين قد قدموا الى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التي تحف به ، عن طريق أرمينيا وايران ، ولو أنه يمكن أن نستبعد أرمينيا أساسا من هذا الفرض ، على اعتبار أنه كان من المستبعد أن يهبط مهاجرون منها ، ويتجاوزوا المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال بلاد النهرين ، ليذهبوا بعيدا عنها ثم يستقروا في الاجزاء

الجنوبية التي كانت أطرافها لا تزال حينذاك وحشية الطابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهدئتها وتيسير الانتفاع بها ، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الأصل الجبلى المفترض ، وصله أسلاف السومريين المقترحة بمرتفعات ايران ، ما عرف من صلة بعض المعبودات السومرية بدنيا المرتفعات ، ثم ما اتت به اسطورتان ملك سومرى يدعى «انمركار» اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثانى ملوك الاسرة الاولى فى مدينة اوركا (أوروك) بعد الطوفان •

وهناك وجه خامس للنظر يذهب أصحابه الى أن كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية ، وما حملته العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذى السمات المميزة التى لا تتغير ، ومناظر الحروب التى لم تخل بأى حال من تمثيل هذا الحاكم ، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين انما كانوا شعبا جبليا مقاتلا ، فرض نفسه عن طريق الحروب ، وتسود البلاد ، أما عن المنطقة التى وفد منها هؤلاء السومريون فلم تكن التخوم الغربية لجنوب السهل الميزوبوتامى ، كما أنها لم تكن تخومه الشمالية ، و الا لشهد الشمال بداية التعبير الكتابى أسوة بالجنوب ، فضلا عن افتقار الشمال للاحجار ، ومن ثم فان الموطن الاصلى الذى وفد منه السومريون انما هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب دىالى) ، وهى منطقة متفوقة حضاريا ، وكثيرا ما كان لها صلاتها الحضارية بالسهل الميزوبوتامى ، فضلا عن طبيعتها الجبلية التى تتوفر فيها الاحجار ، والتى تضيف على ساكنها صفة المقاتل ، بعكس الحال بالنسبة للبيئات الزراعية ، والتى يمثل النصف الجنوبى من التخوم الشرقية (سهل سوزيانا) واحدا منها ، وقد يؤكد هذا الموطن الاصلى أيضا كثرة ما قدمته مرحلة ما قبيل الكتابة من صناعة معدنية ، وخاصة النحاس الذى يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التى وفد منها السومريون ، وقد عرفت ، فيما يبدو ، تصنيع النحاس منذ عصر حضارة حسونة ، كما يشير الى ذلك انتاج تل المصوان •

وهناك وجه سادس للنظر (ربما يرتبط كثيرا بالسرائى الاول) أن

السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان ، واستقروا حيناً من الدهر في غربى ايران ، ثم نزحوا منها الى بلاد النهرين ، عن طريق الخليج العربى وجزره البحرية ، اعتماداً على تشابه أوائل طرز الفخار السومرى القديم وزخارفه في بلاد النهرين ، مع نماذج الفخار القديمة التى انتشرت جنوباً حتى منطقة «خاربا» و «موهنجودارو» في سهل أكّد ، مما يوحى بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه النواحي الذين سبقوا الاجناس «المهندو — أوربية» في سكناها ، والذين يكفى أن يقال عنهم أنهم من الفروع المبكرة للسلاسل الاسيوية والاسيائية ، وذلك مع تقدير ما ألمحت اليه الاساطير السومرية من أن أصحابها الاوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس ما يزالون يسعون فيها على أربع ، واستقروا حيناً في جنة تلمون ثم نزحوا منها الى «كالاما» بالعراق ، لأمر لم تشر اليه الاسطورة •

وهناك وجه سابع للنظر يذهب أصحابه — من المؤرخين العراقيين — الى أن السومريين انما هم من الاقوام التى قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وأن حضارتهم أصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين ، على الرغم من أننا لا نعرف اللغة التى تكلم بها أهل حضارة العبيد ، صحيح أن هناك خصائص أو عناصر مميزة للحضارة السومرية ، غير أن هذا لا يعنى بالضرورة أن تلك العناصر جاء بها السومريون من خارج العراق ، بل انه من المنطق أن نفترض بأن هذه العناصر المميزة للحضارة السومرية التى نشاهدها في عصر الوركاء انما هى نتيجة وامتداد طبيعى لمدينات عصور ما قبل التاريخ الاخرى ، التى سبقت هذا العصر ، مثل حسونة وحلف في الشمال ، والعبيد في الجنوب •

وانطلاقاً من كل هذا ، فان أصحاب هذا الرأى الاخير ، يرون في السومريين امتداداً لأقوام عصور ما قبل التاريخ في بلاد النهرين ، وأنهم انحدروا من شمال العراق الى جنوبه ، واستوطنوا منطقة كانت على

الأرجح تعرف باسم «سومر» ، والتي عرف السومريون باسمها في العصور التاريخية *

غير أن أصحاب هذا الرأي صعب عليهم تعليل اختلاف لغة السومريين عن اللغات السامية ، وعندما أراد بعضهم أن يوازنوا بين هيات أرباب العصر السومري ، ذوى اللحي الكثة والشعور الكثيفة والملابس الصوفية التي تقربهم الى هيات الرعاة الساميين ، وبين جماهير السومريين حليقي اللحي والأوس ، لم يزدوا الامر غير صعوبة ، وإذا كان هناك ما يمكن توضيح رأيهم ، فهو اعتبار السومريين فرعاً من الجنس القوقازي يختلف عن الفرع السامي *

وهكذا يبدو واضحاً أن العلماء لم يتفقوا بعد على أى نهائى بشأن الموطن الاصلى للسومريين ، وأن الامر ما يزال فى مرحلة الفروض ، وبالمالى فما يزال موضوع السومريين ينتظر مزيداً من البحث والدراسة ، على أن الامر الذى لا شك فيه ان السومريين فى أوائل العصور التاريخية قد اختلفوا بالحضارات التى سبقتهم فى بواكير العصر الكتابى ، ثم طوروها الى ما يتفق مع مطالب عصرهم وأذواقه ، وكان أوضح ما ربط بينهم وبين أصحاب تلك الحضارات بروابط التطوير ، هى علامات الكتابة وأساليب البناء باللبن وأساليب النقوش (٣) *

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٦ - ٣٨٩ ، محمّد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٦٩ ، أحمد فخري : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٨ - ٢٩ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ - ٢٥٢ وكذا

H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, 1932, P. 18 F

H. Schimokel, Geschichte des alten Vorderasien, 1957, P. 3-4.

H. Schimokel, Das Land Sumer, 1956, P. 44-61.

S. H. Langdon, Sumerian Origins and Racial Characteristics, in Archaeologia, 1920, P. 154 F.

E. Speiser, The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950-1951, P. 339 F.

=

بقيت الاشارة الى أن التاريخ الصحيح لموسون السومريين واستقرارهم في جنوب العراق القديم ، لا يزال موضع خلاف بين الباحثين ، فهناك من يذهب الى أن ذلك انما كن منذ بداية عصر حضارة العبيد ، أى حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م ، على أن هناك من يذهب الى أنه كان عند نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ، ومع ظهور المكتبة وان كان «سمويل كريمر» يذب الى أن ظهور السومريين انما قد سبق ظهور المكتبة مباشرة ، غير أن الكتابة التصويرية البدائية انما قد نشأت في جنوب العراق ، بعد أن حتم ظهورها التطور الحضارى العام الذى ظهر في جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ — سواء أكان ذلك قد تم على أيدي السومريين أو على أيدي جماعات أخرى — ونظراً لأن هذه لكذب الاولى انما تعبر عن اللغة السومرية ، ومن ثم فإن أصحابها لابد وأن يكونوا قد أتوا الى البلاد منذ زمن بعيد . ربما بعشرات السنين . وربما بمئات السنين ، قبل ظهور هذه الكتابة .

على أن هناك وجهاً ثالثاً للنظر يذهب أصحابه الى أن السومريين انما كانوا أول من سكن جنوب العراق . وتستند وجهة النظر هذه الى التشابه الحضارى بين حضارة العبيد . وبين حضارتى أريدو والنج محمد ، السابقتين لها ، على أن هناك وجهاً رابعاً للنظر يذهب الى أن الهجرة السومرية انما كانت اثناء عصر حضارة العبيد — وليس في بدايته — أى فيما بين عامى ٤٠٠٠ ، ٣٥٠٠ قبل الميلاد (٤) .

S. N. Kramer, in JAOS, 63, 1952, P. 191 F.

S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164.

G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 85-89.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 173.

Mackay, in JRAS, 1925, P. 697.

(٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٥٣ — ٢٥٤ . رشيد الماضرى :

المرجع السابق ص ٢٥١ ، وكذا

H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, Chicago, 1932, P. 21 F.

J. Oates, ur and Eridu, in Iraq, 26, 1960.

S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164

على أن الزميل الكريم المرحوم الدكتور محمد عبد اللطيف — طيب الله ثراه — انما يذهب الى أن السومريين انما قد ثبت وجودهم في جنوب العراق منذ بداية التعبير بالكتابة (الوركاء ٤) ، وبالتالي فقد وجدوا في جنوب العراق منذ بداية مرحلة ما قبل الكتابة على الاقل (الوركاء ٥) وربما حلوا به في عصر حضارة الوركاء الاسبق ، كما يدل على ذلك انتاج حضارة هذا العصر من أساليب حضارية جديدة^(٥) .

(٣) دويلات المدن السومرية :

بدأ العصر التاريخي في جنوب بلاد النهرين ، عندما توصل القوم هناك الى الكتابة ، فضلا عن الطوفان الكبير الذي حدث في العراق القديم ، وقد تميزت بداية العصر التاريخي في بلاد النهرين بما يسمى «نظام حكومات المدن» التي كان لكل منها كيائها المستقل عن حكومات المدن الاخرى في جنوب العراق بسبب الانتقال الى مرحلة المدنية ، وهذا يعنى ببساطة أن القوم لم يستطيعوا في بداية العصر التاريخي أن يحققوا الوحدة السياسية للبلاد ، ومن ثم فقد اعتمدت الحياة السياسية على امارات المدن ودويلاتها فعلا — كما روت الاساطير — ودون أن تتطور الى نظام الدولة المركزية الكبيرة ، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة في كثير من مدن الجنوب العراقي ، وربما كان السبب في ذلك طبيعة هذا القسم الجنوبي من العراق القديم ، فلقد حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن ، الامر الذي أعاق تحقيق الوحدة السياسية .

والواقع أن ما نعرفه عن دويلات المدن هذه ، أضال من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية لكل منها ، بله نشأتها ، وربما لا يعدو أسماء ملوك تنتظم فيها أسرات سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم في الالف الثاني ق.م ، في تعاقب زمني يشير الى مدة حكم الملك ، ثم الاسرة ، وقد قسمت هذه الجداول الى قسمين ، يفصلهما

(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

حادث جد خطير ، هو «الطوفان» ، وتمثل فترة ما قبل الطوفان العصر الاسطوري ، وما بعد الطوفان انما يمثل العصر التاريخي^(٦) .

ومع ذلك فنستطيع أن نقدم صورة مقبولة عن المدينة السومرية ، والتي كانت تتكون من مدينة (وقد أطلق عليها في السومرية كلمة «أور — Ur « وفي الاكدية «ألو — alu «) ومجاوراتها من الاراضى التى قام سكان المدينة بزراعتها ، و أحيانا كانت حكومة المدينة تضم أكثر من مدينة واحدة ، فضلا عن عدد من القرى التى كانت تتبع المدينة الرئيسية ، مثل حكومة مدينة لجش التى كانت تضم أراضى «جرسو» و «لجش» و «نيناء»^(٧) .

هذا وكانت المدينة السومرية — وربما معظم المدن المتأخرة — تتكون من قسمين ، الاول : وهو المدينة الخاصة التى أطلق عليها في الاكدية «لبى ألى» (Libbi Ali) أو «قابلتى ألى» (Qabalti Ali) ، وهى مصطلحات تدل على القسم القديم للمدينة فحسب ، وتتمثل في هذا الجزء الاقسام المسورة التى تحتوى على المعابد والقصر ومكاتب الموظفين التابعين للبلاد ، وعلى بيوت المواطنين ، وأما القسم الثانى فهو «الضاحية» ، وتقرأ في السومرية «أور — بار — را» (ur-bar-ra) بمعنى «خارج المدينة» أى الضاحية التى تتجمع فيها البيوت والمزارع وحظائر الماشية ، وليست لدينا معلومات عن الحدود التى امتدت اليها هذه الضواحي ، كما لا نعرف ان كانت فيها أسوار ثانوية لحمايتها ، أو قواعد أمامية محصنة للحماية التى كانت تسمى «كيدانو» (Kidanu)^(٨) .

(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ .

(٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٦ ، وكذا

I. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 104-106.

C. J. Gadd, in CAH, I, Part, 2, Map. 6.

H. Frankfort, CAH, I, Part, 2, P. 92.

(٨) ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١

هذا وتقع المدينة الرئيسية في وسط حكومة المدينة ، ويتوسطها معبد
له المدينة — أو الاله الرئيسى لحكومة المدينة — وكان المعبد يمثل نواة
الحياة السياسية والاجتماعية ، كما كان صاحب الارضين في المدينة ، هذا
وكان يوجد بالمدينة الرئيسية — الى جانب معبد الاله الرئيسى — معابد
أخرى لمعبودات ذات صلة بهذا الاله الرئيسى ، وكان لهذه المعابد أملاكها
الضخمة ، مما يرجح أن معظم أراضي حكومات المدن في مطلع العصر
التاريخى انما كانت ملكا للالهة ، أسوة بما كان عليه الحال في عصور
ما قبل التاريخ ، وخاصة في مرحلة ما قبل الكتابة^(٩) .

وقد عبر الفكر السومرى أن الانسان انما خلق لخدمة الالهة ، وطبقا
لأسطورة سومرية ، فان الاله انليل انما قد شق قشرة الارض بفأس ،
ليخرج منها الناس ، كما يخرج النبات ، وأن الالهة قد أحاطت بانليل،
ثم سألته أن يجعل لها عبيدا من السومريين الذين يخرجون من الارض ،
وطبقا لأساطير أخرى ، فان الناس انما خلقوا ليكونوا عبيدا للالهة ،
وليزودوها بما تحتاجه من طعام وشراب^(١٠) ، ومن ثم فقد قامت
جماعات من البشر على الخدمة والعمل في معبد الاله الرئيسى لحكومة
المدينة وفي حقوله ، وقد أشرف عليهم جماعة من الملاحظين على رأسهم
أل «سانجا» ، وهو الرئيس الادارى لمعبد المدينة ، والمسئول عن شئون
معبد الاله وأملاكه ، فضلا عن الاعمال الزراعية وشفق القنوات وإقامة
الجسور وتنشيد الابنية وغيرها من الاعمال المتصلة بنشاط المعبد^(١١) .

على أن السلطة السياسية في حكومة المدينة انما كانت تقوم بها في

9) H. Frankfort, in Before Philosophy, (Penguin Books), 1954, P. 201.

10) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951, P. 59.

وفي الترجمة العربية ص ٧٧ — ٧٨ .

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٧ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., P. 70-71.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 141.

H. Frankfort, in Before Philosophy, P. 202-204.

الأصل جمعية عمومية تضم كل الرجال الأحرار من مواطني حكومة المدينة — وربما اشترك النساء فيها أيضاً — وكان لكبار السن ، وهم أرباب الأسر الكبيرة في المدينة ، مجلس خاص بهم ، كما يبدو أنه قد أسند إليهم التصرف في الشؤون اليومية العامة ، كما كانوا يتولون إرشاد الجمعية العمومية ، وأما رجال المدينة ، فهم على الأرجح ، جميع الرجال العاملين في مجتمع هذه المدينة ، والذين يحملون السلاح في حالة الحرب ، وقد ورد ذكر الجمعية العمومية ، وكبار السن في ألواح عصر ما قبل الكتابة ، ومن ثم فيمكن القول بأن التنظيم السياسي لحكومة المدينة ، إنما قد نشأ مع قيام المدن نفسها^(١٢) .

وعلى أية حال ، فإن هذا التنظيم السياسي لحكومة المدينة السومرية إنما يمثل مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني ، لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي ، وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية ، «اجتمعت كيش ، ورفعوا إلى الملكية» «أبخور كيش» ، رجل من كيش»^(١٣) ، وهكذا كان من حق الجمعية العمومية أن تفصل في المنازعات ، وأن تصدر القرارات الهامة — وخاصة قرارات الحرب — بل إن من حقها — إذا ما تطلبت الحاجة — أن تمنح السلطة العليا في البلاد (الملكية) لواحد من أعضائها^(١٤) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن رأس الحكومة في المدينة السومرية ، إنما كان يسمى «أنسى» ربما بمعنى «النائب» أو «الوكيل» ،

12) T. Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, II, 1943, P. 165-166, 172.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, 1901, P. 68.

H. Frankfort, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 92.

(١٣) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 165, No. 35.

H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 118.

14) T. Jacobsen, Op. Cit., P. 172.

إشارة إلى وكراته عن معبود مدينته في حكم بلده وأهلها ، ومن ثم فقد ظلت الصبغة الدينية ألصق بهذا اللقب ، وترتب عليه أن انفسح المجال أمام كهنة الالهة السومرية ، ليكون لهم شأن فعال في أوضاع دويلاتهم وسياستها ، وظلت معابدهم تخطى بنصيب كبير من ثروات المدن وأرضها وضرائب أصحابها ، حتى أصبحت بأملأها شبه وحدات اقتصادية وإدارية قائمة بذاتها ، ثم مال حكام المدن إلى تغليب الصبغة السياسية في سلطاتهم ، وتلقب كل منهم بلقب «لوجال» بمعنى الرجل العظيم ، وبما يرادف لقب «ملك»^(١٥) واتسعت سلطاتهم المدنية على حساب سلطان الكهان ، وإن ظلوا من الناحية الشكلية يعتبرون ممثلين لمعبوداتهم على الأرض ، ويدعون أنهم يصدرين في تصرفاتهم عن وحيهم ، لا سيما في فترات الحروب ، ثم تركوا لقب «انسي» لولاتهم الفرعيين ، وإن استعادوه لأنفسهم من حين لآخر ، ليؤكدوا صلاتهم بأربابهم وتواضعهم إزاءهم ، وظهرت لهذا التطور في سلطان الحكام السومريين أمثلة شرقية أخرى لاحقة لعصورهم ، فلقد بدأ الحكم في جنوب شبه الجزيرة العربية بنفس الصبغة ، وتلقب الحكام هناك بلقب «مكرب»^(١٦) ،

(١٥) يذهب الدكتور سامي الأحمد إلى أن الملك إنما كان حاكماً مستقلاً يدير أكثر من دويلة مدينة واحدة في وقت واحد ، قد يكون فيه «انسي» تابعاً للملك ، وإذا جاوزت منطقة حكم الانسي ، ما وراء حدود مدينته ، واعترف به معبد أنليل في مدينته نيبور (نفر) فيحمل أنذاك لقب ملك ، ويحمل كل حاكم في مدينته تابعه للانسي لقب حاكم (كورنبتا) ، في وقت كانت فيه إدارة المعبد بيد موظفين يشرف عليهم الانسي ، وكان موظفي الدولة مسؤولين أمام الانسي ، ومرتبطين به ويجمعون له الضرائب من القطعان والقوارب ومصايد الأسماك ورسوم الدفن والطلاق (سامي سعيد الأحمد : الإدارة ونظام الحكم - من كتاب حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ ص ٩) -

(١٦) ظهر لقب «مكرب» في العصر الأول من أدوار التاريخ السبئي الأربعة ، وذلك في الفترة (٨٠٠ - ٦٥٠ ق.م) ، وفيه حمل حكام سبأ لقب «مكرب» وهو لقب تغلب عليه الصفة الدينية ، وتقابله في العربية الفصحى (مكرب) وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للالهة ، فضلاً عن دور الوساطة بين الالهة والناس ، وربما كانت وظيفة المكرب هذه تشبه وظيفة «المزواد» عند المعينيين ، والقضاة عند بني إسرائيل ، ولقب «ايسي» و «ايشاكو»

=

ولقب «مزود» ، ثم انتقل هؤلاء هؤلاء الى ألقاب الملوك ، وأكدوا بها الصبغة الدنيوية في حكمهم (١٧) .

على أن أستاذنا الدكتور الناصوري انما يذهب الى أن إدارة الحكومة في المدن السومرية انما قد تركزت في عدد من المدنيين والدينيين ، فكان المسئول المدني يسمى «انسي» ، وكان مسئولاً عن الشؤون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تتصل بعمليات الري ، وأما وظيفة «لوجال» Lugal ، بمعنى الرجل العظيم ، فكان مسئولاً عن شؤون المدينة ، وخاصة عندما تتعرض لأخطار الحروب ، ثم سرعان ما تطورت هذه الوظيفة لتصبح أن شاغلها انما قد امتدت سلطاته الى أوسع من حكومة المدينة ، فأصبحت تعنى السيطرة على عدد من المدن المجاورة ، وأما الشؤون الدينية فقد أصبحت في يد موظف يدعى بالسومرية «ان» En بمعنى «سيد» كان يعيش في المعبد ، ويدير شؤونه الادارية والاقتصادية غير أن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت في المراحل الاخيرة من بداية عصر الاسرات السومرية ، واقتربت وظيفة آل «ان» من الجانب الدنيوي ، وانتقل صاحبها من المعبد الى القصر (١٨) .

وأياً ما كان الامر ، وسواء أكان حاكم دويلة المدينة «انسي» أو «لوجال» ، فانه لم يصل الى الحكم بمقتضى حق الوراثة ، فقد كان مبدأ «الاختيار الالهي» أساساً للملكية في العراق القديم ، وإن كان هذا لا يعني أبداً أن القوم لم يعرفوا مبدأ الوراثة ، بل إن تعاقب الابناء

=
عند السومريين ، وكل هذه الألقاب تعطى أصحابها صفة دينية في حكم بلادهم ، أو على الأقل ، إشارة الى القداسة التي يركزون اليها في ممارسة هذا الحكم ، دينياً ومدنياً ، ثم سرعان ما تطور لقب مكرب الى لقب ملك في العصر السبئي الثاني (٦٥٠ - ١١٥ ق.م) ، كما تطور لقب «ايسى» الى لقب «لوجال» أو «ملك» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وكذا

J. Hastings, Dictionary of The Bible, 1936, P. 504.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(١٨) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٥٣ .

للاباء انما كان قائما منذ عصر الاسرات السومرية المبكر — كما تشير الى ذلك قائمة الملوك السومرية — ومع ذلك فلم يكن مبدأ الوراثة هو أساس الملكية ، وقد فسر نظام التعاقب بأنه من مظاهر رضى الالهة عن ملوك الاسرة التي يتعاقب أبناؤها على العرش ، على أن الملكية ، مع ذلك ، فقد بقيت مؤسسة تعترتها جميع ضروب المشاكل ، الامر الذى أدى الى أن تفشل فى أن تصبح أداة اتحاد ، كما كانت فى مصر الفرعونية (١٩) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن التنظيم السياسى لدويلات المدن السومرية — سواء أكان فى شكل الجمعية العمومية أو الملكية — فقد كان انعكاسا لأفكار القوم الدينية ، ذلك لأن الالهة السومرية انما كانت لها جمعيته العمومية التى تضم كل الالهة — ذكورا واناثا — وكل له دوره الفعال فى مداولاتها ، وكان على رأس هذه الجمعية العمومية المعبود «أنو» — اله السماء ومالك الالهة — الذى أودع أمامه الصولجان والتاج وعصا الراعى ، وقد كانت المعبودات السومرية تصور فى شكل انسانى ، وتحكمهم عواطف انسانية ويرتدون كالبحر زيا مجدولا ، ربما كان من جلد الغنم ، رغم أنه كان يمثل سمات حياة البداوة التى انتهت منذ زمن بعيد ، هذا فضلا عن أن الملكية — كما عبرت عنها اسطورة الطوفان وقائمة الملوك السومرية — انما قد أنزلت على البشر من السماء ، وهى انما تمثل تطورا ثانيا للجمعية العمومية (٢٠) .

وعلى أية حال ، فان قائمة الملوك السومرية — وكذا قصة الطوفان — انما تقدمان لنا قائمة بأسماء المدن التى قامت فيها الملكية الاولى ، لأول مرة ، فى جنوب العراق ، فتروى أنه بعد أن شكلت الالهة (أنو وانليل

19) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. (9-7).

وفى الترجمة العربية ص ٩٤ — ٩٥

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٠ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 167-169.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 102.

S. N. Kramer, in ANET, P. 43.

E. A. Speiser, in ANET, P. 114.

وانكى و ننفور ساج) ذوى الرؤوس السوداء^(٢١) ، وأوجدت الحيوان ، وأكثر من النبات ، وبعد أن أنزلت الملكية من السماء ، قام الاله «أنو» بتأسيس المدن الخمس في * أماكن ظاهرة ، و نادى أسماءها ، وعينها كمراكز للعقائد الدينية ، وأولى هذه المدن هي «أريدو» ، والثانية «بادتبييرا» ، والثالثة «لاراك» ، والرابعة «سيبار» ، والخامسة «شوروباك»^(٢٢) .

هذا وتقدم قائمة الملوك السومرية مدنا أخرى كانت مقرا للملكية في عصر الاسرات المبكر ، بعد الطوفان ، مثل أور وأدب وأكشاك ومارى ، فضلا عما أضافته الحفريات من مدن كان لها أهميتها السياسية أو الدينية مثل لجش وأوما ونيبور وأشور^(٢٣) .

بقيت الإشارة الى أن مصدر الحكم الملكى انما كان أصلا في السماء ، مما يشير ضمنا الى أن الالهة — طبقا لمعتقدات السومريين — انما كانت هي التى تحكم البشر ، وأنها — بمقتضى هذا الحق — تفوض أو تختار من بينهم من يمارس هذه السلطة على الأرض ، وهم الحكام والملوك الدنيون^(٢٤) ، وهذا يعنى — من ناحية أخرى — أن «الملكية» هي التى أنزلت من السماء — وليس الملك — ومن ثم فلم ينظر الى الملك في العراق

(٢١) كان أصحاب الرؤوس السوداء يسكنون أرض سحر ، وهم ليسوا ساميين ولا آريين ، ولغتهم ليست سامية أو «هندوأوروبية» ، وربما كانت كتابة الوركاء التصويرية سومرية ، ومن ثم فان هؤلاء القوم ربما كانوا في جنوب العراق القديم منذ الفترة الأخيرة من عصر الوركاء ، وربما منذ فترة مبكرة من الألف الرابعة قبل الميلاد ، على أن تعبیر «أصحاب الرؤوس السوداء» ، وان كان يعنى السومريين ، فربما يعنى كذلك سكان سومر وأكدمعا ، وربما يشير في هذا النص الى البشر عامة

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 235, No. 2).

(J. Finegan, Op. Cit., P. 29

22) S. N. Kram, Op. Cit., P. 43.

(٢٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٥

(٢٤) / فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٠

القديم كاله ، وانما كئائب عن الاله ، وان كانت قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام تشير الى تأليه الحكام في العراق القديم (٢٥) .

هذا وتشير قائمة الملوك السومرية الى ارقام خيالية حددتها كفترة حكم للملوك الثمانية الذين قالت عنهم أنهم حكموا قبل الطوفان ، حيث خصصت لهم فترة ٢٤١٢٠٠ سنة ، كما أعطت ملوك «كيش» ، والتي نزلت اليها الملكية - مرة ثانية - بعد الطوفان ، وعددهم ٢٣ ملكاً ، فترة حكم قدرها ٢٤٥١٠ سنة ، ثلاثة أشهر ، ثلاثة أيام ونصف يوم ، وأكبر الظن أن مثل هذه الارقام الخيالية كفترات حكم ، انما تعكس فكرة شائعة عند أكثر الامم القديمة ، مؤداها : أن الانسان في قديم الزمان انما كان يتمتع بعمر طويل ، وصفات جسدية خارقة ، وربما أن جامع قائمة الملوك السومرية لم يكن في حوزته غير أسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان ، فاضطر الى تطويل فترة حكم كل منهم ، حتى يغطي الحقبة الزمنية التي تصورها طويلة جداً ، والتي تفصل ما بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان العظيم (٢٦) .

غير أن هذا التعليل لا ينطبق على ملوك ما بعد الطوفان ، بل اننا لو جمعنا ما ورد في قائمة الملوك السومرية (٢٧) عن سني حكم الاسر الاربعة عشر ، والتي حكمت بعد الطوفان ، لوجدناه يتجاوز اثنين وعشرين ألف عام ، بينما تقدر الفترة الزمنية التي شغلها عصر الاسرات السومرية المبكر - متضمناً مرحلة ما قبل الطوفان - لكنت في حدود ٥٠٠ الى

-
- (٢٥) انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٨٨ ص ١٤٧ - ١٥٦ .
 (٢٦) فاضل عبد الواحد ص ٦٩ - ٧٠ .
 (٢٧) انظر قائمة الملوك السومرية .
 رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٥ - ٢٥١ ، وكذا
 S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 328-331.
 A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, P. 265-266
 CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.

٧٠٠ عام ، وتؤرخ بدايتها بحوالى عام ٣٠٠ ق.م^(٢٨) ، ولعل السبب في هذه المبالغات أن قائمة الملوك السومرية اعتبرت هذه الاسر الحاكمة الاربعة عشر ، قد حكمت متعاقبة ، بينما هى فى الحقيقة كانت متعاصرة ،

وقد أثبتت بعض المصادر أن كثيرا من هذه الاسر الحاكمة انما كان يعاصر بعضها البعض الاخر .

(٤) أسرة لجش الاولى (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) :

قامت هذه الاسرة فى مدينة «لجش» - وهى الحبة الحالية على مبعده ٢٠ كيلا شمال شرق تللو - فى الفترة (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) ولم ترد فى قائمة الملوك السومرية ، غير أن الحفريات الحديثة قد كشفت عما خلفه ملوكها من تسجيلات كتابية عن تاريخها فى عصر الاسرات السومرية المبكرة ، وهكذا بدأت «لجش» تاريخها مع فجر الحضارة السومرية ، وظلت طوال تاريخها مدينة سومرية حتى انتهت فى فترة لا تبعد كثيرا عن قيام الاسرة البابلية الاولى (حوالى عام ١٨٩٤م) ، وقد ظلت منذ ذلك التاريخ مهجورة يخيم عليها النسيان حتى شغلها البارثيون فى القرن الثانى الميلادى^(٢٩) .

وكان «أورنانشة» (Urnanše) أول ملك ارتقى عرش لجش باختيار احدى الالهات ، وان أشارت النقوش الى اثنين من ملوك لجش من أسلاف «أورنانشة» هما «ان خيجال» و «لوجال شاجنجر» ، غير أنهما لم يجاوزا مرتبة الحكام المحليين ، فضلا عن عدم وجود أية صلة تربطهما بالملك «أورنانشة» ، وعلى أية حال ، فربما كان اختيار «أورنانشة» كملك على لجش بسبب أعماله الخيرة ، حيث تسجل تشييده للمعابد وعمل التماثيل للمعبودات ، فضلا عن تجديد الكثير من دور

28) M. Mallowan, Op. Cit., P. 242.

(٢٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، وكذا CAH, I, Part, 2, P. 998 (Chronological Table of The Sumerian Period).

العبادة ، ومنها معبد نانشة ومصلى ننجرسو ومعبد أنكى ومعبد دموزى — أبو ، هذا الى جانب شق القنوات ، وتشبيد سور للمدينة ، كما تشير نقوشه الى أن سفن دلون قد أحضرت له شحنات الخشب ، وهذه أقدم إشارة الى دلون فى النقوش الميزوبوتامية ، فضلا عما تشير اليه من نفوذ خارجى لأورنانشة ، تجاوز نطاق أرض سومر نحو الجنوب ، وهناك فى مدينة أور لوح حجرى عليه صورة أورنانشة واسمه ، الامر الذى ربما يدل على أنه قد حكم هذه المدينة ، أو أخضعها لنفوذه^(٣٠) .

وجاء «أكورجال» (Akurgal) على عرش لجش بعد أبيه أورنانشة ، وهناك ما يشير الى أن الرجل قد واجهته بعض الصعاب فى بداية حكمه القصير ، مع «أوش» حاكم مدينة «أوما» (Umma) بسبب النزاع بين المدينتين على مناطق الحدود^(٣١) .

وخلف «أكورجال» ولده «ايناناتوم» (Eannatum) الذى شغل فى بداية عهده بالاصلاحات الداخلية ، كشق القنوات ، وتشبيد بئر من الاجر فى معبد «ننجرسو» معبود لجش ، فضلا عن اعادة ما تهدم فى بلده على يد أهل أوما ، على أيام أبيه «أكورجال» ، وهكذا كان «ايناناتوم» — كجده أورنانشة — بناء عظيما ، بقدر ما كان محاربا عظيما ، وتدل نقوشه على أنه خاض عدة معارك دامية ، على شاطئ نهر الكاربى (Carpe) قهر فيها العيلاميين فى الشرق ، كما خاض معارك أخرى ، أخضع فيها مدن أوما والوركاء وأور وكيش ومارى ، ومن ثم فقد أصبح أهمية شخصية فى عصره ، وارتفع بها شأن لجش الى درجة قد تجعلها زعيمة المدن السومرية ، فضلا عن أن تهبه الالهة «انانا» ملكية كيش ، الى جانب عرش لجش^(٣٢) (Lagash) .

30) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 53, 303-309.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 116-117.

وكذا

G. Bibby, Looking for Dilmun, (Penguin Books), 1972, P. 63.

31) S. A. Kramer, Op. Cit., P. 53.

32) D. O. Edzard, in Sumer, 15, 1959, P. 23.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 309-310.

على أن أهم حروب «اينانثوم» انما كانت ضد مدينة «أوما» (تلك خوخة) — وتقع على مبعدة ٣٠ كيلا شمال غرب لجش — بسبب النزاع على منطقة الحدود بين المدينتين ، وعلى قناة المياه التي كانت تغذى هذه المنطقة وتسمى «فرع جرسو» ، وهي قناة تبدأ عند المدينة القديمة «زابالام» شمالي أوما ، ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي ، على مدى ٥٠ كيلا ، حتى تصل الى جرسو ، ثم تنتهي عند «نيننا» ، ويبدو أن الحدود كانت في صالح لجش ، ومن ثم فقد رأت أوما أنها تجور على جزء من أراضيها ، ولهذا فقد كانوا كثيرا ما ينتهزون أية فرصة للاغارة على هذه الحدود ، والاستيلاء على الارض المتنازع عليها ، غير أن أهل لجش انما كانوا يتبرون هذه الارضين ملكا خاصا لمعبودهم «ننجرسو» ، وبالتالي فان الاستيلاء عليها هو بمثابة اهانة لربهم ننجرسو ، وعلى الملك — وهو نائب الاله — أن يثار لكرامته (٣٣) .

وفي الواقع أن قصة الصراع بين لجش وأوما على موارد المياه وحدود الزراعة ، انما قد بدأت قبل ذلك ، عندما كانت مدينة كيش تمارس سلطانا واضحا على سومر في أيام «مسليم» Mesilim الذي دانت له بالولاء لجش وغيرها من المدن في جنوب العراق ، وفي خلال حكمه كان «لوجال — شاج — انجر» يشغل منصب «ايشاكو» لجش ، ويدين له بالولاء ، وهناك من عهده نص على رأس دبوس نذرى ضخم في لجش يشير الى هدايا أرسلها «مسليم» الى ننجرسو (نين جرسو) رب لجش ، وربما شارك أيضا في ترميم معبده الكبير ، وقد جاء في النص «مسليم ملك كيش ، الذي بنى معبد ننجرسو ، قد أودع رأس هذا الدبوس ، حين كان لوجال شاج أنحور ، ايشاكو على لجش» .

وهكذا استطاع مسليم أن يقوم بدور الحكم بين أوما ولجش ، وربما كان ذلك بناء على رغبة الفريقين المتنازعين وقد أفلح — فيما يبدو —

33) T. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 103-104.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 118.

وكذا

في وضع خط للمضدود بين المدينتين ، وافق عليه الطرفان في معاهدة تضمنت ذلك الامر ، وصبغت بالصبغة الدينية ، فلقد كان «انليل» هو الذي أشرف على مؤتمر الصلح ، وقامت المعاهدة بناء على رغبته ، ولما كان لانليل من مكانة بين المعبودات الاخرى ، فقد نفذ «ننجرسو» أوامره ، وأما الملك «مسليم» فقد قام بالدور الذي رسمته له معبودته «كادي» ، ومن ثم فقد قام بتسجيل المعاهدة التي أملاها الالهة أنفسهم ، وهكذا نستطيع أن نخلص من ذلك بحقيقة عن مركز الملكية في هذه المرحلة مؤداها : أن الملك أو الحاكم (الايشاكو) انما كان وكيلًا للمعبود ، أو وزيرًا له ، يعرف شئون المدينة ويدبر أمورها طبقا لرغبة الاله ، ومن ثم فإن اشهار الحرب انما كان يعنى حربا بين المعبودات ، كما كان وضع الحدود انما يتم بناء على اتفاق المعبودات كذلك (٣٤) .

هذا — وطبقا لما جاء في لوحة العقبان (٣٥) — فلقد قام «اينانوم» بحملة على مدينة «أوما» فأوقع بها هزيمة منكرة وذلك بسبب اعتداء «أوما» على منطقة «جوا دين» (Gu - edin) والتي وصفت بأنها كانت اقطاعية خاصة للمعبود «ننجرسو» ، وبسبب رفع لوح الحدود الذي كان قد أقر هناك بين البلدين على يد «مسليم» ، ثم غزا سهل لجش ،

(٣٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٢ ، وكذا G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, 1929, P. 2-3.
(٣٥) لوح العقبان (The Stile of The Vultures) : لوح حجرى أقامه «اينانوم» عند الحدود القديمة بين لجش وأوما نخليدا لذكرى انتصاره على أوما ، وقد عثر عليه في حفائر لجش (تلو) ، وهو من الحجرى الجبرى ، وكسراته محفوظة حاليا في متحف اللوفر بباريس ، وقد سمى بلوح العقبان بسبب مناظر مجموعة من العقبان أو النسور مثلت حلقة تحمل في أفواهاها ومخالبها صرعى أوما وأشلاءهم ، أما مقاتلو لجش الذين لقوا حتفهم في ميدان القتال فقد صورت نقوش اللوح تكريمهم بدفنهم وتقديم القرابين لهم ، وقد مثل الاله ننجرسو بحجم ضخم ولحية طويلة وقد سجل حاكم أوما على لوح قسمه بكل الالهة ألا يعتدى مرة أخرى على أراضي الحدود أو جسورها أو قنواتها أو يقتلع ألواح الحدود (محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٨ ، وكذا (S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-313.

ويبدو أن المعركة أشهرت بكلمة من «ننجرسو» — محارب انليل — وأن
اهلاك أهل أوما إنما تم بتدخل من انليل نفسه ، ذلك المعبود الهام الذي
تتركز عبادته في نيبور ، وصاحب الكلمة الأخيرة في اعطاء النصر لمن
يشاء ، وأن «اينانتوم» كان قد تضرع — قبل بدء القتال — الى
ننجرسو ، ملتصبا عونه ومشسورته ، وقد تجلى ننجرسو لاينانتوم ،
وأعلنه أنه هو المختار للانتقام والاخذ بالثأر ، وانبطح «اينانتوم» على
وجهه ، وشهد رؤيا ، شهد «ننجرسو» نفسه يقف الى جانب رأسه ،
ويعده بالنصر على أعدائه ، وأن «نابار» اله الشمس سيضيء المدينة ،
ويقف الى يمينه ليشد أزره ، وقام «اينانتوم» لينفذ ما أمر به المعبود ،
وتقدم جيوشه الى أوما .

ودارت المعركة بين الفريقين ، وسرعان ما انتهت بنصر مبین للملك
«اينانتوم» على عدوه «أوش» وقتل من أعدائه ٣٦٠٠ رجلا (وفي قراءة
أخرى ٣٦٠٠٠ رجلا) ، ثم تقدم نحو أسوار أوما فدكها دما ، وسرعان
ما سقطت المدينة تحت بأسه ، فأعمل فيها السيف في إبادة كاملة
كالمصفاة المجتاحة ، ثم جمع جثث القتلى من رجاله ، وترك القتلى من
أعدائه في العراء ، الا من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الاسوار
فريسة للجوارح والضواري ، ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بلوحة
العقبان .

وكان من نتائج المعركة أن أعيد سهل «جوادين» (جوادنا) فور
انتهاء القتال الى لجش ، وبذلك استردت «الضبيعة المحبوبة» —
«ننجرسو» ، وأعيدت اليه ، وأعاد «اينانتوم» تخطيط الحدود لصالح
دولته ، وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة أعاد بمقتضاها النصب
القديم الى مكانه ، وحفر رجاله خندقا كبيرا على طول الحدود ، وأقاموا
عدة نصب على امتداده ، وبنوا على جانبيه عدة مزارات لمعبوداتهم
لتكون رادعا للعدوان ، ويبدو أنه كان من المفروض أن تجري المياه الى
الخندق من قنوات أوما المهزومة ، وأراد اينانتوم أن يخفف وقع الهزيمة
على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من أرض الحدود ، على أن يؤديوا

الضرائب عنها ، وذكرت نصوصه أن رجاله حفروا قناة كبيرة امتدت الى خزان كبير متسع عند مدينته لجش^(٣٦) .

وهكذا يمكن القول أن لجش في عهد «ايناناتوم» قد تحولت من مدينة الى دولة تضم المدن السومرية الكبرى ، ثم اشهرت الحرب على الشمال واستطاعت أن تهزمه — أو ترده على الاقل — كما أوقفب أطماع عيلام وردتها مقهورة ، وأغلب الامر أن الاستيلاء على أور والموركاء ولارسا وكيش ، وربما اريدو ، حتى تحولت هذه المدائن الى أقاليم تتبع لجش ، قبل أن تحاول كيش وأوبس الدخول في معركة معها ، بقصد صد أطماعها عن الشمال ، وكانت نتيجة الصراع مع أوما والانتصار عليها ، أن أصبحت لجش زعيمة مدن بابل قاطبة ، وقد عنى «ايناناتوم» بتقوية حصونها وخط دفاعها وتدعيم أسوارها ، كما عنى بشق القنوات وتطهيرها ، وتشبيد المعابد والمهاكل لمختلف المعبودات التي نصرته على أعدائه^(٣٧) .

وخلف «ايناناتوم» في حكم لجش أخوه «ايناناتوم» الاول (Enannatum, I) ، ومن عجب أن ينتقل العرش الى الاخ ، وليس الى الابن ، غير أن الاخ لم ينل العرش عنوة ،و من ثم نراه يشير في نقش عثر عليه في الحبة بأنه «الاخ المحب لـ «ايناناتوم» ايشاكو لجش»^(٣٨) .

(٣٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، عبد العزيز صالح : المرجة السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٣٨ - ٣٩ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣٣ - ٢٣٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 136-137.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-315

M. Lambert, in RA, L, Paris, 1960, P. 141-146.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 71-73.

(٣٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٨

(٣٨) نفس المرجع السابق .

وعلى أية حال ، فلقد كان «ايناناتوم» باراً بأربابه ، فأقام لها المعابد وزينها بالذهب والفضة ، وزودها ببعض الملحقات من المخازن والابار ، وهناك نقش على قطعة حجرية يزعم فيه «ايناناتوم» أنه منح ملكيه لجش ، وأنه قبض بيديه على البلاد الاجنبية ، وألقى بالارض العاصية تحت قدميه ، غير أن هناك ما يشير الى أن حاكم أوما قد هاجم لجش على أيامه ، وأنه قد هلك أثناء الدفاع عن مدينته (٣٩) .

وجاء بعده ولده «انتمينا» Entemena الذي استمرت الحرب في عهده بين لجش وأوما ، وقد نجح في قهر عدوه ملك أوما ، الذي فر من الميدان ، غير أن «انتمينا» استمر في القتال ، حتى في داخل أوما ، ومع ذلك فلم تنته الحرب بين الفريقين ، ذلك لان حاكم أوما الجديد (ايل) سرعان ما منع الماء عن القناة الى تروى أملاك المعابد في منطقة الحدود ، مدعياً أنه تجرى في أراضيهِ ، وبالتالي فقد وضع يده عليها ، الامر الذي اضطر «انتمينا» الى شق قناة جديدة من نهر الدجلة مباشرة لميزود القناة التي تروى أراضي الحدود بالمياه ، و انتهى الصراع ، آخر الامر ، بإعادة ألواح منطقة الحدود الى مكانها ، فضلاً عن تشييد بعض المباني في المنطقة (٤٠) .

وجاء بعد «انتمينا» — والذي يعد عهده من أعظم العهود في لجش ، حربياً ومعمارياً — ملوك ضعاف ، بدأوا بولده «ايناناتوم الثاني» الذي تجدد على أيامه الصراع بين لجش وأوما ، والذي تشير نصوصه الى أنه قد استعاد بيوت صناعة الجعة الخاصة بالمعبود «ننجرسو» الامر الذي يشير الى أن «أوما» كانت قد استولت عليها (٤١) .

وجاء بعد «ايناناتوم الثاني» على عرش لجش «انتازرى»

39) F. A. Ali, New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973, P. 29.

M. Lambert, La Period Presargonique, in Sumer, 8, 1952, P. 206

40) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 314-316

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 119

41) Ibid., P. 213-216.

Enetarza ، وفي عهده فقدت لجش مكانتها المتفوقة ، حتى أنها تعرضت لغارة من جماعة عيلامية ، بلغ عددها ٦٠٠ رجلا ، وان انتهى الامر بقهر هذه الجماعة ، وأسر ٤٥٠ رجلا منها^(٤٢) .

وجاء بعد «انتارزي» «لوجال أنداء» (Lugal anda) ، وكل معلوماتنا عن عهده القصير الذي لم يتجاوز سنوات سبع ، أن لجش قد تبذلت الهدايا مع «أدب» (بين لجش ونيبور)^(٤٣) .

وجاء بعده على عرش لجش «أورو كاجينا» (Urukagina) — والذي ينطقه البعض «أورو أنيمكينا»^(٤٤) — وقد انتحل لقب «لوجال» في عام حكمه الثاني ، والذي دام ثمانية أعوام أنجز فيها الكثير من المعابد فضلا عن شق قناتين^(٤٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا — وقبل الحديث عن إصلاحات أوركاجينا الإدارية — الى أن الحكام السومريين انما قد ردوا انتصاراتهم الى آربابهم ، كما حرصوا على استفتاء وحيهم وطلب عونهم ، الامر الذي شجع كهنة أولئك الارباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير في ظل دلوكمهم ، وعلى أن يشاركوهم قيادة الجيوش لحماية دمار مدنهم ، كما شجعهم على أن يذكروا أسماءهم الى جانب أسمائهم ، وقد سمحت لهم هذه الاوضاع بأن يزدوا ثراء معابدهم ، ويضاعفوا التزامات السكان ازاءها ، بل ويشتطوا في تحصيل نصيب وافر من الضرائب على كل ما كبير وصغير ، حتى على جز صوف الغنم ، وعلى طلاق الرجل لزوجته ، وعلى دفن الموتى . . . وهكذا زاد نفوذ الكهان

42) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 331.

43) M. Lambert, Op. Cit., P. 210.

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.

وكذا (٤٤) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٣ .

45) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 120.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317,319.

وكذا

وتتضخم ، حتى أصبحوا يشاركون الحكام في أهميتهم ، ان لم يكونوا قد طغوا على نفوذهم^(٤٦) .

واستمر الوضع هكذا ، حتى جاء «أوروكاجينا» (Urukagina) الذى وجه همه الى الاصلاحات الداخلية ، وتعهد أن يحد من دخل الكهان ، ويمنع الرشا ، ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين ، فأصدر عدة قرارات تحدث فى بدايتها عن المساوىء التى سبقت عهده ، وكيف كان الكهنة والموظفون يغتصبون فيها أرزاق العباد ، ويستغلون مزارع المعابد وماشييتها ، كأنما هى ملك خالص لهم ، ويشتمون حتى فى أمور الدفن ، وأعلن فى أحدها كيف أقر ربه بأسه فى قلوب ست وثلاثين ألفا من رعاياه ، وكيف وفقه الى أن يسير على هديه ، ويعيد الاهلين الذين قاسوا المظالم .

هذا وتعد اصلاحات «أوروكاجينا» أقدم ما سجله التاريخ من تشريعات ادارية ، وقد اهتم فيها بالقضاء على المفساد السابقة ، وتخفيف الضرائب عن كاهل الناس ، والعفو عن المسجونين بسبب عدم الوفاء بهذه الضرائب ، كما خفف عن الملاحين عبودية العمل فى مراكزهم لمصلحة نظار الملاحة ، وعن الرعاة عبودية العمل وراء الحمير والاغنام لمصلحة نظار الماشية ، ومنع أثرياء القوم من أن يشتروا دورا تجاور أملاكهم ، الا برضى من أصحابها ، والا بدفع ثمنها ، وأعلن — أمام ربه نجرسو (نين جرسو) مسئوليته عن الارامل والايمى ، وعن حماية الفقراء من الاغنياء ، كما خفض مرتبات الكهان الى النصف ، وألزم العرافين فى المعابد بتقديم نبوءاتهم بدون من مقابل ، بعد أن كانوا يشتطون فى تقدير أجورهم ، والزام الناس بدفعها^(٤٧) .

(٤٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ .

(٤٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ، وكذا

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317-322.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 142.

M. Lambert, Les reformes d'Urukagina, in Revue d'assyriologie, V, 1956,

على أن انصراف «أورو كاجينا» الى اصلاحاته الداخلية ، فضلا عن عدم الاهتمام بما كان يدور حوله في «أوما» — عدوة لجش اللدود — انما أعطى الفرصة لحاكم «أوما» (لوجال زاجيزي) لأن يقوم بهجوم خاطف على لجش ، فأضرم النار فيها ، ونهب ثرواتها ، واستولى على معابد الارباب فيها ، وحطم أصنامها ، وقد سجل أحد كتبة لجش ما أصاب بلده على لسان مليكه ، فقال : «ان رجال أوما باحتياجهم لجش ، انما قد ارتكبوا اثما عظيما ضد ننجرسو ، ان القوة التي منحت لهم ستؤخذ منهم ، ليست هناك من خطيئة أو ذنب على أورو كاجينا ، ملك جرسو ، أما عن «لوجال زاجيزي ، ايشاكو أوما ، ألا فلتحمل ربيته نيدايا ائمه فوق رأسه» (٤٨) .

(٥) عهد لوجال زاجيزي وتوحيد المدن السومرية :

عرف «لوجال زاجيزي» Lugal Zaggesi كجل سومي ، كتب له نجحا بعيد المدى في أن يخضع المدن السومرية جميعا ، وأن يؤسس دولة كبيرة ، وان كان عمرها قصيرا ، لم يتجاوز ربع القرن ، — طبقا لما جاء في قائمة الملوك السومرية ، وان كان هناك من جعلها ٢٩ عاما (٢٤٠٠ — ٢٣٧١ ق م) ومن جعلها ٢٤ سنة (٢٣٤٠ — ٢٣١٦ ق م) (٤٩) ، وأيا كان الصحيح في هذه الأرقام ، فالذي لا شك فيه أنها كانت أكبر من أية دولة استطاعت أية «دويلة سومرية» أن تضمها داخل حدودها ، ثم نقل عاصمته من «أوما» الى الوركاء (أوروك) ، واعتبر نفسه ملكا على سومر (لوجال كالاما) .

48) G. A. Barton, Op. Cit., P. 90-91.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 323.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. Bux, Op. Cit., P. 138.

(٤٩) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 59, 323.

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.

هذا وقد عثر في نيبور على قطع من أوان تكمل بعضها البعض — وقد كرسنا لانليل — استطاع الباحثون من ورائها أن يجمعوا نصا بالغ الأهمية عن «لوجال زاجيزي» ، ويبدأ النص بمجموعة من الالتفات . ثلثها قائمة بالبلاد التي أخضعها ، وحدود دولته في العصر الذي سجل فيه النص ، ثم يقول النص بعد ذلك «عندما عهد انليل رب الدنيا بملكية هذه الأرض الى لوجال زاجيزي ، وهياً له النجاح في أعين البلاد ، أقر المعدالة في الأرض ، وغلب بأسه البلاد من مشرق الشمس الى مغربها . وفرض الجزى على أهلها ، وحقت السيادة له حينذاك . من البحر الاسفل والدجلة والفرات الى البحر الاعلى ، واستقرت أحوال البلاد في سلام . وسقيت الأرض بماء السعادة ، وأحلوه في هياكل سومر ليكون اينساكو . وفي الوركاء ليكون كاهنا أكبر ، عنئذ جعل الوركاء تلتئم فرجا . انه كثور رفع رأس أور الى السماء ، وروى لارسا — مدينة اله الشمس المحبوبة — بماء السرور ، وأما أومما المدينة المحبوبة ... فانه رفعها للقوة الممجة ...» .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن هناك عبارة غامضة في النص يذهب فيها لوجال زاجيزي ، أن انليل انما حقق له السيادة من البحر الاسفل الى البحر الاعلى ، أما البحر الاسفل أو الادنى فهو الخليج العربى . وأما البحر الاعلى فهو من الصعوبة بمكان أن يكون «بحيرة رومية» أو «بحر قزوين» ، وانما هو البحر المتوسط ، وهنا يجدر بنا أن نتساءل : هل اشتملت دولة لوجال زاجيزي حقا شمال العراق وسورية حتى شاطئ البحر المتوسط ؟ .

في الواقع أن ذلك مستبعد جدا ، فليس هناك من دليل عليه . أو اشارة واضحة تؤكدده ، بل ان علاقته بـ «أكد» نفسها ليس من دليل عليها كذلك ، وأغلب الامر أن حدوده لم تزد عن بلاد سومر نفسها ، وأن النص لا يحتمل هذا التخريج ، خاصة وأنا سنلتقى بعد قليل بمدينة كيش تبسط سيادتها على بابل الشمالية .

وأيا ما كان الامر ، فسرعان ما ينتهى حكم «لوحال زاجيزى» — وهو الملك الوحيد فى أسرة الموركاء الثالثة — على يد «سرجون» الاكدي ، وكان هذا فى الواقع أمرا خطيرا ، فهو يعنى أولا : انتقال السلطة من السومريين الى الساميين ، هو هو يعنى ثانيا : نهاية عصر الاسرات المبكر لحكومات المدن فى تاريخ العراق القديم ، وبداية عصر جديد ، يتغير فيه النظام السياسى للبلاد ، حيث تنتقل من حكومة المدينة الى حكومة الدولة ، الامر الذى تم على أيدي الساميين ، دون سواهم من سكان العراق القديم ، حتى هذه الفترة (٥٠) *.

(٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ — ٤٠٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 58-59, 323-324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. A. Barton, Op. Cit., P. 98-99.

الباب الثالث

العصر الاكدي

(٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م)

الفصل الأول

السياسة الداخلية

(١) الساميون في جنوب العراق :

منذ الالف الرابعة قبل الميلاد ، بدأت هجرات الساميين من موطنهم الاصلى في شبه الجزيرة العربية^(١) ، الى سهل دجلة والفرات في موجات متتالية ، وقد أشرنا من قبل ، الى وجود علاقات بين سكان شرق الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك في خلق نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فهناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الادوات الحجرية والمنتجات البحرية. إبان عصر المعبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية حدثت على المدى الطويل من شرق الجزيرة العربية تجاه الوادى الغرينى في جنوب العراق^(٢) .

وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التى تنتمى الى حضارة المعبيد في بلاد العرب — وخاصة تلك التى تقع على طول الساحل — قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هذه تتمثل في الاصداف واللائى والمنتجات البحرية الاخرى ، فضلا عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل شبه الجزيرة العربية ، هذا فضلا عن أن وجود حجر الوبسيديون في مواقع الجزيرة العربية ، انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق .

(١) قدم الباحث دراسة مفصلة عن موطن الساميين الاصلى (محمد بيومى مهران : الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - الرياض ١٩٧٤) .

2) A. H. Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami Florida, 1974, P. 1-19.

ولعل من الجدير بالاشارة أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، انما قد توافقت زمنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، الامر الذي قد يشير الى أن هجرة كبيرة من سكان شرق الجزيرة العربية قد نزحت الى العراق القديم في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق ، انما كان حاسما في قيام المراكز المدنية هناك^(٣) .

وهكذا - وبمرور الايام - استطاع هؤلاء القادمون من شبه الجزيرة العربية أن يكونوا لهم - الى جانب السومريين - مدنا ، لكل منها أمير يحكمها ، ومعبد تقام فيه طقوسها ، والاله يحميها ، وكان الساميون الاوائل أقل حضارة من السومريين ، فأخذوا عنهم الكتابة والعمارة والدين والنظم الادارية ، ثم سرعان ما بدأت المدن السومرية ترتطم بمنافسة خطيرة من مدن الساميين - الاكاديين - ثم أبدى الاكاديون (الاكديون) تفوقا عسكريا ساحقا انتهى بهم الى السيطرة على البلاد ، على أيام أول ملوكهم «سرجون الاول» (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق م)^(٤) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن الساميين ، ربما كانوا هم الذين سبقوا السومريين الى جنوب العراق القديم ، فلقد وجدت في أقدم الوثائق السومرية من الالف الثالثة قبل الميلاد ، أسماء وكلمات سامية متفرقة ، مما دفع البعض الى القول بأن أصحابها هم أسلاف الساميين الذين سبقوا السومريين في الاستيطان بالقسم الجنوبي من السهل الميزوبوتامي ، وفرضوا كلماتهم على اللغة السومرية ، ومن هذه الكلمات غير السومرية تسميات نهري دجلة والفرات وديد من مدن جنوب العراق ، فضلا عن أسماء بعض الحرفيين مثل الفلاح والراعي

3) Ibid., P. 19-20.

(٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧١ ص ٣٤ .

والنسباج وصانع المسال والناجر والنجار ، ويبدو أن بعض أسماء هؤلاء الحرفيين ساميا ، وخاصة «نانجار» والتي تعنى في لغتنا العربية «نجار»^(٥) .

وهناك منذ بداية العصر التاريخي الكثير من الأسماء السامية ، مثل «ايل» بمعنى اله ، وقد اتخذت كتسمية لاله سامي ، وكذا «الوليم» ، وهو اسم سامي حمله ملك اريدو ، وهو أقدم ملك لأول حكومات المدن التي نزلت عليها الملكية ، كما كان نزول الملكية — للمرة الثانية بعد الطوفان ، في مدينة «كيش» التي يبدو أنها كانت مركزا للعناصر السامية ، فقد حمل أكثر من اثني عشر من ملوكها الثلاثة والعشرين أسماء سامية ، بل وقد انفردت كيش ، دون غيرها من مدن جنوب العراق القديم بقيام أربع أسر حاكمية أبان عصر الاسرات السومرية المبكر ، الامر الذي يشير ، دونما ريب ، الى مركزها المتفوق^(٦) .

وعلى أية حال ، فان تجمع العناصر السامية انما كان في جنوب العراق ، وذلك لمجاورة هذه المنطقة منطقة الفرات الاوسط التي وفدت منها الهجرات السامية التالية ، منذ مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، ومن ثم فقد أطلق على هذه المنطقة — وتضم بابل وكيش وأكد — «أرض أكد» ، بينما أطلق على القسم الجنوبي — والذي يمتد من نيبور شمالا ، وحتى اريدو جنوبا — «أرض سومر» ، وعلى أية حال ، فرغم أن التوزيع الجغرافي للمواقع الاثرية التي وجدت بها النصوص التي تذكر أسماء الاعلام السامية انما يدل على أن الاكديين انما كانوا منتشرين في رقعة جغرافية واسعة نسبيا ، فانه من الصعوبة بمكان تحديد فواصل محددة

(٥) محمد عبد اللطيف المرجعي السابق ص ١٨٢ — ١٨٣ ، وكذا S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 156-157.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 41.

(٦) عبد الكريم عبد الله : ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الاكديّة — مجلة سومر — العدد ٣٠ — عام ١٩٧٥ ص ٦٥ — ٧١ ، وكذا

M. Mallowan, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 272.

C. J. Gadd. Op. Cit., P. 109.

لمناطق الاستقرار السامى والسومرى فى عصر الاسرات المبكر ، خاصة وأن الاسماء السامية وردت فى أسرات الموركاء وأور السومرية ، كما وردت الاسماء السومرية فى أسرة كيش ، هذا فضلا عن أن مدينة سينار — وهى فى شمال أكد — ترد فى أسطورة الطوفان السومرية ، كواحدة من المدن السومرية الخمس التى نزلت عليها الملكية من السماء^(٧) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أننا لا نستطيع أن نؤكد أن «الأكديين» انما كانوا ينتمون أصلا الى «المارتو» الساميين ، الذين وجدوا على التخوم الغربية لمنطقة الفرات الاوسط ، وقد وصفهم السومريون بالبداوة^(٨) ، غير أن مثل هذا الافتراض انما يبدو مقبولا ، فلقد تركزت العناصر السامية التى نزلت الى السهل الميزوبوتامى فى تواريخ لاحقة — وخاصة الاموريين — فى نفس المنطقة التى وجد فيها «المارتو» ، كما تعتبر شبه الجزيرة العربية — وخاصة أطرافها الشمالية — هى المنطقة التى صدرت عنها الهجرات السامية فى العصر التاريخى ، ونقرأ فى نقش مشهور للملك الأكدي «سرجون الاول» ، ما يفهم منه صراحة ، أنه وعشيرته قد نزحوا الى العراق من شبه الجزيرة العربية^(٩) .

هذا فضلا عن أن الاموريين انما قد وجدوا فى نفس المنطقة التى شغلها «المارتو» Mar - Tu وأنهم قد هددوا أسرة أكد نفسها ، الامر الذى اضطر الملك الأكدي «شاركالى شارى» (٢٢٥٤ — ٢٢٣٠ ق.م) خامسة ملوك هذه الاسرة الى القيام بحملة ضدهم ، وتفيد تسمية العام الثانى من حكمه بأنه العام الذى «قهر أمورو عند باصار» فيه ،

(٧) فاضل عبد الواحد على : السومريون والأكديون — كتاب العراق التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, in ANET, 1966, P. 43.

(٨) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 286-287.

(٩) سبتينو موسكانى : الحضارات السامية القديمة — ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر — القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٣ — ٥٤ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٢٦ .

و«باصار» اسم مكان يضم مجموعة من التلال في الصحراء السورية العربية ، ويطلق عليه حاليا اسم «جبل بشرى» ، ويقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ (بالخ) في الفرات ، في غرب «دير الروز» الحالية ، ومن المؤكد أن جهد «شار كالى شارى» انما كان جهدا دفاعيا ، ذلك لان الرجل لم ينتقل بعد ذلك الى منطق أبعد في الشمال الغربى ، كما يرجح أن الهدف من الحملة انما كان صد خطر الاموريين الساميين الذين يبدو أنهم أرادوا الافادة من ضعف دولة أكد ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى بغية تحقيق حياة أفضل لأنفسهم^(١٠) .

وسرعان ما ازداد خطر الاموريين في أخريات الالف الثالثة قبل الميلاد ، وانتهزوا فرصة انهيار أسرة أور الثالثة (٢١١٣ – ٢٠٠٦ ق.م) ثم سقوطها على أيدي العيلاميين ، لينزحوا نحو السهل الميزوبوتامى ، ويقوموا لهم حكما في كل من آشور وبابل (وتسمى في اللغة البابلية «باب – ايلو» بمعنى باب الله) في بداية الالف الثانية قبل الميلاد (أسرة بابل الاولى)^(١١) .

(٢) سرجون الاول (٢٣٧٠ – ٢٣١٥ ق.م) :

كان سرجون الاول أول زعيم سامى استطاع أن يؤسس أول دولة كبيرة في العراق القديم ، كتب لها نجما بعيد المدى في تشكيل مستقبله السياسى خلال فترة تزيد عن القرن ونصف القرن ، وفي أن تذهب بولاء الافراد والجماعات لمدنهم وزعمائهم المحليين ، الى الولاء للدولة في

(١٠) محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى القديم – الجزء الثامن – بلاد الشام – الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٦٢ – ٦٣ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, The Dynasty of Agade and The Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455.

J. Bottero, Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 327.

11) W. Hinz, Ptrsia, C. 2400-1800, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 659.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 71.

مجموعها ، ولحاكمها الاعلى الكبير ، ودعت الى نوع من تعظيم أولى الامر الكبار ، زكى لدى بعض أهل العراق القديم فكرة تقديس الحكام ونعتهم بنعوت الربوية ، وان لم يسلم جميعهم بهذه الفكرة على سواء ، وأدخلت معها ألفاظ ومسميات سامية وجدت سبيلها الى لغة الدين والادب وأسماء الافراد ، فأدخلت الى الدين اسمى «سين» و «شمش» ربي القمر والشمس ، الى جانب اسميهما السومريين القديمين «ننا» و «أوتو» واسم المعبودة «عشتار» ربة الزهرة ، التى نافست «انانا» السومرية ، ثم حلت محلها ، كما أدخلت معها بعض صفات ربانية مثل «بعل» بمعنى سيد ، و «ايل» (أو ال) بمعنى اله ، وألقبا كهنوتية مثل «أشيبو» بمعنى كهنة الطقوس ، وعددا كبيرا من أسماء الافراد ، كان من أطرفها اسم يقرب من اسم «اسماعيل» وذلك فضلا عن لقب «شارو» بمعنى ملك ، وقد حل محل لقب «لوجال» السومرى (١٢) *

هذا — وطبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية — فان «سرجون» — وصحة اسمه فى اللغة الاكادية «شرو — كينو» Sharru - Kenu ومعناه حرفيا «الملك المكين» أو «الرئيس القوى» — ومن الواضح ، فيما يرى الدكتور حسن ظاظا ، أن هذا لم يكن اسمه ، وانما لقبه بعد توليه الحكم المطلق فى العراق ، وأنه (أى سرجون) هو الذى أسس مدينة «أكّد» — كما ينطق اسمها فى الاكادية ، و «أجادة» فى السومرية — وتقع على مقربة من «كيش» فى جنوب العراق ، فى نقطة غير محددة بعينها ، على وجه اليقين ، وان رأى «أندريه بارو» أنها ربما كانت قرية الدين ، وتقع على مقربة من ناحية اليوسفية ، وعلى مبعدة ١٨ كيلا غربى بغداد ، فيما يرى آخرون ، وأنه قد حكم ٥٦ عاما ، وأن أباه كان بستانيا ، وأنه هو كان حامل الكأس للملك «أور — زابابا» (١٣) *

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦

(١٣) أندريه باورو : بلاد آشور — ترجمة عيسى سلمان سليم التكريتى — بغداد ١٩٨٠ ص ٣٣١ ، محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ٦٩ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٤—٣٥ ، وكذا

E. Weidner Das Reich Sargons Von Akkad, in AFO, 16, 1952 P 1-24.

هذا وقد كشف في «نينوى» عن رأس أغلب الظن أنها تمثل
(«سرجون» ، وهي محفوظة الآن بمتحف بغداد ، وتمثل شخصية حقيقية
عاشت في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتلفت هذه الرأس
نظر مشاهدها ، على الرغم من ضياع التطعيم الخاص بالعينين ، ولكن
ما زال على الوجه مسحة من خرم وعزم ، وعلى فمه ابتسامة هادئة
رقيقة ، وقد ربط شعره بعصابة عقدت عند قفا رقبته بتسريحة شعر
ثبتت بثلاث حلقات من ذهب ، وأما لحيته فشعرها منظم في هيئة خصلات
تعبّر عن عظمته وقوته ، ووضع على رأس أسرة سطرت لوطنها صفحات
من المجد والفخر (١٤) .

وعلى أية حال ، فالذي لا ريب فيه أن سرجون الأول أو الأكبر ،
انما كان قائدا عظيما ، كما كان أول من فكر في نقل العراق من نظام
الامارات أو الدويلات الصغيرة المستقلة الى وحدة اقليمية ووطنية
ضخمة ، ومن ثم فقد اتخذت سيرته في الاجيال التي جاءت من بعده
صورة أسطورية ، وكثرت من حوله الاشعار والاغنيات التي يبدو فيها ،
وقد تحول الى ما يشبه شخصية عنقرة بن شداد أو أبو زيد الهلالي في
الأساطير الشائعة عندنا ، وقد وردت أصداء من ذلك في بعض النقوش
التي عثر عليها في بلاد آشور في شمال العراق وفي بقايا الحيثيين في تركيا
وسورية ، وفي نقوش تل العمارنة في مصر (١٥) .

هذا وقد حدثنا سرجون نفسه عن نفسه ، بأنه قد نشأ في بيئة
متواضعة ، وأنه لم يعرف أباه ، وأن أعمامه استحبوا حياة الجبال ، وأن
أمه وضعت خفية في مدينة «أزوبيرانو» (Azupiranu) على ضفة
الفرات ، ثم وضعته في سلة من قصب دهنت بالقار ، وألقت بها في

(١٤) عبد الحميد زايد الشرق الخالد ص ٦٤ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., Pl. 122.

(١٥) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ، وكذا
S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, Paris, 1955
P. 52

النهر ، فاحتلمه الماء حتى انتشلته فلاح مبارك يدعى «أكى» ، وهو يعمل بشادوفه على ضفة النهر ، فاتخذته ولدا ، وعلمه صنعة البستاني ، ولما بلغ أشده أحبته «عشتار» فجعلت منه ملكا ، ويبدو أن سرجون لم يقصد بهذه الرواية اظهار التواضع ، بقدر ما تعتمد تأكيد عصاميته ، ورعاية الربة له ، ووصوله الى العرش بفضل تأييدها .

- على أن أسطورة أخرى تذهب الى أن سرجون انما كان بستافيا ، ثم أصبح ساقيا للملك «أور - زبابا» (Ur - Zababa) ، ملك كيش ، وأنه ثار ضد مولاه ، واستطاع أن يخلعه ويعتلى العرش من بعده ، ذلك لانه كان يقوم بالخدمة في معبد الاله السامي «مردوك» (مردوخ) في مدينة بابل ، وأنه قد أحسن عمله ، فتقبله مردوك قبولا حسنا ، ومن ثم فقد جعله سيدا على البلاد في مكان مولاه «أور - زبابا» الذي أراد الاخلال بطقوس عبادة مردوك بتغيير قربان الشراب بمعبد (١٦) .

على أن انتقال العرش من «أور - زبابا» ملك كيش الى سرجون ملك أكد يتعارض وما أوردته قائمة الملوك السومرية التي ذكرت خمسة ملوك بعد «أور - زبابا» (هم سيمودارا - أوسيو أثار - عشتار - موتي - ايشمى شمش - نانيا) ، ويعلل بعض الباحثين ذلك بأن «سرجون» الاكدي ، انما كان في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية ، مجرد مناوئ للسلطة الحاكمة في كيش ، وأنه لم يكن قد أقدم بعد على الانقضاض عليها واستقاطها ، على أن هناك آخرين يذهبون الى أن سرجون لم يحظ بمركز متفوق في أول عهده ، ربما لأنه شغل وقت ذاك

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 145-146.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 418-422.

E. A. Speiser, in ANET, 1966, P. 119.

E. Weidner, Op. Cit., P. 1-24.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

ثم قارن :

J. Lewey, in Hebrew Union College Annual, 19, 1946, P. 420, 480.

ببناء عاصمته الجديدة «أكد» (أجادة) والتي لم ينتقل إليها إلا بعد أن فرض نفوذه على البلاد في أعقاب انتصاره على «لوجال زاجيزي» ملك الوركاء (على مبعدة ٦٠ كيلا من مدينة السماوة ، ١٢٨ كيلا شمال غرب أور) ، ثم القضاء على مقاومة المدن السومرية المناوئة .

وأيا ما كان الامر ، فالذى لا ريب فيه ، أن سرجون الأكدي هذا ، انما يعد بحق واحدا من القادة السياسيين والعسكريين العظام في التاريخ القديم ، وأنه قد كتب له نجحا بعيد المدى ، وفي غضون فترة قصيرة ، في أن يسيطر نفوذه على كل بلاد سومر ، حتى أن أحد النصوص السومرية انما يشير الى قول مأثور «أنه غسل سلاحه في مياه البحر السفلى» أى في مياه الخليج العربى (١٧) .

هذا وتشير نصوص سرجون الى أنه قد استطاع أن يسيطر على بلاد سومر جميعها ، وأنه بدأ بالزعيم «لوجال زاجيزي» ألقابه الدينية والدينيوية ثم يخلعها على نفسه ، وربما يدخل في نطاق هذا الهدف اقامة ابنته «انخدوانا» في وظيفة كبيرة كاهنات اله القمر السومرى «نانا» (ننا — أو ننار) معبود مدينة أور ، وهو تقليد بدأه سرجون ثم استمر بعد ذلك كامتياز لأخوات وبنات الملوك (١٨) ، الامر الذى فعله كذلك الفراعين المصريون عندما جعلوا من زوجاتهم ، ثم بناتهم فيما بعد ، زوجات للاله آمون (١٩) .

(١٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
A. L. Oppenheim, in ANET, P. 267. وكذا
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324. وكذا

18) A. L. Oppenheim, ANET, P. 267.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 59.
(١٩) أنظر التفصيلات (محمد بيومى مهران — مصر — الجزء الثالث ص ٦٣٦ ، ٦٤٤ ، الحضارة المصرية الجزء الثانى ص ٦٣ ، وكذا J. H. James, in CAH, II, Part, 2. Cambridge, 1973, P. 307.
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 354.

هذا وقد اتجه سرجون — بعد القضاء على «لوجال زاجيزى» الى الهجوم على بقية المدن السومرية الهامة — الى أور ولجش وأوما — فأحرز عليها نصرا مؤزرا ، بل ان نصوصه انما تشير الى أنه قد دك هذه المدن ودمر أسوارها ، وهكذا أصبح سرجون سيّدا على كل أرض سومر ، ومنحه أنليل كل المنطقة من البحر العلوى الى البحر السفلى^(٢٠) — أى من البحر المتوسط الى الخليج العربى — وحق له حينذاك لقبه الذى ادعاه لنفسه ، وهو لقب «ملك أرض سومر وأكد» ، وتوفرت لدولته الموحدة منذ ذلك الحين امكانيات بشرية وموارد مادية ضخمة ، لم تنهيا لدويلات المدن السومرية أو السامية القديمة قبل عهده ، كما توفرت لها السيطرة على شرايين التجارة فى بلاد النهرين كلها^(٢١) .

ولعل من الجدر بالاشارة أن سرجون انما قام بكثير من الاصلاحات الداخلية ، ففى الناحية الادارية ، لم يعتمد على ولاء المدن السومرية كثيرا ، بل انه كون له أتباعا يدينون له بالولاء ، ثم أقطعهم قسما من الارضين التى كانت تتبع المعابد من قبل — الامر الذى أثار عليه الكهان فيما بعد ، فانضموا الى الثائرين ضده — وفى الواقع فان أى فاتح ما كان بمستطيع أن يطمئن على ولاء المدن المغلوبة ، وأكبر الظن أن سرجون انما قد أنشأ حاشية خاصة به ، مستغلا فى ذلك روابط الدم والنسب بالمعنى الواسع للعصبية القبلية ، الامر الذى يثير بوضوح الى أن الملوك الاكديين قد تعمدوا محاباة العنصر الاكدى على حساب العنصر السومرى ، وأسرفوا فى تأكيد مظاهر سلطانهم الفردى ، بحيث أصبح من رجال حاشيتهم من يسمى ولده «شروكين ايلى» بمعنى «سرجون المهى» ، وأصبح أنصار «نارام — سين» فيما بعد ، يرمزون اليه ، كما لو كان «اله أجاهه ، واله بلده» ، وصوروه بتاج الارباب ، على حين أصبح حكام المدن فى عهده يلقبون «بخدم الملك أو عبده» وكان فى هذا

20) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 421-422

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

وكذا

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٧ .

التطور ما يفسر تذمر أهل المدن السومرية ذوى الحضارة القديمة ، من حكم الاكديين ومحاولاتهم المتكررة للانسلاخ عن جسم الدولة منذ أواخر عهد سرجون نفسه (٢٢) .

هذا وقد حاول سرجون أن يكسب ولاء عامة القوم . ومن ثم فقد عمل على ادخال اسم الملك في العقود ، مع أسماء الالهة . وكان هذا أمرا هاما من وجهين ، الواحد : أنه يعنى طاعة الملك والتمسك بولائه . والثانى : تثبيت حقوق المتعاقدين ، ذلك لان الذى يخل بشروط العقد — بعد أن أقسم باسم الملك — انما يسئ الى الملك نفسه : ومن ثم فقد اتسعت صلاحية القضاة الذين كانوا قبل أيام سرجون أشبه ما يكونون بالمحكمين ، وقد صار حكمهم — منذ العهد الاكدي — الزاميا باسم الملك ، ومن ثم يكون سرجون ، بموجب هذا العرف الجديد . قد أوجد بوجه علمى محكمة للاستئناف فى البلاد ، مستقلة عن المدن الاخرى ، وعلى رأسها الملك نفسه ، وليس هناك من ريب فى أن هذه خطوة هامة فى تطور الشرائع فى العراق القديم (٢٣) .

على أن الامر لم يقتصر على ذلك ، بل ان سرجون — رغبة منه فى توطيد الوحدة القومية — قد أقام تقويما موحدا لكل الدولة . وكان القوم قبل أيامه يؤرخون الاحداث طبقا لأشهر وأعياد خاصة بكل مدينة ، وأخيرا فقد كان وجود حاكم فرد يدعى نفسه «ملك الجهات الاربع» (وهو لقب كان ينطق باللغة السامية «شار كبرات أربعيم») —

(٢٢) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة — تاريخ العراق القديم — بغداد ١٩٥٥ ص ١٢٣ ، هنرى فرانكفورت : فجر الحضارة فى الشرق الأدنى — ترجمة ميخائيل خورى — بيروت ١٩٦٥ ص ١٠٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٤ ، ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين — ترجمة محرم كمال (الالف كتاب رقم ٣٥) ص ١٧٥ ، وكذا H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 406.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. 74.

(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ وكذا

H. Frankfort, The Birth of Civilization, P. 75.

H. Frankfort, Kingship and The Gods, P. 406.

وكذا

(Shar Kibrat Arbaim — وفي السومرية Lugal-ul-da Limmu-Ba-
يذكر الناس دوماً بوحدة الدولة ، وان كان هذا اللقب قد اعتاد أسلاف
سرجون من قبل ، أن يصفوا به سلطان أربابهم الكبار — ولا سيما آنو
وانليل وشمش — فانتحله سرجون ، وان لم يقصد تأليه نفسه ، أو جعل
نفسه لها ، وانما ابتغى من وراء ذلك أن يقنع نفسه ، ويقنع شعبه بأنه
نائب الارباب على جهات الارض كلها (٢٤) .

هذا وقد أهتم سرجون بالجيش وأسلحته كثيراً ، ومن ثم فقد
تطورت أساليب الحرب والسلاح في عهده ، فمثلاً كانت الأسلحة
السومرية ثقيلة تعوق حركة الجنود في المناورة ، فقد كانوا يستعملون
المتروس الثقيلة على هيئة نظام الصف (Phalanx) مع الرماح الطويلة
والفؤوس الثقيلة ، فعمل الاكديون على تسهيل حركة الجنود في المناورة ،
مستعملين أسلحة خفيفة كالأقواس والنبال ، ذلك لأن الأقواس والسهام
سهلة الحمل ، لا تؤثر على حركة الجيش أثناء التقدم والانسحاب ، كما
هو الحال مع راجمات الاحجار ، هذا فضلاً عن أن ادخال طريقة المبارزة
— رجلاً مع رجل — انما هي أكثر نفعا مع الشعوب التي كانت تجهل
الاساليب المتطورة في القتال ، كما اعتمد الاكديون على الاعداد الكبيرة
في تعبئة الجيوش ، ومن ثم فقد حدثنا سرجون في أحد نصوصه أنه قاد
جيشاً قوامه ٤٤ ألف جندي ، ولعل السبب في هذه الزيادة في عدد أفراد
الجيش لم يكن بسبب حاجة أساليب القتال الى هذه الاعداد الكبيرة ،
وانما كان بسبب حاجة الجيش الى أن يترك في الاماكن التي يحتلها
أعداداً من جنوده في الحاميات العسكرية التي كان يقيمها في تلك الاماكن ،
وذلك لحماية طرق التجارة ، فضلاً عن توكيد هيبة السلطة الاكديّة في
تلك المواقع (٢٥) .

(٢٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٧ ، طه باقر :
المرجع السابق ص ١٢٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 150.

(٢٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ ، فوزي رشيد :
الجيش والسلاح — من كتاب حضارة العراق — الجزء الثاني — بغداد
١٩٨٥ ص ٤٨ - ٤٩ .

ومن البدهى أن سرجون لم ينس الاهتمام بأربابه ، ومن ثم فقد شيد لها العديد من المعابد في المدن المختلفة ، ففي نيبور مثلا ، أعاد بناء «آى كور» معبد انليل الكبير ، كما أن العثور على رأس الدبوس المشهور في سيبار ، انما يشير الى رعايته للمعبود شمش ، كما تشير مجموعة اللوحات التي عثر عليها في لجش الى روابط مباشرة بين أكد ولجش ، والى تبادل البضائع والمنتجات بينها وبين أنحاء الدولة ، فالذهب وقطعان الثيران والماشية ترسل الى أكد ، في مقابل الحبوب والبلح والمنسوجات ، كما تشير اللوحات الى روابط قوية بين لجش وبقية المدن السومرية ، مثل ارك وأومسا وأدب ، كما أن البضائع كانت ترسل من كيش ونيبور وأور ، بل ان بعض السلع انما كانت ترسل الى أسواق لجش من «ماجان» و «ملوذا» وعيلام ، وهناك اشارات الى بيع عبيد من بلاد بعيدة ، مثل جوثيو ، وأمورو (٣٦) .

بقيت الاشارة الى أن سرجون — رغم ما حققه لنفسه ولبلاده — فلقد انتهت حياته السياسية على غير ما توقعه لنفسه ، وطبقا للوحة الفأل والاختبار ، فلقد نشبت ضده ثورات عدة ، أيدتها جماهير سهل «سوبارتو» ، وقد بلغ من عنف الثوار أن حاصروا العاصمة «أكد» ، غير أن سرجون قاومهم بجيشه ، واستطاع أن يشتت شملهم ، بل وأن ينتقم من مدنيهم ، ويرجع بعض الباحثين أسباب هذه الثورات الى تشريده للنبلاء والاقوياء من قومه — بل ولآل بيته — ثم نفهم وتجريدتهم من أملاكهم وضمها لأملك التاج ، مما أثار ضده العديد من القوى التي انتهزت أول فرصة لتثور في وجهه ، وتحشد العداوة ضده .

على أن نصوص خلفائه ابتغت أن تجد تفسيراً للمتاعب التي واجهها الرجل في خواتيم عمره ، فردتها الى انتقام الهى ، فذكرت أنه كان قد نكل بمدينة بابل ، فغضب عليه مردوك ، وابتلى قومه بالمجاعة وفرق شملهم من حوله ، وقضى عليه بعدم الراحة في قبره ، ولا يعيننا من هذا

(٢٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٦ .

التفسير الدينى ، الا اعتباره صورة من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول ، وبخاصة أن عبادة مردوك لم يكن لها شأن على أيامه ، وأن نصوصه قد صورته حريصا على التقرب من أربابه ، واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للاله «آنو» ملك الارض ، والانسى العظيم للاله انليل ، وذكرت أنه ركع ذات مرة في صلاته أمام المعبود «داجان» (٢٧) .

(٣) ريموش (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق م) :-

خلف «ريموش» (Rimush) أباه سرجون الاول ، لمدة تسع سنوات ، وقد واجهته منذ مطلع أيامه ثورات عارمة في الداخل والخارج ، ومن ثم فكأن من البدهى أن يبدأ ريموش بالقضاء على تمرد المدين السومرية ضد السيادة البابلية ، وقد كتب للرجل نجحا بعيد المدى في القضاء على هذا التمرد ، وأسر زعيمه «كاكو» ملك أور ، والاستيلاء على مدينته ، وتدمير سورها الحصين ، هذا ويشير نص «انخدوانا» (Enkheduanna) - أخت ريموش ، وكبرى كاهنات اله القمر السومري «ننا» أو «ننار» في أور - الى مدى الخراب الذى حل بالمدينة . حتى أنها في وقت ما لم تقم في المكان الطيب (أى في مدينة أور - أو في معبد القمر بها) ، وكانت تقاسى من لفيح الشمس نهارا ، ومن ريح الجنوب ليلا ، الامر الذى يشير الى عدم وجود مأوى لها ، من جراء ما أصاب المدينة من تخريب ودمار على يد ريموش ، هذا فضلا عما قاسته المدينة من سوء معاملة ريموش ، لذى قتل كثيرا من مقاتليها ، وأودع من أسرى جنودها ٥٧٠٠ أسيرا في السجون ، وتقدم لنا نصوصه قوائم بأعداد القتلى من المدن الشائرة ، من أور ولجش وأومسا وأدب وزابالام (٢٨) .

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 266, 268.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 433

E. Ebeling, in Alt. Texte Zum alten Testament, P. 338

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٣ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435-436.

غير أن ريموش — رغم ذلك ، فلقد حرص — أسوة بأبيه سرجون — على اظهار تبجيله للاله انليل ، سيد الالهة السومرية ، فأقام تماثله بمعبد هذا المعبود في نيبور ، ومنها تمثال من الرصاص . يياهى الملك به ، لان أحدا لم يصنع مثله من قبل ، هذا فضلا عن تأكيد انتسابه الى أرباب كيش ، ومن ثم فقد استمسك بلقب «شارو — كيش شاتيم» ، وهو لقب وصل بينه وبين ربها «آن» وحاشيته (٢٩) .

وهناك قصة متأخرة تشير الى أنه لقي حتفه اثر ثورة في القصر ، وربما كان لأخيه «مانيشتوسو» دور في هذه المؤامرة ، غير أن بقاء اسمه في لوحات الفأل لدى البابليين المتأخرين والاشوريين ، انما هو دليل على أهميته ، وعلى أنه قام بدور هام في هذه المرحلة من تاريخ العراق القديم (٣٠) .

(٤) مانيشتوسو (٢٣٠٦ – ٢٢٩٢ ق م) :

خلف «مانيشتوسو» (Manishtusu) أخاه ريموش على عرش أكد ، ولمدة ١٥ عاما ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب رأى الى أن مدة حكمه انما كانت أعواما سبعة (٣١) ، ولعل من أهم آثاره مسلته المعروفة باسم «المسلة السوداء» التى سجل عليها جهوده السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وهناك نص من عهد الملك الاشورى «شمشى أداد الاول» (١٨١٣ – ١٧٨١ ق م) يشير الى أن «مانيشتوسو» قد بنى معبد الالهة عشتار في نينوى ، كما يشير نقش على رأسه حربة ، عثر عليه بمدينة آشور — وهى

29) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436.

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 325.

وكذا

وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ .

(٣٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، محمد عبد

اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

قلعة شرقاط الحالية ، على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى الموصل — اهداءها الى «مانيشستوسو ، ملك العالم» (٣٢) .

هذا ويشير نص أحد ألواح الفأل الى اغتيال «مانيشستوسو» في مؤامرة بالقصر ، شأنه فى ذلك شأن أخيه ريموش من قبل (٣٣) .

(٥) نارام — سن (٢٢٩١ — ٢٢٥٥ ق.م) :

خلف «نارام — سن» (Naram - Sin) ، ومعنى اسمه فى لغته «محبوب سين» (Beloved of Sin) أباه «مانيشستوسو» على عرش أكد ، ولدة ٥٦ عاما (٢٢٩١ — ٢٢٣٥ ق.م) فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب البعض الى أنها لا تتجاوز ٣٧ عاما (٢٢٥٤ — ٢٢١٨ ق.م) ، على أن هناك فريقا آخر يجعل مدة الحكم ٦٦ عاما (٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «نارام — سن» انما قد ابتدع — ولأول مرة — بدعة تأليه نفسه ، ثم وضع المخصص الدال على الاله أمام اسمه ، ولقب فى نقوش بعض الاختام التى أهداها اليه رعاياه بلقب «اله أكد» ، كما نراه على لوحة النصر يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسى «أجوم كاكازين» «عصابة السيادة — علامة الالهية» (٣٥) .

ومن البدهى أن هذا انما يمثل أسلوبا جديدا فى الفكر الدينى فى العراق القديم ، ذلك لأن القوم انما كانوا يعتقدون أن الملك بشرفان ،

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 439.

H. Lewy, CAH, Part, 2, 1971, P. 734.

وكذا

33) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٧٤ ، وكذا

J. Bottero, Op. Cit., P. 108.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣٥) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ١٧٥ ، محمد عدد

اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

يعمل في خدمة الالهة بمثابة وكيل لها ، أو نائب عنها ، لكنه لا يرقى — بحال من الاحوال ، ومهما بلغت بطولته — الى مصاف الالهة . الامر الذي يدعو الى القول بأن تأليه «نارام سن» لنفسه ، لم يجد قبولا حسنا من القوم ، وربما كانت اشارة نص «لعنة أكد» الى غضب الالهة على المدينة والحاك الخراب بها ، بمثابة رد فعل لدعوى التأليه هذه (٣٦) .

وعلى أية حال ، فان الروايات المتأخرة انما تنتهي عهده بكارثة حلت بالبلاد ، كعقاب من الالهة ، الامر الذي يذكرنا بما حدث مع سرجون من قبل ، وقد تكون أوجه التشابه الواردة في الروايات المتأخرة عن سرجون ونارام سن ، انعكاسا لتقدير الاجيال التالية لهذين الملكين اللذين عدوهما من الشخصيات العظيمة في تاريخ العراق القديم ، رغم ما وقع عليهما من عقاب الهى ، كما عرفت هذه الاجيال نارام سن بابن سرجون (٣٧) .

(٥) شار كالى شارى (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق.م) :

خلف «شاركالى شارى» (Shar - Kali - Sharri) أباه «نارام — سن» على عرش أكد ، ولدة ربع قرن ، طبقا لتقويم قائمة الملوك السومرية ، وهناك ما يشير الى أنه حاول أن يزيل ما تركه أبوه من آثار سيئة في نفوس السومريين ، الذين استهانوا بالهتهم ، وعلى رأسها «انليل» . ومن ثم فقد نالت مدينة نيبور رعايته . فشيدها بها بعض الابنية ، بل ان هناك ما يشير الى أنه قد بنى أقدم ما كتف عنه من معابد انليل في هذه المدينة (٣٨) .

هذا ، وطبقا لما جاء في لوحة الفأل ، فلقد انتهت حياته على يد أحد أتباعه .

وسرعان ما انتشرت الفوضى بعد ذلك . ولدة ثلاث سنوات . ارتقى

(٣٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣٨) أنظر :

D. E. McCown, Excavations at Nippur, JNES, 11, 1952, P. 169-170.

خلالها أربعة ملوك عرش أكد ، (إيجيجي — نانوم — أيمي — الولو) ، وربما استقرت الأمور عندما اعتلى العرش «دودو» وحكم ٢١ عاما ، ثم خلفه ولده «شودورول» ، ولمدة ١٥ عاما ، حيث ينتهي عصر أسرة أكد ، بوفاة هذا الأخير ، الذي اقتصرت أملاك أكد على أيامه — وربما كذلك على أيام سلفه — على المنطقة الممتدة فيما بين مدينتي أكد واشنونا ، هذا فضلا عن أن الملكين الأخيرين (دودو — شودورول) لم يكونا يحملان لقب «ملك» ، الأمر الذي قد يشير إلى أنهما كانا ، في أكبر الظن ، تابعين للملك جوتيوم •

هذا ، وطبقا لقائمة الملوك السومرية ، فإن الملكية قد انتقلت من أكد إلى الوركاء (أسرة الوركاء الرابعة) التي حكمت ثلاثين عاما ، انتقلت الملكية بعدها إلى قبائل جوتيوم^(٣٩) •

(٣٩) أنظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا
 J. Bottero, Op. Cit., P. 119.
 C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.
 W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 66.

الفصل الثاني

السياسة الخارجية

(١) سرجون الاول :

استطاع سرجون الاكدي — كما أشرنا من قبل — أن يجعل من المدن السومرية وحدة سياسية ، فاقت كثيرا تلك التي قام بها سلفه «لوجال زااجيزي» ، كما نجح كذلك في سياسته الخارجية (ونعني بها هنا خارج منطقة سومر — أو جنوب العراق القديم) ، حتى أن النفوذ السامي — منذ انتقال السلطة من كيش الى أكد — انما قد امتد من شمال بابل الى جانب كبير من آسيا الصغرى حتى قباد وشيا (حيث نجد مستعمرة من تجار الاكديين يعملون في تجارة الصوف والفضة) وحتى البحر المتوسط .

وهكذا اتجه سرجون الاول الى تكوين امبراطورية كان مجالها الرئيسى جهة الشمال الغربى ، وطبقا لنص كتب في أعقاب نهاية أسرة أكد، يتحدث عن خطط حملة وجهها سرجون الاول نحو الشمال الغربى، بدأت من مدينة «توتول» — وهى هيت الحالية ، على مبعدة ١٥٠ كيلا غربى بغداد — ثم الى «مارى»^(١) — على مبعدة ٢٠٠ كيلا شمال غرب توتول — ثم اتجهت الحملة الى «يارموتى» و «ابلا» ، فأما «يارموتى»

(١) مارى : كلمة سومرية من جهة الاشتقاق ، شبيهة باسم البلاد «أمورو» و «مارتو» ، أى بلاد الغرب ، وهى الان «تل الحريرى» جنوب مصب نهر الخابور ، بالقرب من «دير الروز» ، على مبعدة ١٢ كيلا ، غربى الفرات ، قرب بلدة أبو كمال (البوكمال) قرب الحدود العراقية السورية ، وقد قامت فى مارى مملكة فى الفترة (١٨٢٠ - ١٧٦٠ ق.م) هذا وقد كشف «أندريه بارو» فى عام ١٩٣٣م حوالى عشرين ألف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسمارى فى قصر الملك «زمرى ليم» آخر ملوك مارى ، وهى محفوظة الان بمتحف اللوفر فى باريس ، وقد نشرت هذه الوثائق تحت عنوان (Archives Royales de Mari) ، وقد ظهر منها حتى الان ١٦ جزءا ، وقد شارك فى هذا العمل العلمى الضخم مجموعة من الاساتذة المتخصصين (أنظر :

W. F. Leemans Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960, P. 102.

M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 46. وكذا

فتقع اما في غرب البحر الميت في فلسطين ، أو في جنوب جبيل (ببيلوس) على ساحل البحر المتوسط ، على أن هناك من يرجح أنها تقع فيما بين ماري وابلا ، أي الى الشمال والشمال الغربي من ماري — وأما «ابلا» فتقع في وادي نهر بلخ ، على مقربة من «أورشو» ، شمال شرق قرقيش^(٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان الحملة سرعان ما تتجه — بعد الاستيلاء على ابلا — الى «غابة الارز» الى الغرب من ابلا ، والتي تعنى على الأرجح «جبال الامانوس» في أقصى شمال سورية ، ثم تنتهي الحملة عند «جبل الفضة» ، ويذهب «بورتير» الى أن سرجون لم يشر في نصه الى «يارموتى» و «ابلا» كمحطتين متتاليتين في مسيرة قواته نحو الشمال الغربى . ومن ثم فالرأى عنده ، أن يارموتى انما تمثل الحد الجنوبي للتوسع الاكدي جهة الشمال الغربى ، وأن ابلا انما تمثل حده الشمالى^(٣) . وذلك لأن تعبير «غابة خشب الارز» في النص ، انما نقلت عن تعبير «جبل الارز» الذى يرد — لأول مرة — في نص حفيده «نارام — سن» . ويوصف به الامانوس ، بمعنى أن سرجون لم يقصد الامانوس بالذات ، وانما قصد غابة أخشاب الارز عامة التى تتوفر بالدرجة الاولى في لبنان ، وأعطت أهمية كبيرة لمينائها الرئيسى جبيل ، وان كان انزيميل الكريم المرحوم الاستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف يرى أنه ليس ثمة ما يدعو بالضرورة الى أن تكون «يارموتى» هى «يارموتنا» ، خاصة

(٢) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٦٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦١ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

M. Mallowan, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 296.

S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C. London, 1938, P. 375-376.

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 559.

C. J. Gaad, Op. Cit., P. 426.

3) C. J. Gaad, Op. Cit., P. 425-426

J. Bottero, Op. Cit., P. 324-325

وكد

وأن رسائل العمارنة^(٤) التي ذكرت هذا الاسم إنما تؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أى أنها متأخرة زمنيا عن عهد سرجون الاكدي بحوالى ألف عام ، كما يبدو مؤكداً أن «غابة الارز» هى نفسها «الامانوس جبل الارز» ، الذى أشار اليه نص «نارام - سن» بتحديد اسم المنطقة ووصف طبيعتها بأنها جبل^(٥) .

وعلى أية حال فإن الهدف من الحملة ، ربما كان اقتصاديا أكثر منه سياسيا ، كما أن هناك من يزعم أن سرجون لم يتوقف عند شاطئ البحر المتوسط ، بل عبره الى «قبرص» التي يزعمون أنها دخلت في نطاق امبراطوريته ومع ذلك ، فإن الجزيرة ربما خضعت بطريق غير مباشر للتأثير البابلي منذ عهد بعيد ، الا أنه ليست هناك أية أدلة تشير الى تأثير سامى مباشر على الثقافة القبرصية المحلية في ذلك العصر ، وهناك إشارة الى وصوله الى كريت التي وردت في النصوص المسمارية تحت اسم كفتارة^(٦) ، بل ان البعض ذهب به الخيال الى الزعم بأن سرجون قد حكم مصر وأثيوبيا^(٧) .

وهناك ما يشير الى أن سرجون قد مد نفوذه في الشمال الغربى الى ما بعد حدود جبال طوروس ، وذلك طبقا لما جاء في لوحة عثر عليه في العمارنة — بمحافظة المنيا — عليها نقش عرف باسم «ملك المعركة» . وتتحدث عن جماعة من تجار مدينة «بورش خاندان» (Burushanda) على مقربة من «كول تبه» (كانش القديمة) في قبادوقيا بالاناضول ، قد شكوا الى سرجون ، حاكم مدينتهم ، والتمسوا منه النصفة ، وأغروه بثروة كبيرة ، ورغم تردد الحانسية في تحقيق بغيتهم ، فإن سرجون قد أجاب سؤالهم ، بل ان هناك من يرجح أن حاكم مدينة «بورش خاندان»

-
- (٤) أنظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناسون عصره ودعوته — القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٣٣ - ٢٤٥) .
 (٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ .
 (٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٥ .
 (٧) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧١ .

قد خضع للعاهل الاكدي ، ورفع الظلم عن التجار ، الذين أدوا لسرجون ثمن معونته لهم ، مما يدل على أن نفوذ سرجون انما قد امتد الى آسيا الصغرى^(٨) .

وهناك ما يشير الى امتداد نفوذ سرجون الى «سوربارتو» في شمال شرق العراق ، والتي تمتد من نهر بلخ غربا ، وحتى جبال زاغروس شرقا^(٩) ، لما كانت منطقة آشور خاضعة لنفوذه ، بل ان هذا النفوذ انما قد استمر على أيام ولديه «ريموثس» و «مانيشستوسو»^(١٠) ، هذا وتذكر نصوص سرجون أنه لقي جيوش أربعة حكام بقيادة ملك «أوان» في جنوب غرب ايران ، وأنه قد نجح في دحرهم وقتل قائدهم ، وأنه قد استولى على بلاد عيلام ، وعين لها حاكما من قبله ، وقد أدت سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ، الى تدفق ثروات كبيرة على أكد^(١١) .

وأما في الجنوب فقد امتد نفوذ سرجون الى رأس الخليج العربي ، وربما تجاوز ذلك ، حيث يشار في أحد نصوصه الى أنه قد أخضع «شريكوم» (Sherikhum) ، وهي أرض البحر العيلامية التي تقع فيما بين جبال أنشان ورأس الخليج ، وهذا فضلا عن الاشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليج والقريبة منه ، مثل «جزيرة دلمون» (البحرين) وما جان وملوخاه ومن المعروف أن سرجون قد اخترق الخليج

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 426-427.

H. Lewy, Op. Cit., P. 707.

S. Smith, Op. Cit., P. 90-91.

W. Albright, The Epic of The King of Battle, in JSOR, VII, 1923, P. 1F.

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

9) J. Bottero, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, P. 107.

H. Lewy, Op. Cit., P. 739.

10) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 431.

(١١) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون - من كتاب - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٧٦ - ٧٧ .

وكذا

وكذا

المعربى ثلاث مرات حتى دلمون (١٢) .

وهكذا استطاع سرجون أن يحقق لنفسه ولأسرته ، فضلا عن دولته ما لم يستطع أحد قبله من الحكام أن يحققه ، فذاعت شهرته بين معاصريه ، وحظى بتقدير الاجيال التالية في العراق القديم ، فحمل اسمه اثنان من ملوك آشور (وهما سرجون الاول ، وحكم حوالى منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، سرجون الثانى ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) (١٣) . وليس هناك من ريب في أن الرجل انما يعتبر نقطة تحول رئيسية في تاريخ بلاد النهرين لأكثر من سبب واحد ، فهو — كما رأينا ، كان أول من عمل على توحيدها كلها أو أغلبها ، تحت زعامة سياسية واحدة ، بينما لم تزد جهود أسلافه الاقربين على توحيد أرض سومر وحدها ، وهو أول من ثبت دعائم أسرة سامية حاكمة قوية ، استمرت تعتلى العرش أكثر من قرن ونصف القرن (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق.م) ، ويغلب على الظن أنه حدثت في عهده محاولة من أقدم المحاولات لتقريب أسماء الشهور في المدن العراقية . من بعضها البعض ، تمهيدا لتوحيد التقاويم فيها . فضلا عن أنه هو ، وبعض خلفائه الاقربين ، انما كانوا أول من حققوا لبلاد النهرين نفوذا خارجيا ، سيطرت به على كثير مما يجاور حدودها من مناطق وجماعات (١٤) .

وهكذا ، فان سرجون الاكدي هذا ، رغم نشأته المتواضعة ، فلقد استطاع الوصول الى قمة السلطة السياسية في العراق القديم ، وبعد فترة قصيرة من تسلمه الحكم ، استطاع أن يكون امبراطورية عظيمة ، امتدت حدودها من جبال طوروس شمالا ، وحتى الخليج العربى جنوبا ، ومن جبال زاغروس وعيلام شرقا ، وحتى البحر المتوسط غربا ، ومن

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ ، وكذا W. Hinz, CAH, I, Part, 1971, P. 648.

(١٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-424.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ .

ثم فقد حق له أن يقول — كما جاء في أحد نصوصه — «والان أيا كان الملك الذى يدعى أنه نظير لى ، فليصل الى حيث وصلت أنا» (١٥) .

(٢) ريموش :

استطاع ريموش — كما أشرنا من قبل — أن يقضى على التمرد السومري الداخلى ، ثم يوجه عنايته الى أعدائه فى الخارج ، ومن ثم فقد اتجه الى اخضاع المناطق الشرقية ، فغزب «كاز الو» وأسر حاكمها ، فضلا عن أعداد كبيرة من مقاتليها العصاة ، ثم أوقع الدمار بمدينة «در» ، وربما أعقب ذلك القيام بحملة الى عيلام حقق فيها نصرا مؤزرا ، وطبقا لوصف الحملة ، فإن جيوش عيلام و «زاخارا» (دويلة صغيرة على حدود عيلام) قد اتحدت ضد ريموش ، وأن المعركة دارت بين الفريقين على نهر «كابينتوم» بين أوان وسوسة ، وقد كتب للعاهل الاكدي نصرا مبينا فى هذه المعركة ، وأحصت نصوصه حوالى ١٦ ألفا من القتلى ، ٤ آلاف من الاسرى ، فضلا عن كميات كبيرة من الذهب والنحاس والآنية المرمرية ، أهدى الملك جزءا منها الى معبد انليل فى نيبور ، وقد أدى هذا النصر الى استرداد أراضى «باراخشى» وتدمير بعض المدن الغيلامية ، فضلا عن اخضاع عيلام ، ومن ثم فقد أطلقت نقوش ريموش عليه لقب «سيد عيلام» (١٦) .

وهناك ما يشير الى خضوع القسم الشمالى من السهل الميزوبوتامى لريموش ، فلقد كشف فى آشور عن رأس صولج (١٧) نقشته عليه عبارة «ريموش ملك العالم» ، كما نقشته نفس العبارة على رأس صولجان أخرى من أور ، هذا فضلا عن كسرة اناء من تل البراك نقشته عليها

(١٥) فوزى رشيد : الجيش والسلاح — كتاب حضارة العراق ٤٨/٢

J. Nougayrol, RA, XLV, 1951, P. 169 F.

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

(١٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436-437.

W. Hinz, Op. Cit., P. 649.

عبارة «ريموش ملك الجميع ، الذى ذبح عيلام وباراخشى» وهكذا يمتن القول أن الرجل قد حافظ على أملاك أكد التى ورثها عن أبيه سرجون الاول ، ومن ثم فقد أعلن ، ما أعلنه أبوه من قبل ، من أنه أخضع للاله انليل البحر الاعلى والبحر الادنى وكل النواحي الجبلية ، ثم أقام النصب التذكارية فى معبد نيبور (١٧) .

(٣) مانيشتوسو :

مرت السنوات الاولى من عهد «مانيشتوسو» فى سلام . وهناك فى سوسة عاصمة عيلام ، معبد الالهة محلية تدعى «ناروندى» عثر على تمثال صغير للملك «مانيشتوسو» نقش عليه «انسى هذه المدينة . وخادم ملك أكد ، اهداء لهذه المعبودة المحلية ، الامر الذى يشير الى خضوع عيلام لسيادة أكد (١٨) .

غير أن الامور سرعان ما تتغير ، وتنشب الثورات فى عيلام وغيرها . حتى أن «مانيشتوسو» نفسه انما يقول «كأن البلاد التى تركها أبى سرجون قد ثارت ضدى» ، كما تشير قطع حجرية من لوحة بلمتحف البريطانى الى هزيمته لاثنتين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، ومن ثم فإن الملك الاكدى قد اضطر — ازاء هذه الاخطار — الى أن يقسم جيشه الى قسمين ، الواحد : اتجه الى الشرق ، حيث حارب بلدين متحالفين فى عيلام — هما أنشان وشريخوم — وأن يحرز عليهما نصرا سبق بموجبه ملكهما ذليلا الى معبد اله الشمس فى سيبار ، ومعه هدايا ثمينة من الغنائم التى كسبها الملك الاكدى .

وأما القسم الثانى ، فقد اتجه الى محاربة اثنتين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، واستيلائه على المدن التى يحكمونها ، لتأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه ، وربما اجتاحت أرض عيلام كذلك فى غارة

17) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.

M. S. Drower, CAH, I, Part, 2, P. 332.

W. Hinz, Op. Cit., P. 649-650.

18) Ibid., P. 650.

وكذا

وكذا

مفاجئة ، وان كان هذا لا يعنى بالضرورة احتلالا وأستقرارا ، على أية حال ، وربما أن الامر لا يعدو حملة سريعة ناجحة عادت بالغنائم والاسلاب ، وربما استهدفت توطيد السلطان أو الاشعار بالقوة (١٩) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد انتصر «مانيشتوسو» على هؤلاء الأعداء ، وأخضع مدنهم ، وقتل قوادهم ، واحتل بلادهم حتى «مناجم الفضة» ، وأرسل الاحجار من هذه المنطقة الى أكد ، حيث صنع منها تمثال له ، أقيم في معبد انليل في نيبور ، كما أرسل الاخشاب لبناء معبد في سيار ، وان كان أمر الاخشاب هنا قد يدعو الى افتراض أن نشاط «مانيشتوسو» الحربى ، ربما شمل الجزء الشمالى من سورية ، التى أحضر منها الاخشاب ، وامتد حتى جبال طوروس ، حيث مناجم الفضة (٢٠) .

(٤) نارام - سن :

لا ريب فى أن «نارام - سن» انما كان أبرز أفراد الاسرة الاكديّة — بعد جده سرجون — وقد أكد بمقدرته العسكرية والسياسية الوحدة الاقليمية للعراق ، اذ سيطر على الاقليم كله من الخليج العربى جنوبا . الى جبال أرمينيا شمالا ، هذا فضلا عن توسعه الخارجى ، وتكوينه لمبراطورية بعيدة الاطراف ، سجل انتصاراته فى سنبل تأسيسها فى لوحة المشهور باسم «نصب النصر» ، الذى روى فيه أمر حزوبه وانتصاراته على القبائل الجبلية — سكان الجبال فى منحدرات زاجروس — وفى ماندا وعيلام ، وفى هضبة ايران (٢١) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن المدن التابعة لأكد ، انما

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وكذا

S. N. Kramer, Op. Cit., P 61-62.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437-438.

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 438.

(٢١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ، نجيب ميخائيل :

المرجع السابق ص ١٤٠ .

قامت — كالعادة — بالثورة ، كلما جلس على عرش أكد ملك جديد — شأنها في ذلك شأن الولايات الاسيوية من الامبراطورية المصرية التي كانت تجد في تولية فرعون جديد فرصة للثورة ضد السيادة المصرية . بغية أن تنال استقلالها ، فان نجحت فهذا ما تريد ، وان كانت الاخرى فلن يكون الامر بالنسبة اليها أسوأ مما كان — وهكذا ثارت المدن التابعة لأكد في الغرب والشمال والشرق ، وقد ترعمت مدينة «كيش» حلفا من عشرين ، وربما سبعة عشر حاكما ، امتدت مناطقهم من الاناضول في أقصى الشمال الغربي ، الى مجان على الشاطئ الغربي للخليج العربي . الامر الذي قد يشير الى أن المتمرد انما قد شمل كل الارضين الواقعة غربي الفرات (٢٢) .

.. وهناك نص يرجع الى بداية الالف الثانية قبل الميلاد : يشير الى حملة للملك «نارام — سن» في الشمال الغربي من السهل الميزوبوتامي ، بلغ توغلها حتى جبل الامانوس ، بل ان هناك عبارة في النص تشير الى أن «نارام — سن» انما قهر المنطقة من ضفة الفرات ، وحتى «أوليسوم» ، وأن «داجان» قد أخضع له شعوب هذه المنطقة ، ومن ثم فقد أصبح عليها تأدية الخدمة لمعبوده «أبسا» ، كما قهر الامانوس — جبل أخشاب الارز — وأسر «ريش — أد» ملك أرمان (٢٣) .

واذا كان ما ذهب اليه البعض صحيحا ، من أن «أوليسوم» هذه انما تقع على ساحل لبنان ، على مقربة من مدينة صور (٢٤) ، فان هذا يعني أن «نارام — سن» انما قد مد حدود دولة أكد الى مناطق جديدة لم يصل اليها أحد من أسلافه قبل ذلك ، وربما يزيد الامر وضوحا ما

(٢٢) محمد بيومي مهران : مصر ٢٠٤/٣ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٢٣) أنظر

A. L. Oppenheim, ANET, P. 268.

J. Bottero, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 325-326.

24) J. Bottero, Op. Cit., P. 327.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

وكذا

ذهب اليه نص من العصر البابلي الكلداني يعرف باسم «أخبسار سرجون»^(٢٥) أنه استولى على مدينة «أبيشال» ، والتي يؤكد البعض أنها في الشمال السوري ، في مجاورات «أرمانوم» ، وهو رأى قد يبدو مقبولا ؛ اذ يرجح أن «ريش — أدد» هو ملك أرمانوم وأبيشال بمعنى أن المدينتين إنما كانتا متجاورتين وتتبعان ملكا واحدا ، وربما أمتد نفوذ «نارام — سن» الى قبادوشيا ، ذلك لان هناك أسطورة تذهب الى أن «بورش خاندا» إنما كانت من أملاكه^(٢٦) ، وهنا يمكن القول أن النفوذ الاكدي إنما يكاد يصطدم بالنفوذ المصري في موانئ الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة ، دون السيطرة والغلبة^(٢٧) .

هذا وتؤكد البقايا الاثرية في شمال العراق خضوع هذا الشمال للملك «نارام — سن» ، فقد عثر له على لوح حجري قرب «ديار بكر» ، كما كشف عند «تل البراك» عن بقايا بناء كبير من الاجر ، طبع عليه اسم هشيده «نارام — سن» ، وفي معبد عشتار في نينوى عثر على لوح حجري سجل عليه نص للملك «نارام — سن» هذا فضلا عن قصر قديم في أشور ينسب الى «نارام — سن»^(٢٨) .

وتشير «لوحة نصر نارام سن» — وقد عثر عليها في سوسة عاصمة عيلام . وتوجد الان بمتحف اللوفر في باريس — الى انتصاره على القبائل الجبلية في شمال شرق أرض أكد ، وخاصة قبائل «اللولوبى»

(٢٥) أنظر :

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-425.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 266.

26) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

J. Bottero, Op. Cit., P. 326-327

A. L. Oppenheim, The Sargon Chronicle, in ANET, 1960, P. 260

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

28) H. Lewy, Op. Cit., P. 733-734.

S. M. Drower, Op. Cit., P. 331.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

و «الجوتيوم» ، كما يشير نقش منحوت في الصخر في ممر «دربند جاوور» بناحية «قرة داغ» في المنطقة الجبلية ، فيما بين السليمانية وكركوك ، الى انتصاره هناك على «لولوبى» في منطقتهم نفسها ، ويرجح البعض قيام «نارام سن» بحملة أخرى ضد مناطق اللولوبى ، غير أنها باءت بالفشل ، وطبقا لنقش «زهاب» شرقى نهر دىالى ، شان ملك لولوبى «آنو — بانينى» انما قد أحرز انتصارا ساحقا على قوات ملك أكد (٢٩) .

على أن العلاقات بين «نارام — سن» وعيلام — فيما يبدو — كانت ودية ، وأن هناك معاهدة عقدت بين ملك «أوان» العيلامى و «نارام — سن» ، وتؤكد على لسان الملك العيلامى — والذي كان تابعا لملك أكد — «أن عدو نارام — سن هو عدوى ، وصديق نارام — سن هو صديقى» الامر الذى يشير الى أن الملك الاكدى انما أراد من المعاهدة أن يجعل من عيلام سندا له في حروبه — وخاصة ضد قبائل لولوبى وجوتيوم ، المجاورة لعيلام من ناحية الشمال — ومن ثم فقد رأينا «نارام — سن» يبعث برسول له الى سوسة ، محملا بالهدايا ، ويطلب من ملك عيلام . إرسال بعض القوات لملك أكد ، وتشير المعاهدة الى زواج «نارام — سن» من ابنة ملك عيلام ، وأنه قد أنجب منها ولدا ، وأن ملك عيلام انما أراد أن يكون هذا الطفل خليفته على عرش عيلام . ولعل من نتائج هذه العلاقات الودية بين العرشين الاكدى والعيلامى ، ما أقامه الملك الاكدى فى سوسة من أبنية نقش عليها اسمه ، فضلا عن اهدائه لها بعض تماثيله ونصبه التذكارى (٣٠) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن هناك اتجاها غريبا . بعيدا عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى ، وقد اعتمد على ما سجله الملك

(٢٩) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443-444.

J. Pritchard, Op. Cit., P. 285.

30) W. Hinz, Op. Cit., P. 650-652.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444-445

«نارام — سن» من أنه قبض بنفسه على «مانو — دانو» ملك «مجان» أو «مجان» ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مجان انما هى «مصر» ، وأن «مانو» انما هو تحريف لاسم «منى» (ميناء) ، أول ملوك الاسرة الاولى المصرية ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق م (٣١) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن مصر انما كانت متصلة اتصالا وثيقا ببلاد سومر في عصور فجر الاسرات وعصر الاسرة الاولى ، فاذا حدث هذا فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فلماذا لا يحدث مثيلا له فى حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد عززوا رأيهم هذا بما حدث على الحدود المصرية الشمالية ، على أيام الملك «ببى» الاول ، من الاسرة السادسة ، من نشاط معاد لمصر من العناصر المجاورة ، وأن الملك المصرى قد كلف قائده «ونى» بالتعبئة العامة فى كل المناطق ، وأنه جمع جيشا لم تر مصر له مثيلا ، اذ تدفقت الفرق من كل ركن من أركان مصر ، وتم تديريها وخرجت لملاقاة العدو عند الحدود الشمالية الشرقية وسحقته (٣٢)

غير أننا نلاحظ أن «ونى» ، رغم أنه يشير الى انتصاره الساحق ، والى ذبحه لعشرات الالاف من رجال عدوه ، ثم عودة جيشه منتصرا ، ومعه الكثير من الاسرى ، الا أنه سرعان ما يضطر الى القيام بأربع حملات — منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكي الكماشة — وقد كتب له فيها نجحا بعيد المدى فى تادييب العصاة من سكان الرمال . هذا ويحدثنا «ونى» كذلك عن تمرد عند «أنف الرئم» — وهو اقليم يظن أنه جبل الكرمل — وقد عاد بجيوشه الى ما وراء منطقة التلال ، حتى شمال أرض سكان الرمال ، بينما كان نصف الجيش

31) A. H. Sayce, Menes and Naram-Sin, in JEA, 6, 1920, P. 296.

S. Langdon, JEA, 7, 1921, P. 121 F.

W. Albright, JEA, 6, 1920, P. 89 F.

(٣٢) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم — من كتاب حضارة مصر

والشرق القديم ص ٢٩٠

يقترب على الطريق الصحراوي ، وقد عول «ونى» على القضاء على كذ المتمردين (٣٣) *

وعلى أية حال ، فان مصر ، فيمما يبدو ، انما كان عليها أن تجابه صعوبات من ناحية الشمال الشرقي ، أكثر من تلك التي تأتيها من ناحية الجنوب ، ولكن من هو ذلك العدو ، الذي سبب المتاعب لمصر من ناحية الحدود الشرقية ؟ والذي أشير إليه باصطلاح «حريو شع» أو «عاهو حريو شع» ، ومعناه الحرفي «أولئك الذين فوق الرمال» * ان ذلك العدو ، فيما يرى جاردنر ، لا يمكن أن يعنى فقط أولئك الذين أضربهم شظف العيش في شبه جزيرة سيناء ، ذلك لأن رد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا من الآلاف ، وما لم نغفل أمر التين والعنب ، ونعتبرهما كمجرد خيال . فان جزءا معينا من جنوب فلسطين ، كان من غير شك داخلا في نطاق العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق . وهي أن ما وصف بعبارة لطيفة ، كأنما هو عصيان وتمرد ، كان يتضمن في الواقع أول موجة من الضغط الاسيوي ، الذي أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام ، وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها (٣٤) *

ويذهب أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر — طيب الله ثراه — الى أنه من الغريب أن اسم «ماجان» (مجان) انما هو الاسم الذي كان يطلق على مصر في جميع النصوص البابلية المتأخرة ، غير أن غزو «نارام — سن» لمصر — على أساس أنه غزا مجان ، وأسر ملكها «مانو — دانو» ، وأن مجان هي مصر ، وان مانو — دانو ، هو الملك «ميني» (مينيا) — انما يفتقر الى اسانيد تثبيته من جانب المصريين أنفسهم (٣٥) *

هذا فضلا عن أن «فريتز هومل» ، انما يذهب الى أن كلمة «مجان» التي جاءت في نقش «نارام — سن» انما هو تحريف لاسم اقليم

33) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 96

34) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 97.

(٣٥) عبد المنعم أبو بكر : كفاحنا ضد الغزاة ص ٢٠ - ٢١ .

«معين» في اليمن^(٣٦) ، وأما «هوجو فنكلر» فالرأى عنده أن مجان انما تقع في الاقسام الشرقية من شسبه الجزيرة العربية^(٣٧) ، على أن «أوليري» يرى أنها «جرها» (الجرعاء) على ساحل الاحساء^(٣٨) ، ويذهب «تشيومان» الى أنها تقع على مقربة من الخليج العربي في موضع «مجيمنة» جنوب «يبرين»^(٣٩) ، وأما «جون فلبى» فالرأى عنده انها على مقربة من الساحل عند وادى شهبة ، وهى البقعة التى نشأت فيها دولة مجان القديمة^(٤٠) .

هذا ويذهب «كيتانى» الى أنها «مدين» وقد كانت في الالف الخامسة قبل الميلاد كثيفة الاشجار ، كما كان البابليون يأخذون منها الذهب والنحاس والاختشب ، ويعارض «ألويس موسل» هذا الاتجاه ، محددا موضع مجان على ساحل الخليج العربي^(٤١) ، على أن هناك من يذهب الى أنها منطقة عمان ، أى الطرف الجنوبي الشرقى من شسبه الجزيرة العربية^(٤٢) .

على أن هناك فريقا من الباحثين انما يحدد موقع مجان بخط طول ٥٥ شرقا ، وخط عرض ٢٤ شمالا ، وبحوالى ٧٢٠ كيلا الى الشمال الغربى من «مسقط» ، وان كلمة «مجان» انما تتكون من الكلمة السومرية (ma) بمعنى ميناء أو أرض السفن ، وذلك لشهرة أهلها في ركوب

36) J. Vercoutter, Op. Cit., P. 126.

A. Grohman, Arabien, Munchen, 1963, P. 21.

وكذا

L. W. King, Studies in Eastern History, I, P. 15.

وكذا

H. Fleisch, Introdption a Etude des Langues Semitiques, Paris, 1947, P. 90.

37) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, P. 15 F.

38) De Lacy D. D. O'Leary, Arabia before Muhammad, London, 1927, P. 47.

39) Major R. E. Cheesman, in Unknown Arabia, London. 1925, P. 266

40) J. B. Philly, The Quarter, New York, 1933, P. 119 F.

41) A. Musil, The Northern Nejd, New York, 1928, P. 307.

42) W. F. Leemans, Foreign Trade in The Old Babylonian Period London, 1960, P. 12.

السفن ، فضلا عن أن هناك نصا من عهد الملك «دونجى» (أحد ملوك أور حوالى عام ٢٤٥٠ ق.م) يتحدثنا عن صناع السفن فى مجان ، وأن النصوص السومرية قد وصفتها بأنها «جبل النحاس» ، تدفعنا الى أن ندخل فى دائرتها منطقة الجبل الأخضر فى عمان ، حيث يوجد النحاس ، وهكذا يبدو واضحا أن لدينا من القرائن القوية ، ما يقربنا من وضع «مجان» كمرادف «لعمان» ، لأن كل ما ذكر آنفا ، انما هو موجود فى عمان (٤٣) .

وهكذا يبدو واضحا أن «مجان» التى غزاها «نارام - سن» ما كانت أبدا ، ولن تكون هى «مصر» ، وانما هى «عمان» الحالية ، أو على الأقل هى فى منطقة شرق شبه الجزيرة العربية (٤٤) .

هذا فضلا عن الملك «منى» (مينيا) لم يذكر فى وثيقة معاصرة معروفة ، على أنه هو الملك الذى أسس الاسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م) ، الا بعد انقضاء عهد الاسرة الاولى ، بنحو ألف وخمسمائة عام ، حين أوردته قائمة أبيدوس من عهد الملك «سيتى الاول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) من الاسرة التاسعة عشرة ، فضلا عن بردية تورين ، التى ترجع الى أيام الملك «رعمسيب الثانى» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) - الا اذا افترضنا أن قائمة «حجر بالرمو» (من الاسرة الخامسة) قد تضمنت اسمه ، فيما فقدته من أجزائها - كما يرجح سير ألن جاردنر - الذى يرى أن الصف الثانى منها انما يبدأ دون شك بالملك مينيا ، وان كانت الماحية التى ذكر بها مفقودة (٤٥) .

ومع ذلك ، وحتى لو افترضنا صحة ما استنتجته جاردنر ، وأن اسم

(٤٣) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤٤) أنظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢١٦ - ٢١٨ ، مصر - الجزء الثانى - ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

45) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 408.

الملك مينا جاء على قائمة «حجر بالرمو» ، بل حتى لو افترضنا ان انسم
الملك مينا جاء على وثيقة معاصرة له ، فان الملك مينا قد أسس الاسرة
الاولى حوالي عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وأن الملك «نارام - سن» -الذي
يزعم الزاعمون أنه غزا مصر (مجان) وأسر ملكها مينا (مانو - دانو)
انما قد حكم في الفترة (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) . أى أنه حكم بعد عهد
الملك مينا بحوالي تسعة قرون ، وأن عهده ربما يعاصر عهد الثورة
الاجتماعية الاولى في مصر .

وعلى أية حال ، فان «نارام - سن» . انما قد بذل جهدا كبيرا في
الحفاظ على امبراطوريته الاكديّة وأنه قام بمجهود حربي في جميع
الجهات المجاورة لوطنه ، كل بالنجاج ، ومن ثم فقد استحق أن يلقب
نفسه بلقب جديد ، هو «ملك الجهات الاربع»^(٤٦) (للعالم) ، مما يعبر
عن سيطرته على كل ما حوله من أرضين ، وهو لقب قد أعاده مرة أخرى
ملوك أسرة أور الثالثة ، منذ عهد الملك «شولجي» (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨
ق م)^(٤٧) .

(٥) شاركالى شارى :

خلف «شاركالى شارى» أباه «نارام - سن» على امبراطورية
واسعة . غير أن شعوب هذه الامبراطورية التي اندمجت قسرا تحت لواء
واحد ، أخذت تبحث عن حريتها ، فقامت ثورات التحرير في كل مناطق
الامبراطورية ، وزاد على ذلك ظهور قوة جديدة تتمثل في خصم شديد
المراس ، هو قبائل «الجوتى» التي تسكن الجبال الشمالية الشرقية^(٤٨) ،
هذا فضلا عن أن عيلام انما كانت قد تحررت من سيادة أكد وانتهت

(٤٦) أنظر

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 326.

C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 441-445.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

٤٧) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

(٤٨) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ص ٢٩٠ .

تبعيتها لها ، وارتباطها بها، بمقتضى المعاهدة التى عقدها «نارام — سن» ، وزاد الطين بلة أن الملك الجديد ، فيما يرى المؤرخون ، انما كان ضعيفا ، أو على الاقل ، لم يكن فى قوة أبيه ، حتى أنه تخلى عن لقب «ملك الجهات الأربع» الذى ابتدعه أبوه «نارام — سن» ، واكتفى باللقب الأكثر تواضعا «ملك أكد»^(٤٩) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت الاضطرابات ، حين قامت جيوش عيلام وزاخار بغزو أرض بابل ، وسرعان ما احتل الغزاة مدينة أكشاك ، وإن نجح «شاركالى شارى» فى احباط الغزو ، واجبار المعتدين على العودة الى بلادهم ، غير أن هذا العدوان — رغم فشله — فانما يمثل فى حد ذاته استخفافا بقوة أكد التى آلت الى التدهور ، الامر الذى شجع العيلاميين على مهاجمة ملك أكد فى أرض بابل نفسها^(٥٠) ، فضلا عن الالقاب التى أسبغها ملك عيلام على نفسه ، عندما انتحل لقب «ملك أوان القوى» ، ثم لقب «ملك الجهات الأربع» الذى زعم ان الاله «ابن شوشينال» قد منحه اياه^(٥١) .

وهناك ما يشير الى أن «أكد» انما قد تعرضت لغزو آمورى فى العام التالى للغزو العيلامى ، عند «باصار» — وهو اسم مكان يضم مجموعة من التلال فى الصحراء السورية العربية ، وتسمى الان «جبل بشرى» وتقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ فى الفرات ، فى غرب دير المروز الحالية^(٥٢) — ويرجح الباحثون أن الملك الاكدى ، رغم

49) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

وكذا

J. Bottero, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, P. 109.

W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 653.

(٥٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

51) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

W Hinz, Op. Cit., P. 653.

وكذا

(٥٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ ، وكذا

J. Bottero, Op. Cit., P. 327.

أنه قد انتصر على الاموريين ، غير أن نصره لم يكن أكثر من نصر دفاعي ، فليس هناك ما يشير الى متابعة الغزاة الى مناطق أبعد في الشمال الغربي ، وإنما كان كل همه صد هذا الخطر السامي الاموري ، الذي أراد الافادة من ضعف الدولة الاكدية ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامي لتحقيق حياة أفضل (٥٣) .

وهناك ما يشير الى أن الملك «شاركالي شاري» قد وجه حملة ضد الجوتيين (جوتيوم) ، وأنه قد أسر ملكهم «أسر سارلاك» (٥٤) ، غير أنه من المعروف أن هذه القبائل الجبلية هي التي أنهت حكم أسرة أكد ، ثم حكمت البلاد في أعقابها .

(٥٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤

54) C. J. Gadd, The Last Kings of Agade and The Gutian Supremacy, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455

الباب الرابع

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الفصل الأول

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام أسرة أور الثالثة

(١) الجوتيون (٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق م)

لا ريب في أن معلوماتنا عن الجوتيين هؤلاء انما هي جـد قليلة . فالتاريخ لا يعرف عنهم سوى أنهم من أهل الجبال ، وربما كانوا من أهل الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية ، وقد نسبوا الى اقليم «شهرزور» الذي ارتبط فيما بعد باسم «اللوبيين» ، أو هم من القبائل المهجية التي كانت تستوطن أواسط زاجروس في منطقة همدان . كما أن معلوماتنا عن حكم الجوتيين انما هو جد قليل أيضا . وطبقا لما جاء في قائمة الملوك السومريين ، فقد دام حكمهم أكثر من قرن من الزمان (حوالي ٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق م) ، وأن عدد ملوكهم قد بلغ واحدا وعشرين ملكا ، وقد أطلق أحدهم ، وهو «أريديو بيزير» على نفسه . لقب «ملك الجهات الاربع»^(١) .

وعلى أية حال ، فالذي لا شك فيه أن فترة حكم الجوتيين (الكوتيين) انما تمثل من وجهة النظر التاريخية أولى الفترات المظلمة في تاريخ وادي الرافدين ، فهي فترة تتميز بندرة واضحة في الكتابات التاريخية ، وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية ، هذا فضلا عن أنها من الفترات التي توقفت فيها عجلة التقدم الحضاري في كافة المجالات تقريبا^(٢) .

ومع هذا الغموض والظلام الذي يكتنف هذه المرحلة . نستطيع أن نلمح بعض المدن وقد أفاق من هول الضربة ، واستطاعت أن تطور الامور في الداخل ، وربما رضيت بدفع الضرائب الثقيلة للتفرغ لنشؤونها.

(١) فاضل عبد الواحد : العراق في التاريخ ص ٧٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444.
(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨٧ .

ومثالنا على ذلك ، مدينة «أوما» التي استتمعت في عهد الايشاكو
«لوجال أنادو» بهدوء استغرق خمسة وثلاثين عاما^(٣) .

هذا وتصف النصوص السومرية الجوتيين هؤلاء ، بأنهم «الشعب
الذى لا يخضع ، والارض التى ليس لأهلها عدد من كثرتهم ، جوتيوم ،
الارض التى لا تطبق أى حكم عليها ، والتى لقومها فهم الانسان ، وأما
شكلهم وتوتة السنتهم فمثل الكلب» .

ثم تصف حكمهم السىء ، وما ألحقه بأهل البلاد من أذى ، بأنهم
«وحوش الجبال ، الذين رفعوا أذرعهم ضد الالهة ، ونقلوا ملكية سومر
الى رضىين أجنبية ، وملأوا أرض سومر بالعداوة ، الذين فتكوا
بالسكان ، واغتصبوا النساء من أزواجهم ، وسلبوا الاطفال من أمهاتهم ،
وعملوا على فساد الحكم»^(٤) .

وعلى أية حال ، فان الجوتيين — فيما يبدو — لم يستطيعوا أن
يسيطروا على البلاد سيطرة كاملة ، وأن مركز حكمهم انمسا كان فى
الشمال — فى أرانجا — مكان كركوك الحالية — وأن سيطرتهم انما قد
تركزت فى المدن الاكديّة ، ولم يستطيعوا أن يسيطروا سلطانهم على
الجنوب ، فكان من أثر ذلك أن أكتفوا بالجزية يتسلمونها ، تاركين تسيير
دفة الامور للحكام المحليين ، ومن ثم فقد بقيت المدن السومرية تتمتع
ببنيء من الحرية السياسية والتجارية ، الامر الذى أدى الى تطور كبير
فى كثير من مدائن الجنوب ، كان على رأسها لجش ، ثم الوركاء^(٥) .

ومع توالى الزمن ، خفت حدة الجوتيين وخشونتهم رويدا رويدا ،

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥ ، عبد المنعم
ابوبكر : المرجع السابق ص ٢٩١ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325.

5) W. Hinz, Op. Cit., P. 654.

J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

وكذا

ولما كانت حالتهم الحضارية أضعف من السومريين والاكاديين ، فمنهم — حسب سنة تتكرر في تاريخ البشر — قد خضعوا لحضارة الامّة المغلوبة على أمرها ، وأخذوها حضارة لهم^(٦) ، وهكذا بدأوا منذ النصف الثانى من حكمهم يحملون الاسماء السامية ، ويكتبون باللغة الاكدية والخط المسمارى ، ويتعبدون — الى جانب أربابهم — الى بعض المعبودات السامية كعشتار وسين^(٧) .

(٢) أسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية هذه ، أخريات عصر الجوتيين . وقد حقق حكامها الوطنيون كيانا مستقلا لمدينتهم ، كما تدل على ذلك صيغ تأريخ وثائق معاملات لجش ، التى أصبحت أعوام تسجيلها تعرف بالاحتفالات الدينية التى يقوم بها حاكم لجش^(٨) .

غير أن استعمال حكام لجش للقب «ايشاج» ، وعدم ذكر لقب «ملك» ، مما يوحى بلون من ألوان التبعية ، وبأن لجش لم تمارس استقلالا فعليا ، وقد يدعم هذا الاتجاه أن اللوحات التجارية لا تشير الى أية أحداث حربية ، حتى عهد جوديا ، وربما مارست لجش لونا من الاستقلال الذاتى النسبى ، ورضيت أن تبقى فى داخل حدودها لا تفكر فى توسع أو اعتداء ، وانما تسعى الى تطوير شئونها الداخلية ، وزيادة مواردها^(٩) .

هذا لم يرد ذكر «أسرة لجش الثانية» هذه فى قائمة الملوك السومرية ، أسوة بأسرة لجش الاولى ، على أن دورها البارز انما يبدأ فى الظهور منذ عهد حاكمها «أور - بابا» Baba — wr ، الذى كان

(٦) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ .

7) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.

J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

وكذا

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459.

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٢ .

له من الاستقلال والثروة ما مكنه من أن ينشق قنوات الري ، وأن يقيم المعابد والمحاريب للمعبودات — ننجرسو وننخور ساج وانانا وانكى وغيرها من معبودات لجش — كما يشير الى ذلك نص على تمثال صغير لأور — بابا في معبد ننجرسو^(١٠) ، هذا فضلا عن أن ابنة «أور — بابا» انما كانت كبرى كاهنات «نانا» (تنار) اله القمر ومعبود أور ، الامر الذى قد يشير أن للرجل نفوذا ، من نوع ما في مدينة أور^(١١) .

وجاء بعد «أور — بابا» شهره «جوديا» (Gudea) ، أشهر حكام أسرة لجش الثانية قاطبة ، وقد كشفت الحفريات عن عدة تماثيل حجرية لجوديا ، وقد نقش على بعضها نصوص مسمارية وهى الان تزين كثيرا من المتاحف العالمية ، كالمتحف العراقى فى بغداد ، والمتحف البريطانى فى لندن ، ومتحف اللوفر فى باريس ، وقد خصصت بقسم الاثار الشرقية بمتحف اللوفر ، قاعة عرضت فيها تماثيل جوديا ، واسطوانتا الكتابيتان المضخمة^(١٢) ، ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن تماثيل جوديا ، انما قد أخذت بالاسلوب الواقعى الذى بدأ نضوجه من قبل فى العصر الاكدي ، وعبرت بخطوطها المرنة عن الطابع المسمورى ذى الرأس العريض . وغلبت على ملامح صاحبها وهيئته روح التقوى والتواضع الكريم ، ويبدو أن اعتبار أهل عصره نكبة الجوتين على أرضهم غضبا من الارباب، كان أثره فى تغليب روح التقوى هذه فى حياتهم ابان سعيهم للتخلص من غزاتهم^(١٣) .

هذا وقد عثر لجوديا على اعداد كبيرة من مخاريط طينية وكتابات

10) J. Bottero, Op. Cit., U. 124.

S. N. Kramer, The Sumerians, P. 326-327.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 458.

11) W. W. Hallo and W. K. Simpsen, Op. Cit., P. 68.

12) H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient. 1970, P. 94-97.

(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٧ .

مطلوله على أسطوانات ، دونت بأسلوب أدبي رفيع : وهى تتحدث عن أعماله المعمارية ، وجهوده فى بناء وصيانة ما لا يقل عن خمسين معبداً من معابد الالهة ، أبرزها ، دونما ريب ، معبد «أى - نذو» (معبد الخمسين) الخاص بالمعبود «ننجرسو» (نين جرسو) اله مدينة لجش^(١٤) .

هذا وقد كرس جوديا لبناء معبد لجش الرئيسى . وتزويده باحتياجاته اللازمة ، كثيرا من الجهد والقرية ، وطبقا لأحد نصوصه . أنه أحضر الأخشاب من ماجان وملوخا فى الجنوب ، ومن جبل الارز (جبل أمانوس) فى الشمال ، ونقلها عن طريق الفرات ، مع التيار . وأنه أحضر الأحجار الضخمة من مناطق لم يطررها أحد من قبل : كما نقلت القوارب كميات ضخمة من القار والجبس من مجامرات كركوك . والنحاس من جبال زاجروس ، وأحجار المرمر والأحجار الملونة من سورية ، وتراب الذهب من أرمينيا . وليست هناك أية إشارة الى أن «جوديا» كان له نفوذ فى تلك الجهات : الامر الذى يدل على أنه جاءته عن طريق التجارة^(١٥) .

هذاو ليست هناك أية إشارة الى أن «جوديا» قد خاض حروبا . باستثناء نقش يشير الى أنه «ضرب أنشان وعيلام بالأسلحة»^(١٦) . الامر الذى ساعده على استخدام الصناعات من سوسة وعيلام . هذا فضلا عن الإشارة الى الحربية فى التصرف الحربى . وان كانت لا تعنى توسعا ، وربما كانت غارة مفاجئة ، أو حملة تأديبية ، قامت على اثر اعتداء على رجاله المسلمين ، وهو أمر لا يمكن الجزم به على أية حال .

14) J. Bottero, Op. Cit., P. 206.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 66-67.

وكذا

15) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459-460.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 268-269.

وكذا

16) W. Hinz, Op. Cit., P. 654.

ومن ثم فيمكن القول أن جهود «جوديا» انما تشير الى توسع تجارى ، ولكنها لا تقوم دليلا على أى توسع حربى أو سياسى^(١٧) .

هذا وقد تهتعت لجش على أيام جوديا بعصر من الرخاء والخير الوفير ، وقد عنى جوديا بشق القنوات ، حتى أطلق على واحدة منها اسم العام الجديد ، وهى قناة كان الغرض منها توفير الماء فى لجش ومقاطعها ، وقد نسبت هذه القناة الى رب لجش ، وسميت «نين جرسو» (نجرسو) - أو «شومجال» Ningirsou - Oushoumgal ولا بد أنه جوديا أبقي القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ، ذلك لأن نقل مواد البناء ، من أخشاب وأحجار ومعادن ، انما كان يتم عن طريق الماء ، وأن انزالها الى البر انما كان يتطلب إقامة رصيف على مقربة من احدى بوابات المدينة^(١٨) .

وأما وفرة المحاصيل ، فتنضح من قوائم المقرابين التى ذكرها جوديا وازديادها ، وهو يشير مثالا فى يوم العام الجديد ، فى عيد «بـاو» - زوجة المعبود نجرسو - بعد اعادة بناء المعبد ، الى اضافة زيادات جديدة على هبات الزواج التى كانت من حقها ، وقد شملت هذه الاضافات عددا من الثيران والماشية والحملان وسلال البليح وأوانى الزبد والتين والمكع والطيور والاسماك والاشباب الثمينة وغيرها ، هذا فضلا عن هبة خاصة من الملابس والصوف لها ، الى جانب حيوانات تضحية للمعبودين «نجرسو» و «نينا» ولاشك فى أن مثل هذه الهبات انما تعنى وفرة فى الانتاج ، وزيادة فى الموارد ، تسهم فى نصيبها منها المعبودات ، كما يستمتع بها الناس ، ومع ذلك ، فيبدو أن هذا لم يتم على حساب الشعب ، فقد كان «جوديا» يحرص على تطبيق القانون والنظام والعدالة وحماية الضعيف^(١٩) .

(١٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

(١٨) ل . ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ١٢٨ .

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٨ - ١٥٩ .

وجاء على عرش لجش بعد «جوديا» ولده «أور - ننجرسو» (Ur-Ningirsu) ، الذى كشفت حفائر لجش عن بعض تماثيل له وجدت مع تماثيل أبيه ، وهى تماثيل صغيرة ممتعة تشبه تماثيل أبيه . صوره بعضها حليق الثارب والحية ، على عادة الكهان . بينما صوره بعضها الآخر بتسعر طويل وحية ، وقد استغل الفنان بعض قواعد هذه التماثيل لنقش صور عدد من المتعبدين يقدمون قرايبتهم . وهم جثاة (٢٠) *

وجاء بعد «أور ننجرسو» ولده «أوجمى» (Ugme) ، ثم خلفه «أورجار» (Urgar) ، ثم «ناماخنى» (Nammakhni) ، آخر ملوك الأسرة ، والذى ربما كان معاصرا لملك الوركاء «أوتوخيجال» (أسرة الوركاء الخامسة) و «أور - نامو» مؤسس أسرة أور الثالثة (٢١) *

(٣) أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية فى نهضتها حل من الوركاء وأور . ووقع عبء المكافحة المسلح ضد الغزاة الجوتيين على اكتف الوركاء (أوروك) . واستحدثت بذلك نوعا من اعتراف أغلب المدن السومرية . فتلقت نزعة حرب التحرير ضد الجوتيين ملك الوركاء «أوتو خيجال» (Utukhegal) . وقد كتب له نجحا بعيد المدى فى هزيمة قبائل الجوتيين . وتخليص البلاد من شرورهم ، وطبقا لقائمه الملوك السومرية . غفر الملك الوحيد فى أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م) (٢٢) *

هذا وقد ترك «أوتو خيجال» (أوتو خيكال) نصا تاريخيا فريدا باللغة السومرية ، نسخ على لوح كتابى يؤرخ ببداية الالف الثانية قبل

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ .
 21) S N. Kramer, Op. Cit., P. 67.
 CAH, I, Part, 2, P. 998.
 وكذا
 (٢٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥١ وكذا
 CAH, I, Part, 2, P. 998.

الميلاد (٢٣) . يتحدث فيه عن قصة الانتصار العظيم الذى حققه على أعدائه . وكيف أنه استطاع الحاق هزيمة ساحقة بجيوش الملك الجوتى تريجان» الذى فر من أرض المعركة ، وكيف أن المواطنين قد طاردوا الملك المهزوم حتى قبضوا عليه ، ثم جاءوا به ليركع عند قدمى الملك السومرى «أوتوخيغال» .

وهناك ما يشير الى أن انتصار «أوتوخيغال» انما قد اقترن بحدوث كسوف للقمر فى البلاد ، وأن هذا الكسوف انما قد حدث فى اليوم الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) ، ومن ثم فقد اتخذ المذمومون والعرافون من هذا اليوم فألا دونوه فى كتب العرافة ، حيث يقول الفأل «إذا خسف القمر فى اليوم الرابع عشر من شهر تموز ، فهو نذير للملك الجوتى ، سوف يسقط الجوتيون فى المعركة ، وتحرر البلاد» .

ونقرأ فى نص أوتوخيغال «فوض الاله انليل ملك البلاد ، الرجل العظيم أوتوخيغال (أوتوحيكال) ملك الوركاء ، ملك جهات العالم الرابع ، الملك الذى لا يخالفه أحد ، أمره (انليل) أن يحطم اسم الجوتى (الكوتى) ، أفعى وعقرب الجبال الذى رفع يده ضد الالهة ، الذى نقل ملكية سومر الى بلاد أجنبية ، وملاً بلاد سومر بالمعداوة ، الذى أبعد الزوجة عن كانت له زوجة ، وأبعد الطفل عن كان له طفلاً ، والذى أقام العداوة والعصيان فى البلاد» .

«ومن ثم فقد ذهب أوتوخيغال الى ملكته الالهة «اننا» وابتهل اليها قائلاً : أى مليكتى ، لقد عهد الى انليل بأن استعيد الملكية لى سومر . فكونى عونى ، ان «تريجان» ملك جوتيوم ، لم يسر اليه أحد بقواته لحربه ، فاستولى على الفرات وساحل البحر ، ثم سار «أوتوخيغال» الملك الذى وهبها نليل القوة ، ووضعته اننا فى قلبها ، الرجل القوى . قد اتجه قدما من الوركاء ليخوض المعركة ضد تريجان

23) J. Bottero, Op. Cit., P. 125.

... وعنتذ غمر السرور أهالى الموركاء وأهالى كولا ، وتبعه رجال مدينته ، وكانهم رجل واحد» .

«وفى اليوم الخامس من مسيرته من الموركاء أسر «أور نينازر» و «نابو انليل» قائد «تريبران» اللذين أرسلهما الى سومر كسفراء ، ووضع «أوتو خيجال» قيودا خشبية فى أيديهما ، وفى اليوم السادس وصل «أوتو خيجال» الى «كاركار» ووقف أمام الاله أشكور وناداه : أيها الاله أشكور ، لقد أعطانى الاله انليل السلاح ، فكن عونى فى مهمتى ... وكان الجوتيون قد جمعوا قواتهم فى ذلك المكان غير أن «أوتو خيجال» ، الرجل العظيم ، تمكن من دحرهم وأسر قتلتهم . وعنتذ فسر «تريجان» والتجأ الى مدينة «دبروم» وعامله الناس بعطف ، ولكن عندما علم رجال دبروم أن أوتوخيجال هو الملك الذى منحه انليل القوة ، لم يطلقوا سراح تريجان ، وجاء رسل أوتو خيجال وأخذوا تريجان وأسرتة أسرى ، ووضعوا القيود الخشبية فى يديه ، وعصبوا عينيه ، ولما أحضروه أمام أوتو خيجال ألقى بنفسه عند قدميه ، فوضع أوتو خيجال قدمه على رقبته وهكذا عادت الملكية الى سومر» (٢٤) .

هذا ورغم أن المعركة الحاسمة بين «أوتو خيجال» والجوتيين كانت فى مجاورات مدينة «دبروم» التى لجأ اليها «تريجان» بعد هزيمة . والتى يتمترح البعض أن تكون «تل جدر» الحالية ، فيما بين أوما وأدب ، أى أنها لم تتجاوز نطاق أرض سومر ، غير أننا لم نسمع عن معارك أخرى بين «أوتو خيجال» والجوتيين الذين انتهى نفوذهم عقب هذا

(٢٤) فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون - كتاب العراق فى التاريخ ص ٧٠ - ٨٠ ، أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ - مجلة سومر - العدد ٣٠ لسنة ١٩٧٤ ص ٥٦ - ٥٧ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٣ - ٣٠٥ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325-326.

النصر الذى حرزه «أوتو خيجال» ضدهم (٢٥) .

وهكذا نجح «أوتو خيجال» فى تحرير البلاد من الاحتلال الجوتى ، ومن ثم فقد حظى بمكانة ممتازة فى سومر ، أهله الى أن يتدخل فى فض النزاع على الحدود بين مدينتى لجش وأور ، فى صالح لجش ، ثم فرض سيادته على مدينة أور التى كان حاكمها «أور - نامو» تابعاً له (٢٦) .

غير أن «أوتو خيجال» لم ينعم طويلاً بهذا النفوذ ، وسرعان ما انتقلت السيادة على سومر - بعد وفاته - الى أسرة أور الثالثة ، التى حققت للسهل الميزوبوتامى وحدة سياسية ، شأنها فى ذلك شأن أسرة أكد (٢٧) .

(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 462.
(٢٦) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 595.
(٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الفصل الثاني

أسرة أور الثالثة

(٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق م)

انتهى حكم الملك «أوتو خيجال» في الموركاء بقيام أسرة جديدة في مدينة أور ، عرفت في التاريخ باسم «أسرة أور الثالثة» ، وهي آخر أسرة سومرية حكمت في التاريخ ، ويسمى هذا العصر عند كثير من الباحثين باسم «عصر الاحياء السومري» (Sumerian Renaissance) ، وقد حكم فيه خمسة ملوك لمدة مائة وثمانية أعوام (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م)^(١) .

ولعل من الاهمية مكان الاشارة الى أن أسرة أور الثالثة قد تجنبت الى حد ما العوامل الوخيمة التي نخرت في كيان الدولة الاكدية من قبلها ، نتيجة للتفرقة بين السومريين والساميين ، وشطر أهل البلد الواحد شطرين ، فاستعانت بالعنصرين في جيشها وفي مناصب الادارة . وجمعت بين اللغتين السومرية والاكديية في بض الوثائق الرسمية والادبية ، وتسمى بعض ملوكها بأسماء سامية المصغة مثل «نوسين» و «أبي سين» ، ولو أن هذه السياسة لم تمنع ملوكها من مركزة الحكم في عاصمتهم ، فظلت هذه العاصمة تشرف على كل كبيرة وصغيرة من شئون المدن والاقاليم ، ويبدو أنها استعانت على ذلك باستحداث نظام يتسبه نظام الوزارة ، والعناية بنظام العدائين لتبليغ أوامرها الى ولاية أقاليمها ، واعتبرت أولئك الولاية مجرد موظفين كبار ، يخضعون للنقل من اقليم الى اقليم^(٢) .

(١) أور - نامو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) :

أسس أسرة أور الثالثة الملك «أور - نامو» (Ur-Nammu) . الذي تمرد على «أوتو خيجال» ملك الموركاء ، وأنهى حكمه . ثم أقام

(١) فاضل عبد الواحد : العراق في التاريخ ص ٨١ ، وكذا CAH, Bottero, Op. Cit., P. 136.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ .

ولدا له في كهانة المعبودة «اننا» — معبودة الوركاء — كما يعد «أور — نامو» وولده «شولجى» (Shulgi) ، أشهر ملوك الاسرة (٣) ، وقد خضعت لهما كثيرا من المدن السومرية والاكديّة ، الامر الذى سمح للوك أور بأن يتلقبوا بمثل لقبى «سرجون الاكدي» أى «ملك سومر وأكد» و «ملك الجهات الاربع» ، وان ظل هذا اللقب الاخير بخاصة لقباً مشريفاً ، أكثر منه لقباً فعلياً ، اذ أنه على الرغم من جهود الملكين وبعض خلفائهما في سبيل توسيع الحدود ، واعتراف آشور في الشمال بنفوذهما الاسمى ، بحيث أقام أهل «اشنونا» معبداً في مدينتهم نسبوه الى ملك أور «شوسين» ، وبحيث أرسل أحد ملوك آشور هدية ثمينة الى «بهرسين» ملك أور القوي ، ملك الاقاليم الاربعة ، الا أن حجم المملكة ظل أقل بكثير مما كان عليه في العصر الاكدي (٤) .

هذا وقد أهتم «أورنامو» بالعمران والبناء كثيرا ، فشملت أعماله العمرانية — الى جانب العاصمة أور — كثيرا من المدن السومرية ، مثل الوركاء ولجش ونفر وأريكو ، ولعل من أشهر انجازاته العمرانية بناؤه «زاقورة» في معبد اله القمر «نانا» (Nanna) — وهو المقابل للاله سين البابلى — وتتكون هذه الزاقورة من ثلاث طبقات (بينما أصبحت الزاقورة تتكون بعد ذلك من سبع طبقات) ، وعلى المستوى الثالث من الزاقورة الشاهقة الارتفاع — والتي تمثل أحسن زاقورة حفظت لنا من بلاد النهرين — يوجد المعبد الصغير المبني من اللبن ، وتكسوه طبقة زجاجية زرقاء ، وكان هذا المعبد هو غرفة زواج المعبودين «نانا» و«نينجال» ، وكسوة الطبقة السفلى من الزاقورة مبنية بالطوب المختوم باسم «أورنامو» ، وقد سجل ذكرى بناء هذا المعبد على مسلة من حجر بنى اللون ، وجدت في أور ، ومحفوفة الآن بمتحف بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، والمناظر التي عليه تمثل الملك «أور — نامو» واقفاً

3) J. Bottero, Op. Cit, p. 136

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597.

وكذا

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ — ٤٣٢ ، وأنظر :

S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P. 26.

أمام الاله «نانا» الجالس على العرش ، ويسكب الملك الماء المقدس على شجرة موضوعة في اناء ، ويتكرر هذا المنظر أمام الالهة «نينجال» زوجة «نانا» الجالسة على العرش ، وفي المنظر الثانى يشاهد «أور — نامو» . وقد حمل على كتفه عدة البناء ، ليضع الحجر الاساسى لبنانية المعبد^(٥) .

هذا وقد اهتم «أور — نامو» كثيرا بعاصمته «أور» ذات الهيئة المبيضاوية ، فأعيد تسوير هذه المدينة التى أطلت على نهر الفرات بميناء ذى أرصفة واسعة ، والتى حماها الماء من ثلاث جهات . وبلغت مساحتها نيفا ونصف ميل طولا ، وربعم ميل عرضا . والتى امتدت حولها ضواحيها ، وشغلت معها مساحة قدرها نحو أربعة أميال طولا ، وميل ونصف الميل عرضا ، وقد أطل سور المدينة من داخله على ساحة متسعة (بلغت مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة) قامت فيها معابد المدينة الكبرى المخصصة للمعبود «نانا» (ننار) وزوجته «نينجال» وحاتيتيهما . وقد بقيت أجزاء لبعض هذه المعادن حتى الان بحالة لا بأس بها^(٦) . هذا ونظرا لأهمية سور أور عند «أور — نامو» فقد سمي العام الذى أقام فيه السور ، «بالعام الذى بنى فيه سور أور»^(٧) .

هذا وتشير احدى السنوات المبكرة من عهد «أورنامو» الى اعادته «سفن ماجان وملوخوا الى يدي نانا ، معبود أور»^(٨) . الامر الذى يدل على أن أسراور النالثة ، كما كان لها ما كان لأسرة لجش الثانية من نفوذ ومصالح تجارية فيما وراء الخليج جنوبا . كما تشير بعض النقوش التى

(٥) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧٨ ، وأنظر :

G Roux, Op. Cit., P. 156-157.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 103-105.

J Bottero, Op. Cit., P. 138-139.

L. Woolley, Ur Excavations, V, The Ziggurat and its Surroundings, 1939.

L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 125-135.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .

٧) C J. Gadd, Op. Cit., P. 597.

٨) J. Bottero, Op. Cit., P. 136.

عثر عليها في أور والوركاء ولارسا ونيبور ، الى حرص «أور — نامو» على تثبيت حدود هذه المدن ، والتي يبدو أنها لم تكن مستقرة على أيام الجوتيين ، بل ان الامر لم يكن مقصورا على المدن السومرية ، وانما امتد أيضا الى المدن الاكدية في شمال نيبور ، حيث قام «أورنامو» بتثبيت أملاك آلهتها ، كحدود لهذه المدن ^(٩) .

هذا وقد أهتم «أور — نامو» بشق القنوات ، وهو عمل لا شك في أهميته القصوى في جنوب العراق القديم ، لتطهير هذه المجارى المائية من الترسبات الطينية ، حتى لا تفقد قيمتها كوسيلة رى ومواصلات في آن واحد ، وطبقا لما جاء على لوح حجري من أور فلقد أمر «أور — نامو» بحفر القنوات على حدود عاصمته أور ، وقد ربطت إحدى هذه القنوات مدينة أور بالبحر ، حتى يتيسر لسفن تجارة الخليج أن تفرغ شحناتها في أور ^(١٠) .

على أن الامر الذي لا ريب فيه أن أهم أعمال «أور — نامو» انما كان قانونه الشهير ^(١١) ، والذي يعد أقدم وثيقة قانونية في العالم اكتشفت حتى الآن — بعد تنظيمات أوركاجينا — الامر الذي قد يتغير في المستقبل ، مع احتمال العثور على قوانين تسبقه ، ما تزال في بطن الأرض الطيبة في العراق ، وعلى أية حال ، ففي المتن السومري المكتوب على قوائم محروقة في الشمس ، والذي يمثل الصورة الأولى للفكر

9) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 598-599.

J. Bottero, Op. Cit., P. 136-138.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 78-79.

(١٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 559-560.

(١١) أنظر عن قانون أور — نامو :

S. N. Kramer, in Bullt. fun. Museum, 17, 1952.

E. Ezlechte, Le Code d'un-Nammu, in RA, XLIX, 1955, P. 169-177.

J.J. Finkelstein, The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968-1969, P. 66-82.

S. N. Kramer and A. Falkenstein, Ur-Nammu Law Code, Orientalia, 23, 1954, P. 40-51.

القانونى فى العراق القديم ، وقد تمكن الباحثون من تشخيص مقدمته وخاتمته ، مما يعنى أن القانون مبوب بموجب الأسلوب الصحيح للقانون ، غير أن عدد المواد التى أمكن ترجمتها لا تزيد على اثنين وعشرين مادة ، وذلك لأن النسخ المكتشفة انما كانت مدونة على ألواح من الطين ، يرجح أنها قد نسخت عن الاصل — ربما حوالى ما بين عامى ١٨٠٠ ، ١٧٠٠ ق م — والذى كان مدونا على الحجر ، وأن الألواح الطينية قد تكسرت ، وتلف معظم أقسامها ، ومن ثم فقد تعذر التعرف على الصيغة الكاملة للقانون .

وعلى أية حال ، فإن القانون قد كتب باللغة السومرية ، وأن بقايا المقدمة انما تشير الى أن المعبود «ننار» قد فوض «أور — نامو» فى حكم المدينة ، وأنه قد وصفه بالملك التقي العادل الورع ، وأن مجيئه انما كان ايذانا بالقضاء على الفساد والفوضى وسوء الادارة ، والجور على حقوق الآخرين ، من ثم فقد تمتع الناس بحقوقهم ، ونالوا حريتهم ، وأما المواد القانونية الباقية التى أمكن ترجمتها ، فانها تعالج الاحوال الشخصية ، من زواج وطلاق ، فضلا عن النظر فى بعض المخالفات وتحديد العقوبة الملائمة لكل حالة (١٢) .

هذا وقد أخذ قانون أور — نامو بمبدأ التعويض . باستثناء حالات نادرة ، كالتى تعاقب فيها الزوجة الخائبة بالذبح . والتى تعاقب فيها الجارية التى تتطاول على سيدها أو سيدتها بدعك فمها بالملح (١٣) ، وربما كان مبدأ التعويض هذا يتفق مع الاهتمام السومرى بالتجارة ، وذلك على خلاف قانون حمورابى ، الذى يعتمد على القصاص ، وهكذا استن قانون أورنامو مبدأ دفع الديات على الجروح التى لا تفضى الى الوفاة . فجعل دية جرح القدم عشرة شواقل من الفضة ، ودية كسر العظم «منا» من الفضة ، ودية قطع الانف ثلثى منا من الفضة . وأشار الى

(١٢) رضا جواد : المرجع السابق ص ٧٢ — ٧٣ .

(١٣) J. J. Finkelstein, Op. Cit., P. 524-525.

الاداة التى تستعمل فى كل حالة ، مما يعنى أنه أراد بذلك الاعتداء المتعمد ، وأجاز التشريع اظهار البيئة عن طريق الامتحان باللقاء المتهم فى النهر — (ويبدو أن الحكمة من ذلك هى ايكال أمره الى اله النهر ، اذا عجز القاضى عن اثبات التهمة عليه ، فان شاء أنقذه وبرأه ، وان شاء أغرقه بذنبه) — وأمر بتسليم العبد الآبق الى سيده (١٤) .

هذا وقد تضمنت العبارات الباقية من التشريع سعى صاحبه الى توحيد الاوزان والمكاييل ، ورغبته فى تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وأغنامهم ودوابهم ، والى أن يمنع وقوع اليتيم فريسة للثرى ، ووقوع الارملة ضحية للقوى ، وأن لا يصبح الرجل الذى يملك شاقلا ، فريسة لذلك الذى يملك منا ، كما وضعت بعض المواد ضوابط للعمل القضائى وسير المحاكم ، وخاصة ما يتعلق منها بشهادة الزور وتبعاتها (١٥) .

(٢) شولجى (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق م) :

جاء «شولجى» (Shulgi) على عرش أور ، بعد أبيه «أور — نامو» ، الذى قضى فى ميدان القتال ، وطبقا لما جاء فى نص على لوح كتابى فقد «نبذ فى ميدان القتال محطم» ، وتنسب قائمة المأسوك السومرية الى الملك الجديد (شولجى) فترة حكم قدرها ٤٨ عاما ، وقد امضى الرجل الشطر الاول منها فى الاعمال البنائية — وخاصة فى بناء المعابد — فأكمل زاقورة أور التى شيدها أبوه «أور — نامو» ، كما أعاد بناء معبد الالهة «اننا» فى نيبور ، فضلا عن اعادة بناء معبد الالهة «ننليل» فى نيبور ، أيضا بعد تهدمه للمرة الرابعة ، وربما كان هذا

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، رضا جواد الهاشمى : القانون والاحوال الشخصية ص ٧٣ .

الاهتمام بالشئون الدينية هو ما دعا شولجى الى تأليه نفسه . أسوة بنارم - سن ، ملك أكد^(١٦) .

والواقع أن حكام أور انما قد استمسكوا بالالهة المقدسة التي اكتسبتها منذ أيام الدولة الاكدية ، وكان «شولجى» هذا (وكان اسمه يقرأ «دونجى» ، ثم ظهر رأى جديد يقرأه «ساج - جى») أكثرهم استمساكا ، وقد اختير كاهنا أكبر للمعبودة «انانا» في الوركاء (أوروك) في حياة أبيه ، وذكرت نصوصه أن الاله قد اختاره بنفسه . وقد أطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ، ورفع له أهل بلاطه الى مرتبة الربوبية ، أو ما هو قريب منها ، ورضى هو بطبيعة الحال . فسمى بعضهم أولاده باسم «شولجى ايلى» بمعنى «شولجى الهى» . و «شولجى بانى» بمعنى «شولجى الخالق» ، فضلا عن «شولجى أبى»^(١٧) .

وقد أقيمت لهذا الملك المؤله (شولجى) هياكل العبادة . وقدمت له القرابين ، كما أقيمت عبادته في بعض المدن السومرية . كما يشير الى ذلك تعبير «شولجى معبود أوما» ، وربما أصبحت هذه العبادة قومية . وفقا لما يتبين من تعبير «شولجى حياة أرض سومر»^(١٨) . بل ان الرجل انما حاول أن يظهر نفسه كرياضى يتمتع بمقدرة فائقة في العدو . كبغل جبلى ، بحيث يمكنه قطع المسافة عدوا من نيبور الى أور وبالعكس في يوم واحد^(١٩) .

16) L. Woolley, Op. Cit., P. 128-129.

S N. Kramer, The Sumerians, P. 47, 68, 130.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 80.

J. Bottero, Op. Cit., P. 141.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، وانظر :

T Jacobsen, BASOR, 1947, P. 16 F.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٣ .

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٣١٣ ، وكذا

S N. Kramer, The King of The Road, in ANET, P. 585-586.

هذا وقد عبر كاتب سومري عن رأى شولجى فى نفسه ، فكتب على لسانه يقول : «أنا الملك ، كنت بطلا فى بطن أمى ، أنا شولجى صاحب البأس منذ مولدى ، أنا أسد ثاقب البصر . ابن مارد ، أنا ملك أركان الدنيا الأربعة ، أنا حامي السومريين وراعيهم ، أنا بطل ، رب البلاد كلها . أحب الخير وأقصى الشر . وأمقت ألفاظ العداوة ، أنا شولجى الملك المقتدر ، أخضعت البلاد الثائرة ، وكفلت الأمان لشعبي ... شولجى الذى توفر له بأس السماء والأرض ، ولم يكن له مثيل ، شولجى الذى رعاه رب السماء» (٢٠) .

هذا وقد أهتم «شولجى» بمدينة أور — التى على شاطئ البحر (٢١) — وإن ذكر كتاب عهده أنه استولى على ذخائر معبد «اساجيلا» ، ومعبد بابل ، فغضب عليه «بعل» ولم يرض عن جثته (٢٢) ، وعلى أية حال ، فلقد أهتم «شولجى» كذلك بمدينة «كوثى» ، فأعاد بناء المعبد الكبير للمعبود «نرجال» رب كوثر ، كما نالت الموركا حظا من رعايته كذلك ، حيث أعاد بناء معبد «آى انا» معبد «ننا» ، وأما معابد لجش ، فلعلها أكثر المراكز السومرية حظا فى عهد «شولجى» فلقد عثر على عدد من اللوحات فى «تلو» من ذلك العصر ، تشير الى قوائم بقطعان الماشية والحمير التى يمتلكها المعبد ، والأرضين الغنية التى فى حوزته (٢٣) .

هذا وكان «شولجى» شديد الاهتمام أيضا بطرق المواصلات ، وبراحة المسافرين على هذه الطرق ، ومن ثم فهو يفاخر فى نص له بأنه وسع الطرق وجعلها مستقيمة ، وأمن طريق السفر ، وأقام عليه استراحات كثيرة ، زرع من حولها الحدائق وأقام فيها من يقيمون على خدمة المسافرين نهارا ، ويحققون لهم الأمن والأمان ليلا (٢٤) ، هذا فضلا

-
- (٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، و أنظر S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P 38
(٢١) أنظر : A. L. Oppenheim, in ANET, P. 266.
(٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ .
(٢٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٨ .
(٢٤) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 585 .

عن ربط الاقاليم بعضها ببعض الآخر ، عن طريق تنظيم حملى المبريد من الدائن ، الذين هئت لهم محطات لضمان وصول تعليماته لهذه الاقاليم ، كما عنى بتنظيم جمع الضرائب من مختلف الاقاليم . وتسجيل ذلك كله على لوحات حفظت فى دور المحفوظات (٣٥) . وأخيرا فلقد كن هذا الملك السومرى من المهتمين بالادب والمعرفة . وأنه أبدى عناية كبيرة بالمدارس ، حتى أنه ليفخر بتحصيل العلم فى المدرسة فى أيام الطفولة . وأنه قد أثقن فنون الكتابة المسمارية (٣٦) .

وهكذا استطاع «شولجى» أن يقيم حكما قويا فى البلاد . وأن يجرى عدة حملات تأديبية ضد القبائل فى زاجروس . وأن يفرض سيادته على بلاد عيلام ، وأن يرتبط بعلاقات مصاهرة بحاكم «باراخشى» فلقد زوجه من احدى بناته فى العام الثامن عشر من الحكم (حوالى عام ٢٠٧٧ ق.م) ، كما زوج بنتا ثانية من حاكم «أنشان» فى العام الثانى والثلاثين من الحكم (حوالى عام ٢٠٦٣ ق.م) . الامر الذى يشير الى علاقات ودية مع عيلام ، وثقتها روابط المصاهرة . وان كان هناك ما يشير الى حملة تأديبية وجهها شولجى الى أنشان بعد فترة قصيرة من زواج ابنته من حاكمها ، هذا فضلا عن اشارة عن عام عرف بأنه «العام الذى دمرت فيه أنشان مرة أخرى» ، كما قام شولجى بقهر سهل «سوزيانا» فى العام الثامن والعشرين من الحكم (حوالى عام ٢٠٦٧ ق.م) (٣٧) .

هذا وقد كشفت الحفريات عن آثار النشاط المعمارى الضخم الذى قام به شولجى فى سوسة ، كما يبدو هذا واضحا فى معبد «ابن تسوتشيناك» المعبود المحلى لهذه المدينة ، فضلا عن استخدامهما لمقائنين

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٢٦) فاضل عبد الواحد على : سلالة أور الثالثة - من كتاب : العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٨١ .
(٢٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨١ ، فوزى رشيد : نصوص ادارية من العصر السومرى الحديث - مجلة سومر - العدد ٢٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٧١ - ٧٣ ، ٧٦ - ٨٢ ، وكذا W. Hing, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 655-656.

• عيلاميين لتجمع تمرد القبائل الجبلية في الشمال الشرقي (٢٨) •

والواقع أن جهود شولجى في ميدان تغلغل الثقافة السومرية في عيلام بالغ الاثر ، ورغم أن هذه الثقافة كانت قد انتقلت الى عيلام قبل عهده ، غير أن جهوده لم تقف عند حد الغازات التى تستهدف الاحتلال ، بل تعدتها الى ابراز السيادة والاحكم من الحكومة المركزية في أور ، وهناك كثير من الوثائق تشير الى تموين عمال الملك الذين يَمرون بمدينة لجش في طريقهم من أور الى عيلام ، تعدد كميات الحبوب والشراب والزيت التى تصرف لهم ، ومن الاسماء التى وردت للمدائن التى عين بها هؤلاء الموظفون ، نستطيع أن نؤكد أن السلطان الملكى امتد الى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كان أبرزها جميعا سوسة ، وأما مهام هؤلاء الموظفين فكان من بينها جمع مواد التموين والبناء ، فضلا عن العمال ، لآداء الاعمال الملكية ونقلها حيث يريد الملك •

وهناك ما يشير الى أن شولجى انما قد خلع الاحكام الوطنيين ، وأحل غيرهم من الموظفين البابليين محلهم ، وهو أمر تابعه فيه خلفاؤه من بعده ، مستهدفين جميعا صيانة ادارة الاقاليم من أن نلقى أزمتهما في أيدي لا يطمأن اليها ، ومع ذلك فتردد قيام الثورات في الاقاليم العيلامية يزعجى بأن الاهلين لم يخضعوا تماما للغزو ، بل انهم كانوا يسمعون دائما الى التخلص من نيره ، كلما سنحت لهم الفرصة ، وقد انتج العنف والقسوة أثرهما ، لا فى اخضاع البلاد ، بل فى احياء الامل فى الاستقلال ، مما أدى الى سقوط أسرة أور ، فيما بعد ، كما سنرى (٢٩) •

وأما «سوبارتو» فى شمال السهل الميزوبوتامى ، فلقد ناوأ شولجى وتمردت عليه ، الامر الذى يبدو واضحا من الرسائل المتبادلة بين

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٥ - ٣١٦ وكذا W. Hinz, Op. Cit., P. 656.

(٢٩) نجيب مبخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الخامس - الاسكندرية ١٩٦٣ ص ١٦٧ - ١٦٨ •

الطرفين ، وان لم تصل العلاقات بينهما الى مرحلة الحرب (٢٠) .

وعلى أية حال ، فليس هناك ما يشير الى حملات حربية ضد الغرب ، وان تحدثت النصوص عن «جزية أمورو» ، كما ذكرت نصوص شولجى «العام الذى بنى فيه حائط البلاد» فى اقليم سيبير ، والذى يرجح أنه كان سورا دفاعيا لتأمين حدود شولجى ضد الخطر الامورى (٢١) .

(٣) امار - سين (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) :

جاء «امار - سين» (Amar - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شولجى» ، ولمدة سنوات تسع ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية . وقد تركز نشاطه المعمارى فى نيبور وأور ، وان اهتم كثيرا ، كما فعل أبوه من قبل ، بمدينة أريدو ، التى أقام فيها معبدا لمعبودها المحلى «انكى» (اله الماء العذب) ما تزال بقاياها قائمة حتى اليوم ، كما أضاف الى ألقابه ما يعبر عن تاليهه ، وتفضيل الاله «انليل» له (٢٢) . وطبقا لأحد نصوص الفأل ، فلقد لقي حتفه «بسبب قرصة حذاء» ، ودفن بجوار شولجى وأور - نامو (٢٣) .

هذا وقد تركزت حروب «أمار - سن» فى الشرق والشمال الشرقى . فوجه عدة حملات الى «أمارسين» ويعرف العامان ، الاول والثانى . من المحكم (حوالى عام ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٦ ق.م) كل منهما باسم «العام الذى

30) A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 149-151.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 331-332.

31) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 603.

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 563.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, The Ancient Near East, 1971, P. 81.

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607-608.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 84.

33) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 162.

A. Goetze, JCS, I, 1947, P. 261.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608

خرب فيه أمارسين ، مدينة أوربيلوم» ، وفي العامين ، السادس والسابع ، من المحكم (حوالي ٢٠٤١ ، ٢٠٤٠ ق م) وجه عدة حملات الى المواقع الشرقية ، الى «شاشرو» (شمشاره) و «خوخ نوري» — التي وصفت بأنها «مزلاج أرض أنشان» ، ونقع الى الشرق من سوسة ، هذا فضلا عن بعض المواقع الاخرى التي لم يتسن تحديد أماكنها (٣٤) .

وعلى أية حال ، فلقد كان أمارسين حريصا على أن يحكم هذه المناطق الشرقية حكما مباشرا عن طريق أتباعه المخلصين اللذين أقامهم في سوسة وخمزي وبار أخشي ، ومن ثم فقد نقل (زاريقوم) — والذي كان حاكما على أن أشور منذ العام قبل الاخير من عهد أبيه شولجي ، ولمدة سنوات ست من عهده — ليصبح حاكما على سوسة ، ولمدة سنوات ثمان (٣٥) .

(٤) شوسين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق م) :

جاء «شوسين» Shu - Sin على عرش أور ، بعد أخيه «أمارسين» (٣٦) ، ولمدة تسع سنوات ، فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وقد سار على سنة أبيه شولجي في الاستمساك بهالة الملك المقدسة ، وأثنت كاهنة من كاهنات «لوكور» على مولاه «شوسين» على ما أولاهها آياه من هدايا ونعم ، وصاغت مديحها في نشيد بدأته بوصف الملك بالمطهر ، وامتدحت أمه «أبسيمتي» لولادتها آياه ، ثم عدت عطاياها لها — بعد أن أطرته بنشيدها — وذكرت منها قلادة ذهبية ، وختمها من اللآزورد ، وخاتما ذهبيا ، وآخر من الفضة ، وأكدت أن تطلع الملك إليها ، كان أثمن لديها من هداياها ، وأضافت أن عاصمته تجثو لدى قدميه كالنسل الصغير ، وترفع أكفها تضرعا اليه ، ثم وصفته بأنه ربها وحبيبها ،

(٣٤) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.

35) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.

W. Hinz, Op. Cit., P. 655-656.

(٣٦) أنظر :

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 496, No. 7.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

ورب بلده ، ومحبوب انليل ، هذا وقد حرص أحد النساخ المتأخرين عندما أراد أن يسجل هذه القصيدة ، أن يسبق اسم «شوسين» بمخصص الارباب (٣٧) .

هذا وقد واجهت «شوسين» بعض المتاعب من القبائل الجبلية في الشمال الشرقي ، ومن ثم فقد وجه اليها حملتين ، الواحدة الى «سيمانوم» التي قام بتدميرها في العام الثاني من حكمه (حوالي عام ٢٠٣٦ ق م) ، والاخرى الى «زابشالي» التي دمرها في العام السابع من الحكم (حوالي عام ٢٠٣١ ق م) (٣٨) ، هذا وتصور نقوش «شوسين» أسرى الحرب من «سيمانوم» ، وقد هجروا من بلادهم الى معسكر أقامه «شوسين» على مقربة من نيبور ، كما تصوره وهو يسطأ رقبة «انداسو» — حاكم زابشالي — وقد صور خلفه عشرة من أمراء المنطقة المتحالفين معه ، وقد نقلوا جميعا كأسرى الى أور ، عاصمة شوسين ، كما غنم «شوسين» من زابشالي ومجاوراتها ثروة من المعادن ، وخاصة من النحاس والرصاص والبرونز ، فضلا عن الذهب الذي صاغ منه شوسين تمثالا له ، أقيم بمعبد انليل في نيبور (٣٩) .

على أن علاقة «شوسين» بعيلام ، انما كانت ترتبط — كما فعل أبوه شولجي — برباط المصاهرة ، فلقد زوج ابنته من حاكم أنشان ، الذي أرسل نائبه ليرافق الاميرة في رحلتها من أور الى أنشان ، كما أقام عدة مبان في سوسة لعبادته ، ومن ثم فقد أغفلت اللوحات الحجرية التي عثر عليها هناك ذكر «ابن شوشيناك» معبود سوسة ، بينما تحدثت عن تأليه

(٣٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ ، صمويل كريمر : من ألواح سومر ص ٣٦٦ — ٣٦٩ ، وكذا

ANET, P. 496.

(٣٨) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٧٤ — ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

39) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609.

شوسين ، وانتحاله لقب «ملك الجهات الاربع»^(٤٠) ، كما عبرت نصوص أخرى عن استلام كمية من الشعير . مهداة كندوز ، وقد أرخت بالعام الاول من الحكم (حوالي عام ٢٠٣٨ ق م) والذي عرف باسم «العام الذي أصبح فيه شوسين ، المؤله . ملكا»^(٤١) .

وهناك ما يشير الى أن «شوسين» انما عهد بأمن المنطقة الشخصية الى المدعو «أورد نانا» (ايرنانا) وقد أسند اليه عدة مناصب هامة ، منها «سوكال ماخ» (الوزير الاعظم) و «انسى لجش» و «سانجا الاله انكى في اريدو» و «انسى أرض جوتيوم» وغيرها ، هذا فضلا عن تعيينه حاكما عسكريا على مدن الشمال الشرقي والشرق ونسعب «سو» (وهم قوم من السوبريين كانوا يعيشون شرقي مدينة الموصل الحالية) ، وامتد نفوذه من مدينة اربيل الى الخليج العربي^(٤٢) ، وربما المسبب في كل ذلك ، ازدياد خطر الاموريين ، واضطرار «شوسين» للتفرغ لمقاومتهم ، وبناء حائط أمورو ، على مقربة من بغداد الحالية ، فيما بين دجلة والفرات^(٤٣) .

(٥) ايبى - سين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق م) :

جاء «ايبى - سين» (Ibbi - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شوسين» ، ولدة ٢٤ عاما ، طبقا لما جاء في قائمة الملوك السومرية ، وهو على أية حال ، انما يمثل آخر ملوك أسرة أور الثالثة ، والتي قدر لها أن تكون نهاية آخر الاسرات السومرية في التاريخ ، والواقع أن علائم الضعف في كيان أسرة أور الثالثة انما قد بدأت في وقت مبكر من حكم «ايبى - سين» ، فلقد توقفت كثير من المدن السومرية عن تأريخ الوثائق المسماة بسنى هذا الملك ، كما توقفت بعضها الآخر عن ارسال

40) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.

41) J. J. Meek, Mesopotamian Legal Documents, in ANET, P. 217

42) J. Bottero, Op. Cit., P. 157-158.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609

43) Ibid., P. 609-610.

الندور الى معبد اله القمر في العاصمة أور ، هذا فضلا عن ارتباك
الاضاع الاقتصادية ، وقلة المواد الغذائية الاساسية — كالحنطة
مثلا — وزاد الطين بله تردى الاوضاع بصفة عامة ، بسبب هجوم
القبائل الامورية من الغرب ، وهجوم العيلاميين من الشرق ، مما أدى
في نهاية الامر الى سقوط اسرة أور الثالثة ، وأسر الملك «ايبي سين»
نفسه (٤٤) .

وعلى أية حال ، فخلد مرت السنون الخمس الاولى من حكم «ايبي
— سين» بدون منازع ، حتى لنشهد أنه خلال الثلاث سنوات الاولى من
حكمه كانت الوثائق الاقتصادية في سوسة ، تؤرخ الوثائق في أور ، الامر
الذي مكّنه من اصلاح أسوار التحصين في أور ونيبور (٤٥) ، وفي العام
السادس (حوالي عام ٢٠٢٣ ق.م) زوج «ايبي — سين» ابنته من حاكم
«زابشالي» لاقامة تحالف تدعمه المصاهرة ، غير أن هذا التحالف لم يأت
بالنتيجة المرجوة منه ، فقد كان على «ايبي — سين» أن يواجه وحده
— وفي العام العاشر من الحكم — تمرد قامت به العاصمة العيلامية سوسة ،
فضلا عن مدينتي «أدامدوم» و «أوان» في شمال سهل سوزيانا ، غير أن
الاقدار انما كتبت له نجحاً بعيد المدى — عن طريق حملة خاطفة ، ولدة
يوم واحد — في أن يخضع الثائرين ، وأن يقتاد زعيمهم (ملك سيما
شكي) مكبلا في الاغلال الى أور (٤٦) ، وان اضطر بعد ذلك — وفي العام
الرابع عشر ، من الحكم (حوالي ٢٠١٥ ق.م) — أن يخرج على رأس
جيش ضخم ضد «خوخ نوري» وأن يكتسحها كطوفان (٤٧) .

على أن الامور سرعان ما تنذر بالخطر ، عندما انتهز العيلاميون

(٤٤) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون — من كتاب —
العراق في التاريخ ص ٨٢ .

(٤٥) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 611.

(٤٦) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 611-612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

(٤٧) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

وحلفاءهم من القبائل الجبلية الشرقية فرصة ضعف الاموريين في الغرب ، فهاجموا أرض سومر ، وحاصروا «ايبي - سين» في العاصمة أور . في نفس الوقت الذي كان عليه أن يصد زحف العناصر الامرية نحو الجنوب . وهنا طلب «ايبي - سين» من تابعه «ايشبي ارا» حاكم ماري العون^(٤٨) .

غير أن «ايشبي ارا» سرعان ما انتهز هذه الفرصة ، التي أدت الى تدهور السلطة المركزية في أور ، وأخذ يعمل لصالحه الشخصي ، فخرج عن طاعة سيده ، ونقل نشاطه الى مدينة نيبور ، ثم الى مدينة «ايسين» — الى الجنوب منها بنحو ٣٠ كيلا — وهناك استقل بالحكم ، وأسس أسرة حاكمة خاصة به هي «أسرة ايسين» في السنة الثانية عشرة من حكم «ايبي سين» ، ذلك لان حكمه انما يؤرخ بعد هذه السنة^(٤٩) .

. ولم يكتف «ايشبي ارا» بذلك ، بل عمل على امتداد سلطانه الى مناطق نفوذ سيده «ايبي - سين» ، ويمكن أن نتبين ذلك من نص رسالتين متبادلتين بين «بوزور نوموشدا» (أو - بوزو تسولوجي) حاكم «كازالو» في الشرق ، وبين «ايبي - سين» ملك أور ، الذي رد أسباب المحنة الى القضاء والقدرة ، فضلا عن ارادة الارباب وفساد الدولة ، يقول الحاكم «كازالو» ، «قضى انليل بالتر على سومر ، وهبط عدوها من أرض ٠٠٠٠ وأعطى انليل الملكية لرجل وضيع ، الى «انشي ارا» ، الذي ليس من بذرة سومرية لقد انداست سومر في مجمع الالهة ، وقضى انليل أنه طالما بقى أهل السوء فيها ، فلسوف يدمر ايشي ارا ، رجل ماري ، بنيانها ويكتسح أرضها»^(٥٠) .

(٤٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، وكذا

W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 658

(٤٩) محمد بيومي مهران : بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٩٠م ص

٦٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Babylonia, 2120-1800 B. C, in CAH, I, Part, 2, 1971. P. 613.

50) S. N. Kramer, Letter of King Ibbi-Sin, in CAH, I, Part, 2, P. 613

هذا وقد تكفل العيلاميون بالقضاء على أسرة أور الثالثة . حيث انهوا حكم «ايبي - سين» ، بعد مقاومة طويلة . يرجح أنها شملت السنوات العشر الاخيرة من عهده ، وانتهت باحتلال العاصمة أور . بعد أن أصابها الخراب ، ودلت بها المجاعة ، ثم وضع القوم حامية عيلامية في أور . واقتادوا «ايبي - سين» أسيرا الى عيلام ، حيث قضى هناك في المنفى (٥١) .

وقد أرجع السومريون - كعادتهم في تفسير الكوارث التي تحل ببلادهم - أسباب زوال دولتهم ، وتدمير عاصمتهم أور ، فضلا عن تحطيم معابد آلهتهم وسلب كنوزها ، أرجعوه الى غضب الالهة ونقمتها . وخاصة انليل (٥٢) ، وإن كان القضاء على أسرة أور الثالثة . إنما يمثل كارثة حقيقية ، في تاريخ السومريين ، ومن ثم فقد تركت هذه الكارثة أثرا كبيرا في آدابهم ، يبدو واضحا في هذا الرثاء ، الذي جاء فيه : —

«لقد توقف القانون والنظام عن الوجود . والتهمت العاصفة كل نسيء ، حتى كان طوفانا قد اجتاحتها + + + + + لقد دمرت المدن ، وهدمت المنازل + + + + + ولم يعد قوم أور يسكنون مساكنها + + + + + وحل شعب «سو» والعيلاميون في مساكن أور + + + + + وجيء بالملك «ايبي - سين» الى أرض عيلام أسيرا + + + + + لقد أنقلب «نانا» على شعبه + + + + + وكان ملك أور حزينا في قصره الرائع . لقد ملأ النعم قلب «ايبي - سين» + + + + + وذرف الدمع غزيرا» (٥٣) .

وعلى أية حال ، فلم يستمر العيلامون على أرض سومر طويلا ، ذلك

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Cod, in ANET, P. 159-161.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 333-335

A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 166-169.

51) S. N. Kramer, in ANET, P. 612-619, The Sumerians, 1970, P. 71.

W Hinz, CAH, I, Part, 2, P. 659

52) S. N. Kramer, ANET, P. 613, 617.

53) S. N. Kramer, ANET, P. 612-613.

لأن «إيشى ارا» — ملك مارى — انما يحدثنا فى نص له ، يرجع الى عام ١٩٩٣ ق م ، أى بعد سقوط أسرة أور الثالثة بحوالى ثلاثة عشر عاما ، بأنه «ضرب عيلام بالأسلحة» (٥٤) .

وعلى أية حال ، فان انتهاء حكم «ايى — سين» فى عام ٢٠٠٦ ق م ، وبالتالى سقوط أسرة أور الثالثة ، انما يعنى انتهاء المحاولات الاخيرة للسيادة السومرية فى العراق القديم ، ذلك لأن نهاية أسرة أور الثالثة ، انما كانت بمثابة نهاية لحياة السومريين السياسية ، اذ لم تنشأ منهم بعدها أسرات حاكمة ، بل اندمجوا فى المسميين ، وان ظلت لغتهم وآدابهم تؤثر فى العراق القديم حتى آخر عصور حضارته ، وسنشهد فيما بعد حضارات أخرى — كالبابلية والاشورية — تبرز بحيث تستطيع الواحدة منهما أن تطفئ فى مظاهرها على الحضارة السومرية ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن هذه الحضارات التى نشأت — أول ما نشأت فى العهد الاكدي — تلت بذورها الاولى عن الحضارة السومرية ، ثم تطورت منها بعد أن انهارت (٥٥) .

54) W. Hinz, Op. Cit., P. 659.

(٥٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧١ — ١٧٢ ، وأنظر L. Le Grain, Business Documents of The Third Dynasty of Ur, London, 1947, P. 225 F.

الفصل الثالث

ايسين ولارسا واشفونا

كان انهيار أسرة أور الثالثة ، وأسر آخر ملوكها «ايبي - سين» في عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد ، مؤذنا بنكسة ترجع بنا الى نظام دويلات المدن . ذلك أن الكارثة التي أودت بعهد «ايبي - سين» شجعت مختلف المدن على اعلان استقلالها ، بحيث اصطنع حكامها الجدد ألقابا ضخمة توحى بالسيادة المطلقة ، لاعلى مدنهم فحسب ، بل على البلاد جميعا .

وهكذا أصبحنا في هذه المرحلة من الفوضى نلتقى بالكثيرين يحاولون الاستقلال أو يسعون الى تدعيمه - ان استطاعوا أن يصلوا اليه - فهذا «بوهيا» يسجل بالاكديّة في «هورشيتوم» قصة بناء قصر له . وهذا أمير في «دير» يسجل في إحدى اللوحات بالسومرية ترميم المدينة . وتشيد معبد بها ، وهذا «كيساري» في «جانخار» يسجل اسمه على خاتم أسطوانتي^(١) .

وهكذا شجعت الكارثة التي حلت بأور كثيرا من المدن على اعلان استقلالها ، ومن ثم فقد ظهرت عدة أسر حاكمة ، كان أبرزها دون شك ، أسرتا ايسين ولارسا في الجنوب ، وأشور واشنونا في الشمال^(٢) ، ولنتحدث الان عن هذه الأسر .

(١) أسرة ايسين

أسس الاموريون هذه الأسرة في «ايسين» (Isin) ، كبرى عواصم الاموريين - وهي الان ايشان بحريات ، جنوب عفا الحالية ، على مبعدة ٣٠ كيلا جنوب نيبور (نفر) - واصطنع ملوكها لقب «ملك سومر وأكد» . كما اصطنعوا الصفات الالهية ، وقاموا بأعمال عمرانية في أنحاء البلاد التي خضعت لهم ، ورمموا كثيرا مما خرب على اثر سقوط أسرة أور الثالثة .

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٣ .

٢) G. Roux, Op. Cit., P. 169.

هذا وتشير «لوحة فأل» آشورية الى أن «ايشى أرا» ، ليس له منافسون ، وهو تعبير مبهم على أية حال ، ولكنه مع ذلك ، انما يشير الى سمعته الطيبة في العصور اللاحقة ، التي تعتمد على ما قام به من اصلاحات ، وما بذل من جهود موفقة في اعلاء شأن مدينته «ايسن» وسيادتها * .

على أننا لا نملك الكثير من الوثائق عن تفصيلات الاحداث في عصر أسرة ايسين ، فالجزء الاكبر من معلوماتنا مستقى من «قائمة نيبور» التي تشير الى أن الاسرة قد حكمت ٣٢٥ سنة ، ٦ شهور ^(٣) ، وقد حكم فيها ١٥ ملكا أولهم «ايشى أرا» ، وآخرهم «دمق ايليشيو» ^(٤) .

هذا وقد حكم «ايشى أرا» لمدة ٣٣ عاما (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) ، وتلقب بلقب «ملك سومر وأكد» ، واتخذ لنفسه صفات الالهية ، ثم

(٣) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ٦٤ - ٦٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٤) انظر أسماء ملوك أسرة ايسين وفترات حكمهم (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعد فيضى - بغداد ١٩٨١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وكذا (CAH, I, Part, 2, P. 1000.

وهي طبقا للمرجع الاخير كالتالى :

- ١ - ايشى أرا (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) .
- ٢ - شو ايليشو (١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق.م) .
- ٣ - ايدين داجان (١٩٧٤ - ١٩٥٤ ق.م) .
- ٤ - ايشى داجان (١٩٥٣ - ١٩٣٥ ق.م) .
- ٥ - لبث عشتار (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) .
- ٦ - أور - نينورتا (١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق.م) .
- ٧ - بورس (١٨٩٥ - ١٨٧٥ ق.م) .
- ٨ - لبث - انليل (١٨٧٤ - ١٨٧٠ ق.م) .
- ٩ - ايرا - ايمتى (١٨٦٩ - ١٨٦٢ ق.م) .
- ١٠ - انليل - بانى (١٨٦١ - ١٨٣٨ ق.م) .
- ١١ - زامبيا (١٨٣٧ - ١٨٣٥ ق.م) .
- ١٢ - ايتير - بيشا (١٨٣٤ - ١٨٣١ ق.م) .
- ١٣ - أور - دوكوحا (١٨٣٠ - ١٨٢٨ ق.م) .
- ١٤ - سن - ماجبر (١٨٢٧ - ١٨١٧ ق.م) .
- ١٥ - ديمق ايليشو (١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م) .

خلفه أربعة من أسرته ، انتقل العرش من بعدهم الى أسرة ثانية ، كما دخل في خصام مع العيلاميين الذين كانوا يحتلون مدينة أور ، منذ سقوطها في أيديهم (عام ٢٠٠٦ ق.م) ، حتى استطاع أن يسترجعها منهم ، حوالي عام ١٩٩٣ ق.م — أي بعد سقوطها بحوالي ١٣ عاما — في حرب لم تعرف تفاصيلها ، اندحر فيها العيلاميون اندحارا بلغت شدته حدا جعلهم لا يتحشرون بمدن العراق الجنوبية لفترة طويلة .

وهناك ما يشير الى قيام «ايشى ارا» بتعزيز وسائل الدفاع عن عاصمته ايسن ، فضلا عن علاقاته التجارية بمدن الفرات الاعلى ، والمناطق الشمالية الشرقية ، وعن شغفه الشديد بالثقافة السومرية ، وكانت اللغة السومرية ما تزال هي اللغة الرسمية في البلاط^(٥) .

وجاء بعد «ايشى ارا» ولده «شوايليشو» (Shu - Ilshu) (١٩٨٤ — ١٩٧٥ ق.م)^(٦) ، ويشار اليه في بعض انصوص ، أنه قد أعاد تمثال المعبود «نار» من أنشان الى أور ، وان كنا لا ندري على وجه اليقين ، أتم هذا بطريق سلمى أم في حرب انكسرت أنشان فيها .

وجاء بعد ذلك «ايددين داجان» (Iddin - Dagan) (١٩٧٤ — ١٩٥٤)^(٧) ، وقد احتل سيبير ، وأعلن نفسه ملكا على سومر وأكد ، وأكبر الظن ان انتحال هذا اللقب ، ليس بالامر الجديد في «ايسن» فلقد خلف سلفاه (أبوه وجدّه) نصوصا أو نقوشا نلتقى فيها بلقب «ملك سومر وأكد» ، وعلى أية حال ، فان خليفته «ايشمى داجان» Ishme - Dagan (١٩٥٣ — ١٩٣٥ ق.م) ذهب الى أبعد من ذلك ، فلقد عثر في أور (المقير) على بعض قوالب طوب البناء ، وعليها لقب «سيد الوركاء» — فضلا عن لقبى «ملك ايسن» ، و «ملك سومر وأكد» — كما

(٥) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم — من كتاب العراق في التاريخ ص ٨٢ .

(٦) CAH, I, Part, 2, 1971, P. 1000.

(٧) Ibid., P. 1000.

يسجل في عبارات طنانة ما أسداه الى مدن نيبور واريديو وأور ، مما يؤكد امتداد سلطانه على هذه النواحي ، وقد ذكرت هذه المدن ، كما سجلت نفس الانقلاب في عصر ولده وخليفته «لبت عشتار» (Lipit - Ishtar) (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق م) (٨) .

وينسب الى «لبت - عشتار» هذا ، واحد من أهم التشريعات في العراق القديم ، ويؤرخ بالعام الحادي عشر من حكمه (حوالي عام ١٩٢٤ ق م) ، وبعد «تشريع أشنونا» بنصف قرن ، وقبل تشريع حمورابي بثلث ونصف تقريبا ، ولم يبق من تشريع لبت عشتار ، سوى ثمانين وثلاثين مادة ، يحتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشريع ، فضلا عن مقدمة وخاتمة (٩) .

هذا وقد كتبت تشريعات لبت عشتار باللغة السومرية (وربما كانت هناك نسخة أخرى باللغة الاكدية) (١٠) وقد حفظت لنا في سبعة ألواح ، عشر على ستة منها في نيبور ، وهي محفوظة الان بمتحف الجامعة في لندن ، أما السابعة - ومصدرها غير معروف - فمحفوظة الان بمتحف اللوفر في باريس ، ومن المؤكد أن هذه النسخ الطينية (المكسر) انما هي نسخة من القانون الاصل (١١) ، يدل على ذلك ، كثرة الاخطاء النحوية ، وسوء ترتيب المواد فلقد جرت العادة أن يستنسخ الطلبة القوانين أو

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٩ ، وكذا

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .

(١٠) C J. Gadd, Op. Cit., P. 635.

(١١) انظر عن قانون لبت عشتار (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٤٩/٦ - ٥٣ ، طه باقر : قانون لبت عشتار - مجلة سومر - بغداد ١٩٤٨ ، فوزي رشيد : الشرائع العراقية القديمة - بغداد ١٩٧٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Code, in ANET, 1966, P. 159-161.

F. R. Steele, The Code of Lipit - Ishtar, in AJA, LII, 1948, P. 425-450.

F. Szlechter, in RA, LI, 1957, P. 57-82, 177-196, LII, 1958, P. 74-89.

F. R. Steele, in AJA, LI, 1947, P. 158-164.

بعض النصوص الدينية بغية تعليمهم وتدريبهم على الكتابة والقراءة .
ومن ثم فمن المرجح أن هذه النصوص المكتشفة انما هي من قبيل هذه
النصوص المكتشفة انما هي من قبيل هذه النصوص التعليمية. أما الاصل
فقد دون على مسألة أو نصب مميز ، لم يعثر عليه بعد . الامر الذى تثير
اليه الفقرة التى وردت فى مقدمة القانون . والتى تقول — على لسان لبت
— عشتار — «عندما وفرت الرفاهية لبلاد سومر وأكد . أقمت هذه
المسألة» (١٢) .

هذا وقد اتخذ «لبت — عشتار» فى مقدمة قانونه لقب «ملك سومر
وأكد» ، واعتبر نفسه ولدا للاله الاكبر «انليل» . ووصف نفسه بأنه
الراعى الحكيم ، ولكنه سرعان ما عقب على ذلك بقوله : انه راع متواضع
وأنه مزارع ، وأكد رعايته للمدن العتيقة نيبور واريديو وأور وأوروك ،
وافنخر بأن ربه وهبه امارة البلاد ، ليحق المحق فيها . وليعمل على
اسعاد السومريين والاكديين ، سواء بسواء ، وليقاوم الفساد والقتال
بقوة السلاح ، ثم أكد أنه استوحى تشريعه من «أوتو» — رب
الشمس — و «انليل» وأقر كلماتهما المقدسة ، وأنه ابتغى أن يحرر أبناء
مدن سومر وأكد وبناتها من الرق الذى فرض عليهم (١٣) .

وأما مواد القانون التى سلمت من التلف الذى أصاب الألواح . وقد
أمكن ترجمتها ، فانها تعالج شئون الاراضى الزراعية ، وشئون السرقة
فى البساتين ، أو فى دار مجاورة لأرض زراعية مهجورة ، فضلا عن شئون
العبيد فى حالات هربهم ، أو ايواء الهاربين منهم أو عقبتهم ، كما تناولت
مواد أخرى حالات الاعتداء على الآخرين ، وتنظيم شئون الضرائب .
وقد اهتمت كثيرا بقانون الاحوال الشخصية ، وخاصة فيما يتعلق بشئون
الابناء ، فضلا عن الحقوق المالية والاجتماعية وشئون الارث (١٤) .

(١٢) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ .
(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .
(١٤) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٤ .

وهناك ترجمة لأهم مواد القانون الباقية كاملة :

مادة ١٨ : اذا سلم رجل أرضا بورا الى آخر ، ليقيم فيها بستانا ، ولم يكمل الاخير اصلاح الارض لبور لعمل البستان ، فانه يسلم الرجل الذى أقام البستان الارض البور التى أهلها ، كجزء من نصيبه •

مادة ١١ : اذا جاورت أرض بور منزلا عامرا ، وأنذر صاحب المنزل صاحب الارض البور بخوفه من أن يتسلل رجل الى بيته ، فان صاحب الارض البور (الفضاء) مسئول أمام صاحب المنزل عما يضيع من مقتنياته •

مادة ١٢ : اذا هربت أمة أو عبد الى قلب المدينة ، وثبت أنها — أو أنه — يعيش فى بيت رجل آخر مدى شهر ، فانه يرد أمة أو عبدا ، مقابل الامة أو العبد •

مادة ١٣ : اذا لم يكن له عبيد ، فانه يدفع ١٥ شاقلا من الفضة

مادة ١٤ : اذا عوض عبد عن عبوديته لمولاه ، وثبت أنه عوضه تعويضا مضاعفا ، فانه يعتق (وهذا يعنى أن القانون قد أباح للعبد أن يحرر نفسه اذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به) •

مادة ١٨ : اذا عجز ، أو تأخر ، صاحب ضيعة — أو صاحبة ضيعة — عن دفع ضريبة الضيعة ، ونقلت الى شخص غريب ، فان صاحب الضيعة يظل فيها ثلاث سنوات ، دون أن يطرد ، ثم تنقل ملكيتها بعد ذلك الى من تحمل دفع الضريبة عن الضيعة ، وليس لصاحبها الاول أى دعوى قبلها •

مادة ٢٢ : اذا كان الاب حيا ، فمن حق ابنه — سواء أكانت «انتو» (طبقة من الكاهنات) أو «ناتيتو» (طبقة أخرى من الكاهنات) — أن تعيش فى بيته ، كوريثة له •

مادة ٢٤ : اذا حملت الزوجة الثانية بأطفال (وهذا يعنى أن القانون يقر سعيدا تعدد الزوجات) فان البائنة التى أتت بها من بيت أبيها . انما هى حق لأطفالها ، ولكن أطفال الزوجة الاولى والثانية انما يأخذون أنصبتهم من ممتلكات أبيهم بالتساوى (١٥) .

مادة ٢٥ : اذا تزوج رجل بأمرأة ، ثم رزق منها بأطفال ، ثم رزق أيضا من أمة له بأطفال كذلك ، فان الامة وأطفالها يحررون ، غير أن أبناء الامة لا يشاركون أطفال أبيهم الآخرين فى ضيعته .

مادة ٢٦ : : اذا ماتت الزوجة الاولى ، ثم اتخذ زوجها من بعدها أمة له كزوجة ، فان ورثته انما هم أبناء الزوجة الاولى

مادة ٢٧ : اذا كانت الزوجة عقيما ، ثم اتخذ لنفسه مخطية «من الميدان العام» (ربما بمعنى عاهرة) ورزق منها بطفل أو أطفال ، وجب عليه أن ينفق على حظيته ، وأن يورث أولاده منها ، ولكن ليس له أن يسكنها فى داره ، ما دامت زوجته حية (وفى ذلك بعض التقدير لكرامة الزوجة الشرعية ، ومراعاة مشاعرها كعاهر حرمت هبة الانجاب) .

مادة ٢٨ : اذا أدار الرجل وجهه عن زوجته الاولى (بمعنى هجرها) ، ولكنها لم تغادر البيت ، ثم بنى بأخرى ، فان هذه الزوجة الثانية — كأثيرة عنده — تصبح زوجته الثانية ، ولكنه يستمر فى الانفاق على الزوجة الاولى .

مادة ٢٩ : اذا دخل خطيب الابنة مسكن حميه المقبل . وقام بمراسيم الخطبة : ثم طرد بعد ذلك ، وأعطيت خطيبته لرفيقه . فان جميع هدايا الخطوبة ترد له ، كما أن الفتاة لا تتزوج من رفيقه .

(١٥) قارن ذلك بقانون «البكورية» عند بنى اسرائيل (محمد بيومى مهران : اسرائيل - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٩٠ - ١٩٤) .

مادة ٣٤ : اذا أجز رجل ثورا ، وجرح جلده عند خزامة الانف ،
فانه يدفع ثلث ثمنه •

مادة ٣٥ : اذا أجز رجل ثورا ، وفقاً عينه أو أصابها ، فانه يدفع
نصف ثمنه •

مادة ٣٦ : اذا أجز رجل ثورا ، وكسر قرنه ، فانه يدفع ربع ثمنه •

مادة ٣٧ : اذا أجز رجل ثورا ، وأصاب ذيله ، فانه يدفع ربع ثمنه •

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن «لبت - عشتار» - رغم
اهتمامه بالتشريع - فقد قام بتشديد عدة مبان في أور ، غير أن معاصره
«جونجونوم» (Gungunum) (١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق.م) ملك لارسا ،
سرعن ما انتزع منه عدة مدن هامة ، مثل أور ولجش ، وفرض حكمه
على مناطق واسعة في جنوب العراق ، مكنته من التحكم في تجارة البلاد
الخارجية . ومع ذلك فان «جونجو نوم» لم يتعرض لأسرة ايسن ، أو
أنها ، فيما يبدو ، قد استطاعت أن تستعيد قواها •

وهكذا تشير قوائم الملوك الى أن خليفة «لبت عشتار» انما كان
«أور نورتا» (١٩٢٤ - ١٨٩٦ ق.م) وتصفه نصوص كتبت على قوائم
من حين . وهو يحمل اللقب التقليدي «ملك ايسن ، ملك سومر وأكد» ،
بل ويظهر في بعض النصوص بوصفه - الى جانب اللقب السابقة -
سيد الوركاء ، وحامي نيبور وأور واريديو ، وبعد حكم دام ٢٨ عاماً ،
نرى ابنه «بورسن» يخلفه وهو يحمل نفس اللقب التي كان يحملها
أبوه . ثم جاء بعد «بورسن» (١٨٩٥ - ١٨٧٥ ق.م) «لبت أنليل»
(١٨٧٤ - ١٨٧٠ ق.م) •

وجاء «ايرا - ايميني» (١٨٦٩ - ١٨٦٢ ق.م) ، وقد وقع في عهده
حدث غريب لا نعرف تفاصيله ، فلقد تم اختيار ملك بديلا له ، حسب
العادة المعروفة آنذاك ، ليحكم مدة معينة ، عندما يشعر الكهنة أن شخص

الملك الحقيقي معرض للخطر ، وعندئذ يحكم الملك البديل عوضا عنه ، ثم يقتل في نهاية الفترة المحددة ، ويدفن في موكب عظيم ، وهكذا اختير البستانى «انليل - بانى» ليكون الملك البديل ، غير أن الملك «ايرا - ايمينى» سرعان ما قتل أثناء تناوله حساء ، وربما كانت هناك مؤامرة ضده ، وبالتالي فقد مات مسموما ، وربما كان «انليل - بانى» من وراء هذه المؤامرة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «انليل - بانى» هو الملك الجديد ، وحكم البلاد ٢٣ عاما (١٨٦١ - ١٨٣٨ ق.م) •

وكان الملوك الثلاثة الذين أتوا بعد «انليل - بانى» (زامبيا - ايتربيشا - أور - دوكوجا) والذين حكموا البلاد فترة لا تتجاوز عقدا من الزمان (١٨٣٨ - ١٨٢٨ ق.م) لا تربطهم مع بعض أى صلة من قرابة ، الامر الذى يشير الى مدى الاضطراب الداخلى الذى ساد البلاد غير أن الفترة الاخيرة من عهد الاسرة ، والتى حكم فيها «سن - ماجير» (١٨٢٧ - ١٨١٧ ق.م) و «دمق ايليشو» (١٨١٦ - ٢٧٩٤ ق.م) انما كانت أكثر استقرارا ، وقد عثر للملك «سن - ماجير» على نقش نذرى مكرس له بوصفه سيد المدينة ، بل انه ظل يتمسك فى نص آخر بلقب «مالك سومر وأكد» ، وكان ولده «دمق ايليشو» يصطنع نفس اللقب ، بل ان هناك ما يشير الى أن سيار وبابل قد خضعتا لحكمه فترة من الزمن ، فكان - كآبيه - ملكا على سومر وأكد ، غير أن الامور سرعان ما تغيرت حتى استطاع «ريم سين» ملك لارسا أن يقضى على سلطان «دمق ايليشو» ، ويحتل العاصمة «ايسين» ، وان ينهى حكم أسر ايسين تماما •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن ملوك أسرة ايسين - رغم أنهم كانوا من أصل أمورى سامى - انما قد تأثروا كثيرا بالثقافة السومرية ، ومن ثم فقد استعملوا اللغة السومرية فى تدوين مكاتبتهم الرسمية ، واستنسخوا النصوص الادبية السومرية ، واستخدموا ألقاب الملوك السومريين والاكديين ، كلقب «ملك سومر وأكد» ، وأخيرا فلقد قلدوا

ملوك أسرة أور الثالثة في إضافة علامة التأليه (النجمة) الى أسمائهم ،
بغية أن يصفوا على أنفسهم مسحة من القداسة (١٦) .

(٢) أسرة لارسا

أسس هذه الأسرة «نابلانوم» (Naplanum) (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م) وهو أموري الاصل - في مدينة «لارسا» - وهي تل
سنكرة الحالية ، على مبعده ٣٠ كيلا شمال غرب الناصرية - ثم تلاه
ثلاثة من الملوك المضعاف .

وكان خليفته الرابع «جونجونوم» Gungunum (١٩٣٢ -
١٩٠٦ ق.م) ملكا قويا . استطاع أن يقف في وجه أسرة ايسن ، والتي
كانت حتى ذلك الوقت تتمتع بنفوذ سياسي كبير في البلاد ، وهناك ما
يتيسر الى أنه وجه جيشا نحو عيلام ، وهاجم مدينتي «باشيمي»

(١٦) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٤ - ٨٦ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 171 F.

(١٧) انظر ملوك أسرة لارسا وفترات حكمهم (نجيب ميخائيل :
المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٥ ، وكذا
CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 1000.

وهي طبقا للمرجع الاخير كالتالى :

- ١ - نابلانوم (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م) .
- ٢ - اميسوم (٢٠٠٤ - ١٩٧٧ ق.م) .
- ٣ - ساميوم (١٩٧٦ - ١٩٤٢ ق.م) .
- ٤ - زابايا (١٩٤١ - ١٩٣٣ ق.م) .
- ٥ - جونجونوم (١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق.م) .
- ٦ - أبى - سارة (١٩٠٥ - ١٨٩٥ ق.م) .
- ٧ - سمو - ابل (١٨٩٤ - ١٨٦٦ ق.م) .
- ٨ - نور - أداد (١٨٦٥ - ١٨٥٠ ق.م) .
- ٩ - سن - ادينام (١٨٤٩ - ١٨٤٣ ق.م) .
- ١٠ - سن - ارييام (١٨٤٢ - ١٨٤١ ق.م) .
- ١١ - سن - اكيشام (١٨٤٠ - ١٨٣٦ ق.م) .
- ١٢ - صلى - أداد (١٨٣٥ ق.م) .
- ١٣ - ورد - سن (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م) .
- ١٤ - ريم - سن (١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م) .

و «أنشان» ، أما في الداخل فلقد هاجم مملكة ايسين ، واستولى على أور ، وزعم أن سلطانه قد شمل سومر وأكد ، وبعد سنوات قلائل ، استولى على لجش وسوسة ، وربما أوروك ، وأصبحت لارسا على أيامه تمتلك نصف جنوب العراق ، وباب البحر السفلى (الخليج العربى) ، ومن ثم فقد اتخذ لقب «ملك سومرو أكد» •

وهكذا استمرت «لارسا» في التوسع ، في حين بدأ نفوذ «ايسين» في الانحسار ، ابتداء من عهد «لبت عشتار» (١٩٣٤ — ١٩٣٤ ق.م) ، غير أن «جونجونوم» — كما أشرنا من قبل — لم يتعرض لأسرة ايسين ، أو أن أسرة ايسين استطاعت أن تستعيد قواها •

وعلى أية حال ، فلقد خلف «أبى — سارة» (Abi - Sart) (١٩٠٥ — ١٨٩٥ ق.م) «جونجونوم» على عرش لارسا ، وقام بشق القنوات ، وتزيين معابد الالهة ، ومن ثم فقد تلقى «ننار» — معبود أور — تمثالين ، الواحد من الفضة ، والاخر من العقيق واللآزورد ، وفي سنته التاسعة (حوالى عام ١٨٩٥ ق.م) حارب قوات ايسين ، على أيام الملك «بورسين» (١٨٩٥ — ١٨٧٤ ق.م) ، غير أن «بورسين» لنما قد نجح في أن يستعيد «أور» من «لارسا» (Larsa) ، فضلا عن لقب «ملك سومر وأكد» •

وجاء «سمو — ايل» (Sumuel) (١٨٩٤ — ١٨٦٦ ق.م) — بعد أبى — «سارة» ، وأعلن نفسه «ملكا على أور» و «ملكا على سومر وأكد» ، بعد أن استولى على لجش ، وأهدى الى الالهة «ننن ايسن» كلبا نذريا من حجر السيتياتيت ، ثم حارب «كازاللو» و «كايدا» وكيش ، وانتصر عليهم جميعا ، ثم شق القنوات ، وأهدى المعبود شمش تمثالا من الفضة •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أنه في العام التالى لحكم «سمو — ايل» ملك لارسا ، و «بورسن» ملك ايسين ، أعلن «سمو —

أبوم» (Sumuabum) نفسه ملكا على بابل (١٨٩٤ - ١٨٨١ ق.م) وكان لظهور أسرة بابل هذه تأثير خطير على الاحداث ، ليس في العراق القديم فحسب ، بل في تاريخ الشرق الادنى القديم كله ، من النواحي السياسية والثقافية والعمرانية ، وجدير بالذكر هنا أن القبائل الامورية التي كان يتزعمها «سومو - أبوم» انما تمثل الموجة الامورية الثانية التي دخلت بلاد النهرين ، بينما تمثل أسرتا ايسين ولارسا الموجة الاولى .

وعلى أية حال ، فلقد أخذ نفوذ أسرة بابل هذه يزداد شيئا فشيئا ، الامر الذي أدى الى أن تشتبك في حرب مع ملك لارسا «صلى - أداد» (Silli - Adad) (١٨٣٥ ق.م) انتهت بقتله، الامر الذي أدى الى أن ينتهز الملك العيلامي «كودور ماسك» الفرصة في أن يتدخل في شئون لارسا ، وأن ينصب ولده «ورد - سين» (Warad - Sin) (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م) ملكا على لارسا ، ثم خلفه أخوه «ريم سن» (Rim - Sin) (١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م) الذي قضى نهائيا على أسرة ايسين المعاصرة تماما في عام ١٧٩٣ ق.م .

وعلى أية حل ، فلقد كان سقوط أسرة ايسين سببا في أن يصبح الجو السياسي مهيئا أكثر من أى وقت مضى لنزاع مرتقب بين القوتين القويتين - ايسين وبابل - الامر الذي تم في عام ١٧٦٣ ق.م ، على يد الملك البابلي الشهير حمورابي الذي حقق نصرا ساحقا على «ريم سن» ، وبذا انتهت أسرة ايسين الى الابد (١٨) .

(١٨) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٤ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٤ - ٧٥ ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 636-637.

(٣) مملكة اشنونا

شملت مملكة اشنونا (تل أسمر الحالية) على أرضين تقع ضمن محافظتي بغداد وديالى ، بعاصمتها المتمثلة في تل أسمر ، وقد كان يتبعها عدة مدن ، يمثلها الان تل حرمل وخفاجي وتل الضباعي وشجالي ، وكان تل حرمل — ويقع على مبعدة ٩ كيلا شرقي بغداد — يمثل صاحبة من ضواحي اشنونا تسمى «شادوبم» ، ومركزا اداريا لمملكة اشنونا بعد استقلالها في أخريات عهد أسرة أور الثالثة ، وقد عثر فيه على مجموعة من الألواح تتضمن نصوصا تمثل نواحي المعرفة ، فضلا عن قانون لا نعرف مشرعه ، وان نسبه «طه باقر» و «جوتزة» الى ملك دعوه «بلالاما» ، ثم عدل الاخير عن رأيه ، واكتفى بنسبة التشريع الى مدينته «اشنونا»^(١٩) .

هذا ويعتبر تشريع اشنونا هو التشريع الثانى من نوعه ، بعد المحاولة التى قام بها «أور — ناهو» مؤسس أسرة أور الثالثة ، أو هو الثالث بعد المحاولة الادارية التى قام بها «أوركاجينا» فى لجش ، وهو يعد أول القوانين التى كتبت بلغة الاكادية ، وقد كشف عنه خلال حفريات مديرية الآثار العراقية فى موقع أثري يقع فى منطقة بغداد الجديدة ، الكائنة فى ضواحي العاصمة بغداد ، اسمه تل حرمل ، غير أن النسخ المكتشفة ليست هى القانون الاصلى ، وانما هى نماذج أستخدمت فى أغراض تعليمية ، ومن ثم فهى — نأنها فى ذلك شأن قانون لبت عشتار مثلا — عرضه للاخطاء النحوية ، وعدم الدقة فى تبويب أبوابها .

هذا وقد بقيت من قانون اشنونا هذا ، احدى وستون مادة ، عالجت أهم جوانب الحياة فى عصرها ، وتسهدت بالكفاية التشريعية لأصحابها ،

(١٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، طه باقر : السابق ص ٢٨٨ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ٤٥ ، وكذا A. Goetze, ANET, P. 161. G Roux, Op. Cit., P. 175.

غير أنه — على غير العادة في القوانين السابقة — فإن المواد الاحدى عشرة الاولى ، انما تتعلق بتحديد الاسعار والاجور ، مما يثير الشك في صحة تبويب هذه المواد ، كما أنها لا تبدأ بأداة الشرط «إذا» ، على غرار المواد القانونية (٢٠) .

وعلى أية حال ، فلقد اهتمت مواد القانون بأسعار الكثير من المواد الضرورية ، كالشعير والزيت والملح والنحاس وتأجير العربات والقوارب والعمال الزراعيين والاجراء ، كما اهتمت كذلك بالعبيد وبالزواج والطلاق والاقراض والدين والتبني والارث والبيع والشراء والتعدي ، فضلا عن تحديد العقوبات على جرائم عصرها ، وعلى الاضرار التي تلحق بالغير ، وقد جمعت في ذلك بين القصاص والدية .

وهكذا تناولت تشريعات اشنونا أغلب مشكلات الحياة في عصرها ، وأدى العثور على ما بقى منها الى تعديل الفكرة الشائعة التي اعتبرت تشريعات حمورابي أقدم تشريعات مكتوبة في العراق القديم ، وعلى أية حال ، فيمكن تقسيم تشريعات اشنونا الى مجموعات : اهتمت مجموعة منها بتحديد أسعار الاقوات الضرورية كالشعير والزيت والملح ، فجعلت كور الشعير بشيقل فضة ، وسعر الثلاث «كا» من الزيت الممتاز بشيقل فضة ، وكذا كورى الشعير ، وأما «كا» زيت السمسم الفاخر فبثلاث سيات من الشعير (المواد ١ ، ٢) .

واهتمت مجموعة أخرى بتحديد أجور العربات والقوارب ، ومن يعملون عليها ، فضلا عن أجور العمال الزراعيين ، فجعلت أجرة العربة بشينانها وسائقها طوال اليوم ، «بانا» ، ٤ سيات شعير ، أو ثلث شيقل فضة (مادة ٣) ، وجعلت أجرة نقل حمولة كور بالقارب ، ٢ فو (كو) شعير ، وأجرة المراكبي طوال اليوم ، سيه وقو من الشعير ، (مادة ٤) ،

(٢٠) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا Taha Baqir, Tell-Harmal, Sumer, II, 1946, P. 23-30, IV, 1948, P. 137-138.

على أن يدفع ثمن ما أغرقه ، إذا ما تسبب بإهماله في غرق المركب (مادة ٥) ، وأما إذا استولى مراكبي على مركب لا يملكه ، فإنه يدفع عشرة شواقل من الفضة (مادة ٦) ، كما جعلت أجره الحمار والحمال طوال اليوم سبعتين من الشعير ، وجعلت أجره الفلاح في موسم الحصاد سبعتين من الشعير . أو وزن ١٢ حبة من الفضة ، وأما أجره الأخير في الشهر فكانت شيقلا من الفضة ، وبأنا من الشعير ، وجعلت أجر مذيريات الحبوب سبعا من الشعير ، على أنها اشترطت أن يدفع الأخير عشرة شواقل من الفضة لمن استأجره للحصاد ، ولم يضع نفسه تحت تصرفه ، ولم يكمل له العمل الذي استؤجر من أجله (المواد ٧ - ١١) .

واهتمت مجموعة الثالثة بالعقوبات ، فجمعت بين القصاص والدية ، ومن ثم قفد رضى بالقتل عقابا للقاتل ، ولكنها أقرت مبدأ الدية على الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة ، فقصت على من عض أنف شخص ، أو اقتلع عينه ، بأن يدفع دية قدرها «منا» من الفضة . وقصت على من كسر سنا الآخر ، بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة ، وألقت مسؤولية ما يأتئيه العبد أو الفحل أو الكلب على كاهل صاحبه (المواد ٤٢ - ٤٨ ، ٥٣ - ٥٧) .

وعنيت مجموعة رابعة بتنظيم العلاقات الاسرية . والمعاملات الخاصة ، فاشتترط رضا الوالدين على زواج ابنتهما ، وقررت أن من أغوى فتاة على معاشرته ، دون أن يعقد عليها أمام والديها ، أو أحدهما . لن تصبح له زوجة ، حتى وإن أقامت في داره حولا كاملا ، ولكنه من ناحية أخرى ، إذا عمل عقد زواج مع أبيها أو أمها وعاش بها ، فإنها تصبح زوجة بيت ، وإن وجدت مع رجل آخر تقتل أنها لا تخرج حية ، كما نصت على أنه إذا ما تعاقد رجل مع سبب على تزويجه ابنته . ثم زوجها لغيره ، وجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذه منه كما نصت على أنه إذا أعطى رجل مال العرس لابنة رجل آخر ، ثم اغتصبها رجل ثالث ، دون استئذان أبيها ، أو أمها ، واغتصب بكرتها ، فإن هذه جريمة كبرى ، عقوبتها الموت (المواد ٢٥ - ٢٨) .

ونصت على حق المحارب الذى يؤسر — مدافعا أو غازيا — وينقل الى ديار أعدائه ، فى أن يسترد زوجته حين عودته ، ولو تزوجت غيره ، خلال غيابه عنها ، ولكنها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها لها ، أو أبقا من سيده ، كما جعلت القتل عقابا على الزوجة الزانية ، وأما من يفتض بكاره جارية رجل آخر ، فانه يدفع ثلثى «منا» من الفضة ، وتظل الجارية ملكا لسيدها (المواد ٢٩ — ٣١) •

ونصت على أن من طلق زوجته ذات الاولاد ، وتزوج غيرها ، عليه أن يفارق دارها وما فيها هو ، ومن أراد أن يتبعه من أهل داره (مادة ٥٩) ، ونصت على أن من سلم ابنه للحضانة والتربية ، ولم يعط الحاضنة تمويلا من الشعير والزيت والصوف مدى ثلاث سنوات ، فانه يدفع ١٠ منا من الفضة ، فى مقابل تنشئته ، حتى يمكنه أن يسترد ولده ، وأما اذا سلمت جارية طفلها لابنة رجل آخر ، وشهد سيده حين يكبر ، فانه يستطيع أن يسترده (المواد ٣٢ — ٣٣) •

واستنتت شريعة اثنونا مبدأ الشفعة ، فأقرت حق الاخوة فى شراء نصيب أخيه من الميراث ، اذا أراد بيعه ، وأن من باع دارا ، فهو أحق بشرائها ثانية ، لو باعها مشتريها ، (المواد ٣٨ ، ٣٩) ، ونصت على أنه اذا اشترى رجل عبد أو أمة أو ثورا أو بضاعة ثمينة ، ولكنه لم يستطع ان يحدد البائع له ، فهو لص (مادة ٤٠) ، كما حددت أرباح القروض — مدنية أو عينية — فجعلت ربح المشيقل من الفضة سدسا وست حبات ، وجعلت ربح كور الشعير ، «باننا» وأربع سيات من نفس نوعه (المواد ١٩ — ٢١) •

ونصت على أن من يستترهن جارية رجل ، ليس له دعوى قبله ، ويقسم الرجل على ذلك ، فان يدفع له فضة كاملة عن الجارية ، فاذا ما قتلها يدفع له مقابلها جارتين ، وأما من احتجز زوجة «موشكينوم» (عضو فى هيئة تتصل بالقصر أو المعبد) أو طفلا له وقتلها ، فانه يقتل (المواد ٢٢ — ٢٤) ، ونصت على أنه ان كان هناك حائط يهدد بالانهيار ،

ووصل الى السطات نبأ علم صاحبه بذلك ، ولم يقم بتدعيمه ثم انهار الحائط فقتل واحدا من طبقة الاحرار ، فان هذه جريمة كبرى يفصل فيها الملك (مادة ٥٨) •

هذا وقد حرصت مجموعة خامسة من التشريعات نفسها على تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والمساكن فيما يمتلكون من العبيد والجواري والعقارات ، فحرمت على الرقيق والاماء الموسومين بأسماء سادتهم أن يجتازوا بوابة اثنونا ، دون اذن من سادتهم ، وأكدت حقوق السادة في امتلاك أبناء جواريتهم ، ولو رباهم غيرهم ، وحرمت على العبد أو الجارية أن يتاجر لحسابه ، وتوعدت من يتعامل معه ، أى أنها اعتبرت العبد لا يملك شيئا ، وهو وما يملكه ملك لسيده ، «لا يجوز للتاجر أو بائعة الخمر أن يتسلم من عبد أو امرأة فضة أو حبوبا أو صوفا أو زيتا كراس مال للمتاجرة» ، وقد فرضت عشرة شواقل من الفضة على من يضبط نهارا في حقل رجل من «موثكينوم» أو في داره ، والقتل على من يضبط ليلا (الواد ١٢ - ١٦) (٢١) •

وأما عن الناحية السياسية في مملكة اثنونا ، فان أول حاكم استقل بها كان «ايليشو - ايليا» حوالي عام ٢٠٢٥ ق م ، والمعروف أن ضعفنا حل باثنونه جعلها تابعة لاييسين ثم الدين وكيش ، ثم جاء بعد ذلك ملوك نهضوا بالمملكة ، منهم «ابن أداد الاول» التي تخلصت في أيامه واتخذ لقب ملك أشور ، ويرجح أنه الملك المعروف بنفس الاسم في ثبت اثنونا من السيطرة الخارجية، ثم خلفه «نارام سن» الذي وسع المملكة،

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، وكذا

T. Baqir, Sumer, 4, P. 153-173.

A. Goetze, The Laws of Eshnunna, in ANET, 1966, P. 161-163.

A. Goetze, Sumer, 4, 1948, P. 63-102, JAOS, 69, 1949, P. 115-120.

A. Pohl, Orientalia, 8, 1949, P. 124-128.

G Roux, Op. Cit., P. 173.

M. S. Nicolo, Orientalia, 18, P. 258-262.

واتخذ لقب «ملك آشور» ، ويرجح أنه الملك المعروف في نبت الملوك الاشوري ، ثم جاء بعده «داد وشه» الذي ساعد «زمرى ليم» ملك مارى (تل الحريري) على استرجاع عرشه من الاشوريين ، ثم قوضت دعائم المملكة بحيث لم تقو على الصمود أمام «حمورابى» الذى استولى عليها فى عام ١٧٦١ قبل الميلاد .

وعلى أية حال . فلقد كان لأشورنا دور كبير فى عصرها ، ربما بسبب ثرائها الذى كان نتيجة امتلاكها لأرضين خصبة ، تغذى بها شبكة من القنوات وفروع الانهار ، فضلا عن موقعها الجغرافى المتوسط ، الامر الذى كان له أكبر الاثر فى تجارتها (٢٢) .

بقيت الاشارة الى قيام أسرة مالكة أيضا فى «أشور» — كما أشرنا من قبل استقلت بعد انهيار أسرة أور الثالثة ، وظلت كذلك حتى أيام حمورابى ، وأما أول ملوك أسرة آشور هذه ، فهو «ايلو — شوما» ، وكان معاصر لمؤسس أسرة بابل الاولى (سومر — ابوم) ، وكان من أشهر ملوكها «اير — يشوم» و «سرجون الاول» (الاشورى) ، ولعل مما تجدر ملاحظته هنا أن أسماء هذه المملكة الاشورية ، أسماء سامية ، فمثلا اسم «اير — يشوم» مثل اسم «الحارث» بالعربية (٢٣) .

(٢٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ .
(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٤٤ .

الباب الخامس

البابليون

الفصل الأول

أسرة بابل الألى

(١) بابل :

مدينة قديمة تقع على الفرات ، على مبعده ٩٠ كيلا جنوبى بغداد . ويقوم على أطلالها حاليا ، تل بابل والقصر وعمران بن على والمركس وقرى أخرى مثل عنانة وكويرش وجمجمة واندسار ، ورغم أن التنقيبات فى بابل لم تتقدم بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، الى أكثر من طبقة العصر البابلى القديم ، إلا أنه يجوز الافتراض أن المدينة كانت قبل وصول الاموريين — أو الساميين الغربيين — إليها ، مجرد بلدة عادية ، عرفها السومريون باسم «كدنجيرا» ، فأحالتها الاموريون الى حاضرة كبيرة ، وأحسنوا استغلال موقعها التجارى والزراعى فى أضيق منطقة خصبة يتقارب فيها نهر دجلة والفرات . وأطلقوا عليها اسم «بابل» ، وهو اسم ليس هناك ما يمكن تأكيده عن معناه ، وان كان الشائع هو ترجمته بمعنى «باب ايلو» أى «باب الاله» ، ويذهب أصحاب هذه الترجمة الى أنها قريبة مما تدل عليه التسمية السومرية «كدنجيرا» التى استمرت تستخدم الى جانبها ، مع مترادفات أخرى مستحدثة^(١) .

وأما معنى اسم «بابل» فى التوراة ، فيقدمه لنا سفر التكوين فى قصة أو أسطورة طريفة تقول : ان الله — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — قد رأى سلاله الناجسين من الطوفان يبنون برجاً بغية الوصول اليه — سبحانه وتعالى — فى علياء سمائه ، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاجى يعلو على الارض بضع مئات من الامتار ، فخشى شرهم واحتاط لنفسه ، فهبط الارض وبلبل ألسنتهم ، فتفرقوا شذر مذر ، ومن ثم فقد «كفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١٥٢/١ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٦٦ — ٦٧ ، وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 115-118.

هناك بلبل لسان كل الارض ، ومن هناك بددهم الرب على وجهه كل الارض»^(٢) .

وعلى أية حال ، فان «برج بابل» هذا ، ربما كان هو «زاقورة بابل» ، وقد شاهده الكتاب الاغريق بعد أن خرب ، وطبقا لرواية «هيرودوت» فقد كان يتكون من ثمانى طبقات يمكن الوصول اليها عن طريق درج خارجي^(٣) ، ويذهب «سترابو» و «ديودور» الى أن برج بابل انما كان على شكل هرم ، مربع القاعدة ، وهو على أية حال يشكل جزءا من معبد مردوك ، ويدعى فى النصوص السامرية «اي - تمين - ان - كى» أى المعبد الذى أساسه السماء والارض ، ويتكون من صحن كبير فى داخله وعلى مقربة من النهر زاقورة (برج) بابل ، والذى يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، ومساحة قاعدتها ٩١×٩١ مترا مربعا ، وقد هدم برج بابل فى عام ٤٧٩ ق.م ، على يد الملك الفارسى «أكزركسيس الاول» (٤٨٤ - ٤٦٥ ق.م)^(٤) .

هذا ورغم أن هناك من يرجح أن بابل قد أنشأها الاكديون ، فذلك أمر لم يثبت بعد ، وعلى أية حال ، فلقد ذكرت منذ العصر الاكدي غير أن دورها السياسى لم يبرز الا فى مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، بعد أن اختارها الاموريون الساميون عاصمة لهم (أسرة بابل الاولى) ، وان كان كتاب العهد القديم والمؤرخون اليونان لم يتطرقوا الى ذكرها ، الا منذ عهد «نبوخذ نصر الثانى» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) ، وكانت وقت

(٢) تكوين ١١/١ - ٩ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثالث ص ٢٩٠ ، وكذا

J. Gray, Near Eastern Mythology, London, 1969, P. 104-105.

(٣) يذهب الدكتور مؤيد سعيد الى أن الزاقورة يفترض أنها من سبع طبقات ، تعلوها غرفة الاله ، وأما ارتفاع الزاقورة فكان يتسم عن طريق ثلاث سلالم متعامدة ، اثنان منها تلاصق الضلع الجنوبية للزاقورة وأما اللثالث فهو عمودى عليها (كتاب حضارة العراق ١٨٠/٣ - بغداد ١٩٨٥) .

(٤) هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ ص ١٩٢ - ١٩٣ ، مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٩ .

ذاك في أوج عظمتها ، والى هذا الملك الكداني تنسب حدائق بابل المعلقة التي أقامها لزوجته المازية «اميثيس» في الزواية الشمالية الشرقية من القلعة الجنوبية ، فيما يرى العلماء اللسان ، فضلا عن قصره الكبير ، والمكون من ١٧٢ غرفة ، وزاقورة من اللبن^(٥) ، أحيطت بسور من الآجر

وتشير النصوص القديمة الى أنه كان في بابل ٥٣ معبدا رئيسيا ، ٣٦٠ محاربا ثانويا ، أشهرها ، دون شك ، معبد مردوك ، كما كان للمدينة ثمانية أبواب رئيسية ، أحدها باب عشتار ، الهة الخصب ، ويقع في الجهة الشمالية ، يليه رواق طوله ٣٠ مترا ، يفضى الى صالة الاحتفالات ومعبد مردوك^(٦) .

وليس هناك من ريب في أن اختيار الاموريين بابل عاصمة للملكهم انما كان اختيارا موفقا ، لأسباب كثيرة ، منها أنها تقع وسط العراق بصفة عامة ، فضلا عن وقوعها وسط المناطق التي يتركز فيها العمران والسكان ، هذا الى جانب منعتها الجغرافية ، ومنها طريقة الري الفعالة للأرضين الصالحة للزراعة في بابل ومجاوراتها ، ومنها أنها تقع على الفرات ، وهو نهر صالح للملاحة ، الامر الذي عاد بفائدة كبيرة على التجارة والملاحة في آن واحد ، وقد أدى ذلك كله الى ازدهار المدينة في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وخاصة على أيام أسرة بابل الاولى

(٥) جاء اسم أشهر «زاقورات بابل» اي - تمين - ان - كي (E - Temen - an - Ki) بمعنى «المعبد الذي أساسه السماء والارض» أو «بيت أساسات السماء والارض» في نص مدون على حجر من عهد «نبوبلاسر» (٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م) جاء فيه «أن مردوك أمرني أن أضع أساساته في جوف الارض ، وأن أرفع رأسه في السماء» وهناك نص من نيبور يخاطب برج المعبد قائلا : «أيها الجبل العظيم لانليل ، الذي به رأسه الى السماء ، والذي وضعت أساساته في الاعماق الجميلة» (محمّد عبد القادر : الساميون في العصور القديمة ص ١١٩ - ١٢٠) .

(٦) أندريه بارو : بلاد آشور : بغداد ١٩٨١ ص ٣٣٤ (مترجم) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٩ ، هنري عبودي : المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 115-116.

(١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق م) التي شهدت فيها البلاد نهضة تاريخية شاملة ،
بمتنب.توحيد البلاد ، ومركزية الحكومة ، وعنايتها بنشر الامن والعدل .
وقد أثبتت الحفريات أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط
مدينة بابل . وقد اتيت هذه القواعد حتى نهاية عصر الامبراطورية
الجديدة ، ولعل أهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية
جميعها للطريق المقدس ، وتتقاطع متعامدة مع الطرق الاخرى ، في حين
أن بيوت المدن السومرية القديمة انما كانت مجمعة دونما أى نظام ، كما
لم يكن للطرق اتجاه ثابت (٧) *

(٢) قيام الاسرة البابلية الاولى :

كان مؤسس الاسرة البابلية الاولى (دولة بابل الاولى) هو «سمو
- ابوم» (Sumu - abum) (١٨٩٤ - ١٨٨١ ق م) ، وكان يحكم في
بادىء الامر ، رقعة صغيرة في جنوب العراق ، ثم سرعان ما بدأ في
توحيد نفوذه بين أمراء المدن الجنوبية ، ثم أعلن نفسه ملكا على بابل .
بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكد . وكان الرجل قد بدأ جهوده بأن
ضم اليه «دليات» في السنة التاسعة من الحكم ، ثم غزا «سييار» التي
اعترفت بسيادته ، فمنحها استقلالاً نسبياً ، ثم تحالف مع «لارسا»
لاخضاع «كيش» ، والتي ظلت تقاوم مدى ثمانى سنوات ، حتى تم
اخضاعها في السنة العاشرة ، ثم رنا ببصره نحو «كازالو» التي كانت
آخر المطاف في عهده الذى لم يمتد أكثر من سنوات لا تزيد عن ثلاث
عشرة .

وكان «سمو لا ايل» (Sumulael) (١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق م) هو
الملك الثانى في الاسرة ، ولم يكن ابنا لسلفه ، وقد كرس سنى حكمه
لتقوية مملكته ، وصد هجمات منافسيه ، وهو يعتبر المؤسس الحقيقى

(٧) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم - كتاب العراق
في التاريخ ص ١٠١ - ١٠٢ ، محمد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص
٩٦ - ١٠٧ .

لهذه الدولة البابلية ، وظلت ذكراه خالدة عند خلفائه ، وقد اشتهر بتعمير المعابد ، وشق القنوات ، وقد أخبرنا عن نشره للعدالة ، الأمر الذى قد يشير الى قانون لم تصلنا أحكامه ، كما ينسب اليه بناء سور لبابل ، كما نجح هذا الملك فى اخماد عدة ثورات فى عدد من المدن ، فقد ثارت فى عهده «كازاللو» ، ثم تقدم ملكها «يهزير الموم» نحو بابل — بعد أن أغرى كيش فى أن تتضمن اليه صد بابل — غير أن «سمو لايل» سرعان ما سيطر على الموقف ، ورد المعتدين ، وتقدم الى «كازاللو» فاجتاحها ودمر أسوارها ، وقبض على ملكها الذى عاش بعد ذلك خمسن سنوات ، وبعد عامين أخضع كوته ، ثم اتجه الى سومر ، حيث استولى على حصن «دورزكار» ، والذى يعد واحدا من المواقع الحربية ذات الالهية الاستراتيجية فى نيبور عاصمة سومر الدينية ، كما بسط نفوذه على بورسبا (برس نمرود ، قرب الحلة) ، فضلا عن تقوية قوى خط دفاع مملكة أكد الشمالى ، وذلك بتشييد أربع قلاع هناك .

وجاء بعده ولده «سابيوم» (Sabium) (١٨٤٤ — ١٨٣١ ق.م) ، الذى لم يسع طوال عهده الى توسيع دولته ، بل لا نكاد نعرف له سوى حملة واحدة ضد «كازاللو» دمر فيها أسوارها ، ولكنه تابع أسلافه فى رعاية المعبودات ، فضلا عن الاهتمام ببناء المعابد ، وتدعيم الحصون ، وشق القنوات .

وجاء بعده «ابل سن» الذى رمم أسوار بابل ، وشيد بها المعابد ، وحفر القنوات ، كما قدم عرشا فاخرا للمعبود «شمش» ، وقد حكم ثمانى عشرة سنة (١٨٣٠ — ١٨١٣ ق.م) .

وخلفه ولده «سن موباليت» (Sin - Muballit) (١٨١٢ — ١٧٩٣ ق.م) ، وقد حارب أور ولارسا ، كما استولى على ايسين . غير أن «ريم سن» ملك لارسا سرعان ما عصف بها فى العام التالى فى يوم واحد ، واستولى على أشهر مدنها «دوننوم» ، وهكذا ضمت ايسين الى رسا ،

وظلت كذلك حتى موت «سن موباليت»^(٨) •

(٣) حمورابى :

ليس هناك من سبيل الى ريب فى أن «حمورابى» (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) أو (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م)^(٩) ، انما هو أعظم ملوك هذه الاسرة قاطبة ، ومعنى اسم «حمورابى» : الاله حمو (Hammu) عظيم أو مكتر ، و «حمو» من أرباب الساميين الغربيين ، وقد يكون اسمه «عمورابى»^(١٠) ويرى «أنجناد» أن اسمه يقرأ فى البابلية «خمرنج» أى «خمر + نج» ، فالجزء الاول من الاسم «خمر» هو الاله «عم» الذى نجده أيضا فى النقوش العربية الجنوبية القديمة ، أما الجزء الثانى «رنج» ، فلعله

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٦ ، سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 636-638.

J. R. Kupper, Les Nomades en Mesopotamie au Temps des Rois de Mari Paris, 1957, P. 106 F.

(٩) فى الواقع أن هناك خلافا شديدا بين العلماء حول تاريخ حمورابى ، بل حول الفترة التى تسبق عام ١٥٠٠ ق.م ، بصفة عامة ، ومن هنا فقد قدم لنا العلماء عدة تواريخ لعهد حمورابى ، منها (٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق.م) ومنها (٢٠٠٣ - ١٩٦١ ق.م) ومنها (١٩٥٥ - ١٩١٣ ق.م) ومنها (١٩٤٨ - ١٨٩١ ق.م) ومنها (١٨٤٨ - ١٨٠٦ ق.م) ومنها (١٩٧٣ - ١٧٥١ ق.م) ومنها (١٢٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) ومنها (٧٩١ - ١٧٤٩ ق.م) ومنها (١٧٤٢ - ١٦٨٦ ق.م) ومنها (١٧٣٠ - ١٦٨٥ ق.م) ومنها (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) ومنها (١٧٢٤ - ١٦٨٢ ق.م) (انظر : محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٥١ ، جورج سارتون تاريخ العلم ص ١٩٤ ، جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ١٨٧ ، ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

ANET, 1966, P. 163.

W. F. Albright, in BASOR, 77, 1940.

L. Delaporte, Le Proche - Orient Asiatique, 1948, P. 120

Scharff - Moortgat, Aegypten und Vorderasien in Altertum, München, 1950, P. 493.

(١٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

يقابل في العربية مادة «رفع» ، فيكون معنى الاسم «عم رفيع» . أو مادة «رفع» التي تدل على السعة والخصب (١١) .

وعلى أية حال ، فلقد طال عهد حمورابي الى ثلاثة وأربعين عاما . قدر له فيها أن ينهض ببابل من قرية — أو حتى مدينة صغيرة . وعاصمة لدويلة لا تزيد مساحتها على دائرة قطرها ثمانون كيلا . الى عاصمة دولة كبرى ذات امكانات متعددة ، وأماك واسعة . وشهرة عريضة ، بل ان مساحة دويلة بابل التي ورثها حمورابي رغم ضالتها . فانها لم تكن محكمة المنسج ، وانما هي عرضة للتقلص من جميع جهاتها . وللهجمات من كل صوب ، فهناك العيلاميون الذين يهددونهم من الشرق . ويكادون يفتكون بها ، وهناك الاسرات الاخرى المعاصرة لم يقص بعد على نفوذها ، بحيث يمكن الاطمئنان الى ما يجري فيها . بل ان هناك عقدا يرجع الى سنة حمورابي العاشرة ، يذكر فيه اسم الملك الاشوري «شهشي آداد» ، الامر الذي قد يشير الى أن حمورابي ربما كان في العقد الاول من حكمه خاضعا لهذا الملك الاشوري (١٢) .

هذا وقد بدأ حمورابي عهده بإعادة تخطيط عاصمته «بابل» (باب ايلو — باب الله) ، على نحو لم يسبق له مثيل في هذه البلاد . حتى انطلقت أمام بهائئها وفخامتها كل العواصم الاخرى في غربى آسيا ، وأصبحت في كل منطقة الشرق الأدنى القديم . حديث الامم والشعوب وموضع اعجابهم ، بل تسربت عظمتها الى الاساطير . فأصبحت المدينة الساحرة ، والمدينة الخرافية ، والمدينة الهائلة ، ومنطلق الخير والشر . وبؤرة العمار والدمار ، وموطن العز والذل جميعا (١٣) .

(١١) سبنيو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا A. Ungnad, Miscellen, in ZA, 22, 1909, P. 6-16 (II, Ammurapi, P. 7-13).
(١٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ ، وكذا C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I. Cambridge, 1973, P. 177.

(١٣) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٨ .

: وكان من أهم أهداف حمورابى «توحيد العراق» ، وقد تمكن من تحقيق وحدته السياسية ضمن حدود آمنة ، يسهل الدفاع عنها ، ومن ثم فقد عمل على تثبيت دعائم هذا الانجاز السياسى واستكماله من جميع النواحي السياسية والادارية والقانونية والاجتماعية والثقافية .

١ - من الناحية السياسية :

فلقد أراد حمورابى أن يثبت دعائم حكمه ، وأن يقضى على جميع الرؤوس الحاكمة المعاصرة له ، فضلا عن اقضاء النفوذ شبه العيلامى عن جنوب العراق ، ومن المعروف أن العراق كان فى تلك الفترة من أوائل حكم حمورابى مقسما بين زعامات متعددة ، وطبقا لرسالة الى «زمرى ليم» ملك مارى ، فليس هناك زعيم يمكن أن يقال عنه — أو يقول هو عن نفسه — أنه أقوى الجميع .

«فان عشرة أو خمسة عشر حاكما (أو ملكا) يتبعون حمورابى ملك بابل ، ومثلهم يتبعون «ريم سين» ملك لارسا ، ومثلهم يتبعون «اييل — بى — ايل» ملك اشنونا ، ومثلهم يتبعون «أموت — بى — ايل» ملك قطننة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمشد»^(١٤) .

هذا وقد أبقى حمورابى حتى سنة حكمه الخامسة على هذا الوضع ، ثم بدأ تحركه الاول فى عام حكمه السادس وذلك حين اتجه الى «ايسين» واستولى عليها ، وفى عامه التاسع استولى على «ايموتبال» (Emuthal) — بين الفرات وسلسلة زاجروس — وفى السنة العاشرة استولى على «مالجوم» (Malgum) ، وفى العام الحادى عشر استولى على

(١٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ١١٣ — ١١٤ ، أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

G. Dossion, Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.

«رابيكوم» (Rapikum) و «سيبار» ، ثم قضى الفترة التالية . وندة
عشرين عاما ، فى اقامة المعابد ، وتحصين المدن (١٥) .

ولعل حمورابى أراد من وراء انتصاراته هذه أن يحد من نشاط
أعنف منافسيه «ريم سين» ذى الاصل العيلامى . وآخر ملوك لارسا .
حتى يتفرغ له ، وكان «ريم سين» كفؤا لمشاكل عهده . بحيث ظل يناؤى
حمورابى حتى العام الثلاثين من حكمه . وشيئا فشيئا اطمأن حمورابى
الى متانة موقفه وسلامة ظهره . ومن ثم فقد تفرغ ملك لارسا وحلفائه .
فقد مال ميزان القوى الى جانبه منذ العام الثلاثين من حكمه . حتى غر
«ريم سين» الى منطقة ايموتبال ، مسقط رأس أسرته . وتبعته الجيوش
البابلية اليها . ثم واصلت انتصاراتها فيما يليها من أرض عيلام .
وسيطرت على جزء منها (١٦) ، وكان نصر حمورابى هذا موضع فخر
المقوم وزهوهم ، حتى أنشدوا الاناشيد ، ورتلوا الصلوات ، وأنشأوا
المقصائد ، زهوا بهذا النصر الذى أزاح عدوة بابل العتيدة من حريقها .
وهكذا قضى حمورابى على «ريم سين» ملك «لارسا» فى عام حكمه
الاحادى والثلاثين ، وآلت اليه بذلك السيادة على أرض سومر وأكد . ولم
يعد يباذله أحد (١٧) .

وهناك ما يشير الى أن حمورابى انما قد تلقى فى حربه هذه مساعدة
من اشنونا ، وربما من مارى ، حيث نعرف أنه طلب مساعدة عسكرية من
«زمرى ليم» ملك مارى ، قبل أن يشن هذه الحرب . ويبدو أن «ريم
سين» انما كان يتخوف من حمورابى . ففى احدى رسائله لحمورابى
يطلب تكوين حلف دفاعى هجومى بينهما . وقد كانت العلاقة بينهما طيبة
فى أول الامر ، وقد أشارت احدى الرسائل الى وصول أربعة مندوبين

15) G. Roux, Op. Cit., P. 185.

A. Ungnad, in RLA, II, P. 178-182.

ANET, 1950, P. 269-271.

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ .

A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270

(١٧)

من لارسا ، مع وكيلين لحمورابي يسكنان منطقة لارسا ، الامر الذي يدل على أن حمورابي انما كان ييثر العيون في المنطقة اتي كان يحكمها «ريم سين» ، وعلى أن عملاءه انما كانوا يتصلون بالمواطنين هناك ، وقد تنبأ مندوب «زمرى ليم» في بلاط حمورابي بقرب الحرب بين بابل ولارسا ، كما أخبر سيده بأن حمورابي قد أرسل رسالة الى «ريم سين» — قبل غزوه المفاجيء لمدينته — يعلنه فيها بما يمكنه له من حب عميق (١٨) .

وكانت خطة حمورابي التالية — بالاشتراك مع ملك ماري ، بل مع حلف ثلاثي يضم بابل وماري وحلب — ضد اشنونا وحليفاتها عيلام ، فضلا عن سوبارتو والجوتيين والماجوم (وتقع على نهر دجلة ، جنوب مصب نهر ديانى) ، وكانوا جميعا يتحركون ضد بابل ، غير أن حمورابي سرعان ما حقق نصرا عليهم ، ومع ذلك فقد بدأ خطر اشنونا يشهد ضد حمورابي ، وطبقا لرسالة ملك ماري الى حمورابي ، فان ملك اشنونا قد جمع قواته واتجه الى «شوشولم» (ربما قرب الفالوجة) ، ومن ثم فقد أرسل حمورابي الى «زمرى ليم» ملك ماري ، أن يضم قواته الى قوات بابل ، وقد نصح الاخير بأن يحمل حمورابي على شمال العراق ، حتى يضم أمراءه اليه (١٩) .

وعلم حمورابي بأن ملك عيلام سوف يمد يد العون لاشنونا ، الامر الذي أغضبته كثيرا ، ونقرأ في رسالة من ملك ماري أن حمورابي سوف يتطع علاقانه بملك عيلام ، وعلى أية حال ، ففي العام الثامن والثلاثين من الحكم ، وطبقا لرواية الاخبار السنوية ، فلقد دمر حمورابي «توبلياش» Tupliash (وتعنى هنا اشنونا) بكميات هائلة من

(١٨) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، هورست كلنجل : حمورابي ملك بابل ونصره — ترجمة غازى شريف — بغداد ١٩٨٧ ص ٤٢ — ٤٣ ، وكذا C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.
W. F. Albright, in ANET, P. 482.
(١٩) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٤ — ٤٥ .

المياه بأمر من مردوك ، الامر الذي يشير الى أن غيظنا مصطنع قد حدث بسبب تدمير السدود ، فخرّب أشنونا ، ومع ذلك فهناك من يذهب الى أن حمورابى لم يضم اليه أشنونا ، وإنما ترك ذلك الى ما بعد قضائه على «زمرى ليم»^(٢٠) ، ولكن الأرجح أن حمورابى انما قضى على أشنونا فى عام حكمه الثانى والثلاثين^(٢١) — بعد أن كان قد قهرها وحلفاءها فى عام حكمه التاسع والعشرين — ثم قضى نهائيا على مارى فى عام حكمه الخامس والثلاثين .

وعلى أية حال ، فلقد اتجه حمورابى بعد ذلك الى مارى مدينة صديقه القديم «زمرى ليم» ، رغم العلاقات الودية بين الطرفين . ومساعدة كل منهما للآخر ، بل كان لكل منهما مندوبون لدى بلاط الآخر . غير أن حمورابى انما كان يخشى قوة مارى بسبب ثرائها الواسع . وبسبب علاقاتها القوية مع مملكة حلب ، وهكذا . و «بأمر من آنو وانليل دمر حمورابى سور مارى» ، ثم هاجم المدينة وأحرق قصر ملكها «زمرى ليم» ، واستولى على المناطق التابعة لها ، وكانت مملكة مارى تتكون أساسا من وادى الفرات الاوسط ، فيما بين مصب نهر بلخ شمالا . و «توتول» (خيت الحالية) جنوبا ، وقد عمل «زمرى ليم» على ضم معظم أملاك «شسمى أداد» الاشورى فى الغرب ، والتي امتدت حتى المثنية الكبرى للفرات غربا ، وشملت الجزء الاكبر من «ميزوبوتاميا العليا» ، وحوض الخابور وبلخ حتى ثنية الفرات ، وربما امتد نفوذه الى اقليم «ايداماراز» الذى يتاخم أعالى الفرات ، كما تشير الى ذلك نصوص مارى^(٢٢) ، ومن البدهى أن هذا الاتساع انما يدل على مكانة

(٢٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 187-188.
H. Frankfort and The Jacobsen, The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940, P. 196-200.
21) A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270.
22) J. R. Kupper, Archives Royal de Mari, 6, Paris, 1954, No. 76.
J. R. Kupper, Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, II, Part, I, P.9.

متميزة لمملكة مارى فى عهد «زمرى ليم» كقوة ضاربة فى الشرق الادنى القديم ، حتى انتصر عليها حمورابى فى ميدان القتال فى عام حكمه الثالث والثلاثين (٢٣) .

وكان هجوم حمورابى على «زمرى ليم» (Zimrilim) مفاجئا ، فليس هناك فى سجلات مارى ما يشير عن أسباب أو مقدمات هذا القتال الذى أعقبته فترة احتلال بابلى لمارى ، ترك أثره فى شكل تسجيلات وبطاقات تخص قوة الاحتلال (٢٤) ، غير أن هذه الهزيمة لمارى لم تقض نهائيا على مقاومة «زمرى ليم» ، فقد كان الرجل ما يزال يملك القوة لاثارة شعبه ضد «حمورابى» (Hammurabi) الامر الذى دعى الملك البابلى الى القيام فى عام حكمه الخامس والثلاثين بتدمير أسوار مارى — طبقا لأمر أنو وانليل (٢٥) — ونهب معبد عشتار والقصر الملكى ، واضرام النيران فى المدينة التى لم تقم لها بعد ذلك قائمة ، وبذا أصبحت سيادة حمورابى تشمل مجال نفوذ مملكة مارى فى شمال بلاد النهرين ووضفتى الفرات (٢٦) .

وكان حمورابى قبل ذلك فى عامى الحكم السادس والثلاثين — وفى العام الناهن والثلاثين — قد اتجه الى «سوبارتو» (Subartu) ، وهى المنطقة التى تضم أعالى الرافدين وآشور ، وإذا كان حمورابى قبل ذلك قد ضرب قوات آشورية مع خصومه ، فقد حقق النجاح فى القطاع الاشورى نفسه ، وان لم يتضح الى أى مدى كان زحفه ، وان كان وجود مسألة بابل فى «أميديا» (ديار بكر) انما تدل على وصوله الى هناك ، غير أن ذكر آشور ونيوى على أنهما من المدن الواقعة تحت سيطرة

23) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

24) J. R. Kupper, Op. Cit., P. 28.

25) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

26) F. Thureau - Danguin. Textes de Mari, in RA, 33 1936, P. 177.

F. M. The Bohl, King Khammurabi of Babylon in The Setting of his Time, in Opera Minora, Groningen - Djakarta, 1953, P. 345

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

حمورابى فى مقدمة شريعته المشهورة ، ليس دليلا مؤكدا على خضوعهما
له (٢٧) *

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب فى أن حمورابى انما قد كتب
له فى أخريات أيامه ، نجما بعيد المدى فى السيطرة على كل بلاد النهرين؛
وفى أن يطلق على نفسه ألقاب : «الملك القوى : ملك بابل ، ملك كل
بلاد أمورو ، ملك سومر وأكد ، ملك الجهات الاربع» (٢٨) ، كما ذكر فى
نصب فى أور — بعد أن استولى عليها من ريم سين ، انتصاره على
العيلاميين والجوتيين ، الذين كانوا يستوطنون أواسط زاجروس فى
منطقة همدان ، وإن بقيت عيلام وسورية مستقلتين (٢٩) *

وهناك نص باللغتين السومرية والاكديية يتحدثنا فيه حمورابى قائلاً
«قتلت المعادين لى ، وحطمت أسلحتهم وخربت ديارهم ، وأخذت سكانها
أسرى ، ودمرت قواتها ، وركع تحت قدمى أولئك الذين لم يقدموا لى
فروض الطاعة ، أنا الملك الذى نفذ رغبة الاله مردوك (مردوخ) فى
القتال ، والذى وهبه القوة المدمرة للعدو ، لقد طردت المعتدين ،
واقترعت بذور الشر من بلادى ، وجعلت الناس ينعمون بالرخاء ، ولم
أدع لقومى ما يفزعون منه» (٣٠) *

وهكذا كتب للرجال العظيم أن ينجح فى فرض نفوذه على بلاد
المرافدين ، كما نجح موظفوه فى السيطرة على طرق القوافل ، ونقط
التقاءها من جبال طوروس فى الشمال ، وحتى الخليج العربى فى الجنوب.
حتى بدأ وكأن امبراطورية سرجون الاكدي قد عادت ثانية ، وليس هناك

(٢٧) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 188.

A. T. Clay, The Empire of The Amorites, New Haven, 1919, P. 97.
28) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 189.

(٢٩) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 188.

(٣٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ — ٤٨ *

من ريب في أن وراء ذلك تنظيماً دقيقاً ، وقيادة سليمة لرجل قوى ، وتممة
اشارات - وان كانت غامضة - الى أن جيوش حمورابي انما قد وصلت
الى البحر المتوسط^(٣١) ، وان ظلت سورية مستقلة ، كما أشرنا من قبل •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن نصوص حمورابي، انما تكشف
عن جانب من سياسة الحرب في عهده . وقد كان منها هدم أسوار المدن
التي يخشى بأسها ، وتقوية أسوار المدن الموالية له في المناطق
الاستراتيجية الحساسة - وقد سميت بعض هذه الاسوار بأسماء أرباب
مدنها - فضلاً عن العمل على رعاية تماثيل أربابها بعد الاستيلاء عليها ،
حتى تكون سبيلاً لاستمالة مشاعر أتباعها ، وكان من ذلك أن ذكرت
نصوصه أنه أعلى كلمة الربة «انانا» في نينوى ، وأعاد لمدينة آشور
حصانتها ، أو لتحملها جيوتسه معها باعتبارها موالية لها ، حين تعاود غزو
مناطقها فتيسر لها مهمتها ، وكانت رعاية هذه التماثيل تستتبع رعاية
كهانتها من الاسرى ، واحياء أعيادها في معابد بابل نفسها^(٣٢) •

٢ - من الناحية الادارية والاقتصادية والدينية :

اتبع حمورابي في الناحية الادارية نظاماً مركزياً ، وربط جميع ولاياته
به وبالعاصمة بابل ، وحدد صلاحية الكهنة ، وبالتالي لم نعد نسمع من
عزده عن «محاكم الكهنة» ، ومن ثم فيمكن القول بأن حمورابي انما جهد
في أن يجعل دولته علمانية بما يتفق وظروف عصره ، ولعل هذا انما يفسر
لنا اضمحلال منصب «الانسي» الذي كان يجمع بين السلطتين الدينية
والمدينة في حكم منطقته ، وأصبح موظفاً يستمد أوامره من موظف آخر
بعد الملك^(٣٣) •

(٣١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٧ •

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، وانظر :

T. J. Meek, ANET, P. 165.

W. F. Albright, ANET, P. 482.

L. W. King, The Letters and Inscriptions of Hammurabi, No 34, 45.

C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.

(٣٣) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩١ •

هذا وتشير الرسائل من عهد حمورابى بوضوح الى حرصه على معرفة كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ، فضلا عن حصر السلطة فى شخصه . وجعل عماله فى البلاد يستمدون أوامره من منه . بل اننا نشهد للمرة الاولى - كما يقول برستد - صورة حية للاعمال اليومية والمسئوليات الدائمة لواحد من ملوك الشرق القديم الكبار ، فهى تقدمه لنا جالسا فى ديوانه بمدينة بابل ، يملأ على واحد من كتبه ، فى جمل قصيرة واضحة ، رسائل مختصرة تصل بها أوامره الى الحكومات المحلية ، فى المدن السومرية العريقة التى أصبح حمورابى فيها السيد المطلق (٣٤) .

ويأتى الرسل الى الملك بخطابات مماثلة . يفتحها كاتم السر الذى يثق فيه سيده ، فيكسر الاغلفة أمام الملك ، ويقرأ بصوت مرتفع ما يبعث به موظفوه من جميع أنحاء الدولة ، ويملى الملك ردوده فى الحال ، فمثلا لقد فاض نهر الفرات وسبب بعض الخسائر ، وتوقفت الملاحة بين مدينتى «أور» و «لارسا» . ووقف صف طويل من السفن لا يستطيع المسافر ، فيبيع الملك برده ثوبا ، أمرا حاكم لارسا بتطهير المجرى فى الحال لتواصل السفن سيرها (٣٥) ويبدو أن الحكومة المركزية كانت تستخدم السخرة فى مثل تلك الامور ، ومن ثم فقد رأينا الملك يأمر هذا الحاكم (سين أدينام) باستدعاء كل من كان فى حوزته حقول على ضفاف قناة «دامانوم» (Damanoum) لتطهيرها ، وأنه يجب الانتهاء من تطهير هذه القناة عند نهاية الشهر ، وفى رسالة أخرى يأمر الملك نفس الموظف (سين أدينام) بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى كانت تصل حتى «أروك» ، والتى لم تكن قد أصلحت حتى حدود هذه المدينة (٣٦) .

وهناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» يطلب منه أن يرسل

34) J. H. Breasted, La Conquete de la Civilisation, Paris, 1945, P. 136-137.

35) Ibid., P. 137.

(٣٦) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ١٢٩ .

موظفا يصحبه في جولاته التفتيشية على القطعان التى تحت اشرافه ، مما ينسب الى أن حمورابى انما كان يقوم بجولات تفتيشية في مناطق حكام الاقاليم ، ليقف بنفسه على مجريات الامور فيها ، وفي رسالة أخرى يأمر حمورابى بتزويد عمال التعدين باحدى المدن بنوع من الخشب ، مبينا مبادئ الاحجام التى يجب أن تقطع بها هذه الاخشاب ، هذا فضلا عن رسائل أخرى تشير الى اهتمام الملك باستصلاح الاراضى والعناية بالقنوات وفتح الجديد منها ، واشرافه بنفسه على نشر العدالة بين المواطنين .

وهناك ما يشير الى اهتمام الملك بقطعانه الخاصة ، فيأمر الموظفين بالمجيء الى بابل للاحتفال بقص أصواف الاغنام في فصل الربيع ، كأنما هذا الحادث من الاعياد الهامة ، وربما لان القصر الملكى كان يستخدم كمية من هذه الاصواف ، فضلا عما يستخدم منها في التجارة ، خاصة اذا كان هذا الصوف من النوع الجيد ، الذى ذكر «كصوف متين ناصع الالوان» فقد كان الطلب عليه كثيرا خارج بلاد بابل ، فضلا عن داخل البلاد ، ومن المعروف أن الملابس الصوفية كانت منتشرة الاستعمال بين سكان غربى آسيا ، وأخيرا فقد كان للقصر حصة في الصوف كضريبة (٣٧) .

وهناك رسالة من أحد موظفى القصر ، جاء فيها «كتبت عدة مرات الى رئيس تجار «سييار» «ياخزورم» لارسال المستحق عليه من صوف الماعز الى بابل ، غير أنه لم يرسل ما عليه من صوف الماعز» ، وهناك ما يشير الى أن حمورابى قد امتلك الكثير من قطعان الماشية والاغنام ، والتي كانت — فيما يبدو — من الضرائب العينية التى يدفعها الافراد (٣٨)

وهناك ما يشير الى أن الملك قد كتب الى جميع حكام الاقاليم بتقديم

(٣٧) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٢ ، وكذا J. H. Breasted, Op Cit., P. 137.

(٣٨) هورسن كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٢ ، سامى سعيد
المصدر : المرجع السابق ص ٩١ .

المقويم شهرا كاملا عن الموسم المعتاد . وذلك (نظرا لظهور عجز في
المسقة ، احتسبوا الشهر الذى يبدأ الآن أنه شهر أيلول الذى) . ويك
يلفت نظر الحكام الى أن جميع الضرائب التى تكون مستحقة في الشهر
الثانى ، يجب أن تحصل ولا توجه الى الشهر الذى يليه . لأن تقديم
الشهر يجب أن لا يتسبب عنه أى تأخير في الضرائب . كما يلفت الملك
نظر جامعى الضرائب المتأخرين في التحصيل ، ويذكرهم بتسده الى
ضرورة تأدية واجبه ، والانتفاء منها دونما أى تأخير (٢٩) .

• وهناك رسالة يقول فيها حمورابى لموظف يدعى «سين أدينام» .
«بقية الفضة المتى عند «شيب - سين» كبير التجار . وخمسة غيره من
كبار التجار الذين يأمرهم ، يجب أن يأخذ «شيب سين» والتجار
الخمسة الفضة ، ويحضرونها الى بابل» ، ويبدو أن «شيب سين» هذا .
قد تورط في وضع مالى حرج ، فطالبه القصر بمبالغ كبيرة . بصفته
المسؤول عن جمع الضرائب ، مما اضطر الى دفعها . دون أن يستطيع
جمعها من أولئك الذين قد فرضت عليهم +

وهناك رسالة من الملك الى المدعو «شماس - هاسر» يقول فيها :
«اعط شيب سين كبير تجار لارسا مزرعة من أجل نفقات معيشتة» ، كما
أمره أن يعطى مثلها لكبير تجار أور «سين - موتسال» . وربما كان ذلك
بسبب قيامهما بجمع الضرائب في لارسا وأور (٣٠) .

هذا وكان حمورابى شديد العناية برعاية مواطنيه . وكمن من متظلم
كان يأتى الى الملك اذا أعياه نيل حقه على أيدي القضاة في مدينته . فكان
هؤلاء المتظلمون يأتون الى حمورابى وهم وانتقون من حسن معاملته . لا
يرد أحدهم خائبا ، وها هو رئيس خبازى المعبد ، تصدر اليه الاوامر
الملكية بأن يسافر الى مدينة أور ، ليعنى بأمر أحد الاعياد الدينية .

(٢٩) J. H. Breasted, Op. Cit., P. 137.

وفي الترجمة العربية ص ١٨٩ .
(٤٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

ولكنه يتظلم من هذا السفر ، لأنه سيحرمه من وجوده في بابل عند نظر قضية له ، ويرى حمورابى أن الرجل على حق ، فيأمر بتأجيل القضية . وهناك الكثير من الرسائل التى تهتم بأمور المواطنين ، فمثلا هناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» ، يأمره بالنظر فى شكوى شخص ادعى بأن أحدهم سرق حبوبه ، وفى رسالة أخرى يطلب اجبار الحاكم «سين — ماجير» على رد ما اقترض من حبوب من تاجر ، وفى رسالة ثالثة يطلب تزويد بعض الرجال بزيت الانارة ، وفى رسالة رابعة الى «سين ادينام» يطلب فيها التحقيق فى قضية موظف اتهم بالرشوة ، ثم ارسال الاطراف جميعا بعد ذلك الى بابل ، وفى احدى المناسبات تصدر حمورابى محاكمة أقام فيها الدعوة تاجر ضد أحد رؤساء الوحدات الادارية ، وكانت نتيجة المحاكمة لمصلحة التاجر ، وقد أكد حمورابى على «سين أدينام» أن يضرب بكل شدة على المرتشين من القضاة ، اذا ما ثبت عليهم ذلك (٤١) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن حمورابى انما كان شديد العناية بربط البلاد بعضها ببعض بشبكة من المواصلات ، ومن هنا كان اهتمامه بنظام البريد السريع ، بغية ايصال أوامره الى كافة أنحاء البلاد بالسرعة المأمولة ، وهكذا استخدم الرجال العدائين حيث كانت الطرق تنقسم الى مراحل يقف عندها هؤلاء العدائون لايصال ما يتسلمون بالسرعة الى ساعى المرحلة التالية وهكذا ، وكانوا يحملون الرسائل مختومة مغلقة ، وكان كاتم سر الملك يفض الاجوبة ويثلوها على الملك ، ثم يملئ الملك أجوبته التى تكتب وترسل فى الحال (٤٢) .

هذا وقد احتفظت حوليات حمورابى باسم نهر صغير شقه رجاله ،

(٤١) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٢ — ٩٣ ، وكذا J. H. Breasted, La Conquete de la Civilisation, Paris, 1945, P. 138. وفى النسخة العربية ص ١٨٩ .
(٤٢) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٣ .

أو زادوا في اتساعه وامتداده ، وقالت عنه «نهر حمورابي واهب الخير للناس ، حبيب آذو وانليل ، الذي غذى نيبور وأريدو وأور ولارسا وأوروك وإيسين بمورد رى دائم» ، وكان يبعث من الفرات أسفل كيش ويمتد حتى الخليج العربى (٤٣) .

وقد اهتم القوم كثيرا بالتجارة ، حتى تحول الاهتمام من المطابع الفردى الى الطابع الجماعى المنظم الذى تشرف عليه الدولة ، ويلقى رعاية واهتمام الزعماء والملوك ، الامر الذى دفع بعض الملوك الى ارسال الحملات العسكرية لضمان سلامة التجارة ، وتهيئة أسباب تدفق المواد الاولى الى العراق القديم ، وكان النحاس والذهب والفضة والاحجار الصلبة الجيدة وأنواع الاخشاب المختلفة فى مقدمة المواد التى استوردها القوم وقت ذاك ، وكانت وسائل النقل المائى التى كانت تتميز باستيعابها الكبير ، ورخص تكاليفها ، متوفرة فى أنهار العراق وفروعها ، وشبكة القنوات التى خدمت أغراض الري والملاحة النهرية ، مما ساعد كثيرا على ازدهار التجارة فى العراق القديم (٤٤) .

وليس هناك من ريب فى أن التجارة على أيام حمورابى انما كانت مزدهرة ، كما كانت مصدر ثراء كان له أثر على الحياة فى بابل ، وقد كشفت الحفريات هناك عن شوارع تنتظم المساكن على جانبيها ، ويبدو أن أصحابها انما كانوا يمارسون لونا من الحياة المستقرة المطمئنة الرغدة فى ظل القوانين التى كفلت لهم حياة أفضل بكثير من أسلافهم ، وقد أدى النشاط التجارى لبابل فى عصر أسرتها الاولى الى نمو ملحوظ فى حجم المدن الكبرى التى لم تعد مجرد مراكز للتوزيع ، وانما بدأت تتحول الى آفاق أبعد ، فلقد فتحت غزوات حمورابى من ناحية الغرب المجال لأسواق جديدة ، ولم يعد يعوق الطريق التجارى الكبير الى

(٤٣) ل . ديلابورت : المرجع السابق ص ١٢٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ .
(٤٤) رضا جواد الهاشمى : التجارة - حضارة العراق - الجزء الثانى - بغداد ١٩٨٥ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

«سورية. وأعلى الفرات عائق من تحصينات ونقط حراسة حدود لثمنع غزو التباثل الامورية ، ولدينا ما يثير الى أن كبار التجار كانوا يعيشون في بابل . ويستخدمون طبقة من «المتاجرين» يحملون بضائعهم لينتجروا لهم عن طريق القوافل المنتظمة وهكذا كانت قوافل الحمير التي كانت تحمل تجارة البابليين تذهب من مدينة الى أخرى ، ومن قوم الى آخرين . وهى آمنة مطمئنة . وكانت هذه الاسفار أمرا عاديا في بلاد الفرات الاعلى ، فنشأت مراكز للتجارة مثل «حران» أو «خران» (وهى مشتقة من الكلمة البابلية «خرانو» بمعنى «رحلة») . وكثيرا ما كانت بضائع التجار تملأ الاحواش مكدسة في الغرائر ، وقد ميزوا كل حمل منها بلوحة صغيرة من الطين عليها اسم صاحبها . وكانوا يلقون بهذه العلامات التجارية عند فتح الغرائر ، وقد عثر الحفارون على الكثير منها في خرائب المدن القديمة ، ونرى على أحد وجهيها اسم المتاجر . وعلى الوجه الاخر طبعة الحبل الذى كان يحزم الغرائر .

هذا وقد وصلت هذه العلامات التجارية ، وكشوف الحساب التي كانت تصحب الاحمال الى مناطق بعيدة ، وكان يقرؤها التجار المحليون في المدن السورية . وفي البلاد الواقعة خلف ممرات الجبال في الشمال ، وهكذا أخذت الكتابة المسمارية البابلية طريقها تدريجيا في غربى آسيا . وبدأ تجار سورية وقبادوشيا في آسيا الصغرى ، يكتبون كشوف الحساب والمطالبات التجارية وخطاباتهم على الرقم . كما كان يفعل البابليون ، وانتشر نفوذ حمورابى التجارى في غربى آسيا ، وظلت ذكراه بعد موته بأكثر من ألف سنة ، يردددها سكان سورية وفلسطين على أيام العبرانيين ، الذين عرفوه تحت اسم «أمرافل» — وهو في أكبر الظن تحريف لاسم حمورابى ، كما نطق به أهل غربى آسيا^(٤٥) .

هذا وقد أفسحت التجارة للمرأة ، خلال الالف الثانية قبل الميلاد . لونا من الاستقلال لا نلقاه عادة في حياتها ، حين تعتمد البلاد على

(٤٥) جيمس هيرى برستد : انتصار الحضاره ص ١٩١ — ١٩٣ .

الزراعة وحدها ، ويبدو أن اندماجها في الحياة التجارية وممارستها لبعض الاعمال ، انما قد ساعد على أن تنال قسطا كبيرا من الحرية لم ينله غيرها في عصرها (٤٦) — باستثناء المرأة المصرية (٤٧) — فقد كان في استطاعت المرأة أن تمارس التجارة لحسابها الخاص ، وكان من بين النساء من احترفت مهنة الكتابة ، كما كانت البنات يذهبن الى تلقى العلم في المدارس جنبا الى جنب مع الصبية (٤٨) .

وكان حمورابى يشرف اشرفا مباشرا على رجال الدين ، كما كان له السلطان الاول على القضاء ، ولقد كان الخطر يهدد بعض المخصصات الملكية في عهد السومريين عن طريق رجال الدين ، وقد زال هذا الخطر على أيام حمورابى بسبب اشرافه المباشر وقوانينه الصريحة الحاسمة ، ولقد كان من أثر هذا الاشراف أن وضعت أملاك المعابد تحت رعايته المباشرة ، بما فيها من أنعام ومراعى ، كما كان المشرفون على أملاك المتاج وأملاك المعابد يرسلون تقاريرهم الى الملك مباشرة .

وأما في المجال الدينى ، فلقد ذهبت النصوص الدينية الى مطابقة الكثير من المعبودات البابلية الهامة مع مردوخ واعتبرتها أوجها له ، فالعاصمة بابل لا بد أن يكون لها رب هو الاسمى بين الالهة ، يتناسب وعظمة الالهة راطورية التى صار مركزها بابل ، ومن ثم فقد انتقل مردوخ (مردوك) اله بابل من معبود مدينة الى مركز الصدارة ، وانتحل بالتالى صفات «الليل» (٤٩) المعبود السومرى الاول ، ودخل في ميدان أساطيره

(٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٧ - ١٩٨ .
 (٤٧) انظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٢ - ٧١ .
 (٤٨) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة - ترجمة أحمد فخرى - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩١ .
 (٤٩) انليل (Enlil) أو «الليل» (Eli) هو أكبر آلهة السومريين . ومعنى اسمه المركب «ان - ليل» (En-lil) «سيد الريح» ، ونظرا لان الريح تهب في اعتقادهم من الجبل فقد سمي «الجبل الكبير» (في السومرية Kur-gal) ، كما سمي سيد البلاد ، وهو لقب حصله في =

— وخاصة أسطورة الخلق^(٥٠) التي أعاد كهنة بابل كتابتها من أجل هذا الهدف . وربما قد حدث هذا بعد هزيمة «ريم سين» ملك لارسسا ، والاستيلاء على «نيبور» المركز العتيق للعبادة السومرية . وكان معبد مردوك (Marduk) في بابل — ويدعى اسجئل (E-Sag-il) بمعنى البيت العالي الرأس — مركزا تشع منه علوم الدين والسحر ، وله «زاقورة» (برج المعبد) وتدعى «اتمنأ نكي» (اي — تمين — ان — كي (E-Temen-an-Ki)) أى المعبد أو البيت الذى أساسه السماء والأرض» وتتكون من سبع طوابق ضخمة ، يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، وقاعدتها مربعة الجوانب ، يبلغ ارتفاع ضلعها ٩١ م ، ولعلها برج بابل المذكور في التوراة ، وفي الواقع فلقـد ارتبط مردوك ببابل ، حتى ان النـبى العبرانى ارميا (٦٢٦ — ٥٨٠ ق.م) انما يقول عند سقوط بابل «قولوا أخذت بابل ، خزي بيل ، انسحق مردوخ» ، مما يشير الى أن الاله مردوك قد شارك المدينة في مصيرها التعس .

وتصف لنا مقدمة قانون حمورابى كيف وصل مردوك الى مكانته العليا في امبراطورية بابل ، وذلك حين تقول : ان انو (اله السماء) وانليل (اله الارض) قررا لمردوك الابن البكر للاله «أنكى» (أو — ايا

النصوص السومرية واحتفظ به في نقوش بابل وأشور ، وهو يفرض قانونه على الناس جميعا ، ويمسك في شبكته الكبيرة من يشهدون الزور ، وهو محارب عنيف يلقب بالثرر الوحشى ، وزوجته هى «ننليل» (Nin-lil) واسمها مأخوذ من اسمه ، بوضع (Nin) بمعنى سيده ، في مكان (En) بمعنى سيد ، وكانت مدينة نيبور (نفر الحالية) مركز عبادتهما في سومر (سبتيـنو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٣ ، وكذا E. Dhorme, Les Religions de Babilonie et d'Assyrie, P. 26-31, 48-50.

(٥٠) انظر قصة الخلق :

S. G. F. Brandon, Creation Legends of The Ancient Near East, London, 1963.

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

نم انظر عن أثر قصة الخلق البابلية في قصة الخلق اليهودية (محمـد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء الثالث — الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٣٣٣ — ٣٤٠) .

اله الماء) السيادة على الناس جميعا . وجعله عظيمًا بين الاجيجي (Igig) (آلهة السماء) ، ثم جعلًا لمدينة بابل السيادة في العالم ، وأقاما لمردوك فيها ملكًا دائمًا ، له أسس راسخة رسوخ السماء والارض ، وفي قصيدة خلق السماء والارض (الكون) تقول آلهة السماء لمردوك : لقد أعطيناك الملك على العالم بأسره .

ولما كان مردوك ابن أنكى البكر ، فقد ورث عنه العلم والسحر ، وصار مثله المعوذ بين الالهة ، كما أن السحاح حين يزاول سحره انما يعمل باسم مردوك ، وكما كان «ايا» اله الحكمة والذكاء والفهم ، فقد كان مردوك ابنه «أحلم الحكماء» : والخير بين الالهة ، وتحصى قصيدة الملقى البابلية خمسين اسما لمردوك ، أعلنتها آلهة السماء ، أولها مردوك . وآخرها سيد البلاد ، ويذهب «دوروم» الى أن في نسبة هذه الاوصاف جميعا الى اله واحد انما يعد اتجاها الى التوحيد ، وقد استمرت هذه الاوصاف على أيام الدولة الكلدانية ، حتى صارت الالهة الاخرى مجرد جوانب من شخص مردوك ، فنرجل هو مردوك اله الحرب . وانليل هو مردوك ، اله السيادة والفصل في الامور ، و «نبو» هو مردوك ، اله الحظ ، وسين هو مردوك ، منير الليل ، وشمش هو مردوك ، اله العدل و «أدد» هو مردوك اله المطر ، وهكذا — كما تركزت في عشتار الالهات جميعا — استوعب مردوك في ذاته الالهة جميعا ، ويقول الملك «أشور بانيبال» (٦٦٩ — ٦٢٦ ق م) في ترنيمة لمردوك : أنه يجمع بين عظمة «آن» وعظمة انليل ، وعظمة «ايا» ، وهكذا تتحد في شخص مردوك الالهة الثلاثة التي تهيمن على السماء والارض والماء . كما أن لقب «السميد» الذي يخلع على مردوك انما يدل على أنه سيد الالهة والبشر ، ويجعله نظيرا للاله «انليل» الذي يلقب عادة بهذا اللقب .

وأما زوجة مردوك فهي «زربانيتم» أو «سربانتيم» (Sarpanitum) بمعنى «الفضية» أو «اللامعة كالفضة» ، وقد ارتبطت مكانتهما بابل ، كما

خلال مبعجلين على أيام الاشوريين والمكدانيين والفرس والسلوقيين^(٥١) .

(٤) قسانون حمورابى :

لا ريب فى أن شهرة حمورابى فى التاريخ ، انما تعتمد فى الدرجة الاولى على قانونه الشهير — المكتوب باللغة الاكدية — أكثر مما تعتمد على فتوحاته وتدينه واهتمامه باقتصاديات دولته ورغبته فى توحيد العراق ، وغير ذلك من نشاطات داخلية وخارجية يتميز بها بعض الملوك عن البض الآخر ، وقد بدأ حمورابى فى اصدار تشريعاته منذ العام الدانى من الحكم ، وسجلها رجاله على نصب كثيرة ، اشتهر منها نصب كبير من الديوريت (طوله ٢٥ر٢م ، وقطره ٦٠ سم) نقشوه فى السنوات الأخيرة من حكمه (ربما فى العام ٣٧/٣٨ ، وربما فى العام ٤٠ من الحكم) ، وصوروه فى جزئه العلوى يتلقى الاذن باصدار تشريعاته من «شمش»^(٥٢) رب العدالة ورب الشمس ، المتربع على عرشه ، ويقف

(٥١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦٣ ، وكذا

E. Dhorme, Op. Cit., P. 139-156, 168-170.

S. Lloyd, Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955, p. 214-215

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951, P. 60.

(٥٢) شمش : يأتى شمش هذا (اله الشمس) فى المرتبة الثانية بعد آبيه «سين» اله القمر ، وكان السومريون يسمونه «أوتو» Utu ، كما كانوا يطلقون اسم «ببر» (Babbar) على الشمس ، وهى تشرق ، أما الساميون فقد أطلقوا على الاله الاكدي اسم الشمس نفسها (شمش) ، وهذا وكان العرب الجنوبيون فى قتبان وحضرموت وسبأ يطلقونها «شمى» ، أما العبرانيون والاراميون فيطلقونها «شمش» وأهل أوجاريت يطلقونها «شبن» ، وكان العرب الجنوبيون وأهل أوجاريت يعتبرون الشمس الهة مؤنثة ، كما جاءت كذلك فى إحدى رسائل العمارنة من عسقلان (رقم ٣٢٣) ، بينما كان المصريون والسومريون والاكديون يعتبرونها الها ذكرا ، ولعل هذه الصلات الدينية انما تؤيد أن كثيرا من عناصرها فى الشعوب السامية انما كان يتوقف بعضها على البعض الآخر . هذا وكان يرمز لاله الشمس فى بابل وأشور وسورية وآسيا الصغرى بالذئب ذى جناحين ، أى بصورة الشمس فى مصر ، ومن القابه فى أرض البراندن ، نور العالم ، ونور الاعماق ، ونور السماوات والارضين ، ونور الالهة ، وهو الذى يطارد الظلمات ، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء ، وهو الذى يهب الحياة ويحيد الموتى ، وهو الذى يدير الكون

أما هو حمورابي وقفة المتعبد يستلم منه العصا وحبل القياس - وهما من رموز وشارات السلطة والحكم في العراق القديم - ومن المرجح - بسبب صورة اله الشمس التي تعلو المسلة - أن هذه النسخة المكتشفة من قانون حمورابي ، إنما هي نسخة مدينة «سيبار» - الموقع المفضل لـ حمورابي وربما كان يقيم بها - بينما تعد نسخة مدينة بابل - والتي كانت تحمل صورة الاله مردوك ، مفقودة ، الامر الذي يؤكد وجود نسخ أخرى للقانون اكتشفت بين أنقاض المدينة القديمة على هيئة كسر من حجارة مسلات أخرى (٥٣) .

على أية حال ، فالنص الحالي إنما كشف عنه في العاصمة العيلامية «سوسة» ، وقد كشفت عنه في شتاء عام ١٩٠١/١٩٠٢م بعثة فرنسية برياسة «جاك دي مورجان» ، ثم نقل الى متحف اللوفر في باريس . ولعل الملك العيلامي الذي نقل النصب الى سوسة هو «شترك نخنته» (Shutruk Nakhkhunte) في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد (ربما حوالي عام ١١٥٠ ق م) (٥٤) ، وبدهى أن هذا لم يكن بسبب المسلة نفسها ، وإنما كان - فيما يرى Horst Klengel - أن العدو العيلامي كان يأمل في نفس الوقت اضعاف الخصم بطريقة سحرية . اذا

ويسير المخلوقات ، بل والالهة ، وهو البطل (Quradu) لانه قاهر الليل والموت ، وهو اله العدل ، وهو الذي أملى على حمورابي أحكام قانونه ، وعينه تخترق أسرار المستقبل ، فهو سيد التنبؤ Bel - Biri مثل «أدد» (هدد = حدد) اله البرق والرعد ، وكانت مدينة «لارسا» في سومر ، ومدينة «سيبار» (سبر) في أكد مركزين أساسيين لعبادة شمس منذ أقدم الأزمان ، وزوجته هي «ايا» Aya (سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وكذا : محمد بيومي مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٤٤ ، وكذا .

(٥٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ ، رضا الهانمي : المرجع السابق ص ٧٧ - ٨٧ ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٤٣ .
54) H. Schmolke, Geschichte des Alten Vorderasien, Leiden, 1957.
P. III.
Th J Meek, ANET, P. 163-164

اعتقد أنه بواسطة المسلة ربما يمكن جلب الازدهار والقوة التي كانت في بابل على أيام حمورابي ، الى عيلام^(٥٥) .

هذا وكانت المسلة — أو النصب — يتكون في الاصل من ٤٤ حقلا من الكتابة المسمارية ، فيما عدا بعض الاجزاء التالية عمدا في أسفل الاعمدة الكتابية ، ويرجح أن الملك العيلامي الذي نقله الى سوسة (شوشن في التورات) إنما كان من وراء هذا المسح ، حيث أراد تسجيل اسمه ، وتخليد ذكره ، ولكنه ربما خاف من اللعنات الشديدة الواردة في الخاتمة ، والتي ستنزل على من تسول له نفسه أن يطمس معالم هذا القانون ، فعدل عما اعتزمه ، وبقي مكان المواد الاخيرة ، فيما بعد المادة (٢٠٢) خاليا ، حيث يرجح أن المواد الكاملة للقانون تكاد تبلغ ٣٠٠ مادة^(٥٦) .

هذا ويتكون قانون حمورابي من مقدمة ، يعد فيها حمورابي ألقابه وأعماله ، فوصف نفسه بما اعتاد الملوك أن يصفوا به أنفسهم ، من حيث صلاتهم بالارباب وتقواهم ازاءهم في الوقت نفسه ، ومن حيث ظهورهم بمظهر المتفضل حيناً ، ومظهر المقدر لواجبه حيناً آخر ، فادعى البتوة للمعبود «سين»^(٥٧) اله القمر ، ووصف نفسه بأنه اله بين الملوك ، وأنه

(٥٥) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٥٦) رضا الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٨ .

(٥٧) سين : هو اله القمر ، وسين : اسم سومري غير سامي ، نقله الاكديون عن السومريين ، ونظائره السامية هي «ود» عند عرب الجنوب ، و «سهر» عند الاراميين ، و «رخ» عند الاموريين ، كما أن للقمر عند السومريين اسم آخر هو «ننا» (Na - an - Na = Nanna) بمعنى «رجل السماء» ، وقد حرفة الاكديون الى «ننر» أو «ننار» (Nannar) بمعنى «المنير» ، ويرمز اليه في أحيان كثيرة بالهلال ، وبجانبه قرص الشمس رمزا لاله الشمس ، ونجمة في وسط دائرة رمزا لكوكب الزهرة ، وسين هو «سيد الشهر» ينظم أيام الشهر والسنة ، وكان لحركات القمر دور هام في عالم التنبؤ ، وكان خسوف القمر أهول الظواهر وأشدّها روعا ، وكان ينسب الى هجوم على سين من سبع أرواح شريرة في السماء ، وزوجة سين هي «ننجل» (Nin - gal) «السيدة الكبيرة» ،

أول الملوك وزعيمهم ، والخالد بينهم ، وأنه محارب لا مثيل له ، وأنه الملك الحكيم ، والملك الكامل ، وأنه منقذ شعبه من البأساء ، وأنه طرئ جهات العالم الأربع ، وأنه فتح وأنه الأمير التقى ، وأن الأرباب تخبروه لاصلاح أحوال الناس ، وأنه المطيع للاله شمئش ، وأنه كثير الدعاء للارباب وأن ربه مردوك أمره بأن يرشد الناس الى الطريق المستقيم ، وأن يحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد ثم يلى ذلك مجموعة القوانين ، ثم تأتي الخاتمة فيمجد الملك نفسه مرة أخرى ، ويرجو أن يجد المضطهدون فى قانونه كلمات عزاء وعدل •

ثم يشير على الاجيال اللاحقة أن تتدبر أحكام قانونه والسير بموجبها لأنها ستكفل لهم العدل والطمأنينة الى آخر الايام ، الى أبد الابدین ، وعلى الملك الذى يعتلى العرش أن يحفظ كلمات العدل التى سجلها فى نصبه هذا ، فهى حق البلاد ، ثم يقول : أن قرارات البلاد التى دونتها لا يجب أن يدعها جانباً ، وأن ما دونته هذا لا يحق له الاستهانة به ، اذا كان هذا الرجل الذى يعتلى العرش رشيداً ، ويعنى حكم البلاد بالعدل ، فعليه أن يحترم كلماتى التى سجلتها على هذا النصب ، ثم دعا كل مظلوم أن يذهب بنفسه الى نصب تشريعاته ، ويقرأها بعناية حتى تستبين له قضيتته ، ثم استعدى أربابه على كل من يمحو هذه التشريعات، أو يغير فيها ، ثم بعد ذلك يعدد اللعنات الشديدة التى ستنزلها الالهة بمن يحاول تحريف هذا القانون أو محوه (٥٨) •

وقد أنجبا الالهين شمس وعشتر ، وكان «نسكو» (Nusku) اله النار ، ابناً لهما فى بعض الاحيان، وكانت مدينة «أور» مركز عبادة سين وزوجته نجل Nin - gal ، وكذا ولدهما «نسكو» وزوجته «سدرنا» (Sa - dar - Nun - Na) ثم انتقلت عبادتهم جميعاً الى حران ، ومنها الى سوربة وفينيقيا ، وربما كان لاسم سينا علاقة باله القمر سين (محمد بيوسى مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٣٨ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٥ ، وكذا

E. Dhorme, Op. Cit., P. 54-60, 83-86.

(٥٨) رضا الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ - ٤٦٨ ، سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٩٥ •

هذا وقد حاول بعض الباحثين — طبقا لترتيب مواد القانون — أن يقسمها الى ثلاث مجموعات : مجموعة تتضمن البنود (١ — ٥) وتتعلق بأمور القضاء والتقاضى ، ومجموعة نانية تتألف من البنود (٦ — ١٢٦) وتتضمن قانون الاموال أو المعاملات ، ومجموعة ثالثة تتألف من البنود (١٢٧ — ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة ، غير أن هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا في بنود التشريع •

على أن هناك من يقسمها الى ثلاثة أبواب رئيسية ، اتفق فيها مع التقسيم الاول ، في البابين الاول والثانى ، غير أنه قسم المجموعة الثالثة (المراد ١٢٧ — ٢٨٢) الى ثلاثة أقسام ، الاول : ويتضمن قوانين الاحوال الشخصية (المواد ١٢٧ — ٢١٤) والثانى عن الاجور (٢١٥ — ٢٧٧) والثالث عن العبيد (٢٧٨ — ٢٨٢) • على أن الدكتور طه باقر ، انما يرتب مواد قانون حمورابى — حسب تسلسلها — على الوجه التالى : ١ — المخالفات والجرائم الخاصة بأصول المرافعات (خمس مواد) وتتناول التهم الباطلة وشهادة الزور ، ونقض الاحكام التى يصدرها القضاء ، ٢ — الجرائم الخاصة بالاموال (٦ — ٢٥) وتتناول السرقات وتسلم مال مسروق واختطاف الاطفال وايواء الارقاء الآبقين والسطو على الدور ، والسرقات الاخرى بوجه عام ، ونهب بيت يحترق • ٣ — أحكام خاصة بالاراضى والعقار (٢٦ — ٦٠) وفيها التزام الاراضى وواجبات الزراع والفلاحين وديون الفلاحين ، ومخالفات الري ، والاضرار الناتجة عن الماشية ، وجرائم قطع الاشجار وشئون النخيل ٤ — المعاملات التجارية (٦١ — ١٢٦) وتتناول القروض والوكالات التجارية ، وتنظم الخانات والرهونات والودائع والامانات • ٥ — الاحوال الشخصية (١٢٧ — ١٩٤) وتتناول كذف كاهنه أو امرأة محصنة بالزنا ، والزواج مرة أخرى أثناء غياب الزوج ، وأحكام الطلاق والتسرى واعالة زوجة المتوفى وهدايا الزوج لزوجته ، ومسؤوليات الزوجين عن الديون وقتل الزوج والزنا بالمحرمات وأيلولة هدايا الزواج بعد موت الزوجة والهبات للاولاد فى قيد الحياة ، وترتيب نصيب الاولاد

في التركة ، وحرمان الاولاد من الارث ، والاعتراف الشرعى بالبنوة ومال الارملة وزواجها وزواج الحرة من عبد وأحكام نساء المعبد وتبني الاطفال ، ٦ - تتناول المواد (٢١٤ - ٢١٥) وتتناول الاعتداء على الاب وعلى الرجال والاسقاط ، ٧ - المواد (٢١٦ - ٢٤٠) وتتناول أحكام الجراحين والحلاقين والمعماريين وبناء السفن والبيطريين ، ٨ - تتناول المواد (٢٤١ - ٢٧٣) الشئون الزراعية كحيوانات المزارع والآلات الزراعية وتأجير الرعاة وواجباتهم ، وكذا عمال الزراعة والحيوانات والعربات ، ٩ - وتتناول المواد (٢٧٤ - ٢٧٧) أجور الصانع والسفن . ١٠ - وتتناول المواد (٢٧٨ - ٢٨٢) ضمانات بيع الرقيق وشرائه من الخارج^(٥٩) .

وعلى أية حال - وقبل أن نقدم ترجمة لقانون حمورابى - لعل من الافضل هنا أن نشير الى عدة نقاط :

أولا : يقسم قانون حمورابى المجتمع العراقى القديم الى ثلاث طبقات هى :

أ - الطبقة العليا : - ويسمى الواحد منها «أويل» أو «أويليوم» awelum أو awelu وهم الاشراف ، ويتمتعون بحرية كاملة ، وبجميع حقوق الرعوية وامتيازاتها *

ب - الطبقة الوسطى : ويسمى الواحد منهم «مشكينو» (Mushkenu) أو «مشكينوم» (Mushkinum) وربما يمكن أن نسميهم العامة أو المساكين ، لأن كلمة «مشكينو» ، فيما يرى البعض ، تقابل كلمة مسكين العربية ، وهى على أية حال ، طبقة لا يمكن تحديد وضعها على وجه اليقين ، وربما كانوا على صلة بالمعابد ، ولكنهم ليسوا

(٥٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٩ .

من الارقاء ، كما أنهم ليسوا من السادة ، ومن ثم فاطلاق صفة الطبقة الوسطى عليهم انما هو أمر مجازي ، وقد كانوا يخضعون لقيود قانونية معينة ، ولا سيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة .

ج — طبقة العبيد : ويسمى الواحد منهم «وردو» (Wardu) أو «وردوم» (Wardum) ، ولم يكونوا ينظر اليهم كبشر لهم شخصية، وانما كالمتاع يعرفون بأسماء أصحابهم ، وان وقع عليهم ضرر يدفع المتعويض للكهم ، ويعرفون بقص شعر رؤوسهم ، ودمغهم بميسم العبيد ، وحملهم لوحا طينيا يشير الى عبوديتهم والى اسم مالكهم ، ويلحق بهذه الطبقة أسرى الحروب ومن ينذرهم الملك بعد انتصاره في حملاته الحربية .

وكان الفرد من الطبقة الوسطى يمكن أن يتحول الى طبقة الارقاء في حالة العجز عن سداد الدين ، كما أن انكار المتبني لمن يتبناه ينقله الى طبقة الارقاء ، وللزوج أن يسترق زوجته ، ان أنكرته أو تنكرت له (٦٠) .

وعلى أية حال ، فان العدالة التي نادى بها قانون حمورابي انما اشترط لها الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، انه عن نفس الجرم انما تختلف العقوبة والاضرار ، طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمى اليها الفرد الذي وقع منه وعليه الجرم — كما تنص المواد (١٩٦ — ٢٠٤) — ومن ثم فقد طبقت مبدأ «العين بالعين» ، ولكنها قصرت تطبيقه أمثاله على أفراد الطبقة الواحدة ، وهذه الحقيقة انما تفسر لنا ما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن ما أضافته المدينة البابلية الى ارثنا الخلقى في غربي آسيا قليل جدا (٦١) .

60) E. A. Speiser, *Mushkenum*, *Orientalia*, 27, 1958, P. 19-28.

G Roux, *Op. Cit* , P. 191.

61) J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, New York, 1939, P. 221-222.

وفي الواقع أننا لو رجعنا الى قانون حمورابى لوجدنا أن كثيرا من مواده لا تعترف بالمساواة بين الناس ، وإنما تتعامل معهم على حسب مراكزهم الاجتماعية ، فمثلا المادة (١٩٦) تنص على أن من يتسبب في ائتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقطع عينه ، بينما تنص المادة (١٩٨) على أن من يفتقأ عين رجل من العامة يدفع مينا من الفضة ، وتنص المادة (١٩٩) على أن من يفتقأ عين رجل من الارقاء يدفع نصف القيمة^(٦٢) .

وهكذا بينما يعترف القانون العراقى القديم (قانون حمورابى) بأن الناس غير متساويين في أقدارهم أمام القانون ، وأن العقوبة انما تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد الذى وقع منه الجرم ، فضلا عن الذى وقع عليه ، نرى مصر الفرعونية تعلن في وثائق الدولة الرسمية ، وفي توجيهات الفراعين لوزرائهم عندما يتسلمون مهام مناصبهم — كما في خطاب الملك تحوتمس الثالث الذى وجهه الى وزيره رخمى رع عندما قلده منصب الوزارة^(٦٣) — الغاء مثل هذه الفوارق الاجتماعية ، وأن الناس — كل الناس أمام القانون سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ، وبين كبير وصغير^(٦٤) بل ان مصر انما قد نادت — منذ عصر الثورة الاجتماعية ، وقبل عصر حمورابى بعدة قرون — بالقضاء التام على الفوارق الاجتماعية بين البشر جميعا — كما جاء على نص من متون المتوابعات التى ترجع الى تلك الفترة ، ومن هنا كان عصر الثورة الاجتماعية هذا — فيما يرى كثير من الباحثين — من أهم العصور

62) T. J. Meek, The Code of Hammurabi, in ANET, 1966, P. 175.

(٦٣) انظر :

J. H. Breasted, Op. Cit., P. 209-210, ARE, II, P. 266-281.

R. D. Faulkner, JEA, 41, 1955, P. 18-29.

Urk. IV, 1090 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 196.

(٦٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر

الفرعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١٦٨ — ١٧١ .

التاريخية في مصر الفراعنة ، لأنه نادى بالقضاء على الفوارق بين الناس جميعا (٦٥) .

ولعل الفيلسوف اليونانى «افلاطون» (حوالى ٤٢٧ — ٣٤٧ ق م) عندما قال مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم» ربما لم يعلم الا قليلا ، أن مصر كانت قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة خلت — قبل مقالته — هذا المثل الاعلى ، وحاولت أن تجعله حقيقة واقعة . أو أن هذا دليلا آخر على أن «أفلاطون» كان في مصر ، وأن ذلك رأى استحوذ عليه هنا في أرض الكنانة (٦٦) .

ثانيا : أن تشريعات حمورابى — رغم أنها مكتوبة باللغة الاكدية — فهي مشتقة جزئيا من التشريع السومرى الذى نسخه هذا القانونون أحيانا ، وسار عليه أحيانا أخرى ، ومن ثم فان هذه التشريعات لم تكن كلها بنت عهدها ، كما أنها لم تكن كلها جديدة ، وانما تضمنت كثيرا من التشريعات التى سبقتها (تشريعات أوركاچينا — أورنامو — اشنونا) فضلا عن نصوص العرف والتقاليد ، فأبقت بعضها على حاله ، وعدلت بعضها الآخر ، وزادت عليه ، فمثلا هناك مادة فى قانون العائلة السومرى نصت على سلطة الاب المطلقة وصلاحيته فى طرد ولده وحرمانه من الميراث ، ثم جاء قانون حمورابى فوضع حدا لسلطة الاب المطلقة ، حيث أحال البت فيها الى المحاكم ، واذا ثبت بالادلة أن الاب محق فى عمله ، حكمت له ، أو أن يغفر لولده ذنبه فى حالة اقترافه للمرة الاولى ، كما وضع حمورابى فى قانونه حدا لسلطة الزوج فى المطلق ، فقانون العائلة السومرى أعطى الزوج الحق فى طلاق امرأته متى يشاء ، ودونما سبب ، وسواء أعندها أطفال أم لا ، ثم جاء حمورابى فوضع فرقا بين حالتين ، الواحدة تتصل بالزوجة ذات الاطفال ، والاخرى ، الزوجة التى لا أطفال

65) J. A. Wilson, Creation and Myths of Origins, All Men Created Equal in Opportunity, in ANET, 1966, P. 7-8.

(٦٦) جيمس هنرى برستد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ترجمة زكى سوس — القاهرة ١٩٦١ ص ٣٣٨ .

لها ، وفي الحالة الاولى تأخذ الزوجة صداقها ودخلا يكتفى لتربية أطفالها ، وعندما يكبر أطفالها يكون لها نصيب في أملاك زوجها الذي طلقها ، وأما التي لا أطفال لها فتأخذ صداقها ، وما أتت به من بيت أبيها عند زواجها ، فضلا عن هدية زوجها لها عند الزواج (٦٧) .

ثالثا : سسار قانون حمورابي على مبدأ ((السن بالسن ، والعين بالعين)) ، ورغم عدالة هذا المبدأ ، إلا أنه طبق في هذا القانون تطبيقا سيئا في بعض الاحوال ، فكان سببا في بعض الاحايين في ظلم الابرياء ، فمثلا اذا أتهار منزل وقتل ابن الساكن فيه ، فان عقوبة ذلك قتل ابن المهندس الذي بنى البيت ، فيذهب ضحية ذلك شخص برىء ، هو الابن المسكين ، هذا فضلا عن التفرقة بين المواطنين ، ذلك لان اجراءات التقاضي — كما أشرنا آنفا — انما تشترط الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، فمثلا فان الاساءة الى العامة عقوبتها أقل قسوة الى حد كبير من عقوبة الاساءة الى الاشراف ، أو يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف ، هذا فضلا عن التفرقة بين زوجات الرجل الواحد وأبنائهن ، تبعا لمركز الزوجة ، رغم أن الابناء جميعا من صلب رجل واحد (٦٨) — كما سنرى .

رابعا : اصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابي بالقسوة في مواجهة الاعتداء على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون قد تعمدت ذلك لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها ، أو لتقبيدها بتعاليم دينية متشددة ، أو لشيوع الفساد في مجتمعها ، وفيما قبل عهدا ، فجعلت الاعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وأمنها والوقوف في سبيل تنفيذ أوامرها ، كايواء ثائر أو مجرم هارب أو التكتم على مؤامرات قطاع الطرق ، أو التهرب من خدمة الجيش أو الاعتداء على أملاك المعابد

(٦٧) جورج ساراتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ ، سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٦ .

(٦٨) ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٩٢ ، جيمس هنرى برسنن : انتصار الحضارة ص ١٩١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٣ ، وكذا

Paul Dhorme, Choix des Textes religieux assyro - Babyloniens, No XII.

والقصر ، أو من يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ، أو من يسم عبدا بغير سيده وبدون علمه ، فضلا عن خطف الاطفال واخفاء المعبد ونقب الدور ، والاتجار في المسروقات ، والمعماري الذي يتسبب اهماله في انهيار منزل على صاحبه ، والرؤساء الاداريين الذين يتسببون في حرمان جندي مما أنعم عليه الملك ، والذين يغتصبون داره أثناء غيابه أو يؤجرنها لصالحهم أو يتخلون عنها لصاحب نفوذ في ساحة القضاء ، أو الذين يدعون ملكية أشياء مسروقة ثم يثبت تدليسهم^(٦٩) .

خامسا : تضمنت تشريعات حمورابي أحكاما غريبة يأبأها منطقنا الحالي ، وان تقبلها عصرها ، ومن ذلك انه اذا اتهم مواطن مواطن آخر بالاشتغال بالسحر ، كان على المدعى عليه أن يلقي بنفسه في النهر ، فاذا ابتلعه النهر ورثه الآخر ، واذا نجا أعدم من اتهمه وأكث أملاكه اليه ، ومنها أنه اذا أدت عملية جراحية الى وفاة مريض حر ، أو الى ذهاب نور عينه ، قطعت يد الطبيب ، فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله ، وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة^(٧٠) .

سادسا : أخضع قانون حمورابي رجال الدين — ولأول مرة — لأحكام القانون المدني ، وقد كان القضاء والمحاكم من قبل من اختصاص المعبد ورجال الدين ، ومن ثم فان حمورابي انما يؤكد بعمله هذا فصل القضاء عن الهيمنة الدينية ، وربطه بعجلة الادارة المدنية^(٧١) .

سابعا : تضمنت تشريعات حمورابي كثيرا من الاحكام الراقية التي

(٦٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وانظر المواد ٢٢٩ ٢٢٧ ٢٦٦، ٢١٠، ١٠٩، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٢١، ١١، ١٠، ٩ في T. J. Meek, ANET, P. 166-167, 170, 176.

(٧٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وكذا المواد (٢١٨ - ٢١٩) في T. J. Meek, Op. Cit., P. 175.

(٧١) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٨١ .

يتقبلها المنطق في كل عصر ، ومن ذلك مثلا ، مسؤولية الدولة عن شئون الأمن ، ومن ثم فسادا سرق مواطن ولم يتييسر القبض على سارقته واسترجاع المسروقات ، عوضته مدينته ، وكذا اقليمه عما سرق منه ، بعد أن يعلنه ويثبت صحة دعواه أمام تمثال الاله ورجال الادارة في مدينته ، وكذا اذا قتل مواطن ولم يتييسر معرفة قاتله ، والاقتصاص منه ، تعاونت مدينته وحاكم اقليمه على دفع دية الى أهله مقدارها «منا» من الفضة

ومن ذلك أيضا حقوق المحاربين ومسئولياتهم ، ومن ثم فاذا افتدى مهول محاربا أو متعهدا بالجيش من الاسر ، وأعانه على العودة الى بلده ، رد المحارب فديته من أمواله المنقولة ، فان عجز عن ذلك تولى رب مدينته دفع الفدية عنه ، فان لم يتييسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه ، حتى لا يضطر الى التضحية بأمواله الثابتة التي تقطعها الدولة له في سبيل افتداء نفسه (٧٢) ♦

وعلى أية حال ، فان بعض التناقضات الموجودة في القانون ربما ترجع الى أن حمورابى قد قنن لشعب مكون من شعوب كثيرة ، ورغم توحيده الظاهرى ، ومن ثم فقد اضطر الى الجمع والتوفيق بين تقاليد مختلفة ، لكننا اذا أخذنا كل شىء بعين الاعتبار — حتى الرغبة البدائية في دقة العقاب والمبدأ باختلاف المرتبة الاجتماعية للمجنى عليهم — نقول لو أخذنا بكل ذلك ، لوجدنا أن الملك — أو مستشاره القانونى — قام بعمله خير قيام ، وأن قانون حمورابى أحد المعالم البارزة في التاريخ البشرى (٧٣) ، كما أنه — رغم قدمه — أبعد من أن يكون شريعة بدائية ، اذ ينم عن تطور طويل للفكر القانونى ، ويصور لنا الناحية القانونية من العبقورية البشرية تصويرا باهرا ، وهى ناحية لا يمكن الاستغناء عنها في

(٧٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، وكذا ماده ٣٢ في

T. J. Meek, Op. Cit., P. 167

(٧٣) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٩٦ .

بناء أية حضارة ، ومؤرخ العلوم جدير بتوجيه جانب من اهتمامه الى هذه الناحية ، مهما حاول الاقتصار على ميدانه الخاص^(٧٢) .

وهاك ترجمة كاملة لمواد قانون حمورابى ، وعددها ٢٨٢ مادة :

مادة (١) : اذا اتهم سيد سيذا آخر بجريمة قتل ، ولم يقيم عليه
البيئة قتل .

مادة (٢) : اذا اتهم سيد سيذا آخر بالسحر ، ولم يقيم عليه البيئة ، فعلى المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر ، فان غلبه النهر ، على أمره وغرق ، فليأخذ من اتهمه بالسحر ضيعته ، أما اذا برأه النهر وخرج سالما ، يقتل من اتهمه بالسحر ، ويأخذ هو (أى المدعى عليه) ضيعته .

مادة (٣) : اذا أدلى سيد بشهادة زور فى قضية ما ، ولم يستطع اثبات صحة كلماته التى نطق بها ، فان كانت تلك الدعوى تتصل بحياة (شخص) قتل .

مادة (٤) : أما ان كانت شهادة الزور تتصل بالحبوب أو المال ، فانه سوف يتحمل جزاء شهادته .

مادة (٥) : اذا حكم قاض حكما واصدر قرارا ، وحدث التصديق على رقيم مختوم ، ثم عدل فى حكمه بعد ذلك ، فعليه أن يثبتوا أن ذلك القاضى قد غير الحكم الذى أصدره ، وعليه أن يدفع اثنا عشر مرة قيمة الشكوى التى رفعت فى تلك القضية ، فضلا عن أن يطردوه أم-ام الجميع من فوق كرسيه للقضاء ، وسوف لا يجلس ثانية أبدا مع القضاة فى دعوى .

مادة (٦) : اذا سرق سيد متاع اله أو متاع الدولة ، فانه يقتل ، كما أن كل من وضع يده على متاع مسروق يقتل .

(٧٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٢ - ١٩٤ .

مادة (٧) : اذا اشترى سيد ، أو استلم كأمانة ذهباً أو عبداً أو جارية أو ثورا أو نعجة أو جحشا أو أى شئ آخر من يد رجل آخر أو عبده ، بغير شهود أو عقود ، فهو لص ويقتل •

مادة (٨) : اذا سرق سيد ثورا أو نعجة أو جحشا أو خنزيرا أو قاربا •••• ان كانت للمعبد أو الدولة يدفع ثلاثين مرة قيمة الشئ المسروق ، وان كانت لمواطن (Mushkenum) (٧٥) يدفع عشر أمثال قيمتها ، وان لم يكن لديه ما يكفى لدفع التعويض يقتل •

مادة (٩) : اذا عثر على بضاعة مسروقة من سيد في حيازة آخر ، وأقسم هذا الأخير «أن بائعا بناعنى اياها واشتريتها في حضرة شهود» ، وأعلن صاحب المرسوقات «سأقدم الشهود على أنها بضاعتى المسروقة» فان المشتري ما دام قد قدم البائع والشهود الذين تمت الصفقة أمامهم ، وان صاحب البضاعة قد قدم الشهود أيضا على ملكيته لها ، فان القضية هم الذين يفصلون في النزاع ، وعلى الشهود الذين تسم الشراء بحضرهم ، والشهود الآخرين الذين يشهدون بملكيتها لصاحبها ، فليشهدوا بذلك في حضرة الاله ، فاذا ثبت أن البائع لص يقتل ، ويسترد صاحب البضاعة بضاعته ، ويأخذ المشتري من أملاك البائع المال الذى دفعه •

مادة (١٠) : اذا لم يرشد المشتري عن البائع الذى سراه البضاعة ،

(٧٥) كلمة «مشكينوم» (Mushkenum) تستعمل عادة في المادة (٨) بمعنى رجل من الطبقة الوسطى (T. J. Meek, ANET, 1966, P. 166.) أو من العامة ، ولكنها في المواد ١٥، ١٦، ١٧٥، ١٧٦، تشير الى مواطن له صلة بالمعبد أو الدولة ، ويفرق القانون بين النوعين ، حيث يعطى من له صلة بالمعبد أو الدولة حماية أكثر ، هذا فضلا عن أن المادة اسمها تتعارض وتلك التأكيدات التى بولغ فيها في المقدمة من أن هذه النشريات انما جاءت لحماية الفقراء والضعفاء ، ومن ثم فهى هنا ليست ضد المعدم فحسب ، ولكنها أيضا تبالغ في تعويض ما يسرق من المعبد أو الدولة ، حتى أنها جعلت التعويض يعادل ثلاثين مرة من قيمة الشئ المسروق •

وعن الشهود الذين تم الشراء أمامهم ، بينما قدم صاحب البضاعة شهوده ، فالمشتري لص ويقتل ، ويسترد صاحب المتاع متاعه •

مادة (١١) : اذا لم يقدم صاحب المتاع المسروق شهوده على ملكيته للبضاعة المسروقة ، فهو مخادع غشاش ويقتل •

مادة (١٢) : اذا مات البائع ، فللمشتري الحق في أن يأخذ من أملاكه خمسة أمثال قيمة الدعوى في القضية •

مادة (١٣) : اذا لم يستطع سيد تقديم شهوده ، فللقاضي الحق في منحه أجلا لمدة شهور ستة ، فاذا لم يحضر شهوده خلال الشهور الستة ، فهو مخادع ، وسوف ينال العقاب المحدد لهذه الحالة •

مادة (١٤) : اذا سرق سيد ابنا صغيرا لسيد آخر يقتل (٧٦) •

مادة (١٥) : اذا عاون سيد عبدا للدولة أو أمة للدولة ، أو عبدا أو أمة لمواطن على الهرب من بوابة المدينة يقتل •

مادة (١٦) : اذا أوى سيد في بيته عبدا آبقا أو أمة هاربة ، تابعا للدولة أو ملكا لمواطن ، ولم يقدمهم عند استدعاء الشرطة ، فان صاحب البيت يقتل •

مادة (١٧) : اذا أمسك سبيد بعبد آبق أو أمه هاربة في العراء ، وأخذه كملك له ، فان صاحب العبد يدفع له عشرة شواقل من الفضة •

مادة (١٨) : اذا لم يعين العبد اسم صاحبه يأخذه الى القصر حتى يتم التعرف عليه ، ثم يرد الى صاحبه •

(٧٦) قارن نص سفر التكوين من التوراه وبصه «من سرق اسدا وباعه ، أو وجد في بده ، يقتل قتلا» (تكوين ١٦/٢١) وانظر : نسيبة ٧/٢٤

مادة (١٩) : اذا احتفظ بهذا العبد في بيته . ثم وجد فيما بعد أن العبد بقى في حوزته ، قتل ذلك السيد *

مادة (٢٠) : اذا هرب العبد من يد أسره ، يؤكد السيد ذلك بقسم أمام رب صاحب العبد ، ويطلق سراحه *

مادة (٢١) : اذا أحدث سيد صدعا في منزل يقتل أمام الصدع ويحشر بداخله ويسد عليه *

مادة (٢٢) : اذا سرق سيد وقبض عليه متلبسا . يقتل *

مادة (٢٣) : اذا لم يضبط السارق ، يقدم صاحب المسروقات تفصيلات بها في حضرة الاله ، وعندئذ تعوضه المدينة التي وقعت السرقة فيها ، وحاكمها ، عن متاعه المسروق *

مادة (٢٤) : اذا ما كان المسروق «حياة» (بمعنى شخصا قتل) تدفع المدينة والحاكم^(٧٧) مينا من الفضة لأهله *

مادة (٢٥) : اذا شبت نار في بيت سيد ، وجاء آخر لاطفائها ، ثم رنا بنعينييه الى أموال صاحب البيت ، وأخذ شيئا منها : فان هذا الرجل يلقي به في هذه النار *

مادة (٢٦) : اذا كلف جندي خاض أو مبعوث بمهمة للملك ، ولم يذهب أو استأجر بديلا عنه ، يقتل ذلك الجندي أو المبعوث ، ثم تسلم أملاكه لبديله *

مادة (٢٧) : اذا أسر جندي أو مبعوث . وهو في الخدمة العامة للملك ، وسلمت أرضه وبساتينه الى آخر ، ارتبط بالتزاماته الاقطاعية .

(٧٧) المين (Mina) = ٥٠٠ جرام ، والشافل (Shekels) = ٨ جرام ، وينقسم المين الى ٦٠ شافل (ANET, P. 167)

فله حق استرجاعها عند عودته الى المدينة ، ليرعى بنفسه التزاماته
الاقطاعية •

مادة (٢٨) : اذا كان الجندي الخاص أو المبعوث الذي أسر وهو في
الخدمة العامة للملك له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الاقطاعية ، فان
الحقل والبساتين يعطيان له ، ليرعى الالتزامات الاقطاعية لأبيه •

مادة (٢٩) : اذا كان الابن صغيرا لا يستطيع التزامات أبيه
الاقطاعية ، تولت أمه ادارتها نيابة عنه ، ان استطاعت ، وربته من ريعها
نظير انتفاعها بثلاث ايرادها •

مادة (٣٠) : اذا سلم جندي خاص أو مبعوث حقله وبستانه وبيته
بسبب الالتزام الاقطاعي ثم غاب ، وبعد رحيله أخذ آخر حقله
وبستانه وبيته ، وأدى الالتزامات الاقطاعية مدى سنوات ثلاث ، ثم
عاد وطالب بحقله وبستانه وبيته ، فلا يعطى له ، انها تصبح من حق
من أخذها ورعى التزاماتها الاقطاعية •

مادة (٣١) : أما اذا غاب لمدة عام واحد فقط ، ثم عاد، يرد له بيته
وبستانه ويرعى التزاماته الاقطاعية (٧٨) •

مادة (٣٢) : اذا افتدى ممول جنديا خاصا أو مبعوثا أسر في حملة
للملك ، ومكنه من الوصول الى مدينته ، رد المفتدى فديته من أملاكه
المنقولة ، فان عجز عن ذلك ، يفتدى من أملاك اله المدينة ، فاذا لم
يتيسر ذلك ، فان الدولة تتفديه ، وأما حقله وبستانه وبيته فلا يضحي
بها في مقابل الفدية •

(٧٨) اقطاع المحارب يسمى «كو» ، وقد يتكون من حقل أو بستان
أو دار ، أو بضم الثلاثة جميعا ، ويدفع عنه صاحبه ضريبة سنوية ،
ويورث حق الانتفاع به لولده الاكبر ، ولكن لا يحق له أن يبيعه أو يرهنه
أو يورثه لزوجته أو لابنته ، ويمكن أن ينزع منه هذا الاقطاع بأمر ملكي ،
ويوهب لشخص آخر (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢) •

مادة (٣٣) : اذا تملك جاويش أو ضابط جنديا . وقبل أن يذهب مستأجرا كبديل في حملة للملك فانهما يقتلان *

مادة (٣٤) : اذا اغتصب جاويش أو ضابط متاع جندي . أو أساء أحدهما الى جندي أو استأجر أحدهما جنديا ، أو أصدر حكما ضده ظلما لمصلحة من هو أعلى منه رتبة ، أو اغتصبا منحة منحها اياه الملك . فان من فعل ذلك (الشاويش أو الضابط) يقتل *

مادة (٣٥) : اذا اشترى سيد من يد جندي ماشية أو غنما . كان الملك قد أعطاها للجندي فانه يدفع ماله غرامة *

مادة (٣٦) : حقل الجندي أو بستانه أو متعلقات بيته — هو أو المبعوث أو الاقطاعي — لا تباع *

مادة (٣٧) : اذا اشترى سيد حقلا أو بستانا أو شيئا من متعلقات بيت جندي أو مبعوث أو اقطاعي ، فان لوحة التعاقد تكسر ، ثم يدفع ماله غرامة ، مع اعادة الحقوق والبستان والبيت الى صاحبها *

مادة (٣٨) : ليس من حق جندي أو مبعوث أو اقطاعي أن يتخلى عن حقله أو بستانه أو بيت اقطاعيته لزوجته أو ابنته . كما أنه ليس من حقه — بأي حال من الاحوال — أن يتنازل عنها مقابل التزام عليه *

مادة (٣٩) : يجوز له أن يتنازل لزوجته أو ابنته عن أي حقل أو بستان أو بيت اشتراه ثم تملكه كنتيجة لذلك : كما يستطيع أن يعينهم لالتزام خاص به *

مادة (٤٠) : يستطيع الناديتيوم (Naditum) (طبقة من الكهنة) أو التاجر أو الاقطاعي الخاص أن يبيع حقله أو بستانه أو بيته . على أن يتقبل الشاري التزام ما اشتراه *

مادة (٤١) : اذا تملك سيد ، عن طريق المقايضة . حقلا أو بستانا

أو بيتا يخص جنديا أو مبعوثا أو اقطاعيا ، ثم دفع ثمننا اضافيا ، فان الجندي أو المبعوث أو الاقطاعي يستطيع أن يستعيد ملكية حقله أو بستانه أو بيته ، وأن يحتفظ بما دفع اضافيا •

مادة (٤٢) : اذا استأجر سيد حقلًا للزراعة ، ولم ينتج منه حبوبا ، فان هذا يدل على أنه لم يقيم بعمل في الحقل ، ومن ثم فعليه أن يعطى مالك الحقل حبوبا تقدر على أساس انتاج الارض المجاورة •

مادة (٤٣) : اذا أهمل الحقل ولم يقيم بزراعته فعليه أن يدفع للمالك المحقل حبوبا تقدر على أساس انتاج الحقل المجاور ، وأن يقوم بحراثة المحقل الذي أهمله ، وأن يعيده الى صاحبه •

مادة (٤٤) : اذا استأجر سيد حقلًا بورا لتحسينه — على مدى سنوات ثلاث — ، غير أن كسله أدى الى عدم تحسينه ، فعليه في السنة الرابعة ، أن يحرق أرضه ، ويكسر كتله ، ثم يعيده الى صاحبه ، بل وعليه أن يكيل له عشرة «كور» (Kur) من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكو» (Iku) (٧٩) •

مادة (٤٥) : اذا أجز مالك حقله لمستأجر وتسلم ايجار حقله ، ثم أغرق «أدد» (اله الامطار والرعد والفيضان) فيما بعد الحقل أو اجتاحه فيضان ، فان الخسارة انما تقع على المستأجر •

مادة (٤٦) : أما اذا لم يكن قد تسلم الايجار — سواء كان الايجار في مقابل نصف أو ثلث المحصول — فان المستأجر والمالك يقتسمان محصول الحقل من الحبوب •

مادة (٤٧) : اذا طلب المستأجر من رجل آخر أن يزرع الحقل ،

(٧٩) الكور (Kur) مقياس يعادل أقل قليلا من ٧ بوشل (Bushels) ، وينقسم الى ٣٠٠ والايكو (Eku) مقياس للأراضي يعادل سبعة أثمان اكر (Acre) (ANET, P. 168) •

لأنه لم يستطع استغلاله في العمام الماضي ، فليس لمالك الارض أن يعترض ، وعلى المستأجر الجديد أن يزرع حقله ، وفي موسم الحصاد يأخذ الحبوب بما يتفق والعقود المبرمة •

مادة (٤٨) : اذا كان على شخص دين ، ثم أغرق الاله أدد حقله أو اجتاحه فيضان ، أو أن الحقل لم ينتج غلة لفاذ الماء ، فسوف يعفى ذلك الشخص المدين في تلك السنة من تسديد الحبوب لدائنه ، بل وتلغى لوحة العقد ، ولا يدفع الفائدة عن تلك السنة •

مادة (٤٩) : اذا اقترض سيد مالا من تاجر ، ورهن له حقلًا معدا للحبوب أو السمسم ، وقال له : ازرع الحقل ثم اجمع المحصول وخذ الحبوب أو السمسم الذي تنتجه ، واذا كان المستأجر قد أنتج حبوبا أو سمسا في الحقل ، فان صاحب الحقل نفسه يأخذ في موسم الحصاد الحبوب أو السمسم التي انتجها الحقل ، ويعطى التاجر الحبوب في مقابل ماله الذي استدانته منه مع الفوائد ، وما يقابل تكاليف الزراعة •

مادة (٥٠) : اذا رهن حقلًا مزروعا بالحبوب أو حقلًا أستندبت به السمسم ، فان صاحب الحقل يأخذ الحبوب أو السمسم الذي أنتجه الحقل ، ثم يرد المال والفائدة الى التاجر •

مادة (٥١) : اذا لم يكن لديه المال ليرده ، فانه يعطى التاجر مقابل ماله حبوبا أو سمسا بسعر السوق الذي يحدده الملك ، ذلك المال الذي استدانته التاجر مع فائدته •

مادة (٥٢) : اذا كان المستأجر لم ينتج حبوبا أو سمسا في الحقل ، فليس من حقه أن يغير العقد •

مادة (٥٣) : اذا لم يقوى سيد سدا بسبب تقاعس منه ، وأدى ذلك الى انهيار السد واغراق أرض مزروعة ، فان الرجل الذي أنصاع السد في أرضه يعوض عن الحبوب التي أصابها الدمار •

مادة (٥٤) : اذا لم يكن قادرا على التعويض ، يباع هو ومقتاعه ، ويقتسم الفلاحون الذين اتلف الماء محصولهم ماله *

مادة (٥٥) : اذا أهمل رجل عند فتح قناته للرى ، واجتراح الماء حقلا مجاورا لحقله ، فانه يكيل تعويضا بمقدار ما أصابه التلف *

مادة (٥٦) : اذا فتح رجل الماء ثم تركه فأتلف ما تم من عمل في حقل مجاور ، فعليه أن يدفع ١٠ «كورا» في مقابل كل ١٨ «ايكو» *

مادة (٥٧) : اذا لم يتفق راع مع صاحب حقل لترعى أغنامه في الاحشائس ثم تركها ترعى في الحقل دون موافقة صاحبة ، فعندما يجمع صاحب الحقل المحصول ، فعلى الراعى الذى رعى غنمه في الحقل دون موافقة صاحب الحقل ، أن يدفع له ٢٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكو» *

مادة (٥٨) : اذا ساق الراعى الاغنام — بعد أن تركت المرعى ، واحتجز القطيع كله داخل بوابة المدينة — الى حقل ثم رعت فيه ، فعليه أن يرعى الحقل الذى رعت فيه الاغنام ، وأن يدفع في موسم الحصاد لصاحب الحقل ، ٦٠ «كورا» لكل ١٨ «ايكو» *

مادة (٥٩) : اذا قطع سيد شجرة من بستان سيد آخر ، دون موافقته يدفع نصف مينا من الفضة *

مادة (٦٠) : اذا سلم سيد بستانا لبستاني لينشئ له بستانا ، فان من حق البستاني أن يرعاه لمدة سنوات أربع ، وفي السنة الخامسة يتقاسمه هناصفة مع صاحب الارض ، ومن حق صاحب البستان أن يحصل على النصيب الافضل *

مادة (٦١) : اذا لم يقيم البستاني برعاية الحقل كله ، وترك جزءا بورا ، يكون هذا الجزء البور من نصيبه *

مادة (٦٢) : اذا كانت الارض مزروعة ، ولم يقم البستاني بتحويلها جميعا الى بستان ، فعليه أن يدفع لصاحب الارض ايجار الحقل عن السنوات التي أهمل فيها ، على أساس انتاج الارض المجاورة ، كما يقوم بالعمل اللازم في الحقل واعادته الى صاحبه .

مادة (٦٣) : اذا كانت الارض بورا . فانه يقوم بالعمل اللازم في الحقل ، ويعيده الى صاحبه ، ثم يكيل ١٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكور» عن كل سنة .

مادة (٦٤) : اذا سلم سيد بستانا لبستاني لكي يلقحه ، فان البستاني يعطى لصاحب البستان ثلثي محصول البستان كايجار طيلة استثماره له ، ويأخذ هو الثلث .

مادة (٦٥) : اذا لم يقم البستاني بتلقيح البستان فتدهور المحصول ، فان البستاني يدفع ايجار البستان بما يعادل ايجار المثل المجاور .

مادة (٦٦) : اذا استدان سيد من تاجر ، ثم ضيق عليه التاجر ، ولم يكن على ميسرة ليدفع ما عليه ، واذا أعطاه البستاني بعد التلقيح وقال له : خذ مالك تمرا بقدر ما انتج البستان ، فلا يسمح للتاجر بذلك ، لأن لصاحب البستان أن يأخذ ما أنتج البستان من تمر ، ويدفع للتاجر مقابل ماله وفائدته ، طبقا لنص اللوحة (العقد) ، كما لصاحب البستان بدوره أن يأخذ بقية التمر الذي أنتجه البستان .

مادة (٦٧) ، (٦٨) ، (٦٩) ، (٧٠) تالفة .

مادة (٧١) : اذا كان يعطى حبوبا أو مالا أو بضائع لاقطاعية ولاية مجاورة يريد شراءها ، فانه يدفع غرامة ما سبق أن دفعه ، وتعود الضيعة الى صاحبها ، واذا لم يكن للضيعة التزامات اقطاعية ، فله أن يشتريها ما دام يدفع لمثل هذه الضيعة حبوبا أو مالا أو بضائع .

مادة (٧٢) الى مادة (٧٧) تالفة *

مادة (٧٨) : اذا أجر سيد بيتا لرجل لمدة عام ، ودفع المستأجر الاجر لصاحب البيت ، ثم قال المالك للمستأجر — وعقده ما يزال قائما — أترك المنزل ، فان صاحب المنزل يدفع المال الذي دفعه المستأجر ، لأنه طلب اليه ترك المنزل ، وعقده ما زال نافذ المفعول *

مادة (٧٩) — الى مادة (٨٧) تالفة *

مادة (٨٨) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، فيأخذ «٦٠ قو» من الحبوب لكل «كور» كفاضة، ويأخذ سدس شاكل ، ٦ سيات ، لكل شاكل من الفضة ، كفاضة «٨٠» *

مادة (٨٩) : اذا لم يجد سيد ما يسدد به الدين ، وعنده حبوب ، يأخذ التاجر حبوبا ، مقابل ماله مع فائدة تتفق وما يحدده الملك من سعر *

مادة (٩٠) : اذا زاد تاجر ربح كور الغلة عن ٦٠ قو ، وفائدة شيقل الفضة عن سدس شيقل وست سيات ، فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه *

مادة (٩١) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، ثم أخذ ماله بفائدة كاملة من الحبوب ، فان الحبوب مع المال قد لا *

(٨٠) دلت بعض لوحات القروض من نفس العصر على زيادة أرباح القروض ونقصانها عن هذه النسبة في بعض الحالات فقد بلغ سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ ، ونقصت قروض المعابد والادارات الحكومية الى ١٢٪ ، وكان معبد شمش معبود سيار يقرض الشعير بفائدة ٢٠٪ ، وبعد سنوات أقرض الفضة بفائدة ١٦/١ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانوني للفائدة ، وفي عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير ٣٣ ونلت في السنة ، أى ثلث رأس المال ، وظل هذا السعر قائما في عصر حمورابي ، ثم اخذ في الانخفاض (ل. دبلابورت : المرجع السابق ص ١٥٣ — ١٥٤) *

• مادة (٩٢) تالفة •

مادة (٩٣) : اذا كان التاجر + + + + أو لم يستنزّل القدر الكافي من الحبوب الذى تسلمه ، ولم يكتب عقدا جديدا ، أو كان قد أضاف الفائدة الى رأس المال ، فان التاجر يرد ضعف القدر الذى تسلمه من الحبوب •

مادة (٩٤) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والحبوب بالمكيال الصغير ، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير ، فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٥) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وأعطى + + + + + فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٦) : اذا استدان سيد حبوبا أو مالا من تاجر ، ولم يكن لديه حبوبا أو مالا ليرده ، ولكن لديه بضائع أخرى فانه يعطى للتاجر ما يملكه أمام شهود ، وعلى التاجر أن يقبل ذلك دون اعتراض •

• مادة (٩٧) تالفة •

مادة (٩٨) : اذا سلم سيد مالا لآخر لعمل شركة بينهما ، فانهما يقتسمان مناصفة الربح والخسارة أمام الاله •

مادة (٩٩) : اذا أقرض تاجر مالا بفائدة لتاجر متجول بقصد التجارة ، وأرسله الى الطريق ، فان التاجر المتجول + + + + على الطريق + + + + المال الذى عهد به اليه •

مادة (١٠٠) : اذا كان قد حقق ربحا حيث حل ، فانه يسجل الفائدة على المبلغ بالكامل الذى استدانه ، ثم يحسبان الاينام عليه ، ويرد للتاجر •

مادة (١٠١) : عندما لا يحقق التاجر المتجول (Schamallum)

ربحاً ، بصرف النظر عن المكان الذى ذهب اليه ، فإنه يدفع للتاجر ضعف ما اقترضه من ماله •

مادة (١٠٢) : اذا أقرض تاجر تاجراً متجولاً قرض مجاملة وتحققت خسارته ، حيث سافر ، فإنه يعيد رأس المال للتاجر •

مادة (١٠٣) : اذا هاجمه عدو فى الطريق جعله يسلم له كل ما يحمل ، فان التاجر المتجول يقسم بالاله ، ويطلق سراحه •

مادة (١٠٤) : اذا أقرض تاجر غلة أو صوفاً أو زيتاً أو بضاعة ما الى تاجر متجول ، فعلى التاجر المتجول أن يسجل الثمن ، وأن يدفعه للتاجر ، وأن يستلم التاجر (أو البائع) المتجول ، وصلاً مختوماً بالدرهم التى دفعها للتاجر •

مادة (١٠٥) : اذا كان البائع المتجول مهملاً ، ولم يحصل على وصل مختوم بالمال الذى دفعه للتاجر ، فان المال الذى لم يحرر به وصل مختوم لا يمكن اعتباره عند اعتماد الحساب •

مادة (١٠٦) : اذا استدان بائع متجول مبلغاً من تاجر ثم حدث نزاع ، فان التاجر عليه أن يثبت فى حضرة الاله والشهود أن البائع المتجول استدان المبلغ ، وعندئذ يدفع البائع المتجول الى التاجر ثلاثة أمثال المبلغ موضوع الدين •

مادة (١٠٧) : اذا عهد تاجر بشيء الى بائع متجول ، ثم أعاد هذا اليه ما أعطاه ، فإنه فى حالة نزاع بينهما ، وانكار التاجر المتجول أنه تسلم شيئاً ، فإنه على التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالقسم ضد التاجر فى حضرة الاله والشهود ، وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشيء موضوع هذا النزاع •

مادة (١٠٨) : اذا لم تستلم صاحبة حانة الحبوب ثمناً للمشرب ،

وقبلت نقودا بالوزن الكبير ، وبذا جعلت سعر الشراب أقل من قيمة
الحبوب ، فانهم يثبتون ذلك ضدها ، ويلقون بها في ماء النهر •

مادة (١٠٩) : اذا تجمهر بعض المتشردين في حانة ، ولم تقبض
عليهم صاحبة الحانة ولم تأخذهم الى القصر فانها تقتل •

مادة (١١٠) : اذا كانت «ناديتوم» (من طبقة الكاهنات) أو
«انتيوم» (Entum) (من طبقة الراهبات) ممن لا يعيشون في
دير ، يفتتحون حانة أو يدخلون حانة لشراب ، فالعقوبة الحرق •

مادة (١١١) : اذا أعطت بائعة قنية من شراب «بيخوم» (Pihum)
نسيئة ، فانها تأخذ ٥٠ قو من الحبوب عند جمع المحصول •

مادة (١١٢) : اذا كان سيد في رحلة تجارية ، وأعطى فضة وذهبا
وأحجارا كريمة أو أية بضائع من متعلقاته الى سيد آخر ، أو عهد اليه
بنقلها ، فان هذا الرجل اذا لم يسلم ما كان يجب نقله الى حيث كان
يجب أن ينقل ، بل أخذه لنفسه ، فان صاحب البضائع التي كان مفروضا
أن تنقل يجب أن يثبت الاتهام ضد الرجل الاخير ، وعندئذ يدفع الرجل
الى صاحب البضاعة التي كان يجب أن تنقل خمسة أمثال ما سلم اليه •

مادة (١١٣) : اذا كان لرجل دين من حبوب أو مال على آخر ، ثم
أخذ حبوبا من الشونة أو ساحة التذرية بغير موافقة صاحب الحبوب ،
فعليه أن يعيد كمية الحبوب التي أخذها ، ثم يدفع كذلك غرامة كل شيء
آخر كان قد اقترضه •

مادة (١١٤) : اذا لم يكن لرجل حبوب أو مال لدى آخر ، ثم
احتجزه كرهينة ، فانه يدفع ثلث مينا من الفضة عن كل احتجاز •

مادة (١١٥) : اذا كان لسيد دين حبوب أو مال لدى آخر ثم احتجز
شخصا كرهينة ، ثم مات الرهينة ميتة طبيعية في بيت المحتجز ، فليس
هناك وجه لاقامة الدعوى •

مادة (١١٦) : اذا كان موت الرهينة بسبب ضرب أو اساءة في بيت المحتجز ، فان صاحب الرهن عليه أن يثبت ذلك ضد تاجره ، فان كان ابنا للرجل قتل الابن ، وان كان عبده دفع ثلث مينا من الفضة ، وغرامة عن كل ما افترضه *

مادة (١١٧) : اذا حان وقت استحقاق دين على سيد وكان قد باع (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط (هو نفسه) بالخدمة ، فيجب عليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو المدينين له مدة ثلاث سنوات ، ثم تعادلهم حريتهم في السنة الرابعة^(٨١) *

مادة (١١٨) : اذا سخر عبد أو أمة للخدمة ، ثم أراد التاجر اشهار البيع ، فله أن يبيع ، دون وجه لاقامة الدعوى ضده *

مادة (١١٩) : اذا قام التزام على سيد أدى الى أن يبيع خدمات أمته التي ولدت أطفالا ، فان صاحب الامة يستطيع أن يسترد أمته ، بعد أن يدفع ما كان التاجر قد دفعه *

مادة (١٢٠) : اذا أودع سيد حبوبه في بيت سيد آخر ، فحزنها وحدث تلف في الشونة ، أو أن صاحب البيت فتح المخزن وأخذ حبوبا ، أو أنكر تماما أنه تسلم حبوبا لتخزينها في بيته ، فعلى صاحبها أن يبين تفصيلات حبوبه في حضرة الاله ، وعندئذ يدفع صاحب البيت الى مالك الحبوب ضعف ما أخذ من حبوب *

مادة (١٢١) : اذا أودع سيد حبوبا في بيت آخر ، فعليه أن يدفع ٥ قو من الحبوب لكل كور ، مقابل تخزينها لمدة عام *

مادة (١٢٢) : اذا أودع سيد لدى آخر فضة أو ذهباً أو أى شيء

(٨١) قارن شريعة التوراة (خروج ٢/١٢ - ١١ تثنية ١٢/١٥ - ١٨) حيث تطلق السراح في السنة السابعة *

آخر لحظه كأمانة ، فيجب أن يبين بالمشهود مقدار ما أودعه ، ثم يحرر عقدا ، وعندئذ تتم عملية الحفظ (الايداع) •

مادة (١٢٣) : اذا أودع شيئا لحفظه بغير شهود أو عقود ، ثم أنكر من تسلمها ، فلا تقام الدعوى •

مادة (١٢٤) : اذا أعطى سيد سيذا آخر فضة أو ذهباً أو شيئاً آخر ، كأمانة في حضرة شهود ، ثم أنكر الواقعة فيجب اثباتها ضده ، وعندئذ يدفع ضعف ما أنكر •

مادة (١٢٥) : اذا أودع سيد متاعه كأمانة ثم اختفى المتاع حيث أودعه ، كما اختفى متاع صاحب البيت بسبب دخول اللصوص أو عن طريق نقب الحائط ، فان صاحب البيت الذى كان اهماله سببا في تبديد الامانة ، يجب أن يعرض صاحب البضائع ، وعليه أن يبحث جدياً بحثاً كاملاً عن متاعه الضائع ، ويأخذه من اللص الذى سرقه •

مادة (١٢٦) : اذا لم يكن متاع الرجل قد سرق ولكنه أعلن «أن متاعى قد سرق» ، وبذا يحاول خديعة مجلس مدينته ، فان مجلس المدينة يستعرض الحقائق في حضرة الاله ، وأن متاعه لم يسرق ، وعندئذ يدفع لمجلس مدينته ضعف ما ادعى به •

مادة (١٢٧) : اذا أشار سيد الى كاهنة معبد أو الى زوجة سيد آخر بسوء ، ولكنه لم يستطع اثبات سئى ضدها ، فان هذا السيد يؤخذ الى حضرة القضاة ، ويقصون أيضا نصف شعره •

مادة (١٢٨) : اذا كان لسيد زوجة : ولكنه لم يحرر معها عقدا ، فان هذه المرأة ليست زوجته •

مادة (١٢٩) : اذا ضبطت زوجة سيد مضطجعة مع رجل آخر ، فيجب عليهم أن يوثقوا الاثنين ويلقونهما في ماء النهر ، واذا أراد الزوج

الابقاء على حياة زوجته ، ففي هذه الحالة يستطيع الملك أن يبقى على حياة أحد رعاياه •

مادة (١٣٠) : اذا اتصل سيد بخطيبة آخر ، ولم يكن قد واقعها رجل من قبل ، وكانت لا تزال في بيت أبيها ، ثم رقد في صدرها وأمسك بها ، فإنه يقتل ، أما المرأة فتطلق حرة •

مادة (١٣١) : اذا اتهم سيد زوجته ولم تضبط متلبسة مع آخر ، تثبت دعواها بقسم أمام الاله ، ثم تعود الى بيتها •

مادة (١٣٢) : اذا شهر سيد بزوجة سيد آخر ، ولكنها لم تضبط متلبسة في حالة اضطجاع مع رجل آخر ، فإنها تلقى بنفسها في النهر من أجل زوجها •

مادة (١٣٣) : اذا أسر رجل وكان في بيته ما يكفى ، فيتحتتم على زوجته ألا تترك منزله ، وعليها أن تصون نفسها ، وذلك بأن لا تدخل منزل شخص آخر ، أما اذا لم تصن هذه المرأة نفسها ودخلت منزل شخص آخر ، فإنهم يثبتون ذلك على هذه المرأة ، ويلقونها في الماء •

مادة (١٣٤) : اذا أسر رجل ، ولم يكن هناك في بيته ما يحفظ عليهم الحياة ، فلزوجته أن تدخل بيت رجل آخر ، ولا لوم عليها •

مادة (١٣٥) : اذا لم يكن في بيت الاسير ما يكفى للانفاق على أسرته ، ثم دخلت زوجته الى بيت رجل آخر قبل عودته ، وولدت له أطفالا ، ثم عاد زوجها ووصل الى مدينته ، فان هذه المرأة تعاد الى زوجها الاول ، ويبقى الاولاد مع أبيهم •

مادة (١٣٦) : اذا هجر سيد مدينته وهرب ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله ، فإذا عاد ورغب في استعادة زوجته ، فلا تعود الزوجة الى زوجها الهارب ، لانه احتقر مدينته وفر هاربا •

مادة (١٣٧) : اذا عول سيد أن يطلق ((شوجيتوم)) (Su - Ge - Tum) رزقت منه بأطفال ، أو «ناديتوم» جاءت به بأطفال ، ترد الى هذه المرأة بائنتها ، كما تعطى نصف الحقول والبستان حتى تربى أولادها ، ثم تعطى ، بعد تربية أولادها ، نصيبا مماثلا لاي وريث مما يوزع على أولادها ، حتى يستطيع الرجل الذى يختارها أن يتزوجها .

مادة (١٣٨) : اذا أراد سيد أن يطلق زوجته التى لم تنجب منه أطفالا ، فعليه أن يدفع لها كل تكاليف زواجها ، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التى جاءت بها من بيت أبيها ، ثم بعد ذلك يطلقها .

مادة (١٣٩) : اذا لم يكن هناك تكاليف زواج ، فعليه أن يعطيها مينا من الفضة ، ثم يطلقها .

مادة (١٤٠) : اذا كان مزارعا يعطيها ثلث مينا من الفضة .

مادة (١٤١) : اذا كانت زوجة رجل تعيش فى بيته ، ثم أرادت أن تترك البيت لتعمل ، وبالتالي تهمل بيتها ، ويسشعر زوجها المهانة ، فيجب اثبات ذلك ضدها ، وان أراد زوجها أن يطلقها من أجل ذلك ، فإنه يطلقها دون اعطائها أى شىء لاتمام الطلاق عند رحيلها ، واذا لم يرد أن يطلقها ، فله أن يتزوج من غيرها ، وتبقى الزوجة الاولى فى بيت زوجها كخادمة .

مادة (١٤٢) : اذا كرهت امرأة زوجها ، حتى قالت له : لا تقربنى فيجب دراسة قضيتها فى مجلس مدينيتها ، فاذا كانت امرأة حريصة ولم ترتكب خطأ ، رغم أن زوجها يخرج ويحط من قدرها كثيرا ، فليس لهذه المرأة ذنب ، ويجب أن تأخذ حقها المتأخر ، وتذهب الى بيت أبيها .

مادة (١٤٣) : اذا لم تكن حريصة ، وكانت دائمة الخروج للزيارات ، وبذا تهمل بيتها ، ويسشعر زوجها المهانة ، يلقي بها فى ماء النهر .

مادة (١٤٤) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» ثم سلمت جاريته
لزوجها ثم رزق منها بأطفال ، ثم أراد الزواج من كاهنة ، فليس له أن
يفعل ، لأن ليس من حقه الزواج من كاهنة •

مادة (١٤٥) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» ولم يرزق منها بأطفال ،
فله الحق ، ان أراد ، ان يتزوج من كاهنة ، ويأتى بها الى بيته ، ولكن
هذه الكاهنة لا ترتفع الى مرتبة ال «ناديتوم» •

مادة (١٤٦) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» وأعطته جارية لها
فحملت منه وجاءته بأطفال ، فاذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها أنجبت
أطفالا ، فليس لسيدتها أن تبيعها ، ولكن لها أن تدمغها بميسم الاماء ،
وأن تعدها من بين عبيدها •

مادة (١٤٧) : اذا لم ترزق بأطفال ، فمن حق سيدتها أن تبيعها •

مادة (١٤٨) : اذا تزوج سيد بامرأة وأصيب بمرض ، وأراد أن
يتزوج مرة ثانية ، فمن حقه أن يتزوج ، ولكن لا يطلق زوجته التي
أصيب بمرض ، انها تسكن في البيت الذى بناه ، وعليه أن يقوم
بإعالتها طالما كانت على قيد الحياة •

مادة (١٤٩) : اذا رفضت هذه المرأة أن تعيش في بيت زوجها يرد
لها بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تتراء البيت •

مادة (١٥٠) : اذا حرر رجل عقدا مختوما عند اهدائه زوجته حقلا
أو بستانا أو بيتا أو متاعا ، فان أولادها لا يستطيعون الدخول في دعوى
ضدها بعد وفاة زوجها ، ما دامت الام تستطيع أن تمنح ارثها ابنها
الذى تحبه ، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه لغريب •

مادة (١٥١) : اذا نصت امرأة في عقد زواجها أن دائنى زوجها لا
يسنطعون ارثها بمقتضى ابراز وثيقة مكتوبة ، ثم حدث أن كان الرجل

٧/٢٤

مدينا قبل الزواج من تلك المرأة ، فان دائنيها لا يستطيعون احتجازها ، كما أنها ، ان كانت هي مدينة قبل دخولها الى بيت زوجها ، فان دائنيها لا يستطيعون كذلك احتجاز زوجها .

مادة (١٥٢) : اذا حدث الدين بعد دخول المرأة بيت زوجها ، فعلى الاثنين تكون المسألة أمام التاجر (يعنى الدائن) .

مادة (١٥٣) : اذا تسببت امرأة في موت زوجها بسبب رجل آخر ، توضع على الخازوق .

مادة (١٥٤) : اذا زنا رجل بابنته فعليه أن يترك المدينة .

مادة (١٥٥) : اذا اختار الرجل عروسا لابنه ثم واقعها ابنه ثم ضبط هو بعد ذلك مثلبسا معها يربط ويلقى به في النهر .

مادة (١٥٦) : اذا اختار سيد عروسا لولده ولم يواقعها ابنه ، لكن الاب ضاجعها ، فانه يدفع لها نصف مينا من افضة ، ثم يرد لها كل ما جاءت به من بيت أبيها ، حتى يستطيع الرجل الذي تختاره أن يتزوجها .

مادة (١٥٧) : اذا ضاجع رجل أمه بعد موت أبيه يحرق كلاهما .

مادة (١٥٨) : اذا ضبط رجل بعد موت أبيه مثلبسا بمضاجعة مرضعته التي كانت حاملة أطفال ، فانه يقطع من بيت أبيه .

مادة (١٥٩) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، ثم أحب امرأة أخرى وقال لحميه المقبل : سوف لا أتزوج من ابنتك ، فان والد الفتاة يحتفظ بكل ما جرى به له .

مادة (١٦٠) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، ثم قال له والد الفتاة : سوف لا أزوجك من ابنتي ، فانه يرد ضعف ما جرى له به .

مادة (١٦١) : اذا جاء خطيب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، وأساءه صديق له بأن قال ان حماه المقبل قال : سوف لا تتزوج من ابنتى ، فانه يرد ضعف ما جىء له به ، ولايتزوج صديقه من خطيبته السابقة •

مادة (١٦٢) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ورزق منها بأطفال ، ثم ماتت ، فليس لأبيها أن يسترد بائنتها لأن هذه البائنة أصبحت ملكا لأولادها •

مادة (١٦٣) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ولم يرزق منها بأطفال ، وأعاد له حموه المهر الذى كان قدمه الى بيت حميه ، فليس لزوجها ان يدعى حقا فى بائنتها ، لأن هذه البائنة أصبحت من حق بيت أبيها •

مادة (١٦٤) : اذا لم يرد حموه المهر ، فان المهر يستنزل بأكمله من بائنتها ، وترد بقية البائنة الى بيت أبيها •

مادة (١٦٥) : اذا أهدى رجل الى بكر أولاده المحبوب فى عينه حقلا أو بستانا وكتب له بذلك وثيقة مختومة ، ثم جاء أخوته للتقسيم بعد وفاة أبيهم ، فانه يحتفظ بالهدية التى أعطاه اياها أبوه ، ثم تقسم ضيعة الاب بينهم بالتساوى •

مادة (١٦٦) : اذا مات رجل دون أن يتزوج أصغر أبنائه ، أفرد له أخوته قيمة مهر تناسب مهر الزواج من ضيعة أبيهم ، قبل أن يقتسموا تركته بعد موته ، حتى يمكنوا الاخ الاصغر من الحصول على زوجة •

مادة (١٦٧) : اذا تزوج رجل من امرأة ورزق منها بأطفال ثم ماتت ، فتزوج من بعدها بأمرأة أخرى ، ورزق منها بأطفال كذلك ، فعند موته لا يقتسم الاطفال التركة تبعا لأمهاتهم ، وانما تأخذ كل مجموعة بائنة أمهم ، ثم تقسم تركة الرجل بعد ذلك بينهم بالتساوى •

مادة (١٦٨) : اذا أراد رجل حرمان أحد أبنائه من تركته ، وقال للقضاة : أريد حرمان ابني من الارث ، فانهم يتحزون حالته ، فاذا لم يكن الابن قد ارتكب ذنبا عظيما يحرمه حقه في البنوة ، فليس للاب الحق في أن يحرمه حقه في البنوة •

مادة (١٦٩) : اذا كا قد ارتكب اثما عظيما يكفى لحرمانه من البنوة ، فيجب العفو عن ذنبه الاول ، فان عاد فارتكب ذنبا عظيما مرة ثانية ، قللاب أن يحرمه •

مادة (١٧٠) : اذا رزق رجل من زوجته الاولى بأطفال ، ثم جاءت جاريته أيضا بأطفال ، واعترف الزوج بهم في حياته ، وقال «أطفالي» فعدهم كأطفال الزوجة الاولى ، فان تركته تقسم بعد موته بالتساوي بين أطفال الزوجة الاولى وأطفال الجارية ، على أن يكون لولده البكر من الزوجة الاولى نصيب مفضل •

مادة (١٧١) : اذا لم يعترف الأب في حياته بهم ويقول : أطفالي ، لمن جاءت بهم الجارية ، فان أبناء الجارية لا يشاركون أبناء الزوجة الاولى في متاع الاب بعد وفاته ، ولكن تحرر الجارية أولادها ، وليس لأبناء الزوجة الاولى عليهم حق الخدمة ، وتأخذ الزوجة الاولى بائنتها وهدية الزواج التي كتبها زوجها لها على لوحة ، وتعيش في بيت زوجها طيلة حياتها ، دون أن يكون لها حق بيعه ، لانه ميراث يخص أولادها •

مادة (١٧٢) : اذا لم يكن زوجها قد أعطاها هدية زواج ، فتد لها بائنتها ، وتأخذ من تركه زوجها على ميراث يعدل أحد الانصب ، وأن ضايقتها أولادها لتترك الدار يتحرى القضاة الامر ، ثم يلحقون باللائمة على أولادها ، ولا تترك المرأة البيت ، وأما ان أرادت ترك البيت ، فعندئذ تتنازل لأولادها عن هدية زواجها التي أعطاها اياها زوجها ، ولكن تأخذ بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها ، حتى يتزوجها الرجل الذي تختاره •

مادة (١٧٣) : اذا رزقت تلك المرأة بأطفال من زوجها الاخير في

المكان الذى دخلت اليه ، فعند وفاتها تقسم بائنتها بين أطفالها من زوجها الاول والثانى *

مادة (١٧٤) : اذا لم ترزق بأطفال من زوجها الثانى فان بائنتها تقسم بين أطفالها من زوجها الاول فقط *

مادة (١٧٥) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ورزقت منه بأطفال ، فليس لسيد العبد حق الخدمة على أطفال عبده من ابنة السيد *

مادة (١٧٦) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ثم دخلت الى بيت زوجها — عبد القصر أو عبد لمواطن — ببائنتها وارتبطا ببعضهما ثم أسسا بيتا ، وجعلا فيه أثاثا ، ثم مات العبد ، فان ابنة السيد تأخذ بائنتها ، وأما ما اشتركت فى شرائه مع زوجها ، بعد ارتباطهما ، فيقسم الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد النصف ، وتأخذ هى لأبنها النصف الثانى *

مادة (١٧٦) مكرر : أما اذا لم يكن لابنة السيد بائنة ، فان ما اشتركت فى شرائه مع زوجها — بعد ارتباطهما — الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد نصفا ، وتأخذ هى لأولادها النصف الثانى *

مادة (١٧٧) : اذا كان لارملة أطفال قصر ، وأرادت دخول بيت رجل ، فليس لها ذلك الا بموافقة القضاة ثم يتحرون تركه زوجها السابق ، ثم يعهدون الى زوجها الثانى برعاية تركه زوجها السابق ، وتحترر وثيقة بينهم وبين المرأة بهدف رعاية المتركة وتربية الاطفال القصر ، وعدم بيع متاع البيت ، ذلك لأن من يشتري متاع بيت أطفال أرملة يخسر ماله ، ويعاد المتاع الى أصحابه *

مادة (١٧٨) : فى حسالة المراهبة أو أل «ناديتوم» أو المنذورة

(زيكروم = (Zi - Ik - Ru - Um) التي كتب لها أبوها وثيقة عند تقديمه لبائنتها ، فإذا لم يكن الاب قد سمح لها بتوريثها لمن تشاء ، ولم يعطها مطلق التصرف بعد موته ، فإن أخوتها يأخذون حقلها وبستانها ، ولكن عليهم اطعامها ، وكذا اعطائها زيتا وملابس مناسبة تعدل قيمة نصيبها ، بحيث تبدو راضية ، فإذا لم يفعلوا ، فلها أن تعطي حقلها وبستانها الى أى مستأجر تختاره ، وعلى المستأجر أن يرعاه ، ما دامت تستولى على ثمار الحقل والبستان أو ما منحها أبوها طيلة حياتها ، دون حق التصرف بالبيع أو التوصية للغير ، لان نصيبها يخص أخوتها من بعدها •

مادة (١٧٩) : في حالة الراهبة أو «ناديتوم» أو المنذورة ، التي كتب لها أبوها عند تقديم البائنة صكا مختوما ، وسجل في الملوحة التي كتبها موافقتها على أن تتصرف في ميراثها كما تشاء ، فلها — بعد وفاته — أن تسلم ميراثها لمن تشاء ، وليس لأخوتها حق الدعوى ضدها •

مادة (١٨٠) : اذا لم يقدم لابنته «ناديتوم» في دير أو منذورة ، فمن حقها بعد وفاته أن تأخذ من متاعه نصيبا مماثلا لاي وريث ، على أن تستمتع باستثماره طيلة حياتها فقط ، لان نصيبها في الميراث انما ملك لأخوتها بعد وفاتها •

مادة (١٨١) : اذا كرس الاب ابنته على أن تكون «ناديتوم» أو «عاهرة مقدسة» أو «كولم شيتوم» (متعبدة) ولم يقدم لها بائنة ، فبعد موته تأخذ نصيبا من تركته ، بمقدار الثلث، على أن تستثمره طوال حياتها فقط ، لأنه يخص أخوتها •

مادة (١٨٢) : اذا كان الاب لم يقدم بائنة لابنته التي تعمل «ناديتوم» في معبد مردوك في بابل ، ولم يسجل لها وثيقة مختومة ، فلها بعد وفاة أبيها ثلث تركته ، على أن لا ترث أية حقوق اقطاعية ولكن لها حق منح ميراثها لمن تشاء •

مادة (١٨٣) : اذا حرر الاب وثيقة مختومة لابنته الكاهنة عند تقديم بائنتتها ، فمن حقها بعد موت أبيها أن تأخذ نصيبها في تركته •

مادة (١٨٤) : اذا لم يقدم الاب بائنة لابنته الكاهنة لانه لم يزوجها ، فعلى أخوتها — بعد موت الاب — أن يقدموا لها هدية تتناسب مع قيمة التركة التي خلفها الاب ، ويقدمونها لزوجها •

مادة (١٨٥) : اذا تبني رجل ولدا باسمه ورباه ، فان الطفل المتبنى لا يسترجع اطلاقا •

مادة (١٨٦) : اذا تبني رجل ولدا عرف أباه وامه عند تبنيه ، فللطفل أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٨٧) : الابن المتبنى لموظف أو خادم في القصر أو منذور ، لا يرد اطلاقا •

مادة (١٨٨) : اذا أخذ عضو من طبقة الصناع ولدا متبنى وعلمه حرفته ، فمن حقه ألا يرده أبدا •

مادة (١٨٩) : اذا لم يكن قد علمه حرفته ، فيمكن أن يعود الطفل المتبنى الى بيت أبيه •

مادة (١٩٠) : اذا لم يعتبر رجل الطفل الذي تنباه ورباه من بين أولاده ، فمن حق الطفل المتبنى أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٩١) : اذا تبني رجل ولدا ثم أقام له أسرة ، ثم رزق بأولاد فيما بعد ، ورغب في ابعاد المتبنى ، فلا يرد الى أهله صفر اليدين ، وانما يهبه ما يساوي ثلث ما يملك ، وله أن يسرحه بعد ذلك ما دام لم يعطه حقلا أو بستانا أو بيتا •

مادة (١٩٢) : اذا قال متبنى موظف القصر أو المنذور لأبيه أو أمه بالتبني : لست أبى أو لست أُمى ، يقطع لسانه •

مادة (١٩٣) : اذا وجد متبنى القصر أو المنذور أبويه • وكره أباه وأمه بالتبني ، ثم ذهب الى بيت أبويه ، تقلع عيناه •

مادة (١٩٤) : اذا أعطى سيد ولده لمربية ثم مات وهو تحت رعايتها ، فانه فى حالة تعاقد المربية مع ابن آخر ، دون علم الاب والام . فعليهما أن يثبتا ذلك ضدهما ، ثم يقطعان ثدييهما ، لانها تعاقدت مع ابن آخر دون علم أبيه وأمه •

مادة (١٩٥) : اذا ضرب ولد أباه تقطع يده •

مادة (١٩٦) : من تسبب فى اتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه •

مادة (١٩٧) : من كسر عظمة رجل آخر تكسر عظمته •

مادة (١٩٨) : اذا فقأ سيد عين رجل من العامة أو كسر احدى عظامه ، يدفع له مينا من الفضة •

مادة (١٩٩) : من أفقد عبدا عينه أو احدى عظامه يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢٠٠) : من يسقط سن رجل من طبقتة تكسر سنه •

مادة (٢٠١) : من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة •

مادة (٢٠٢) : من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد ستين جلدة بسوط من جلد الثور علنا •

- مادة (٢٠٣) : اذا لطم نبيل نبيلاً آخر يدفع مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٤) : اذا لطم رجل من العامة خذ آخر من طبقته يدفع
١٠ شواقل من الفضة •
- مادة (٢٠٥) : اذا لطم عبد خذ نبيل تصلم أذنه •
- مادة (٢٠٦) : اذا ضرب رجل في معركة رجلاً آخر فأصابه ، فعليه
أن يقسم قاتلاً : أنا لم أضربه عمداً ، وعليه أيضاً أن يدفع أجر الطبيب •
- مادة (٢٠٧) : اذا مات بسبب الضربة فيقسم نفس القسم ، فاذا
كان من النبلاء يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٨) : اذا كان من العامة يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٩) : اذا ضرب رجل ابنة رجل آخر وأجهضت يدفع ١٠٠
شواقل من الفضة بسبب اجهاضها •
- مادة (٢١٠) : اذا ماتت المرأة قتلت ابنته •
- مادة (٢١١) : اذا وقعت الاصابة على ابنة رجل من العامة يدفع
٥ شواقل من الفضة •
- مادة (٢١٢) : اذا ماتت هذه المرأة يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢١٣) : اذا ضرب أمة فأجهضها يدفع شاقطين من الفضة • •
- مادة (٢١٤) : اذا ماتت الجارية يدفع ثلث مينا من الفضة •
- مادة (٢١٥) : اذا باشر طبيب عملية كبيرة لرجل بسلاح من البرونز
فأنقذ حياته ، ثم فتح خراجاً بعين رجل بسلاح من البرونز فأنقذ
المعين ، فأجره عشرة شواقل من الفضة •

مادة (٢١٦) : اذا كان من العامة يأخذ ٥ شواقل •

مادة (٢١٧) : اذا كان عبداً فان صاحب العبد يعطى شاقليين للطبيب •

مادة (٢١٨) : اذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيد بآلة برونزية وسبب وفاة السيد ، أو فتح خراجاً في عينه فأتلفها ، تقطع يده •

مادة (٢١٩) : اذا أجرى طبيب عملية كبيرة لعبد بآلة برونزية ، وسبب وفاته ، دفع التعويض عبداً بعبد •

مادة (٢٢٠) : اذا أجرى العملية على عين العبد بآلة برونزية ، فأتلفها ، يدفع نصف ثمنه بالفضة •

مادة (٢٢١) : اذا أصلح طبيب عظمة مكسورة أو شفى تمزقاً عضلياً ، يدفع المريض ٥ شواقل للطبيب •

مادة (٢٢٢) : اذا كان ابن شخص من العامة يدفع ثلاثة شواقل من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٣) : اذا كان عبداً دفع صاحبه شاقليين من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٤) : اذا قام طبيب بيطري باجراء عملية كبيرة لثور أو حمار ، وأنقذ حياته ، يدفع صاحبه للطبيب البيطري سدس ثمنه من الفضة •

مادة (٢٢٥) : اذا أجرى عملية كبيرة لثور أو حمار وتسبب في موته يعطى لصاحب الثور أو الحمار خمس ثمنه •

مادة (٢٢٦) : اذا محا رجل ممن يقومون بالوشم علامة عبد لرجل آخر ، دون موافقة صاحب العبد ، تقطع يده •

مادة (٢٢٧) : اذا خادع رجل أحد المختصين بالوشم بحيث أزاله علامة العبد من عبد لرجل آخر ، يقتل ذلك الرجل ، ويعلق على باب بيته ، ويقسم المختص بالوشم قائلا : أنا لم أقم بازالتة عن علم ، ثم يطلق سراحه .

مادة (٢٢٨) : اذا بنى بناء لرجل بيتا وأنجزه له ، يعطيه شاقلين من الفضة لكل «سار» Sar من البيت (والسار $\frac{1}{2}$ ٤٢ ياردة مربعة) أجراله .

مادة (٢٢٩) : اذا قام ببناء بتشديد البيت ، ولكنه لم يقم بعمله جيدا ، فانهار البيت الذى بناه ، وتسبب فى وفاة صاحب المنزل ، يعدم البناء .

مادة (٢٣٠) : اذا تسبب فى وفاة ابن صاحب البيت ، يعدم ابن البناء .

مادة (٢٣١) : اذا تسبب فى موت عبده ، يعوضه بعبد لصاحب البيت .

مادة (٢٣٢) : اذا تسبب فى اتلاف متاع فيعوض كل ما أتلف ، واذا لم يقم البيت متينا فانهار ، يعيد البناء البيت الذى انهار على نفقته .

مادة (٢٣٣) : اذا بنى بناء بيتا لرجل ، ولم يكن عمله مأمونا بحيث أصبح الحائط خطرا وغير مأمون ، يدعم الحائط على نفقته .

مادة (٢٣٤) : اذا صنع مراكبى مركبا لرجل سعتها ٦٠ كورا ، فأجره شاقلان من الفضة .

مادة (٢٣٥) : اذا صنع المراكبى المركب ولم يقم بعمله جيدا، بحيث تفكك أحد أقواسه فى نفس السنة ، ثم ظهر أن هذا العيب من المراكبى، يفك المراكبى القارب ويقويه على نفقته ، ويسلمه لصاحبه .

مادة (٢٣٦) : اذا أجر سيد مركبه لراكبى وأهمل المراكبى بحيث غرق أو غاص ، يعوض صاحب المركب بمركب آخر .

مادة (٢٣٧) : اذا استأجر سيد مركبا وحملها بالحبوب والصوف والزيت والملح أو أى نوع من الحمولة ، ثم أهمل المراكبى حتى غاصت المركب وضاعت حمولتها ، يعوض المراكبى صاحب الحمولة بمقدار ما غاص وما فقد .

مادة (٢٣٨) : اذا أغرق مراكبى مركب رجل آخر ، ثم أعاد تعويمها ، يدفع نصف قيمتها فضة .

مادة (٢٣٩) : اذا أجر سيد مراكبيا ، يدفع له ٦ كور من الحبوب فى السنة .

مادة (٢٤٠) : اذا اصطدم قارب تجديف بمركب شراعى وأغرقها ، فعلى صاحب المركب الغارقة أن يقدم التفصيلات فى حضرة الاله بما فقد من المركب ، وعلى صاحب قارب التجديف أن يعوض صاحب المركب عن بضاعته المفقودة .

مادة (٢٤١) : اذا احتجز سيد ثورا كرهينة يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢٤٣ - ٢٤٣) : اذا استأجره رجل لمدة عام ، يعطى صاحبه ٤ كور من الحبوب كايجار لثور الجر ، ٣ كور من الحبوب كايجار لثور الشد الصغير .

مادة (٢٤٤) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم قتله أسد فى الخلاء ، فان الخسارة تعود على صاحبه .

مادة (٢٤٥) : اذا استأجر سيد ثورا ، وتسبب فى موته باهماله اياه أو ضربه ، يعوض صاحب الثور بثور آخر .

مادة (٢٤٦) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قدمه أو أحدث
قطوعا في عضلة رقبته ، يعوض صاحب الثور بثور آخر *

مادة (٢٤٧) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم أتلّف عينه ، يدفع
لصاحب الثور نصف قيمته فضة *

مادة (٢٤٨) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قرنه أو قطع ذيله
أو أصاب لحم ظهره ، يدفع ربع قيمته فضة *

مادة (٢٤٩) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم ضربه الاله فمات ،
فمستأجر الثور يثبت ذلك عن طريق الاله ثم يطلق حرا *

مادة (٢٥٠) : اذا نطح ثور رجلا أثناء سيره في الشارع ، فمات
الرجل ، فليس الامر موضوع دعوى *

مادة (٢٥١) : اذا كان هناك ثور لرجل معروفا بالنطح ، وأخطره
مجلس مدينته بذلك ، ولكنه لم يخفف قرنيه أو يربطه ، ثم نطح الثور
نبيلا فمات ، يدفع نصف مينا من الفضة *

مادة (٢٥٢) : اذا كان المقتول عبدا ، يدفع ثلث مينا من الفضة *

مادة (٢٥٣) : اذا استأجر سيد رجلا لينسرف على حقوله ، وأقرضه
حبوبا ، وعهد اليه بالثيران ، وتعاقد معه على زراعة الحقل ، ثم سرق
الرجل الحبوب أو العلف ، ثم وجدت مع متعلقاته ، تقطع يده *

مادة (٢٥٤) : اذا اختلس حبوب الاطعام فجاعت الثيران ، يعوض
بمقدار ضعف ما أخذه من حبوب *

مادة (٢٥٥) : اذا أجر ثيران الرجل أو سرق حبوب البذر ، وبالتالي
لم يزرع الحقل ، يثبت الامر ضده ، وفي موسم الحصاد يكيل ٦ كورا
من الحبوب لكل ١٨ ايكو *

مادة (٢٥٦) : اذا لم يكن قادرا على الوفاء بالتزاماته ، يؤخذ به الى المحقل ، حيث تجره الثيران •

مادة (٢٥٧) : اذا استأجر سيد مزارعا ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٥٨) : اذا استأجر راعي غنم ، يعطيه ٦ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٥٩) : اذا سرق رجل محراثا من حقل ، يدفع ٥ شواقل فضة لصاحب المحراث •

مادة (٢٦٠) : اذا سرق أداة بذر ، أو تقليب أرض ، يدفع ٣ شواقل من الفضة •

مادة (٢٦١) : اذا استأجر رجل راعيا ليرعى غنمه أو معزه ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٦٢) : ••• تالفة •

مادة (٢٦٣) : اذا كان قد فقد ثورا أو معزة ، يعوض الثور بالثور والمعز بالمعز لصاحبها •

مادة (٢٦٤) : اذا كان الراعى الذى عهد اليه بالماشية أو النعاج لفرعى قد تسلم أجره كاملا ، وفق رضاه ، ثم ترك الماشية والنعاج تتناقص ، فقلل بذلك النسل ، يعطى لصاحبها زيادة وربحا طبقا لشروط العقد •

مادة (٢٦٥) : اذا كان الراعى الذى عهد اليه بالماشية أو النعاج لفرعى قد أصبح غير أمين ، ثم غير علامات الماشية أو باعها ، يثبت ذلك ضده ، وتعوض الماشية أو النعاج لصاحبها عشرة أمثالها •

مادة (٢٦٦) : اذا حدثت زيادة اله لقطيع ، أو قتل أسد بعضه ،
يبرىء الراعى نفسه فى حضرة الاله ، ولكن صاحب الماشية يأخذ منه جثة
الحيوان الذى ضرب من بين أفراد القطيع •

مادة (٢٦٧) : اذا أهمل راع بحيث ترك العرج يدب فى القطيع ،
يعوض صاحبها بمقدار الخسارة عن طريق العرج •

مادة (٢٦٨) : اذا استأجر سيد ثورا للدرس والتذرية يدفع ٢٠ قو
من الحبوب •

مادة (٢٦٩) : اذا استأجر سيد حمارا للدرس والتذرية يدفع ١٠ قو
من الحبوب •

مادة (٢٧٠) : اذا استأجر سيد نعجة للدرس والتذرية يدفع ١ قو
من الحبوب •

مادة (٢٧١) : اذا استأجر ثيرانا أو عربة وسائقا للعربة يدفع ١٨٠
قو عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٢) : اذا استأجر سيد عربة وحدها يدفع ٤٠ قو عن اليوم
الواحد •

مادة (٢٧٣) : اذا استأجر سيد عاملا ويعطيه ٦ سيات من الفضة عن
اليوم الواحد منذ بداية السنة حتى الشهر الخامس ، ومن الشهر
الخامس الى نهاية السنة يدفع ٥ سيات عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٤) : اذا استأجر سيد صانعا يدفع له يوميا كأجر لـ •••
٥ سيات من الفضة ، وكأجر لصانع الطوب ٥ سيات من الفضة ، وكأجر
للساج •••• سيات من الفضة ، وكأجر لصانع الاختام •••• سيات
من الفضة ، وكأجر للجوهري ••••• سيات من الفضة ••• (الاجور
غير مبنية •••) •

مادة (٢٧٥) : اذا استأجر سيد قارباً طويلاً ، يدفع ٣ سيات من
الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٦) : اذا استأجر سيد قارب تجديف يدفع ٢ سيات من
الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٧) : اذا استأجر سيد مركباً سعته ٦٠ كورا ، يدفع سدس
شافل من الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٨) : اذا اشترى سيد عبداً أو أمة ، ولم يفض شهر ثم
أصيب بصرع ، يعيده الى بائعه ، ويسترد ماله الذى دفعه •

مادة (٢٧٩) : اذا اشترى سيد عبداً أو أمة ، ثم تلقى دعوى ضد
أحدهما ، فالبايع هو المسئول عن الدعوى •

مادة (٢٨٠) : اذا اشترى سيد فى بلد أجنبى عبداً أو أمة ، ثم عاد
الى بلده ، فتعرف صاحب العبد أو الامة على عبده أو أمته ، فاذا كان
العبد أو الامة من أهل البلد ، يحرران دون مال •

مادة (٢٨١) : اذا كانا من أهل بلد آخر ، يقرر المشتري أمام الاله
مبلغ ما دفعه ، ثم يعطى صاحب العبد أو الامة للتاجر ما دفعه من
مال ، وهكذا يشتري حرية عبده أو أمته •

مادة (٢٨٢) : اذا قال عبد لسيده : لست سيدي ، يثبت سيده أنه
عبده ، وعندئذ تصلم أذنه (٨٣) •

(٨٢) انظر : نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣ - ٨١ (وقد
اعتمدنا عليه كثيراً) ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ - ٤٦٨
طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٩ ، أحمد فخري : المرجع السابق
ص ٣٥ - ٤٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٤ ، جورج
سارتون : المرجع السابق ص ١٩٨ - ١٩٩ ، سبتينو موسكاتى : المرجع
السابق ص ٩٦-١٠١ ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٩٣ •

(٥) خلفاء حمورابى :

جاء بعد حمورابى ولده «سمسو ايلونا» (Samsu - iluna) ،
وقد أثبتت الرسائل من عصره أنه كان يشرف اشرافا مباشرا على
الموظفين الاداريين والقضائيين فى المدن البعيدة عن العاصمة بابل ، ويبدو
أن السنوات الثمانية الاولى من عهده مرت بسلام ، فلم تثر فيها
الفتنة ، ولم تبد فى الافق خلالها معالم اضطراب ، فنجح الى التعمير
بشئى قناتين فى عام حكمه الثالث والرابع ، وفى نفس الوقت اعتنى كثيرا
بتجميل المعابد الكبرى وتزينها ، وخاصة فى بابل وسييار *

هذا وينسب اليه أيضا أنه أعفى سومر وأكد من الضرائب فى العام
التالى لحكمه ، وقد يعنى ذلك أنه أعفى الممولين من متأخرات الضرائب
بمناسبة اعتلائه العرش ، كما عمل على اعادة سلطان بابل على الطريق
التجارى الى سورية ، عن طريق الفرات ، وذلك ليعوض خسائره فى
المجنوب ، حتى ليشار — فى نص من عام حكمه السادس والعشرين —
الى أنه قد أحضر كتلة من الحجر ، يرجح البعض أنها من لبنان ،
وقد نقلها على طول الطريق البرى الى الفرات حتى بابل *

-
- وكذا Th. J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, P. 163-180.
G. R. Driver and J. C. Miles, The Babylonian Laws, I, Legal Commen-
tary, I,II, Oxford 1955-1956.
R. F. Harper, The Code of Hammurabi, London, 1904.
J. Nougayrol, in RA, XLV, 1951, P. 67-79.
W. Eilers, in Der Alte Orient, 31, 1931.
A. Deimel, Codex Hammurabi, 1930 (3rd. ed by E. Bergmann, 1953).
T. J. Meek, The Asyndeton Clause in The Code of Hammurabi, JNES,
5, 1946, P. 64-72.
G. Roux, Op. Cit., P. 189-194.
D. J. Wiseman, The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه كان على «سمسو ايلونا» أن يواجه المتاعب التى قامت فى دولته فى أعقاب موت أبيه حمورابى ، وهى المتاعب التى لم تهدد عرشه فحسب ، بل هددت كيان الاسرة والدولة معا ، فللمرة الاولى نسمع عن الكاشيين أو الكاسيين (The Kassites) يثيرون القلاقل على حدوده الشرقية ، ثم سرعان ما هاجموا بلاد بابل بعد وفاة حمورابى بفترة وجيزة ، بقيادة ملكهم «جانداش» (Gandash) ، ورغم أنه أوقع الهزيمة بهم — فيما يزعم — غير أن بروزهم من سفوح مرتفعات عيلام الغربية ، ثم وصولهم الى اقليم بابل ، انما يمثل نذير شؤم بضياى الامبراطورية ، فقد بدأوا يتسربون على مدى قرنين كعمال ، حتى استطاعوا آخر الامر أن يكونوا أصحاب السلطة فى بابل .

على أن الامر لم يقتصر على ذلك، وانما كان على «سمسو — ايلونا» أن يواجه ملك لارسا «ريم سين» خصم أبيه العنيد (أو من ادعى أنه ريم سين) ، والمحرض على الثورة فى منطقة «ايموتيبال» (Iamutabal) — منطقته الاصلية — وقد انتهر فرصة تقدم الكاشيين ليثير القلاقل فى جنوب بابل ، وقد نجح — كما يقال — فى الاستيلاء على الوركاء وايسين ، كما يبدو كذلك أن الحامية البابلية فى لارسا غلبت على أمرها ، ومن ثم فقد استعادت الاخيرة استقلالها ، وهكذا كان على «سمو — ايلونا» أن يستعيد لارسا ، وأن يقبض على عدوه ، بل انه انما ذهب بعيدا حيث أحرق «ريم سن» فى قصره القديم .

ولعل أبرز المتاعب التى واجهت «سمو — ايلونا» انما كانت ثورة القطر البحرى «بزعا» «اليوما اليوم» (Iluma - Ilum) الذى أعلن استقلاله فى اقليمه الواقع حول الخليج العربى ، وخروجه على

سلطان بابل ، وقد حاربته جيوش «سمسو — ايلوما» ، ولكن دون نتيجة
حاسمة (٨٣) .

٢ — وجاء بعد «سمسو — ايلونا» ولده «ابى — ايشو»
(Ibi - Eshu) الذى صمم على وضع نهاية لأسرة القطر البحرى ، ولكنه لم
يفلح ، ولم تصلنا أية وثيقة من مدينة أور ، تحمل اسمه ، مما يدل على
استمرار انحدال أور عنه ، كما أنه فقد منطقة الفرات الاوسط ابان
ظهور مملكة «هانا» (Hana) — وهى عانة الحالية على الفرات ، على
مبعدة ٣٢٠ كيلا من بابل — كما عاود الكاسيون الغزو دون جدوى ،
ومن ثم فقد كثفوا تغلغلهم السياسى فى البلاد كصناع وأصحاب
حرف (٨٤) .

٣ — وجاء بعده ولده «امى ديتانا» (Ammiditana) الذى بذل
جهده فى تحسين مرافق البلاد ، فشق قناة أسماها باسمه ، وشيد حصونا
وقوى أسوار المدن ، وبنى قصورا فى ضواحي بابل ، وأنه صد جيوش
القطر البحرى التى قادها ضده معاصره الملك «دامق ايليشو» ، كما
استعاد مدينتى نفر وايسين ، بل ان هناك وثيقة ترجع الى عام حكمه
السابع والثلاثين تتحدث عن تدميره لأسوار ايسين ، وقد يعنى ذلك
اختراقه الاقليم الى جنوب نيبور ، ومن ثم فقد اصطنع لقب «ملك

-
- (٨٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 224-225.
C. J. Gadd, Hammurabi and The End of His Dynasty, in CAH, II, Part,
I, Cambridge, 1973, P. 220-223.
L. W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, II, London,
1907, P. 210.
A. Ungnad, in RLA, II, P. 182-192
S. I. Feigin, and L. Berger, in JNES, 14, 1955, P. 146 F.
(٨٤) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم — كتاب العراق
فى التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ٩٨ ، وكذا
Georges Roux, Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980, P. 225.

سومر وأكد» ، مجدداً ذلك اللقب القديم ، مما يرجح أنه قد استعاد مؤقتاً بعض السلطان الذي كان يذوب ويضمحل .

٤ — وجاء بعده ولده «امى — صادوقا» (Ammi - Saduqa) :
وقد أهتم بأحوال السكان ، وخاصة الضرائب ، واعفاء بعض مواطنيه من الديون ، كما دون لنا شروق وأفول كوكب الزهرة التي كانوا يستعملونها فى تفسير الفأل ، وربما فى التقويم لضبط أوقات الاعياد والمناسبات الدينية ، وهناك رسالة الى «امى — صادقا» من أحد موظفيه الكبار فى «سييار» ، يبدو أنها فى أكبر الظن ، كانت اجابة على رسالة بعث بها الملك نفسه ، تحفل بالمصعوبات التى كانت تلاقيها الادارة فى جمع الضرائب .

٥ — وكان «سمسو — ديتانا» (Samsu - Ditana) ، آخر ملوك أسرة بابل الاولى ، والذي قُلت أخبار عهده ، ماعدا هداياه السخية الى المعابد البابلية التى تسجلها عدة نصوص (٨٥) .

وعلى أية حال ، فلقد صرف خلفاء حمورابى همهم — بصفة عامة — الى رعاية المعابد والمعبودات ، أكثر من اهتمامهم بالحروب شأن أسلافهم ، وهذا الى عبادة ذواتهم ، والى تأليه شخص الملك ، ووضع تماثيل له فى معابد الآلهة فى بابل وسييار وغيرهما ، فضلا عن تقديم الهبات السخية للمعبودات ، ولا ريب فى أن هذا كله انما يشير الى ثروة بابل الطائلة ، التى لا ترجع الى ممتلكاتها الواسعة التى اختزلت ، بقدر ما ترجع الى توسعها التجارى ، وتجاريتها النشطة فى هذا الميدان ، فعيلام من ناحية ، وسورية من ناحية أخرى ، انما كانتا مصدر واردات من الاحجار الكريمة والمعادن والاختساب ، وقد انعكس هذا الثراء على

(٨٥) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٨ — ٩٩ ، وكذا
F. Thureau - Danguin, RA, 39, P. 10 F.
S. Feigin and B. Landberger, in JNES, 14, 1955, P 146 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 225.

الاعمال والمنافع العامة من شق القنوات والتعمير ، خاصة فيما يتصل بمعابد الآلهة^(٨٦) .

(٦) نهاية أسرة بابل الاولى :

قام ملك الحيثيين «موسيليس الاول» (١٦٢٠ — ١٥٩٠ ق م) بالهجوم على مملكة «يماخد» (Yamhad) وعاصمتها «حلب» (Aleppo) التي كانت في ذلك الوقت تسيطر على شمال سورية ، ثم اتجه جنوبا على الفرات وانقض على دكة بابل الآمورية العظيمة ، فانهارت أمامه ، وتصف الاسفار البابلية هذا الحادث — نهاية الاسرة البابلية الاولى — بهذه الكلمات «الى شمشو ديتانا ، زحف رجال حاتى ، وزحفوا الى بلاد أكد» وقد ربط هذا الانتصار العظيم الثبت التاريخى الحثى ربطا وثيقا بالثبت التاريخى البابلى ، وان كان هذا الاخير مايزال موضع خلاف ، وقد يكون أرجح الآراء أن فتح الحيثيين لمدينة بابل ، انما كان بعد عام ١٦٠٠ قبل الميلاد بقليل ، ومع ذلك فان البعض انما يقدمون أو يؤخرون هذا التاريخ قرابة ستين عاما^(٨٧) .

وأيا ما كان الامر ، فما يزال الباحثون لا يعرفون الاسباب التى أدت الى أن يسير الحيثيون أكثر من ٨٠٠ كيلا على طول الفرات ، دونما أية مقاومة تذكر، بل وأن يحتلوا بابل — احدى أكبر مدن العالم وقت ذاك — وربما دعا الكاشيون الحيثيين لمعاونتهم فى الهجوم على بابل والمشاركة فى الغنائم ، وقد ذهب البعض الى أن هدف الملك الحثى انما كان مخالفة للكاشيين لاييقاف الزحف الحورى ، وربما كان الهجوم الحثى على بابل لا يعدو أن تكون غايته السلب والنهب .

على أن المؤرخين لم يتوصلوا بعد الى الطريقة التى سقطت بها بابل، ولا الفتنة التى استغرقتها بقاء الغزاة الجدد فى بابل ، هذا الى أن

(٨٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٨٧) O. R. Gurney, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 23-24.

الاثـر المعروف باسم «أسـد بابل» — وقد عثر عليه في الطبقة التي تمثل عصر نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ — ٥٦٢ ق.م) في بابل — ربما تركه الحيثيون كرمز يصورهم على هيئة أسد رابض على رجل آخر يمثل المدينة المغلوبة على أمرها بابل ، ولعل في مشابهة هذا الاسد لفنون النحت التي تركها الحيثيون في مواقعهم بآسيا الصغرى ، ما يؤيد وجهة النظر هذه .

هذا وقد حاول الحيثيون أن يتوسعوا في جنوب بلاد النهرين . ولكن وقفت في سبيل ذلك دولة البحر الفاشئة ، وكسرت شرهم ، لاسيما وقد بعدت الشقة الارضية بينهم وبين مواقعهم في آسيا الصغرى . ولهذا لم يجد التاريخ بأسا في أن يحتفظ لدولة البحر بذكرى طيبة . فأطلق على أسرتها الحاكمة اصطلاحا اسم «أسرة بابل الثانية» .

وعلى أية حال ، فلم يبق «مورسيليس المول» (Mursilis, I) في بابل طويلا ، فسرعان ما رجع الى بلاده حين علم بنبأ ثورة قامت ضده في عاصمته (بوغاز كوى) ، وقد حمل معه تمثالى الاله مردوك وزوجته الالهة «سربانيتوم» (Sarpanitum) ، اللذين تركهما عند مدينة «عانة» على الفرات ، وترك بابل فريسة سهلة للكاشيين الذين سرعن ما احتلواها في عام ١٥٩٥ ق.م ، وبالتالي فقد «سمسو — ديتانا» عرشه . وربما حياته .

(٨٨) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٩ — ١٠٠ ، وكذا
 SS) J. J. Finkelstein, in RA, LXIII, 1969, P. 45-64.
 F Thureau - Dangu, Op. Cit., P. 5 F.
 G. Roux, Op. Cit., P. 225-226.
 O. R. Gureny, Op. Cit, P 24.
 وكذا
 وكذا
 وكذا

الفصل الثاني

الأسرات البابلية من الثانية الى الرابعة

أولا : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الاولى)

نشأت أسرة القطر البحري في الشواطئ الشمالية للخليج العربي ، وحكم ملوكها هناك مدى ٣٦٨ عاما ، وقد جاءت أسماؤهم في بعض القوائم كعشر ملوك ، وفي بعض القوائم الاخرى كأحد عشر ملكا^(١) . ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن الاسماء الثلاثة الاولى ، وكذا الاسم الحادى عشر ، أسماء سامية ، وأما ما عداها فأسماء سومرية ، وقد يكون لهذا دلالة : أن تبدأ الأسرة بملوك ساميين ، وتنتهى بملك سامى ، وفيما بينهم ملوك سومريون يرتبطون ببعضهم البعض من غير شك . وقد يوحى ذلك بأن التأثيرين — السامى والسومرى — قد أسهما في تكوين الأسرة واستمرارها على هذه الصورة ، بل ربما قد يشير ذلك الى أن الملوك انما كانوا خليطا من ذرارى السومريين ، ومن قبائل آمورية مهجرة . وعلى أية حال ، فإن الأسرة انما قد عرفت باسم أسرة «شش كو» . وهو اسم سومرى حاول بعض المؤرخين أن يربطه بالوركاء ، وحاول البعض الآخر أن يربطوه ببابل^(٢) .

وكان أول ملوك الأسرة «ايلوما اليو» (Iluma - Ilu) ، الذى أعلن انفصاله عن دولة حمورابى مكونا دولة في الاجزاء التى استقل بها . وفشل ابن حمورابى وخليفته «شمسو ايلونا» في ارجاعه الى حظيرة الدولة ، لأن الحملة التى قادها ضد هذا الثائر باءت بالفشل ، ولم يهتم «شمسو ايلونا» بالعودة مرة أخرى لاجبار الثوار على الطاعة . فضلا عن

(١) ملوك أسرة القطر البحري الاولى هم : ١ - ايلوما اليو
٢ - اتى - ايلى - نيبى ٣ - دمق ايليشو ٤ - اشكيال ٥ - شونى
٦ - جولجيشار (كولكيشار) ٧ - ببشكالداراماتس ٨ - أدارا - كالاما
٩ - أكورولانا ١٠ - ميلامكوركورا ١١ - أيا - كاميل (ايا - جاميل)
(ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٤٦) .
(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

وقوع عدة ثورات في أعقاب موت حمورابي ، كما حدث في لارسا وأور والوركاء ، الى جانب المتمرّد الذي ظهر وقت ذاك في المناطق النائية ، بل ان هناك ما يشير الى ثورة قامت في بابل نفسها ، استهدفت تنصيب غيره على العرش في العام الرابع عشر من الحكم ، وان نجح في القضاء عليها .

وهناك نص يرجع الى العام العشرين من حكم «سمسو ايلونا» يفاخر فيه بأنه أخضّع «الارض الثائرة» (اقليم البصر في الاغلب) ، الأمر الذي يدل على أن حملة أرسلت الى هناك ، وربما كان النصر حليفه فيها ، وان لم يكتب له فيها نصرا مؤزرا ، فطبيعة البلاد في اقليم القطر البحري ، بمستنقعاتها وظروف سكانها ، انما تجعل الحاكم في بابل يرضى بمظهر النصر والخضوع الاسمي ما دام لا يستطيع أن يباشر سلطانا فعليا عليها ، وحتى تحقيق ذلك الامر لم يتم على الصورة المرجوة .

وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «ايلوما اليو» في أن يقود ثورة جديدة ناجحة ، استطاع بعدها أن يقيم دولة مستقلة في هذه الارزاء — هي دولة القطر البحري، وأن يضم اليها لارسا ، فضلا عن «نيبور» العاصمة الدينية القديمة^(٣) .

وجاء بعد ذلك «اتى — ايلي — نيبى» ، ثم «دمقى ايليشو» ، وفي عهده حاول الملك البابلي «دمى — ديتانا» استرجاع الجنوب ، فقام بحملة استعاد فيها مدينتى «نفر» و «ايسين» ، بعد أن دمر أسوار المدينة الاخيرة ، غير أن «دمقى ايليشو» سرعان ما استعادها مرة ثانية .

ولسنا نعرف شيئا بعد هذه المرحلة عن سير الامور في القطر البحري ، وكل ما وصل الينا أن انهيار الاسرة انما قد تم في العصر الكاسى ، ويبدو أن «ايا — جميل» لم يكن أول حاكم التقى بالكاسيين ،

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٧ .

وقد نسبت اليه الحواريات مهاجمة عيلاهم ، ومع ذلك فقد استمر الكاسيون بوجهون هجماتهم الى دولة القطر البحرى ، حتى قضوا على استقلالها على أيسام ملكهم «أجوم» الذى نجح فى الاستيلاء على «دوريا - ايا» وهى أهم المدن هناك - ان لم تكن هى العاصمة - وتدمير معبد «ايا» المعبود الرئيسى على الاغلب .

وعلى أية حال ، فقد عاصرت أسرة القطر البحرى ، أسرة بابل الاولى ، منذ عهد ملكها السابع - وربما الثامن - كما عاصرت الاسرة الكاسية فى قرابة نصف عهدها الاول ، ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن هناك من يذهب الى أن أسرة القطر البحرى هذه ، ليست أسرة بابلية ، رغم أنها تعرف أحيانا باسم «أسرة بابل الثانية» ، ونستطيع القول - كما أشرنا من قبل - أن جانبنا من شعب أرض البحر ، انما كان ساميا ، وأن الجانب الاخر كان سومريا ، وأن ذلك الامتزاج بين الفريقين انما تم قبل قيام الاسرة بزمان طويل ، وفى أكبر الظن أن السومريين - بعد اندحارهم - انما قد تحركوا الى هذه المنطقة فى جنوب العراق القديم ، حيث جمعوا قواهم ، وهددوا الاسرة الامورية .

وهناك ما يشير الى أن «اييلوما اليو» انما كان يزعم أنه من سلالة «دمق ايليشو» - آخر ملوك أسرة اسين ، ولعل الاحتفاظ بهذه الفكرة - فضلا عن الاصرار عليها - انما يبدو واضحا فى أن ثالث ملوك أسرة القطر البحرى ، قد أطلق على نفسه نفس الاسم الذى يزعمون أنهم من سلالته (دمق ايليسو) (٤) .

(٤) جيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ - ٤٨٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 267.

L. W. King, Op. Cit., P. 21-22.

ثانيا : أسرة بابل الثالثة - أو الدولة الكاشية

(١) تقديم :

شهد القرن الثامن عشر قبل الميلاد هجرات واسعة من أواسط آسيا، فاندحرت قبائل كثيرة في أوقات متفاوتة ، كانت كلها قبائل غير متقدمة في حضارتها ، بدوا رحلا من الجنس «الهندو - أوربى» أو الآرى ، نزلوا بنسبائهم وأطفالهم وأمتعتهم وحيواناتهم ، ليستقروا في البلاد التي تفيض بالخير الى الجنوب منهم ، في مناطق آسيا الصغرى وشمال بلاد النهرين وفي سورية وشمال مصر ، وقد عرفت هذه القبائل بعد استقرارها في كل قطر ، من هذه الاقطار باسم خاص ، فعرفوا في آسيا الصغرى باسم «الخاتيين» ، ثم باسم «الحيتيين» ، وعرفوا في المناطق الشمالية الغربية من نهر الفرات باسم «الحرريين» أو «الخوريين» ، وعرفوا في مرتفعات بلاد النهرين باسم «الكاسيين» أو «الكاشيين» ، بل ان فريقا من هذه القبائل وصلت الى البلقان ، اما عن طريق الدوران حول البحر الاسود ، واما عن طريق البسفور والدرديل ، فأحدثت كثيرا من عدم الاستقرار هناك ، ولم يقف أمر تلك الهجرات عند هذا الحد ، بل نزل بعضها في مناطق سورية وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت وامتزجوا بأهلها ، اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غربا الى مصر ، فاستولوا على الدلتا ، وعرفوا باسم «الهكسوس»^(٥) .

وهكذا انتشرت الاضطرابات في غربى آسيا ، وزاد الطين بلة بالنسبة الى بلاد النهرين ومجاوراتها غربا ، أنها كانت تمر بفترة عصيبة ، وتقدم لنا سجلات مدينة «مارى» الشهيرة بعض الاضواء على التاريخ السياسى للمنطقة في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فلقد جاء في رسالة الى «زمرى ليم» حاكم مارى من أحد أعوانه - وقد أشرنا اليها من قبل - .

(٥) انظر عن الهكسوس (محمد بيومى مهران : حركات التحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٨٧٦ ص ١٠١ - ٢٢٣) .

«ليس هناك ملك بقادر على أن يقول أنه أقوى الملوك ، ذلك لأن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابى ملك بابل ، ومثل هذا العدد يتبعون «يريم سين» ملك لارسا ، ومثل هذا العدد يتبعون «ايال بى ايل» (اييل) ملك أشنونا ، ومثل هذا العدد يتبعون «أموت بى ايل» ملك قطنه ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمشد»^(٦) .

غير أن هذا التوازن بين قوى تتكون من عدد صغير من الدول بصورة ما ، لم يستمر طويلا ، وذلك حين نجح حمورابى فى هزيمة لارسا ومارى ، وربما قد حكم آشور لفترة قصيرة ، ثم سرعان ما يتغير الموقف حين يهبط الكاشيون الى السهل من الجبال الشرقية ، ويدعمون حكمهم فى الجانب الشرقى من بابل ، ويجيء الحوريون الى آشور ، ولم يمض طويل وقت حتى يصبحوا عنصرا سياسيا هاما هناك ، وسرعان ما اتجهوا نحو الجنوب الشرقى ، وهاجموا «ألاخ» عاصمة يمشد ، ومن ثم فقد بدأت الاضطرابات تنتشر فى سورية من جراء هذه الهجرات التى تدفقت عليها من الشرق ، وهكذا عمت الفوضى المنطقة بأسرها»^(٧) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت بابل تنحس بتسللات الكاسيين (Kassites) ، فضلا عن الحوريين والخاتيين ، ولكن الامر الذى لا ريب فيه ، أن الكاسيين انما كانوا أقربهم خطرا عليها ، حيث قاموا بدور المجتئين القدامى فى مرتفعات العراق القديم ، وان استطاع حمورابى — كما استطاع خلفه سمسو ايلونسا ، وولده أبى ثوج — أن يردوا الخطر ، فانكسرت حدة الكاسيين الى حين ، واكتفوا بالتسلل السلمى البطيء الى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها أجراء ومرترقة ، بينما

(٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

G. Dossin, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.

S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.

7) T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

S. Smith, Op. Cit., P. 35.

ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة في الخيرات والسيطرة تتربص بدولة بابل
الدوائر (٨) *

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه ليس هناك اتفاق بين
المؤرخين على أصل الكاشيين هؤلاء ، فهناك من يرددهم الى المرتفعات
الشرقية وينسب اسمهم الى اسم معبودهم «كاشو» ويربط بينهم وبين
جماعات متأخرة عنهم في الزمن ذكرها بطليموس الجغرافي باسم
(Kossaeans) ، وذكرهم غيره باسم (Kissians) ، ويرجح البعض
أنهم من منطقة لورستان الجبلية *

وعلى أية حال ، فالكاسيون أو الكاشيون كالحوريين — من العناصر
الآسيائية ، التي امتزجت في النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد
بالعناصر «الهندو — أوربية» ، وبما اكتسب الكاشيون اسمهم من اقليم
في شمال عيلام يدعى «كاش شن» جاء ذكره في نص لـ «بوزور
انشوشنك» ويدعوهم اليونانيون «كاسيوي» (Kassaioi) ويرون أن
بلادهم تقع في شرقي بابل وشمالها الشرقي ، ومن ثم فانه يبدو أنه عند
نزولهم للسفلى خلال الالف الثانية ق م انما كانوا يتقدمون من سلسلة
زاجروس الوسطى ، والمعروفة الان باسم «لورستان» (Luristan)
الى الجنوب من همدان مباشرة — ومن ثم فهي محطة أقاموا فيها حينما
من الدهر ، وليست وطننا أصليا لهم ، كما ظن البعض ، ويرجح البعض
أنهم آريون ، وربما كانوا من أقرباء الحكام الميتانيين فيما بعد ، الذين
فرضوا أنفسهم على العناصر غير الآرية في «سوبارتو» في شمال بلاد
النهرين (٩) *

(٢) المظاهر العامة للعصر الكاشي :

لا ريب في أن فترة الحكم الكاشي — رغم طولها ، والذي امتد

(٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ ، وكذا

حوالى ٤٣٨ عاما (١٥٩٥ - ١١٥٧ ق.م) — انما هى من أشد فترات التاريخ العراقى القديم غموضا ، وأكثرها ظلمة ، وذلك بسبب قلّة الاثار ، فضلا عن الوثائق ، التى تتصل بهذه الفترة ، هذا فضلا عن أن المغزاة الجدد لم يكن لهم أى أثر جنسى أو لغوى بدرجة ملحوظة فى تاريخ بلاد النهرين ، بل ان الكاشيين ، رغم اقامتهم الطويلة فى بلاد النهرين ، ورغم أن المؤرخين يسمون أسرهم بالاسمة البابلية الثالثة — على الرغم من أنهم كانوا أغرابا فى بابل وعن محيطها كله — فان أمر العراق القديم لم يخلص لهم أبدا ، ففضلا عن دولة القطر البحرى الاول التى نازعتهم السيادة على المناطق الجنوبية فى بداية عصرهم حتى تغلبوا عليها ، تحكم الاشوريون فى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ، من نهر دجلة ، وتحكم الحوريون فى المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الفرات ، بغير حدود صريحة فاصلة بين امتداد هؤلاء أو هؤلاء^(١٠) .

هذا ويذهب البعض الى أن اللغة الكاشية انما ترجع الى مجموعة اللغات التى تأخذ بطريقة الالتصاق (Agglutination) مثل المجموعة الاسيائية ، وان كنا على غير يقين من ذلك ، اذ لم ترد الينا حتى الان أية نصوص مدونة باللغة الكاشية حتى نتعرف على قواعدها^(١١) .

هذا وقد ساد الكاشيون جزءا كبيرا من العراق ، ولكن أعدادهم كانت قليلة ، وحضارتهم القومية كانت خشنة ضئيلة ، فاكثفوا بأن اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الاصليين ، وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين وقلدوا فنهم فى مبانيهم ومعابدهم وتمثيلهم ، واعتبروا اللغة البابلية السامية لغة الكتابة الراقية ، الى جانب لغتهم الخاصة ، كما ساوى الكاشيون بين آلهتهم وبين الالهة البابلية ، فجعلوا «شيباك» مساويا «المردوخ» ، و «خارجى» مطابقا «لانيلى» ،

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٧ .

(١١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وكذا

G Contenau, Op. Cit., P. 19, 23.

ولعل هذا انما يشير الى أن الكاشيين قد عبدوا أرباب بلاد النهرين ، الى جانب أربابهم القوميين ، بأسمائها القديمة أحيانا ، وبأسماء آرية جديدة أحيانا أخرى (١٢) .

على أن هذا لا يمنع من القول أن القوم قد أضافوا الى حضارة العراق القديم شيئا يذكر لهم ، ذلك أن البابليين لم يكونوا يعرفون الحصان قبل عهد حمورابي ، ومن ثم فقد كانوا يسمونه «الحممار الجبلي» وأحيانا «الخيول الوحشية» ، ومن ثم فلم تستأنس الخيول ، ولم يشع استخدامها حتى أخريات الاسرة البابلية الاولى ، فما أن جاء الكاشيون حتى أدخلوا سلالات جديدة من سهوب آسيا ، طغت شيئا فشيئا على الحمير الجبلية وسلالة السيسى القديم ، ثم سرعان ما استخدموا الحصان بأعداد كثيرة ، حتى أصبحت الخيول تصدر من العراق الى مصر ، وتقدم لنا نصوص من «نفر» أثباتا بالخيول وأسمائها وأسماء أسلافها ، وكلها تشير الى عناية الكاشيين الفائقة بالخيول ، بل أن هناك من يذهب الى أن الكاشيين قد أدخلوا الحصان والعجلة الى العراق القديم ، كما فعل الهكسوس في مصر (١٣) .

ولعل من أفضل ما أدخلوه الى العراق انما كان «طريقة التوقيت» ، فبدلا من الطريقة السامية (المنقولة عن السومريين) فيما يختص باعطاء العام لقبا يشير الى حدث هام ، أو عبادة معينة ، نرى الكاشيين يدخلون طريقة جديدة أيسر من السابقة تشير الى التأريخ بسنى حكم ملوكهم ،

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، وكذا S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, London, 1960, P. 154
(١٣) جورج كونتينو : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم التكريتى - بغداد ١٩٨٦ ص ١٠٤ ، أحمد سوسة : تاريخ حضارة وادى الرافدين - الجزء الثانى - بغداد ١٩٨٦ ص ٤٢٠ ، نجيب مبحايل المرجع السابق ٢١٠/٥ ، ٣٨/٦ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 221.

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947, P. 153.

هذا فضلا عن تغيير بعض وحدات الاوزان والمقاييس ، كما كان من التطورات اليسيرة التي حدثت بصناعة الاختتام الاسطوانية في عصرهم كثرة صناعتها من اليشب وبداية صناعتها من العقيق اليماني ، وكثرة تسجيل دعوات التعبد وتمجيد الارباب عليها ، على حساب كثرة صور الاشخاص والاشياء ، ثم دخلت صناعة الحديد الى العراق في النصف الاخير من عصرهم *

هذا وقد أتبع الملوك الكاسيون سياسة ملوك الشرق القديم في اكتساب ود رجال الدين ، وتأکید القربى من الارباب عن طريق منح الهبات والاقطاعات للمعابد واعفائها من الضرائب ، وكانوا ينفقون على بعض هذه الهبات من خزائنها ويسجل رجالهم أخبارهم (١٤) *

هذا وقد ظهر في العصر الكاشي النحت البارز على الآجر المصنوع بالقلب ، واستخدم في قرائن معمارية بحثة ، ففي واجهة معبد «انانا» الذي شيده الملك الكاشي «جانداس» (Gandash) في الوركاء نرى موضوعا لمعبود ومعبودة يتكرران باستمرار في أسفل جدار الواجهة، وبين كل معبود وآخر ، فاصل من الآجر ، مما جعل كل منهما داخل تجويف ضمن جدار الواجهة ، وقد أمسك كل منهما بيده — وأمام صدره — اناء يتدفق منه الماء الذي سال على هيئة جداول جارية ، نفذت على هيئة خطوط بارزة ومتعرجة على فواصل الواجهة ، والمعبود هنا هو «اله الجبل» وقد مثل وهو يرتدي ثوبا مزينا على هيئة حراشف — هي رمز الجبل عند العراقيين القدماء — كما كان للواجهة اطار من أعلى وأسفل ، صنع من آجر مقلوب هكون من دوائر بارزة على هيئة أقراص ، وقد عثر على هذه المواجهات من هذا العصر في عدة مدن مثل أور ونفر وعرقوف ، وكذا في

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، نجيب ميخائيل

المرجع السابق ٢١٢/٥ ، وكذا

A. J. Clay, Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

نسوسة في عيلام ، مما يشير الى انتشاره وقت ذاك (١٥) .

وهناك نوع آخر على ألواح الطمي العادية ، فضلا عن تلك التي على نصب حجرية صغيرة تسمى «كودورو» (Kudurru) (١٦) ، وهي أذجار وظيفتها تحديد الملكية أو مساحة الأرض وحدودها واسم واهبها، وكانت تودع في الأماكن المقدسة والمعابد ، وقد شاع استخدامها في العهد الكاشي بدرجة كبيرة ، رغم أن أصولها الأولى إنما تعود الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، اعتمادا على ما عرف بالكودورو الصغيرة من لارسا (١٧) .

وقد استغل الفنانون سطوح هذه النصب لتصوير هياكل ملوكهم ، أصحاب الفضل في منح الاقطاعات ، تصويرا مختصرا حيناً ، وتفصيلاً حيناً آخر ، بحيث يفصل ملامحهم وملابسهم وأغطية رؤوسهم ، فضلا عن تصوير رموز أربابهم الذين أشهدوا على منحها ووضعوها تحت رعايتهم ، ومنها تلك التي تعود الى الملك «ميلي شباك» حيث صور في مشهد بالنحت البارز ، وهو يقود ابنته ليقدمها الى الالهة ، حيث ترى الالهة هنا تلبس تاجاً ينتهي من الأعلى بصف واحد من الريش ، وتجلس على عرش أقيم بأرجل على هيئة أرجل الأسد وهي تحيي الملك بكلتا يديها، ويفصل بين الملك والالهة شمعدان، بينما نرى في أعلى المشهد رموزاً للالهة السماوية، سين وشمش وعشتار، المتمثلة بالهلال وقرص الشمس والنجمة على التوالي .

وهناك رموز حيوانية تصرف الفنانون في تشكيل صورها ، ورموز

(١٥) طارق عبد الوهاب مظلوم : النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث ص ٦٣ - ٦٤ (من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥) .
(١٦) انظر عن «الكودورو» :

G. Roux, Op. Cit., P. 230-231.

L. King, in Babylonian Boundary Stones, 1912.

U. Seidl, Die Babylonischen Kudurru - Reliefs, in BM, 4, 1968.

P. 7-220.

(١٧) طارق عبد الوهاب مظلوم ، المرجع السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

أخرى معمارية ترمز الى واجهات الهياكل والمقاصير البدائية . الامر الذى جعل منها مصدرا من مصادر المعرفة بعمارة المعابد الاولى ، بل ان أهيتها انما تفوق النواحي المعمارية بكثير ، فهي ليست بهامة من ناحية مظهرها القانونى أو الاجتماعى أو الدينى فحسب ، بل من ناحية قيمتها التاريخية كذلك ، اذ أنه من المعروف أن بها اشارات للملوك والاحداث التاريخية نستطيع عن طريقها أن نملأ فراغا في بعض الوثائق والمصادر الاخرى ، فضلا عن الاشارة الى استمرار المظاهر الحضارية ، رغم الكبوات السياسية^(١٨) .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن القبائل التى استقرت في وسط جنوب العراق ، انما قد تملكت في العصر الكاشى مقاطعات زراعية واسعة ، فقد كان الملوك الكوشيون يمنحون الاراضى لبعض الافراد ، كى تصبح اقطاعيات لهم ولأبنائهم من بعدهم ، وقد امتلكت كل قبيلة اقطاعية كبيرة شيدت بها مدنا وقرى ، وبذلك يظهر أن النظام القبلى المرتبط بحق الارض ، انما قد أدخل الى العراق في العهد الكاشى^(١٩) ، خاصة وقد توسع الملوك وقت ذاك في منح الاقطاعيات العقارية الى المقربين اليهم من العسكريين والمدنيين ، ويبدو أنهم حرروا ملكيتها بحيث أصبحت أشبه بالاملاك الخاصة لاصحابها ، لا سيما لأفراد الطبقة الحاكمة ، وهناك وثيقة تشير الى أن الملك «ملى شباك» قد منح ابنه وابنته اقطاعية واسعة في أرض البحر ، بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة ، وأعفاها من التكاليف التى كانت تفرضها الدولة على الاراضى الزراعية ، وهى تكاليف عرفت بها بلاد النهرين قبل عهده بعصور طويلة ، حيث كانت الدولة تحصل على جزء من باكورة المحاصيل الزراعية ، كما كانت تستخدم مواشى الاقطاعيات

(١٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، طارق مظلوم : المرجع السابق ص ٦٥
H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, London, 1954, Pl. 71.

(١٩) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ .

لمصلحة أرضها الزراعية الخاصة حين تشاء ، وتسخر العمال الزراعيين حين الضرورة في خدمة المرافق الملكية والمرافق العامة ، مثل شق الترع وتطهيرها وتشييد جسورها ، وقطع الحشائش المائية والاعشاب البرية (٣٠) .

وأما تماثيل هذا العصر المجسمة التي تم اكتشافها فقليلة ، فهناك تماثيل ربما للملك «كوريجا لزو» الاول جالسا ، فضلا عن تماثيل صغيرة لحيوانات وأشخاص ، والتي يبدو فيها اهتمام الفنان الكاشي في التفاصيل ومحاولة اخراج شكل واقعي قدر الامكان ، ومن هذه التماثيل الصغيرة رأس صغيرة للبوّة من الطين المحروق ، يعتبر آية من آيات الصناعة في تمثيل شرطة العين وتجوييفها ، وتكوين الانف والفم والتعبير عن شعيرات الوجه ، بخيوط بسيطة متمكنة ، ورأس صغير لرجل من الطين المحروق الملون أيضا ، مثلته بأثف أقنص بعض الشيء ، وأجادت التعبير عن بروز شفقه العليا عن الدفلى ، وعن تصفيفه لشعره (٣١) .

(٣) أهم الملوك الكاشيين :

ليس هناك مستند تاريخي يشير الى الاحداث التي أدت الى انتقال السلطة من الاسرة البابلية الاولى الى هذه الاسرة الكاشية (الاسرة البابلية الثالثة) ، فضلا عن الوسيلة التي استطاع بها «جانداش» (Gandash) — أول ملوك الاسرة الكاشية — أن ينهى حكم «سمسو ديتانا» — آخر ملوك أسرة بابل الاولى —

وعلى أية حال ، فلقد جاء بعد «جانداش» الملك «كاستيلياش الاول» ، والذي ربما كان من أسرة كاشية قوية ، حتى أنه استطاع أن ينتزع العرش لنفسه ، وان كان «أجوم الثانى» هو أول ملك كاشي استطاع

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ .
 (٢١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا
 H. Frankfort, Op. Cit., Pls. 70 B, 70 C.

أن يسيطر على كل بلاد بابل ، كما أعاد تمثالى المعبود «مردوك» وزوجته «ساربانتيوم» (زربانتيوم = Sarpanitum) اللذين نقلهما الحيثيون - عندما احتلوا بابل - الى «هانا» وهى عانة الحديثة على الفرات ، وعلى مبعده ٣٢٠ كيلا من بابل ، حيث ازدهرت هناك مملكة أمورية تأثرت تقاليدها كثيرا بالمدنية البابلية - كما قاد حملة ضرب بها مملكة القطر البحرى التى تمتعت باستقلالها منذ عهد «سمسو ايلونا» *

ثم هناك الملك «كرندش» الذى اشتهر بكثرة مبانيه فى المدن البابلية. حيث شيد معبدا للمعبودة «عشتار» فى الوركاء ، امتازت عمارته بتدعيم أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين لم تمارسها بلاد النهرين الا قبيل عصورها التاريخية - كما فى معبد أريدو - ثم هجرتها . كما امتازت بعض المشكاوات الخارجية للمعبد نفسه بتحويل زخارفها تحويرا محدثا عن طريق استغلال بطونها فى تماثيل أرباب وربات من اللبن تبرز من جسم البناء نفسه ، مع تشكيل رأس كل معبود وجذعه الاعلى تشكيلا كاملا ، والاكتفاء بتشكيل الخطوط العامة لبقية جسمه على هيئة الثوب الطويل المحبوك ، وتشكيل لبنات هذا الثوب بما يرمز الى مدرجات الجبال بالنسبة للارباب ، وتموجات الماء بالنسبة للربات *

وتتقضى بعد ذلك فترة تكاد تكون غامضة تماما بالنسبة لنا يأتى بعدها الملك «كوريجالزو» الاول ثم ولده «كدشمان انليل الاول» الذى وصلتنا بعض رسائله للفرعون «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م) ، والامر كذلك بالنسبة الى خليفته «بورنا بورياتس الثانى» (١٣٧٥ - ١٣٤٧ ق.م) الذى خلفه ولده «كارونداش» . ثم «نازى بوجاش» *

وجاء «كوريجالزو» الثانى (١٣٤٥ - ١٣٢٤ ق.م) . والذى ينسب اليه تأسيس عاصمة جديدة للكاشيين هى «دور كوريجالزو» (بمعنى مدينة أو حصن كوريجالزو) - وتقع فى مكان «عقرقوف» الحالية على

مبعدة ٣٢ كيلا ، غربى بغداد — ومن المعروف أن الكاشيين انما كانوا يحكمون فى أول الامر من العاصمة بابل ، ولكنهم فى منتصف حكمهم أسسوا مدينة «دور كوريجالزو» واتخذوها مقرا للحكم ، وقد أقام بها الملك «كوريجالزو» الثانى قصرا يشبه قصر الملك «زمرى ليم» حاكم مارى ، ورغم أن ما بقى من قصر «كوريجالزو» لا يكفى لاعطاء صورة كاملة عنه ، ولكنه يشير الى أنه كان يتكون من عدة أجنحة متلاصقة ، لكل منها ساحة كبيرة فى الوسط ، وقد تتجاوز ساحة القصر بضعة مئات من الامتار فى كل ضلع من أضلاعها ، ومن أهم ما عثر عليه فى القصر هو الجزء المتبقى فى الزاوية الشمالية حيث الممرات المسقوفة الطويلة التى تحيط بالساحة،والتي تحمل سقفها ركائز مربعة ، كما تشير بقايا الغرف الى وجود قاعات طويلة وعريضة ، يبلغ طول المتبقى منها ٤٠ مترا ، مما يشير الى أنها كانت قاعات استقبال ، وربما كانت احدى قاعات العرش ، ذلك لأن الممرات المسقوفة ومداخل القاعات انما قد زينت برسوم متتالية للأشخاص ، تبدو وكأنها تقدم التحية أو فروض الطاعة لشخص فى الداخل ، أما فى الزاوية الشرقية من البناء ، فقد عثر على ثلاث ممرات طويلة متوازنة تخترق أرضها قنوات مياه ، وعلى جانبى الممر كوى مرتفعة عن الارض ذات سقف معقود ، كما أن الممرات نفسها كانت معقودة السقف أيضا ، وربما كان لخزن الرقم الطينية فى جو رطب يناسب الغرض منه (٢٢) .

وأما زاقورة «عقروقوف» (دور كوريجالزو) فكانت تتكون من خمس

(٢٢) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلى الحديث — كتاب حضارة العراق — الجزء الثالث — بغداد ١٩٨٥ ص ١٥٤ — ١٥٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ ، سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤ .

T. BAQIR, Excavations at Aqar Quf, Iraq, 1944-1945. and Iraq, 8, 1946, P. 73-92.

S. N. Kramer, T. BAQIR and S. Levy, Fragments of a dioritte Stitue of Kurigalzu in Iraq Museum, in Sumer, 4, 1948, P. I F.

S. N. Kramer, ANET, 1966, P. 57-59.

G. Roux, Op. Cit., P. 229-230.

طبقات من اللبن تغلفها من الخارج طبقة من الآجر ، وتبلغ مساحتها (٦٧ × ٦٩ م) ، وسلاسلها الجانبية لا تبدأ مع بداية حافة الضلع ، وإنما مع نهاية الضلع الجانبية ، ثم تدور بزاوية قائمة حول جسم الزاقورة لتترتقى الى السلم الجانبى ، وهناك سلم فى الوسط يلتقى بالسلم الجانبى فى مركز الضلع ، هذا وقد شيدت أمام سلم الزاقورة الوسطى مصطبة من اللبن مساحتها (٣٥ × ٣٥ م) تحيط بها ساحات عديدة لمعبد لم يكتمل اكتشافه كله بعد ، وهذه المساحات متصلة بعضها ببعض ، وتحيط بكل ساحة مجموعة من الغرف المستطيلة (٢٣) .

وعلى أية حال ، فلقد مر الكاشيون بعد ذلك بفترة ضعف ، ربما بسبب هجمات الآشوريين المتكررة عليهم ، والتي أدت الى أن تكون لهم السيادة على العراق ، وربما بسبب تولى العرش الكاشى ملوك ضعاف ، ومع ذلك فإن نهاية الكاشيين لم تكن على أيدي الآشوريين ، وإنما كانت على أيدي العيلاميين ، بقيادة ملكهم «شترك نخنته» (Shutruk - Nakhunte) (١٢٠٧ — ١١٧١ ق م) الذى تقدم ندو بابك فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، وذبح ملكها «زبابيا — شوما — ادينا» ، ونهب كثيرا من آثارها ، ثم منحها لولده «كوتير — ناهونتى» (Kutir - Nahhunte) وأما آخر ملوك الكاشيين «انليل — نادين — اهى» (Enlil - Nadin - Ahhe) (١١٥٧ — ١١٥٩ ق م) فلا نلتقى به فى قائمة الملوك ، وان التقينا به فى بعض النصوص محرفا (٢٤) .

(٣) العلاقات الخارجية :

كانت مصر على أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق م) قد بلغت ذروة مجدها وقوتها واثرائها ، وكان فرعونها ملك الملوك فى الشرق القديم

(٢٣) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٦٥ .

24) G. Roux, Op. Cit., P. 244-245.

D. J. Wiseman, in CAH, II, Part, 2, P. 446.

R. Labat, in CAH, II, 2, P. 486-487.

H. Tadmor, in JNES, 17, 1958, P. 137.

دون منازع ، وان تواضع الرجل ، أورأى أنه من حسن السياسة أن يسمح للملك بابل وأشور وميتاني وحاتي بأن يعدوه أخا أكبر لهم جميعا .

على أن هذه الاخوة انما قد ظلت محصورة في نطاق الرسائل المتبادلة بين فرعون ، وبين أولئك الذين خيل اليهم أنهم قد أصبحوا أخوة لفرعون مصر ، ذلك لأن مكانة مصر السياسية وقت ذاك ، وما كانت تتمتع به من نفوذ كبير على دول الشرق القديم ، انما يجعل من هذه الاخوة منحة من الفرعون ومن ثم فقد تنافست دول المنطقة جميعا على اكتساب ود مصر ، وصار فرعونها مركزا للمراسلات مع ملوك الشرق وحكامه ، الذين كانوا لا يفتأون يرجون فرعون أن يفيض عليهم من ذهبها ، نظير هداياهم من الجوارى الحسان ، وهكذا استقرت الامور لأمنحتب الثالث ، وارتبط بعلاقات المصاهرة مع معظم ملوك الشرق الأدنى القديم وأمرائه^(٢٥) ، وان اختلفت الامور الى حد ما على أيام ولده اخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) .

ونشير «رسائل العمارنة»^(٢٦) - والتي تتحدث عن هذه المصاهرات - الى أن مصر انما كانت صاحبة النفوذ في المنطقة ، ودليلنا على ذلك الطلب الذي تقدم به ملك بابل يطلب فيه السماح له بالزواج من أميرة مصرية ، وقد رفض الطلب رفضا صريحا ، في حين كانت الاميرات البابليات وغيرهن يحضرن بأعداد وفيرة الى البلاط المصري^(٢٧) .

وأما عن العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاشية فقد سارت في نطاقها العادى المحدود ، ومن ثم فقد سرت قوافلها التجارية في مساراتها

(٢٥) محمد بيومى مهران : اخناتون - عصره ودعوته - القاهرة ص ٢٤٥ .

(٢٦) انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٣٣ - ٢٤٥) .

(٢٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر - ترجمة عبد المنعم ابو بكر ص ١٣٦ ، وكذا

S. A. B. Mercer, The Tell - el - Amarna Tablets, I, Toronto, 1939, P. 13, 63.

J. A. Kundtson, Die El-Amarna Tafeln, I, Leipzig, 1908, P. 73.

القديمة مع بلاد الشام ومصر ، وكانت النصوص المصرية قد ذكرت اسم بابل مرتين خلال عصور دولتها الحديثة ، حتى عصر «تحتومس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، ثم أغفلته تماما ، ربما بعد انتقال أزمة الحكم الى الكاشيين ، واستخدمت بدله كلمة «سنجار» لدلول يتسع عن المدلول الاقليمي لكلمة بابل ، كما ذكرت اسم جبل سنجار . وهو جبل يقع غربى الموصل (٣٨) .

على أن العلاقات المصرية البابلية انما اكتسبت طابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وتمخضت هذه الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، كما حدث على أيام «كدشمان انليل الاول» ، حيث تزوج الفرعون أمنحتب الثالث بأبنة الملك البابلى ، رغم وجود شقيقة الملك البابلى نفسه فى البلاط الفرعونى ، أى أن الفرعون انما أراد أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وقد أرسل الملك البابلى يشكو من عدم توفيقه فى معرفة ، ان كانت أخته — والتى أرسلت كزوجة للفرعون — لا تزال حية أم ماتت (٣٩) .

على أن الفرعون — رغم ترحيبه بمصاهرة الملوك الاسيويين — انما كان ضنينا بأميرات بيته ، ولعله كان يرى أن دماء الفراعين ليست من دماء عامة الدم ، وانما هى دماء عزيزة مقدسة . وأن بناته اللاتى يجرى فى عروقهن الدم المقدس ، أرفع من أن تحتويهن مضاجع الملوك من غير آل فرعون (٣٠) .

وهكذا نقرأ فى رسائل العمارنة عن الملك البابلى «كدشمان انليل

(٢٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا

H. Gauthier, Dictionnaire.

des Noms Geographique, II, Paris, 1928, P. 20 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 208.

AM, I, P. 10-14.

وكذا

(٣٠) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الثانى — القاهرة

١٩٥٠ ص ٧٣٨ .

الاول» الذى سأل أمنتب الثالث أن يزوجه من امرأة مصرية ، فرفض الفرعون هذا الملتبس باحتقار وتعال ، بحجة أنه «لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية الى أى انسان ، وحين يعيد الملك البابلى سؤاله ، لم يكن نصيبه هذه المرة بأفضل من الاولى ، ومن ثم نراه يطلب من الفرعون أن يزوجه من أية امرأة ، ولم يشترط سوى أن تكون مصرية ، ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من ابنته ، وهو يلتبس هذه المرأة حتى يماسه على شعبه بأنه قد تزوج من امرأة مصرية ، ولعله شرف كان يصبو الى تحقيقه (٣١) .

هذا وهناك رسالتان من «بورنا بوريائش الثانى» (١٣٧٥ - ١٣٤٧ ق.م) تشيران الى نوع من الاضطراب كان قد بدأ فى فلسطين فى عهد «اخناتون» (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) ، حتى أن قائد احدى القوافل البابلية قد تعرض للذهب مرتين من الامراء الفلسطينيين الخاضعين للفرعون (٣٢) ، هذا فضلا عن حادث آخر فى فلسطين قتل فيه بعض رجال الملك البابلى ، ومن ثم فقد أرسل الى اخناتون يطلب منه تأديب هؤلاء الامراء الخاضعين ، قائلا «كنعان أرضك ، وملوكها خدمك» (٣٣) ، ثم يؤيد طلبه بهدية هى : ثلاث مينات من اللآزورد ، وخمسة خيول مقطورة ، وخمس عربات (٣٤) .

على أن مصر ، رغم علاقات المصاهرة التى تربطها ببابل ، انما كانت تشجع آشور ضد بابل ، ومن ثم فهناك اشارة سريعة فى رسالة من «بورنا بوريائش» الى اخناتون ، يطلب منه فيها أن لا يتدخل فى شئون

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢١٧ ، محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٢٤٠ ، وكذا

J. A. Kundtson, Op. Cit., P. 73.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 13, 63.

32) F. J. Giles, Ikhnaton, London, 1970, P. 160.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., L. 73 F.

33) F. J. Giles, Op. Cit., P. 161.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 25.

وكذا

وكذا

(٣٤) ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٥٥ .

الاشوريين ، الذين كان يعتبرهم الملك البابلى من رعاياه ، غير أن فرعون لم يعر هذه الإشارة كبير اهتمام^(٣٥) .

وكان ملوك بابل — شأنهم في هذا شأن ملوك الشرق الأدنى وأمرائه — انما يلحون في طلب الذهب من مصر ، يبدو هذا وضحا في الرسائل المتبادلة بين «كدشمان انليل الأول» و «أمنحتب الثالث» والذي كان الموضوع الاساسى فيها رغبة الملك البابلى الملحة في الحصول على منحتة من ذهب فرعون^(٣٦) ، والامر كذلك بالنسبة الى «بورنا بورياش الثاني» الذى يطلب من فرعون ذهبا كثيرا^(٣٧) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن علاقة بابل آشور انما كانت قوية الى حد ما ، ولعل أول قبس يستطيع أن يلقى شيئا من الضوء عليها انما يرجع الى عهد الملك الكاشى «كراينداتس» الذى عقد معاهدة مع معاصره الاشورى «آشور — بل — نشيشو» Ashur - Bel - Nisheshu . اثبتت الحدود بين البلدين ، الامر الذى يشير الى أن لونا من النزاع قد شجر من قبل ، وانتهى في عهدهما بهذه المعاهدة . وبعد جيل من الزمان عقد «بورنا بورياش» معاهدة مماثلة مع معاصره الاشورى وقد ظلت العلاقات بين البلدين مدى قرون ثلاثة تتأرجح بين مسالمة وعدوان ، وان لم تستطع آشور خلالها أن تصل الى درجة من القوة تمكنها من السيطرة على الجنوب .

ومن المعروف أن «بورنا بورياش الثاني» قد وطد علاقته بالملك «آشور أو بلط الاول» وتزوج من ابنته ، التى أنجبت له «كدشمان خاربى الثاني» ، الذى تلاه في الحكم ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم فقد تدخل جده «آشور أو بلط الاول» ، ففخى على الثورة ، وأقام حفيده الثانى «كوريجالزو» الثانى ، الذى كان أول ملك

35) S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 29.

36) Ibid., P. 31.

37) Ibid, P. 29.

كاشى ينقل الحرب الى أرض عدوه العيلامى حتى تمكن من هزيمته فى منطقة دىالى ، ثم طارده فى بلاده وغزا عاصمته سوسه (٢٨) .

وتمر الايام ، ويدب الضعف فى الاسرة الكاسية ، ويتهددها الاشوريون والعيلاميون ، وهكذا رأينا الملك الاشورى «توكلتى نينورتا الاول» (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق م) يهاجم بابل على أيام الملك «كاشتيلىاش الرابع» (١٢٤٢ - ١٢٣٥ ق م) ، ويستولى عليها ، ويعزل الملك البابلى ، ويجعل من «كاردونياش» (اسم الاقاليم البابلية فى العهد الكاشى) ولاية من ولاياته ظلت كذلك حتى موته ، وقد استعمل الاشوريون القسوة فى بابل ، فدمروها وسلبوا كنوزها .

غير أن البابليين سرعان ما أعلنوا الثورة ضد الملك الاشورى ، بل وجهزوا حملة ضد آشور نفسها ، بقيادة «أدد - شوما أوصر» (١٢١٨ - ١١٨٩ ق م) الذى نجح فى أن يرد للبابليين كرامتهم ، بل وأن يطارد الاشوريين حتى مشارف آشور نفسها ، ثم تاع سياسته خليفته (١١٧٣ - ١١٦١ ق م) ، غير أن آشور سرعان ما نجحت فى عهد «آشور - دان الاول» (١١٧٩ - ١١٣٤ ق م) فى أن توقع الهزيمة بالملك البابلى «زبابا - شوما - ادينا» فى عام ١١٦٠ ق م ، وأن تسترد الاقاليم المجاورة لها .

وفى عهد الملك العيلامى «شترك نخنته» هاجم العيلاميون العراق ، واستولوا على بابل فى نفس العام (١١٦٠ ق م) وذبحوا ملكها ، ونهوا «أوبس» (قرب طيسفون عاصمة الساسانيين فيما بعد) ، فضلا عن «دور كوريجالزو» ، ويفاخر الملك العيلامى بأنه استولى على أكثر من ٨٠٠ قرية ، ثم حمل الى سوسة أغلب آثار البلاد الفنية ، مثل نصب سرجون الاكدي ، ونصب «نارام سن» ومسله «مانيشتوسو» ، ونصب

(٣٨) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، نجيب ميخائيل
المرجع السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229.

تشريعات حمورابى ، ونصب أخرى كاسية وغير كاسية كثيرة ، وأكبر المظن أنهم قد أجبروا الأسرى البابليين على نقلها بأنفسهم الى سوسة ، رغم ضخامتها ، وشدة ثقلها ، ثم منحه الملك العيلامى المختصر «شترك نخنته» بابل لولده «كوتير ناهونتى» الذى صدبه فى حملته هذه (٣٩) .

ثالثا - أسرة بابل الرابعة - أسرة ايسين الثانية

رأينا من قبل ، كيف استطاع العيلاميون الاستيلاء على بابل فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، على يد الملك العيلامى «شترك نخنته» ، غير أن الكاشيين سرعان ما نجحوا فى طردهم بعد قليل ، تحت قيادة الملك البابلى «انليل - نادين - اهى» الذى استمر حكمه سنوات ثلاث (١١٥٩ - ١١٥٧ ق م) عاد العيلاميون بعدها الى احتلال بابل من جديد ، وأسقطوا الحكم الكاشى نهائيا على يد الملك العيلامى «شيلاك - أنشوشنك» ، وفى هذه المرة لم تسلم ، حتى مقار عبادة القوم من التنديس والتخريب ، وقد أخذ العيلاميون معهم تمثال «مردوخ» كبير الالهة البابلية .

على أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا ، رغم أن العيلاميين قد تركوا حامية كبيرة فى بابل ، ذلك لأن البابليين لم يذعنوا طويلا للحكم العيلامى ، ومن ثم سرعان ما عمت بابل انتفاضة وطنية كبيرة بقيادة زعيم وطنى من مدينة ايسين يدعى «مردوك - كابت - أهيشو» (١١٥٩ - ١١٣٨ ق م) ربما فى السنة الاولى من الاحتلال العيلامى ، وقد نجح البابليون هذه المرة فى طرد الحامية العيلامية ، فضلا عن تأسيس أسرة حاكمة جديدة عرفت باسم «أسرة ايسين الثانية» ، وهى نفسها أسرة بابل

(٣٩) سامى الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، عبد العزيز صالح :
المرجع السابق ص ٤٩١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٣ ،
G. Roux, Op. Cit., P. 244.
J. Wiseman, Op. Cit., P. 446.
R. Labat, Op. Cit., P. 486-487.

الرابعة ، تعاقب على الحكم فيها أحد عشر ملكا ، حكموا زهاء قرن من الزمان (حوالى ١١٥٦ - ١٠٢٥ ق م) (٤٠) .

وليس هناك من ريب فى أن أعظم ملوك هذه الأسرة ، انما هو ملكها الرابع «نبوخذ نصر الاول» (٤١) (١١٢٤ - ١١٠٣ ق م) ، والذي يعد واحدا من أشهر ملوك العراق القديم ممن استطاعوا مقارعة العيلاميين ، ووضع حد لاعتداتهم على البلاد ، بل وقاد حملة ضدهم حققت نصرا كبيرا ، أكسب «نبوخذ نصر» شهرة واسعة بين معاصريه وبين الاجيال اللاحقة ، ومن ثم فقد صار هذا الحدث التاريخى مناسبة عظيمة يتغنى بها القوم ، بل ان صدى هذا الحادث انما بقى يتردد عبر أجيال لاحقة ، حيث أشارت اليها «نصوص القال» الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد .

هذا فضلا عن أن هذا النصر انمسا قد رفع من روح الملك «نبوخذ نصر» المعنوية ، بحيث أصبح قادرا فى الوقت نفسه على تحصين حدوده الشمالية ، من أى عدوان يمكن أن تتعرض له ، ولئس انتحل «نبوخذ نصر» لقب «فاتح أمورو» ، الا أن مما يشك فيه كثيرا أن ذلك كان صحيحا بل ربما لم يعد الامر غارة على اقيم الفرات الاوسط (٤٢) .

(٤٠) فاضل عبد الواحد : سلالة ايسين الثانية - كتاب العراق فى التاريخ ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٨ - ٤٤٩ وكذا انظر

J. A. B. Brinkman, A Political History of Past-Kassite Babylonia (1158-722), Rome, 1968.

(٤١) نبوخذنصر ، ويعنى اسمه «نابو - كودورو - أوصر» (Nabu - Kuduri-Usur) «الاله نبويحمى ذريتى» ، ذلك لأن كلمة «كودورو» (Kudurri) لها معنيان ، الواحد «حجرة الحدود» (Frontier Boundary) وهى عبارة عن حجر تنقش عليه رموز الالهة ، مع نص مكتوب يعين حدود الاراضى والحقول الزراعية الممنوحة لشخص ما ، والثانى وهو الأرجح ، الذريرة أو الوريث (فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ ، وكذا (G. Roux, Op. Cit., P. 228, 257

(٤٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، فاضل عبدالواحد المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٧ وانظر

G. Roux, Op. Cit., P. 257-258.

L. King, BBS, 6, P. 29-36.

غير أن أسرة ايسين الثانية سرعان ما تتعرض — بعد وفاة نبوخذ نصر الاول — الى تحديات قوية تمثلت في افتعاش الاشوريين وعوتهم كقوة مؤثرة في شمال بلاد النهرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فضلا عن ضغوط القبائل الارامية على بابل ، والتي بدأت تنتشر على طول الفرات ، وتتدخل في الشؤون البابلية .

وفي عهد «أداد — ابل — ادينا» (Adad-Apal-Iddina) (١٠٦٧) — (١٠٦٧ — ١٠٤٦ ق.م) ، وهو أموري وضعه الاشوريون على عرش بابل ، ربما على أمل أن يوقف طوفان الاموريين المنهم نحو جنوب العراق ، وفي هذا العهد خرب آل «سوتو» (Sutu) معبد الاله شمش في سيبار ، وعلى أية حال فرغم أن الملك البابلي قد عقد أواضر الود والمصاهرة مع معاصرة الاشوري «أشور — بيل — كالا» (١٠٧٤ — ١٠٥٧ ق.م) الذي تزوج من ابنته ، غير أنه لم يستطع أن يكفل الامن الداخلى في دولته ، وأحدثت التحركات الارامية القبلية الداخلية كثيرا من الاضطرابات حتى تعاقبت ثلاثة أسر حاكمة في نحو نصف قرن (من الخامسة الى السابعة) وكانت الاسرة الثامنة التي تلتها أفضل حظا في طول أمد حكمها ، ولكن كان عليها أن تنتظر مصيرها المحتوم على أيدي الاشوريين في عصرهم الحديث ، ثم يليها أسرتان بابليتان ، هما الاسرتان التاسعة والعاشر (٤٣) .

وأما هذه الاسرات البابلية من الخامسة الى العاشرة فهي : —

١ — أسرة بابل الخامسة (أسرة القطر البحرى الثانية) :

وتتكون هذه الاسرة من ثلاثة ملوك هم : سمير — شيباك (١٠٢٤)

(٤٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٥ وما بعدها ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ١١٧ — ١١٨ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 260-261.

L. King, Op. Cit., II, P. 143-179.

F. Malbran, in JA, 1972, P. 15 F.

— ١٠٠٧ ق.م) ٢ — ايا — موكين — زيرى (١٠٠٧ ق.م) ٣ — كاشو
— نادن — آهى (١٠٠٦ — ١٠٠٤ ق.م) *

٢ — أسرة بابل السادسة (أسرة يازى) :

وتتكون من ثلاثة ملوك هم : ١ — «أبولاماش — شاكين — شومى»
(١٠٠٣ — ٩٨٧ ق.م) ٢ — نينورتا كودورى — أوصر (٩٨٦ — ٩٨٤
ق.م) ٣ — شيريكتى — شوقا مونا (٩٨٤ ق.م) *

٣ — أسرة بابل السابعة (الأسرة العيلامية) :

وتتكون من ملك واحد هو «مار — بيتى — ابلا — أوصر» (٩٨٣ —
٩٧٨ ق.م) *

٤ — أسرة بابل الثامنة (أسرة اى) :

وتتكون من ٢٢ ملكا ، حكمت حوالى ٢٤٥ عاما فى الفترة (٩٧٧ —
٧٣٢ ق.م) ، وعاصر سقوطها عصر الملك الاشورى «تجلات بلاسر
الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق.م) *

٥ — أسرة بابل التاسعة :

وتتكون من ١٦ ملكا ، وحكمت ١٠٥ سنة ، فى الفترة (٧٣١ —
٦٢٦ ق.م) ، وعاصر سقوطها الملك الاشورى «أشور بانينيال» (٩٩٩ —
٦٢٦ ق.م) *

٦ — أسرة بابل العاشرة (الأسرة الكلدانية) :

وتتكون من ستة ملوك ، وحكمت ٨٧ عاما فى الفترة (٦٢٦ — ٥٣٩

ق.م) ، حيث انتهت في ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، على يد العاهل
الفرسي «كيروش الثاني» (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م) (٤٤) .

(٤٤) انظر عن هذه الاسر (ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٩-

٤٥١) .

البَابُ السَّادِسُ

الأشـوريون

الفصل الأول

الآشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية

(١) الموقع والسكان :

كان الاشوريون يسكنون — بادية ذى بدء — الارضين التى تقع على جانبى نهر دجلة ، من خط عرض ٣٧ شمالا ، وحتى مصب نهر العظيم جنوبا ، وتحدها من الشمال والشرق سفوح الجبال الشاهقة ، وهى — على أية حال — أرضين على هيئة مثلث من المدجلة والزاب الاعلى والاسفل (الزاب الكبير والصغير) ، وتحاده من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وأرضين تتخللها النجاد والاغوار ، فهى ليست أرضا منبسطة ، بل هى بلاد ذات طبيعة جبلية فى أغلب الامر ، تحصر بينها الرقعة الخصبة التى تمثل وديان الانهار ، الانفة الذكر ، وهذه الرقعة الخصبة من الاراضى صالحة للزراعة ، عرفت بها بضعة سهول ، من بينها سهول أربيل وكركوك .

هذا وكانت الجبال من الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للاقليم ، أما فى الجنوب والغرب فالطريق مفتوح الى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربى ، والى الغرب حتى الفرات ورافده وما وراءه ، ومن ثم فالحدود السياسية جنوبا وغربا خاضعة لمدى التوسع الاستعمارى ، تتقلص مرة ، وتمتد أخرى ، تبعا لمدى السلطان السياسى للاقليم .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن كلمة «أشور» (Assur) ، انما تعنى فى الواقع ، الاقليم المعروف بهذا الاسم ، كما تعنى المدينة التى تحمله ، والمعبود الذى كان يعبد هناك ، وربما كانت هذه التسمية نسبة الى اسم أول عاصمة لهم ، وهى مدينة «(أشور)» ، ومن ثم فقد أطلق الاسم على الاله القومى للاشوريين وظلت هذه التسمية حتى القرون الاخيرة من الالف الاولى قبل الميلاد ، أى حتى بعد زوال كيان الاشوريين السياسى .

وأما معذى كلمة «أشور» فغامض ، ويذهب الدكتور طه باقر الى أن من معانى الصيغة «آشر» ، «الرحمن» وأنه من المحتمل أن يكون اللفظ سومرى الاصل ، كما جاء فى النصوص القديمة ، وعلى أية حال ، فلقد وردت كلمة «آشور» فى المصادر الارامية والعربية تحت اسم «أثور» ، وأما فى المصادر المسمارية فقد عرفت بلاد الاشوريين باسم «مات آشور» ، أى «بلاد آشور» ، كما وردت كلمة آشور فى هذه المصادر من القرن الثالث عشر قبل الميلاد «آش شر» ، ووردت أيضا تحت صورة «آ - نو - ار» و«آشر» ، وأما فى المصادر المصرية ، فلقد ذكرت - لأول مرة - فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، باسم «اسور» على أيام الفاتح المصرى «تحتتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، وذكرت أن أميرها قد أهدى الى الفرعون كمية من اللازورد الحمر ، وأحجارا كريمة أخرى ، كما ورد اسم آشور فى التوراة على أنه من أبناء «سام بن نوح» ، كما ذكرها «بطليموس الجغرافى» (١٢١ - ١٥٠ م) فى كتابه الذى أخرجه حوالى عام ١٥٠ م باسم «جغرافية بطليموس» .

هذا ورغم أن هناك خلافا حول «أصل الاشوريين» ، غير أن المرجح أنهم من شعبة سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية - الموطن الاصلى للساميين^(١) - ومن ثم فلم يكن الاشوريون بالاقوام الغربية أو الاجنبية عن معظم سكان العراق الآخرين الذين عاشوا قبلهم أو بعدهم ، فهم ينتمون الى الاصول نفسها ، والى الشجرة ذاتها ، التى تفرعت عنها الاقوام الاكدية والبابلية (الامورية) والمكدية والارامية والعربية ، وهى الاقوام الرئيسية التى استوطنت العراق منذ مطلع الالف الرابع قبل الميلاد وما بعده ، وكان منبت تلك الشجرة الاولى فى شبه الجزيرة العربية ، وهكذا - كما يقول «أندريه بارو» - لم يكن الآشوريون الذين ظفروا بالسيطرة على بلاد الرافدين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، من الوافدين الجدد الى المنطقة قط ، فالواقع أنه خلال

(١) انظر (محمد بيومى مهران : الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - الرياض ١٩٧٤) .

الألفى سنة السابقين ، لا يوجد أقدم منهم من يزعم انتسابه الى هذه البلاد ، فنحن نجدهم يستوطنون منطقة أعالي دجلة منذ بداية فجر التاريخ *

ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين انما قد سلكوا الى شمال العراق أحد طريقين — أو هما معا — ، الواحد : شرقا الى وادي الفرات ، ثم اتجهوا شمالا حيث استقروا هناك ، والاخر : شمالا الى سورية ومنها نزحت الجماعات المرتحلة في صورة الساميين الغربيين الى الشرق ، موطن الاستقرار الجديد *

وأيا ما كان الامر ، فإن الاشوريين لم يدار في أرض فضاء ، وانما سكنوا بقاعا سبقهم اليها قوم آخرون . عرفنا منهم «سوبارتو» (Subartu) الذين كانوا يشغلون من قبل الاقليم الواقع بين دجلة وزاجروس ، وهم ليسوا ساميين على أية حال . ومن ثم نستطيع أن نتخيل صراعا ينشب اثر تقدم موجات الساميين الزاحفة من الغرب أو الجنوب ، أو منهما معا ، بينهم وبين المواطنين الاصليين من السوباريين ، وقد انتهى هذا الصراع بغلبة العناصر الوافدة واستقرارها هناك . وان ظل البابايون فيما بعد لا يفرقون كثيرا بين الاشوريين والسوباريين ويعتبرونهم جنسا واحدا ، وربما كان سبب ذلك الاندماج المباشر بين العنصرين على مر العصور ، بل ويرجح البعض أن السومريين نزلوا في هذه النواحي قبل الساميين الغربيين ، وجعلوا منها مركزا لحضارتهم الشمالية *

هذا وتشير لغة الاشوريين الى أصولها السامية ، فلقد تحدثت القوم بلهجة من لهجات اللغة الاكدية ، وهى اللغة التى انتشرت في أنحاء العراق منذ أواسط الالف الثالثة ، وحتى أواخر الالف الاولى قبل الميلاد ، واستخدموا الخط المسمارى ذاته الذى ابتدعه السومريون ، وطوره الاكديون والبابليون ، كما اتصفت معتقداتهم الدينية وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من نظمهم المختلفة . بالصفات

العامة التي انتصفت بها مثيلاتها عند بقية سكان العراق القديم ، حتى بات من الصعب علينا أن نميز بين أصول العناصر المختلفة ، أهى سومرية أم أكديّة ؟ بابلية أم آشورية ؟ بل ان التشابه الحضارى بين الشمال والجنوب ، لا سيما بين الاكديين والاشوريين فى عهدهم القديم ، قد دفع البعض الى الاعتقاد بأن الاشوريين انما كانوا قد استقروا — فى بادية أمرهم — فى جنوب العراق ، ثم نزحوا الى الشمال فى فترة متأخرة نسبيا^(٢) هذا فضلا عن أن هناك من يذهب الى أن الاشوريين — رغم أنهم كانوا يتكلمون لغة سامية ، ومن ثم فهم يعتبرون من الشعوب السامية — غير أن المنطقة التي سكنوها فى شمال العراق انما قد تعرضت لغزوات شعوب الجبال والشعوب «الهندو — أوربية» وقامت كثيرا على أيديهم ، كما أصبح سكان آشور خليطا من أجناس مختلفة ، ولم يكونوا ساميين من دم نقي ، ورغم أن الاسرة الحاكمة كانت تحمل أسماء سامية ، إلا أنه لا يمكن معرفة أصلها ، الامر الذى أدى الى أن يتطبع الاشوريون بطباع غير سامية ، ويظهرون قسوة ، مخالفين بذلك التقاليد السامية القديمة على أيام الدولة الاكديّة^(٣) .

(٢) العواصم الاشورية :

١ - آشور :

كانت مدينة آشور هى أولى عواصم الاشوريين ، وقد أقيمت فوق

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، عامر سليمان : العصر الاشورى - كتاب العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ١١٩ - ١٢٠ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الاول - بغداد ١٩٥٥ ص ١٦٣ - ١٦٧ ، أندريه بارو : بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان ، وسليم التكريتي - بغداد ١٩٨٠ ص ١٧ - ١٨ ، ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثانى ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ، تكوين ٢٢/١٠ ، وكذا

Urk., IV, 668, 6, 671, 8.

G. Roux, Op. Cit., P. 177-178, 182.

J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 37.

T. J. Gelb, Hurrians and Subarians 1944.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 100-101.

(٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

ربوة صخرية تحف بها مياه نهر دجلة التي أصبحت حماية طبيعية لها ، ربما ، فيما يرى البعض ، منذ الالف الثالثة قبل الميلاد ، وتعرف خرائبها اليوم باسم «القلعة» أو «قلعة شرقاط» ، وتقع على مبعده ٩٦ كيلا جنوبى مدينة الموصل الحالية ، وقد استمرت مدينة آشور مركزا سياسيا للبلاد على مدى فترة طويلة من التاريخ العراقى القديم .

هذا وقد عثر فى خرائبها على أسس لمعابد بعض الالهة مثل آشور وأنو وأدد ، ولعل من أشهر هذه المعابد معبد الاله آشور الذى بنى على أيام الملك «آشور شمشى أداد» الاول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق م) ويعتبر من النماذج الاساسية فى تفسير عمارة المعابد الاشورية ، ودليلا لطرز المعابد الاشورية فى العصر الاحدث ، وقد جمع بين الطرز المعروفة فى جنوب العراق ، والتي بنيت على هيئة بيوت ذات فناء فى الوسط ، ومنها معبد شوسن فى تل أسمر ، وبين الطرز التى عرفت فى فجر الاسرات ، ذات الغرف المقدسة الطويلة ، كما عثر كذلك على تماثيل لبعض الملوك ، فضلا عن عدة مسلات ، وجد على أحدها اسم «سمورامات» (سميراميس) زوج الملك «شمسى أداد الخامس» (٨٢٣ - ٨١١ ق م) والتي أصبحت وصية على العرش ، بل ان هناك من الاثار التى عثر عليها فى آشور ، انما يرجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، من ذلك النوع السومرى .

٢ - كالح :

كانت مدينة «كالح» (Kalah) (كالحو = كالخو) - والمعروفة حاليا باسم «نمرود» (Nimrud) - هى العاصمة الاشورية الثانية ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند ملتقاه بنهر الزاب الاعلى ، وعلى مبعده ٣٠ كيلا جنوبى نينوى وعلى مبعده ٣٥ كيلا جنوب شرقى الموصل ، وقد أسسها «شلمنصر الاول» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق م) ، وسكنها البابليون الذين قام بتهجيرهم «توكلتى نينورتا» الاول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق م) ، وأما التوراة فتنسب تأسيسها الى من تدعوه «نمرود» ،

هذا وقد شيد فيها الملك «أشور ناصر بال الثاني» (٨٨٣ — ٨٥٩ ق.م) قصرا ، ثم اتخذها عاصمة لدولته •

هذا وقد قام بالحفر فيها (A. H. Layard) في الفترة (١٨٤٥ — ١٨٥١م) وكذا (M. Mallowan) في عام ١٩٤٩م ، وكشفت الحفريات عن معبد للماله «نينورتا» يتكىء على زاقورة مربعة ، طول ضلعها ٥١م ، وارتفاعها ٤٥م ، كما عثر على مسلة نقش عليها رسم «أشور ناصر بال الثاني» ، هذا فضلا عن قصر يعده الاثاريون ، أول المقصور الكبيرة لمملكة آشور الجديدة ، وبه كثير من النقوش التي تصف أعمال «أشور ناصر بال الثاني» ، وتصف البناء وظروف تشييده ، وحفر قناة لرى المنطقة •

والى الجنوب من قصر «أشور ناصر بال الثاني» كان قصر «أداد نيرارى الثالث» (٨١٠ — ٧٨٣ ق.م) والذي سكنه أيضا «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٤ — ٧٢٧ ق.م) ، والى الجنوب منه قصر «اسر حدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق.م) وغير ذلك من المباني الدينية والسكنية ، وعلى أية حال ، فلقد دمرت هذه المدينة في عام ٦١٢ ق.م ، على أيدي الماديين •

٣ - كاو - توكلتى - ننورتا :

أسس هذه المدينة الملك «توكلتى - ننورتا - الاول» (١٢٤٤ — ١٢٠٨ ق.م) ، واتخذها عاصمة لدولته وأضفى عليها اسمه «كار - توكلتى - ننورتا» ، وان ذهب رأى أن الذى شيد المدينة هو «أشور نادين - ابلى» (١٢٠٧ — ١٢٠٤ ق.م) ، وان نسبت الى أبيه «توكلتى - ننورتا» ، وتقع على مبعدة ٣ كيلا من مدينة آشور ، وقد شيد بها قصر بقيت منه أطلال طفيفة ، يفهم منها أنهم زخرفوا بعض جدرانها بقطع من القاشانى المزخرف ، ولوحات مرسومة اقتبسوا عناصرها من عالم الحيوان والنبات ومن الخطوط الهندسية ، ونجسوا في تحقيق التناسب والحيوية فيها الى حد معقول ، وصوروا فيها الملك يقاتل بعربته الحربية منفردا حيناً ، ومشاركاً في الحرب الى جوار جنوده ، حيناً آخر •

٤ - دور شاروكين :

وكانت «دور شاروكين» (Dur - Sharrkin) خورسباد = Khorsabad هي العاصمة الاشورية الرابعة ، وقد أسسها «سرجون الثاني» (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) في سنوات سبع (٧١٣ - ٧٠٦ ق.م) ، وتقوم أطلالها الآن في مكان «خورسباد» جنوب الزاب الاسفل ، وعلى مبعده ١٦ كيلا شمال شرق الموصل ، ١٢ كيلا شمال «نينوى» وهي «خرسباد» (خورسباد) الحالية (وكلمة خرسباد محرفة من خسرو أباد) وقد بنيت هذه المدينة على هيئة مربع ضلعه ١٧٦٠ مترا ، وكان يؤدي الى المدينة طريق مبلط عرضه ١٢ مترا ، ويحيط بالمدينة سور ذو أبراج ، يزيد عددها عن ١٥٠ برجاً ، وكان للمدينة ثمانية أبواب يزينها ثيران مجنحة لها رؤوس بشرية ، تعتبر عند الاشوريين بمثابة الملوك الحارس الذي يقى المدينة من الشرور والمخاطر ، وكانت شوارع المدينة مستقيمة ومتعامدة ، ولم يبق من المدينة الآن غير أطلال قصر سرجون ، وبعض الاقسام المجاورة له ، وتدل الاثار التي عثر عليها بقصر سرجون هذا على مدى ما وصل اليه فن البناء والنحت وسبك المعادن وصناعة الزجاج ، كما عثر بالقصر على عدد كبير من التماثيل البارزة والثيران المجنحة ونماذج من الزخارف المنقوشة تمثل أشكال ثيران وأسود ، كما عثر في مخازن القصر على أدوات وآلات من الحديد تبلغ زنتها ٢٠٠ طناً .

وقد تم اكتشاف المدينة في عام ١٨٤٣م ، وقد ظن - في بادئ الامر - أنها انقاض «نينوى» ، ولكن تبين بعد ذلك أنها «دور - شاروكين» ، وأجريت الحفائر تحت اشراف القنصل الفرنسي «بوتسا» الذي أرسل اكتشافاته الى فرنسا في عام ١٨٤٧م ، حيث شكلت الجناح الاشوري في متحف اللوفر بباريس ، ثم قام فيكتور بلاس وتوماس باتمام التنقيبات في الفترة (١٨٥٢ - ١٨٥٥م) ، ثم جدد المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو الحفريات في الفترة (١٩٢٨ - ١٩٣٥م) ، وكشفت الحفريات عن قصر سرجون الضخم ، والذي يحتوى على أكثر من مائتى غرفة ، وثلاثين

في عام ١٨٥٢م حيث عثر على قصر «أشور بانيبال» وغيره ، فضلا عن عدة معابد ، وعلى رأس من البرونز ، ربما تمثل الملك سرجون الاكدي ، كما عثر في تل النبي يونس على قصر يرجع الى أيام الملك (اسر حدون) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) (٥) .

٦ - حران :

كانت «حران» (Harra = Harra) () - وتقع على نهر بلخ ، على مبعده ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات ، والى الغرب من تل حلفا ، وعلى مبعده ٤٤٨ كيلا الى الشمال المشرقى من دمشق - هى العاصمة السياسية السادسة والاخيرة للاشوريين ، وذلك بعد سقوط «نينوى» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ، على أيدي «البابليين والميديين» (Babylonian - Median) ، واضطر الملك الاشورى «أشور أو بلط الثانى» (Assur-Uballit) (٦١١ - ٦٠٩ ق.م) أن يتخذ من «حران» عاصمة له ، غير أن «نبوخذ نصر الثانى» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) نجح في أن يستولى عليها ، وأن يقضى على الجيش الاشورى في عام ٦٠٩ ق.م (وربما في عام ٦٠٨ ق.م) ، وأن يقضى على الدولة الاشورية نهائيا (٦) .

(٥) انظر عن العواصم الاشورية (تكوين ٨/١٠ - ١٢ ، يونان ٢/١ ، ٢/٣ - ٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٩٩٠/٢ ، أندريه بارو : المرجع السابق ص ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ، جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، ٥٠١ ، هنرى عبودي : معجم الحضارات السامية القديمة - طرابلس - لبنان ١٩٨٨ ص ٩٠ - ٩١ ، ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، محمد عبد القادر : الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

M. F. Unger, Op. Cit., P. 161-162, 794-796.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 37, 79, 95, 114, 123-125, 133.

W. Andrae, Op. Cit., Abb. 49, Taf. 2-3, 51.

G. Roux, Op. Cit., P. 270-272, 291-292.

A. H. Layard, Nineveh, and its Remains, London, 1849.

M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.

(٦) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦٢/١ ، ٩٨١/٢ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 455.

=

فناء ، وأجنحة خاصة ، وستة معابد ، وزاقورة من سبع طبقات ، وقد دهنت بألوان مختلفة *

وقد اتخذ سرجون الثانى من مدينته هذه ، عاصمة لدولته ، الا أنها سرعان ما هجرت بعد موته ، وان كان هناك من يذهب الى أنها قد ظلت مقرا للحاكم (ربما حاكم المنطقة) قرابة قرن من الزمان بعد ذلك *

٥ - نينوى :

كانت «نينوى» (Nineveh) — وتقع لان تحت تلى قوينجق والنبي يونس^(٤) ، على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، على فم رافد صغير يدعى «الخسر» (الخور) على مبعدة ٤٠ كيلا من التقاء الدجلة بالزاب الاعلى ، قبالة الموصل — وكان العبرانيون يعممون اسم «نينوى» ليشمل كل المنطقة حول التقاء الزاب الاعلى بالدجلة *

وقد اتخذ «سنحريب» (٧٠٥—٦٨١ ق م) «نينوى» عاصمة له ، وان لم تعمر طويلا ، حيث سقطت فى أيدي الميديين عام ٦١٢ ق م ، وهناك ما يشير الى أن سنحريب قد أهتم بها كثيرا ، ولكي يضمن لها موردا مائيا كافيا ، وصلها بالانهار التى تجرى من الجبال الشرقية ، وذلك ببناء قناة صناعية هائلة ، كشف عنها المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو فى عام ١٩٣٣ م *

وقد ظلت هذه المدينة مجهولة حتى كشفت عنها الحفريات التى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ففى عام ١٨٤٧م عثر على أطلال معبد سنحريب ، والذى كان يحتوى على أكثر من ألفى نقش ، وحوالى ثمانين غرفة ، من بينها مكتبة «أشور بانيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق م) والتى تحتوى على آلاف اللوحات المسمارية ، ثم عادت التنقيبات

(٤) من المعروف أن يونس عليه السلام ، انما أرسل الى أهل بينوى (انظر : سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦) ، وانظر القصة بالتفصيل (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الرابع — فى العراق — بيروت ١٩٨٨ ص ١٧٥ — ١٩٢) .

(٣) مراحل التاريخ الاشوري :

تذهب جمهرة المؤرخين الى أن التاريخ الاشوري انما ينقسم الى
مراحل ثلاثة •

الاولى : العهد الاشوري القديم : وتبدأ من فجر التاريخ الاشوري،
وحتى نهاية حكم أسرة بابل الاولى •

الثانية : العهد الاشوري الوسيط : وتبدأ من نهاية حكم أسرة بابل
الاولى، وحتى بداية القرن التاسع قبل الميلاد •

الثالثة : العهد الاشوري الحديث ، أو عصر الامبراطورية ، ويشغل
الفترة (٩١١ — ٦٠٩ ق.م) ، وان ذهب البعض الى تقسيم هذه الفترة
الى مرحلتين ، الواحدة : عصر الامبراطورية الاولى (٩١١ — ٧٤٥
ق.م) ، والثانية : عصر الامبراطورية الثانية (٧٤٥ — ٦٠٩ ق.م) •

على أن هناك فريقا ثانيا انما يذهب الى أن التاريخ الاشوري انما
ينقسم الى مرحلتين فقط ، الواحدة : في الفترة (٣١٠٠ — ٩٠٠ ق.م) ،
وكان القوم أثناءها يناضلون في سبيل النهوض سياسيا وعسكريا ،
والثانية : في الفترة (٩٠٠ — ٦٠٩ ق.م) ، وفيها نجح القوم في تكوين
الامبراطورية الاشورية •

على أن هناك وجها ثالثا للنظر ، يذهب أصحابه الى تقسيم التاريخ
الاشوري الى مراحل أربعة رئيسية هي :

الاولى : مرحلة التبعية السومرية — الاكدية ، وقد شغلت الالف
الثالثة قبل الميلاد •

-
- A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 258
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 273.
J. Laessoe, Op. Cit., P. 124.
G. Roux, Op. Cit., P. 347.

الثانية : العصر الاشورى القديم ، ويقابل تقريبا العصر البابلي القديم •

الثالثة : العصر الاشورى الوسيط : ويبدأ من حوالى أواسط الالف الثانى قبل الميلاد ، وينتهى باعتلاء «أدد — نيرارى الثانى» العرش الاشورى فى عام ٩١١ قبل الميلاد •

الرابعة : العصر الاشورى الحديث : وهو العصر الامبراطورى للدولة الاشورية ، وقد تميز بالقوة والازدهار ، وانتهى عند سقوط العاصمة «نينوى» فى عام ٦١٢ ق م •

وسوف نأخذ بهذا التقسيم الاخير •

(١) عصر التبعية السومرية — الاكدية

كانت بلاد آشور طوال الالف الثالث قبل الميلاد خاضعة للنفوذ الحضارى — وربما السياسى — للدولة السومرية الاكدية ، التى قامت فى الجزء الجنوبى والوسطى من العراق القديم ، ولا ريب فى أن معلوماتنا عن آشور فى النصف الاول من هذه الفترة (حوالى ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق م) جد قليلة ، لا تتجاوز فى كثير من الاحايين بعض المخلقات المادية من ابنية وفخار وغيرها ، وربما كان هذا الموضع يشبه الى حد كبير مثيله فى بلاد سومر فى الفترة ذاتها ، حيث نشأت فى آشور عدة مدن ومراكز حضارية فى المنطقة ، كمدينة آشور ونينوى وغيرهما ، وربما كان بعضها على هيئة دويلات مدن صغيرة ومستقلة •

وعندما قامت الدولة الاكدية التى كانت سياستها المركزية تسعى لتوحيد جميع الدويلات والمراكز الحضارية فى الشمال والجنوب ، كان لابد من وقوع بلاد آشور ضمن نفوذها وسيطرتها ، وهناك ما يشير الى أن مدينة آشور نفسها انما كانت تمثل أحد المراكز الادارية المهمة التابعة للدولة الاكدية ، كما عثر فى نينوى فى الطبقة السادسة من معبد عشتار

على أسطوانات حجرية منقوشة بكتابة ترجع الى عصر الملك الاكدي «نارام - سن» (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) ، هذا فضلا عن رأس تمثال نحاسي يظن أنه للملك سرجون الاول أو «نارام - سن» ، وتمثال من البرونز لشاب جالس وعليه كتابة تشير الى عهد «نارام - سن» .

هذا وقد كشف في آشور عن عدد من النصوص القصيرة التي تذكر اسم الملكين «ريموث» (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق م) و «مانيشتوسو» (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق م) ولدى الملك «سرجون الاول» (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق م) ، هذا فضلا عن الكشف عن أبنية ضخمة ، من بينها قصر واسع، وجزء من زاقورة معبد انليل تحمل طابعا أكديا .

وهناك ما يثير الى أن التأثيرات الاكدية في بلاد آشور لم تكن مقصورة على الاساليب والطرز المعمارية والفنية والدينية ، وانما شملت كذلك اللغة والكتابة ، فاللهجة الاشورية القديمة انما تحمل تاثيرات اللهجة الاكدية القديمة ، كما اقتبس الاشوريون الكتابة المسمارية من السومريين والاكديين ، ثم استخدموها في التدوين طوال حياتهم السياسية ، هذا فضلا عن احتفاظ الاشوريين بذكرى طيبة عن الاكديين ، حتى أن بعض ملوك قد سمو أنفسهم بأسماء أكدية مروفة ، كما فعل الملك «سرجون الاول» من هذا العصر ، (وقد حكم في حوالى منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، كما أثرنا من قبل) ربما نسبة الى الملك الاكدي «سرجون الاول» أيضا .

وفي أكبر الظن أن آشور قد لاقت ما لقيه السومريون والاكديون على أيدي الجوتيين ، وقد كشفت الحفريات عن آثار التخريب من هذه الفترة ، والتي تمت على أيدي الجوتيين في كل من مدينتي آشور ونيوى ، وإن كان المؤرخون على غير يقين من تبعية الاشوريين للجوتيين ، أو أن القوم قد أقاموا لهم حكومة محلية غير تابعة للجوتيين ، وأيا ما كان

الامر ، فما أن تم طرد الجوتيين ، حتى قامت أسرة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) ، وسرعان ما وقعت آشور تحت نفوذها ، وقد كشفت الحفريات في نينوى عن معبد أقيم من أجل «أمار - سين» (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) ملك أور ، مما يشير الى تبعية آشور لحكم السومريين في أور^(٧) .

(٢) - العصر الاشوري القديم

يشغل هذا العصر الاشوري القديم الفترة (٢٠٠٠ - ١٥٢١ ق.م)، وهى تقابل تقريبا العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ - ١٥٩٥ ق.م) ، حيث قامت في هذه الفترة أسر حاكمة مستقلة في آشور وفي كثير من المدن العراقية الرئيسية ، وكان الصراع في هذه الفترة بين هذه الاسرة المحلية الحاكمة على أشده للسيطرة على الطرق التجارية والاراضى الزراعية ، وقد استمر هذا الصراع - كما رأينا من قبل في هذه الدراسة - حتى عصر حمورابى ، الذى أعاد للعراق القديم وحدته ، فضم تحت لواء دولته جميع الدويلات والمدن العراقية في الشمال والجنوب ، بما في ذلك بلاد آشور ، ونستطيع - طبقا للمعلومات المتوفرة لدينا - أن نميز بين مراحل ثلاثة رئيسية مرت بها بلاد آشور في هذا العصر .

كانت المرحلة الاولى (٢٠٠٦ - ١٨١٤ ق.م) ، مرحلة غامضة ، ربما لا تعدو في بعض الاحايين أسماء الملوك ، وربما بعضهم ، الى جانب أعمالهم العمرانية ، كما وردت في جداول الملوك الاشوريين التي دونت في فترة متأخرة ، وكذا في بعض نصوص الابنية التذكارية ، هذا فضلا عن بعض المعلومات من النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الاشورية في منطقة قبادوقيا في آسيا الصغرى .

وعلى أية حال ، فلقد استطاع «بوزور آشور الاول» أن يؤسس

(٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٤ .

أسرة حاكمة في آشور ، نجح حفيده «أيلوشوما» (١٩٤٠ - ١٩٠٦ ق.م) في أن يوطد دعائمها ، وأن يقيم علاقات ثابتة مع معاصر البابلي ، بل وأن يقوم بحملة على بلاد بابل ، ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة الى بلاد عيلام والخليج العربي ، سالكاً الطريق الواقع الى الشرق من دجلة ، ثم ادعى بأنه حرر مدينتي أور ونفر اللتين كانتا تقعان على الطريق التجاري الى الخليج العربي^(٨) .

وهناك عقد يرجع الى العام العاشر من حكم الملك البابلي الشهير «حمورابي» يذكر فيه اسم الملك الاشوري «شمشي أداد» ، الامر الذي قد يشير الى أن حمورابي ربما كان في العقد الاول من حكمه خاضعاً لهذا الملك الاشوري^(٩) .

ثم يبدأ الغموض بعد ذلك يخيم على تاريخ آشور ، وربما وقعت آشور تحت نفوذ مملكة اشنونا ، على أن الغريب من الامر أننا في وسط هذا الضباب ، سرعان ما تتوافر لدينا المعلومات عن علاقة آشور التجارية مع شرقي بلاد الاناضول ، فلقد أشارت النصوص المسمارية المكتشفة في «كاش» - وهي كول تبة الحالية ، على الضفة اليسرى لنهر هاليس ، شمالي قيصرية - بمنطقة قبادوقيا الى وجود جماعات من التجار الاشوريين كانت تقطن في شرقي بلاد الاناضول في مراكز تجارية ذات تنظيمات ادارية وقانونية خاصة بها .

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ اتصال الاشوريين التجاري بآسيا الصغرى ؟ وكيف حدث هذا الاتصال ؟ وهل تم سلماً أم عنوة ؟ - غير أن أكبر الظن انما قد تم منذ ظهور الكيان السياسي للاشوريين ، وأنه كان في بدايته - على الاقل - اتصالاً سلمياً ، وأنه

(٨) نفس المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٩) سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

كان نشاطا تجاريا واسعا ، وآية ذلك إقامة هذه المراكز التجارية الاشورية المتعددة بمنطقة وسط الاناضول ، والتي يمكن تحديدها بحوض نهر هاليس وتخومه المباشرة ، وما وراء هذا الحوض جنوبا حتى سهل قونيا وأقاليم قليقيا ، وشرقا حتى مشارف أعالي الفرات ، وأنه كان لاستغلال ثروات هذه البلاد ، وممارسة نشاط تجارى كبير بها ، دون أن يتكبدوا فى ذلك جهدا حريبا يذكر ، حيث خلت نصوصهم من الاشارة الى توجيه حملات حربية الى هذه البلاد .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن هذه المراكز التجارية انما قد مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الاشوريون للسيادة وفرض النفوذ على آسسيا الصغرى ، وكانت «كانش» بمثابة مركز للإدارة الاشورية الحاكمة ، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أنه من الصعب أن يحقق الاشوريون هناك استغلاالا اقتصاديا كاملا،دون سيطرة سياسية ، فضلا عن عبادة الاله آشور فى هذه المراكز التجارية بآسسيا الصغرى ، وتشابه بعض التنظيمات الادارية بهذه المراكز التجارية مع مثيلاتها فى آشور^(١٠) .

وأكبر الظن أن هذه المراكز التجارية انما كانت خاضعة سياسيا لأمرء الدويلات المحلية ، مع تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتى والحماية العسكرية ، مقابل ضرائب معينة كانت تدفع للامراء المحليين ، وأما علاقة هذه المراكز بالدولة الاشورية ، غربما كانت من نوع علاقة الفرع بالاصل وآية ذلك أنها كانت تدين بالديانة الاشورية ، وتعيش الحياة الاشورية ، مع بعض التأثيرات المحلية ، ومن ثم فقد تشابهت العقود التجارية والقوانين الاشورية التى كشف عنها فى «كانش» بتلك التى كانت فى بلاد آشور نفسها .

(١٠) محمد عبد اللطيف : المراكز التجارية الاشورية فى وسط آسيا الصغرى فى العصر الاشورى، القديم - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٨،٤،٣ ،
CAH, I, Part, 2, Maps, 9-10, P. 373,
J. Lewy, on Some Institutions of The Old Assyrian Empire, in HUCA, 27, 1956, P. 13-21.

وعلى أية حال ، فلقد كانت هذه المراكز التجارية الاشورية في آسيا الصغرى (وتسمى كاروم)^(١١) تقوم بدور الوسيط بين الدولة الاشورية الام ، وبين الدويلات المحلية في بلاد الاناضول ، وهكذا كانت القوافل التجارية الاشورية تذهب محملة بالمنسوجات والملابس الاشورية والبابلية وخامات القصدير — وهى مستوردة أصلا — وتعود الى بلاد آشور بالذهب والفضة والنحاس — وربما الرصاص — والاحجار الكريمة^(١٢) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد زاد هذا النشاط التجارى على أيام «ايلو شوما» ، وهناك نص من عهد ولده «اريشوم الاول» (١٩٠٦ - ١٨٦٧ ق م) يشير الى أنه أقام حرية الحركة للفضة والذهب والنحاس والرصاص ، فضلا عن القمح والصوف ، الى جانب سلعتين أو ثلاثة من

(١١) أطلق الآشوريون على كل مركز من مراكزهم التجارية اسم «كاروم» (Karum) ، وتعنى في الاكدية رصيف أو حائط ميناء يقع على نهر أو قناة ، تجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد ، ثم اتسع مفهومه ليعنى السوق على جانب الرصيف ، ثم مجموعة تجار المدينة ، ولم يقصد الآشوريون بتعبير «كاروم» فى نصوص الألواح القبادوشية ميناء نهري غالبا ، اذ لم يقع كاروم كانش أو «خاتوش» (بوغازكوى) أو غيرهما ، على نهر ، وانما يعنى غالبا مجموعة الرجال الذين تولوا ادارة المركز التجارى ، وهم من التجار وأصحاب رؤوس الاموال الاشوريين ، وقد شيدت «الكارو» غالبا فى الاماكن الملائمة على طرق القوافل ، كمركز تجارى للسلع المتبادلة بين آشور وآسيا الصغرى ، فضلا عن جباية المكوس التى كانت تحصل من القوافل التجارية ، مثل ضريبة الطريق وضريبة العشر وضريبة الخمسة فى المائة التى كان الكاروم يقوم بتحصيلها ، ربما لحساب الدولة الاشورية ، وقد استخدم القوة فى تحصيلها أحيانا ، كما كان للكاروم سلطة قضائية ، وجهاز ادارى على رأسه «حاكم الكاروم» الذى انتحل لقب (Rubaum) ، والذى كان يمثل السلطة التنفيذية للكاروم ويرأسها ، وغير خاضع غالبا لحكام آشور ، كما كان للكاروم مقر مركزى يسمى «بيت الكاروم» (بيت كاريم - Bit-Karim) (وكان بمثابة غرفة تجارية وبيت تخليص للتجارة ، ووكيلا للقصر (انظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٢ - ٨٨ ، وكذا

J. Bottero and Others, Op. Cit., P. 196.

J. Lewy, CAH, I, Part, 2, P. 37, 47, 709, 722, 760 F.

(١٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٦ ، وكذا

J. Lewy, Op. Cit , P. 24-28.

السلع الرخيصة — وكان أرخصها التبن — وأن هذا الامتياز قد منح للتجار الاشوريين ، الامر الذى يشير الى دعم النشاط التجارى مع آسيا الصغرى التى أقيم فيها عدد كبير من المراكز التجارية الاشورية التى نالت اهتمام هذا الملك ، كما نالت اهتمام خليفته «ايكونوم» (١٨٦٦ — ١٨٥٥ ق م) و «سرجون الاول الاشورى» (١٨٥٥ — ١٨٤٠ ق م) (١٣)

ولعل من الاهمية بمكان أن الوثائق الاشورية انما تشير الى أن العنصر الامورى انما قد شارك فى مجتمعات المراكز التجارية الاشورية القديمة فى آسيا الصغرى ، وأن الاختلاط بين الاسماء الاشورية والامورية فى هذه المجتمعات ، ما يشهد بامتزاج هذه العناصر كسكان يتعايشون معا فى نطاق المركز التجارى الواحد *

وكان الاموريون أقرب العناصر للاشوريين ، وأكثرهم ارتباطا بهم اجتماعيا ودينيا ، وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة فى مزاوله نشاطهم التجارى ، أما السكان الوطنيين ، وخاصة العناصر «الهندو — أوربية — فقد نظر اليهم الاشوريون بازدراء ، وأطلقوا عليهم صفة «برابرة» (١٤) *

وليس هنا من ريب فى أن الوجود الامورى فى هذه المجتمعات انما كان سببا فى التقارب بين الاموريين والاشوريين فى آسيا الصغرى ، وطبقا لدراسة عقود الزواج والطلاق ، فإن معظم زيجات الاشوريين بالاناضول انما كانت من هؤلاء الاموريين ، كما كان رجال الاعمال الاشوريين كثيرا ما يستعينون بهؤلاء الاموريين ، وكثيرا ما كانوا يعهدون اليهم بتولى أمر قواهلهم التجارية (١٥) *

13) CAH, I, Part, 2, P. 1001.

J. Lewy, in JAOS, 78, 1958, P. 99-101.

J. Lewy, in HUCA, 27, 1956, P. 40, 65, 66.

A. Goetze, in JLSA, 30, 1954, P. 350.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 37 F.

14) H. Lewy, Anatolia in The Old Assyrian Period, in CAH, 2, 1971,

(١٥) محمد بيومى مهران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص

J. Lewy, Amurritica, in HUCA, 32, 1961, P. 65.

٦٨ — ٧٠ ، وكذا

هذا ويذهب البعض الى أن الاموريين في الاناضول انما كانوا يشبهون الاشوريين الى الدرجة التي يصعب معها التفرقة بينها ، وخاصة أن الفريقيين من الجنس السامي ، هذا فضلا عن اقتران اسم المعبود «أشور» بالمعبودات الامورية ، وأن هناك آشوريين قد تعبدوا للاله الامورى «أموروم» ، كما تشير الى ذلك النصوص القبادوشية^(١٦) .

وهناك ما يشير الى أسماء تتضمن أسماء آلهة سامية غربية (أمورية) مثل «داجان» و «أموروم» اللذين عبدهما الاشوريون ، واقترنت بعض أسمائهم بهما ، فأما «داجان» فقد انتشرت عبادته في «قبادوقيا» بوسط اسيا الصغرى منذ العصر الاكدي ، كما انتشرت في السهل الميزوبوتامى منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، على الاقل ، وأما «أموروم» فيمكن اعتباره معبودا قوميا للاموريين ، ذلك لان اسمه انما يدل على الارض ، والشعب والمعبود ، أسوة بأشور المعبود القومى للاشوريين ، كما اقترن اسم «أموروم» باسم «أشور» في عدد من نصوص كول تبة^(١٧) .

هذا وتدل النصوص القبادوشية على أن الاموريين انما كان لهم تأثير كبير على الاشوريين في وسط الاناضول ، حتى حمل هؤلاء الاشوريون — فيما تروى النصوص — أسماء تدل على عبادتهم للمعبود «أموروم» ، وان كان مما لا شك فيه أن التأثير الاكدي للاشوريين ، فهم أصحاب السيادة في مجتمعات المراكز التجارية بوسط الاناضول^(١٨) .

وكانت المرحلة الثانية من العصر الاشورى القديم، عندما بدأ القوم فترة انتعاش اقتصادى وسياسى في أعقاب فترة التدهور والاضمحلال،

16) H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 721.

(١٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٩ - ٦١ ، وكذا

17) J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 62, Notes, 25-27, 187.

H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 720.

(١٨) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧١ ، وكذا

J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 34-35.

H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 718-720.

وتمكن «شمشى - أداد» الاول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق م) - وهو زعيم أموري من الاقوام التي سيطرت على الاوضاع السياسية في معظم الحوكلات البابلية التي قامت في بداية العصر البابلي القديم - تمكن «شمشى - أداد» هذا من تأسيس أسرة جديدة في بلاد آشور ، حوالى ١٨١٣ قبل الميلاد ، تمكنت من أن تحكم آشور بشكل مستقل ، حتى قضى على استقلالها المالك «حمورابى» ، وتشير النصوص المسمارية - وخاصة تلك التي كشف عنها في مارى ، الى قوة شخصية «شمشى - أداد» وحكته السياسية . حتى تمكن من تأسيس دولة سيطرت على المنطقة الشمالية والغربية من العراق القديم ، حيث قهر أقاليم مارى و «ترقا» ووادى الخابور ، ربما في نهاية العقد الاول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وهذا ضم الى دولته مملكة «مارى» ، وعين ولده الاصغر نائبا عنه فيها (١٩) *

هذا وكانت علاقة الاشوريين وقت ذاك مع مملكة «قرقميش» (جربلس الحالية) و «قطننة» - وهي تل المشرفة الحالية ، على مبعده ١٦ كيلا شمال شرق حمص (٣٠) - علاقة ودية ، اتسمت بنشاط تجارى بين الفريتين ، غير أن العلاقات الاشورية مع مملكة «يمخد» - وعاصمتها حلب - انما كانت علاقات عدائية ، وذلك بسبب وقوف «يمخد» الى جانب ملوك مارى ضد الاشوريين *

وعلى أية حال ، فلقد تمكن «شمشى - أداد» الاول من بسط نفوذه على المحافة الشرقية من بلاد آشور ، كما قام بعده حملات على القبائل الجوتية . كما أقام علاقات ودية في سنواته العشر الاخيرة مع الملك البابلى «حمورابى» * وربما اضطر الى أن يعترف بسلطانه في أخريات أيامه ، وعلى أية حال ، فلقد روت نصوصه أنه تلقى في عاصمته نينوى

(١٩) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧ ، وكذا H. Lewy, in CAH, II, Part, 2, 1971, P. 712.
20) A. H. Gardiner, Onom I, 1947, P. 166.

— والتي أصبحت عاصمة آشور وقت ذاك ، ولأول مرة — جزى ملوك «توكريش» وملوك القطر الاعلى ، كما أقام نصباً باسمه في منطقة لبنان (لا — أب — آ — آن) على شاطئ البحر الكبير (البحر المتوسط) ، ومن ثم ، فاذا صحت روايته هذه ، فإن توسعه إنما يعد أقدم توسع آشوري في بلاد الشام •

هذا وكان «شمشي أداد الاول» يظن في نفسه أنه الخادم المختار للمعبود انليل — معبود مدينة نيبور — ومن ثم فقد شيد في هذه المدينة ، على أنقاض معبد قديم ، معبداً جديداً ، للاله انليل ، وقد أطلق عليه اسم «بيت الثور الوحشي لكل البلاد» ، كما أطلق على المدينة اسم «شوبات انليل» بمعنى «مسكن انليل» •

وجاء بعد «شمشي — أداد» الاول ، ولده «ايشمي داجان» الاول (١٧٨٠ — ١٧٤١ ق م) ، والذي حكم قرابة أربعة عقود من الزمان ، غير أنه فشل في الحفاظ على دولة أبيه ، ومن ثم فقد أنسلخت بعض الاقاليم عن سيطرته ، وعقد حلف بين مملكة «يخذ» و «اشنونا» ضده ، هذا فضلاً عن أن «حمورابي» إنما كان يعمل وقت ذاك على توحيد جميع الدويلات العراقية في دولة مركزية واحدة ، مركزها بابل ، ومن ثم فقد اصطدمت سياسته مع آشور وغيرها من الدويلات المستقلة ، وقد نجح ، آخر الامر ، في القضاء على استقلالها ، وضمها الواحدة بعد الاخرى الى حدود دولته (٢١) •

وكانت المرحلة الثالثة من العصر الاشوري القديم ابان خضوع آشور لبابل على أيام حمورابي ، وربما استقلت آشور عن بابل بعد وفاة حمورابي ، غير أن الامور كانت فيها مضطربة ، كما كانت حدودها

(٢١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٢ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ ، وانظر عن نوحيد «حمورابي» للعراق القديم (اعلاه ص ٢٢٢ — ٢٢٨) • وكذا
ANET, P. 274.

مقصورة على بلاد آشور الأصلية ، وظل الأمر كذلك حتى اعتلاء
 «بوزور — آشور» الثالث العرش في عام ١٥٢١ قبل الميلاد ، حيث يبدأ
 العصر الآشوري الوسيط (٣٢) .

٣ - العصر الآشوري الوسيط

تميز العصر الآشوري الوسيط ، والذي دام أكثر من ستة قرون
 (١٥٢١ — ٩١١ ق م) بأحداث هامة وتغيرات سياسية وعسكرية
 واجتماعية وحضارية هامة كذلك ، فمن الضعف إلى القوة ، ومن التدهور
 الاقتصادي إلى الانتعاش والرفاهية ، ومن الجمود والركود الحضاري
 إلى الازدهار ، ومن التبعية والاحتلال إلى السيادة ، كما أن هذه الفترة
 من تاريخ العراق القديم إنما تعاصر أحداثا هامة من تاريخ الشرق الأدنى
 القديم ، فهي تعاصر في مصر عصر الدولة الحديثة (عصر الامبراطورية
 المصرية) في أعقاب طرد الهكسوس ، حتى انهيار الامبراطورية المصرية
 (١٥٧٥ — ١٠٨٧ ق م) ، وهي تعاصر أيضا الامبراطورية الحيثية ، ثم
 هي تعاصر الكاشيين في جنوب العراق الذين كثيرا ما نازعوا آشور
 السلطان .

هذا وكان من القوى الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة ، وأثرت
 كثيرا في بلاد آشور ، قوة «الحوريين» ، وهم قوم من منطقة القوقاز ،
 انتشروا في بلاد الاناضول وسوريا وأعلى ما بين النهرين وشرقي بلاد
 آشور ، وأقاموا دولة قوية هي «الدولة الميتانية» ، واتخذوا من مدينة
 «واشوكاني» (Washukkanni) عاصمة لهم ، وهي «تل الفخارية»
 (Tell - Fekheriya) الحالية، وقد استغلت الدولة الميتانية ضعف الامبراطورية
 الحيثية وانقساماتها الداخلية ، فمدت نفوذها على المناطق الواقعة فيما
 بين بحيرة «وان» (Lake Van) وأواسط الفرات ، ومن جبال زاغروس
 وحتى الساحل السوري ، وكانت بلاد آشور من المناطق التي وقعت
 تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة ، ومع ذلك فلقد ذكرت قوائم الملوك

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ .

الاشوريين أسماء عدد من الملوك الذين حكموا في بلاد آشور في فترة السيطرة الميثانية ، وربما كانوا ملوكا محليين تابعين للملوك الميثانيين المحتلين .

غير أن قوة الدولة سرعان ما انتابها الضعف ، وانقسمت الى دويلتين ، الواحدة تسيطر على منطقة بحيرة وان ، والاخرى تسيطر على بلاد آشور وأجزاء من سورية ، وقد استغلت آشور هذا الضعف واستقلت عن الميثانيين ، ثم تمكنوا بعد فترة من القضاء على الدولة الميثانية وضم أراضيها الى الدولة الاشورية ، وقد تم ذلك على يد الملك «(أشور أو بلط)» (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) الذي انتصر على الملك «(أرتاتاما الثاني)» (١٣٦٦ - ١٣٥٩ ق.م) ، كما أعاد بناء الدولة الاشورية ، حتى غدت قوة يحسب حسابها في المنطقة ، ثم سرعان ما عقدت معاهدة مع بابل ، والتي كان يرى ملكها «(بورنا بورياش الثاني)» أن آشور من مواليه ، ولكنه اضطر فيما بعد أن يتقبل الوضع الجديد ، وأن يتزوج من ابنة «(أشور أو بلط)» التي أنجبت له «(كدشمان خاربى)» الذي تلاه على العرش البابلى ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم تدخل جده «(أشور أو بلط)» فغضى على الثورة ، وأقام حفيدة الثانى الملك «(كوريجالزو الثانى)» مكانه على عرش بابل ، كما أشرنا من قبل .

وأخيرا ، فإن المؤرخين انما ينسبون الى «(الملك آشور أو بلط)» أنه أول من استعمل كلمة «(أشور)» مسبوقة بعلامة القطر ، اسما لدولته ، كما جاء ذلك على خاتم اسطوانى ، وأما الاسم القديم «(سوبارتو)» فقد أصبح مقصورا على جزء صغير من ميثانى في شمال بلاد النهرين (٢٣) .

(٢٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٩ - ١٣١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٥ ، ل. دبلابورت : المرجع السابق ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٣ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229, 233.

وجاء بعد ذلك على عرش آشور مجموعة من الملوك العظام ، عمل البعض منهم على توسيع سلطان الآشوريين الى جهات الشرق الأدنى القديم ، فنشأت بذرة الامبراطورية الآشورية التي نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان أول هؤلاء الذين خلفوا «(أشور - أو بلط)» الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق م) الملك «انليل - نراري» (١٣٢٩ - ١٣٠٨ ق م) والملك «(أدد - نراري)» الأول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق م) والملك «(شلمنصر الأول)» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق م) (٢٤) . والذي يعد من أعظم الملوك الآشوريين ، لاسيما في ميدان الفتوحات الخارجية ، فلقد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الاقوام الجبلية ، وعلى «ملكة» (أورارتو) (Urtu) (أرمينيا) ومملكة «خاني جلابات» (Khanigabat) الميتانية التي ضمت أراضيها الى الدولة الآشورية وأما أهم أعماله المعمرانية فكان تأسيس مدينة «كالخ» (كلخو = كلخو = نمرود) ، واتخاذها عاصمة له (٢٥) .

وجاء على عرش آشور بعد «(شلمنصر الأول)» ولده «توكلتى نينورتا الأول» (Tukulti - Ninurta) (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق م) الذي اتبع سياسة أبيه في حملاته العسكرية ، وتقدمين حدوده الشمالية والغربية ، ومن ثم فقد امتدت معاركه شمالا بغرب حتى بحيرة «وان» (فسان) ، وغربا حتى مارى وقبائل الاخلامو ، التي قاتلتها من قبل جيوش أبيه ، هذا فضلا عن نهجه لسياسة تهجير سكان الاقاليم والبلدان المتمردة الى أماكن أخرى ، وهى السياسة التي سار على منوالها الملوك الآشوريين من بعده ،

J. Laessoe, Op. Cit., P. 82-92.

Delaporte, Les Hittites, P. 93 F.

(٢٤) انظر هذه التواريخ (ليو أوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ص

٤٥٧ - ٤٦٢) .

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٦ ، عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ص ٥٠٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٥ - ١٧٦ ، وكذا

J. M. Munn - Rankin, Assyrian Military Power, 1300-1200 B. C., in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980, P. 279-284.

وأما بالنسبة الى بابل ، فلقد ساءت العلاقات بين الكاشيين والبابليين ، وانتهت الادور بسيطرة الاشوريين على بابل ، ودخولها تحت النفوذ الاشوري المباشر ، وذلك بعد هزيمة الملك البابلي «كاشتلياش الرابع» (Kashtiliash, IV) (١٢٤٣ - ١٢٣٥ ق م) .

وقد سجل الملك الاشوري نصره على بابل في نقش جاء فيه «معتدا على آشور وانليل وشمش ، الالهة العظمى ، سادتي ، وبمساعدة عشتار . ملكة السماء والارض ، التي سارت على رأس الجيش ، وأجبرت كاشتلياش حاكم «كار - دونياش» (بابل) على القتال ، وهزمت كتائبه وقهرت جيشه ، وفي وسط المعركة قبضت يداي على كاشتلياش . الملك الكاشي ، وداست أقدامى على رقبته الملكية كأنها مسند قدم ، وأحضرتة أسيرا مقيدا أمام آشور ، سيدى ، ووضعت سومر وأكد الى نهاية حدودهما تحت سلطاني» . ومن ثم فقد انتحل الملك الاشوري «توكلتي نينورتا الاول» ألقاب «ملك كرديناش ، ملك سومر وأكد ، ملك سيجار وبابل ، ملك تلمون وملوخوا» ، كما أقام لنفسه عاصمة جديدة أصفى عليها اسمه ، هي «كار - توكلتي - نينورتا» ، على مبعدة ٣ كيلا من مدينة آشور ، غير أن السنوات الاخيرة من حكم «توكلتي - نينورتا الاول» كانت غامضة ، وربما وقعت مؤامرة غامضة في آشور ، حيث ثار عليه ولده وقتله (٢٦) .

وهكذا دخلت آشور في فترة ضعف واضمحلال ، وتقلصت حدودها حتى أن الملوك الاشوريين لقبوا بأنفسهم بلقب «ايشاكو» - بمعنى الحاكم - وقد شهدت هذه الفترة نهاية الاسرة الكاشية ، وقيام أسرة

(٢٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ ، وكذا J. M. Munn, Op. Cit., P. 284-288.
J. Laessoe, Op. Cit., P. 97.
G. Roux, Op. Cit., 243-244.
S. Smith, Early History of Assyria, London, 1928.
G. Dossin, in Iranica Antiqua, II, 1962, P. 149 F.

جديدة في بلاد بابل هي «أسرة ايسين الثانية» ، وانتهزت بابل الفرصة وشارت على الساطة الاشورية ، ولم تكتف بنيل استقلالها ، وتخلصها من المفوذ الاشوري ، وانما فرضت نفوذها على آشور حينما من الدهر، هذا فضلا عن استراداها لكرامتها الدينية باسترداد تمثال معبودها الاكبر «مردوك» ، وان قنعت بهذا النصر ، لتتقى أطرافها الجنوبية من العيلاميين (٢٧) .

على أن الامور سرعان ما تتغير في عام ١١١٥ قبل الميلاد ، عندما يعتلى عرش آشور الملك «تجلات بلاسر الاول» (Tiglath - Pileser, I) (١١١٥ - ١٠٧٧ ق م) - أول ملك آشوري يقود جيشه حتى البحر المتوسط (مع الاخذ في الاعتبار أن محاولة «شمشى أداد الاول» مازالت في مرحلة الحدس) - وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «تجلات بلاسر الاول» في القضاء على الاخطار المهدقة بالدولة الاشورية ، كأقوام «المشكو الفريجيين» التي كانت تتدفق بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى ، فضلا عن القبائل الجبلية التي كانت تمددها بالعون ، ومن ثم فقد مد حدوده حتى بحيرة «وان» (فان = Van) ، كما ضم الى مملكته بلاد الارمن ، وفي نفس الوقت ، فلقد استطاع «تجلات بلاسر الاول» أن يقضى على أخطار المدن السورية التي كانت تعرقل التجارة الاشورية ، وعلى القبائل الآرامية التي كانت تغير على حدوده الغربية، بل ان الرجل انما نجح كذلك في أن يستولى على بابل نفسها ، وعلى بعض المدن الشمالية الكبرى مثل «دوركوريكالزو» و «سييار شمش» و «سييار - أنونيتوم» و «أوبس» ، ورغم ذلك فان آشور لم تقض على بابل أو تعاملها معاملة الاعداء المهزومين .

وانطلاقا من كل هذه الانتصارات ، فلقد زعم لنفسه عدة أوصاف وألقاب ، فوصف نفسه بأنه «الملك الحق لوجال كالاجا» (وفي الاكدية :

(٢٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ .

شارودانو) ، ملك العالم ، ملك أشور ، ملك الاطراف الاربعة ، البطل الماهم ، المؤيد بوحى أشور ونيورتا ، والارباب الكبار سادته ، الذين دحروا أعداءه» •

ثم يقول «قهرت يداى من خلف نهر الزاب الاسفل ، حتى النهر الشمالى الذى يقع الى الشمال ، ثلاث مرات سرت ضد بلاد نيرى ، وجعلت ثلاثين ملكا من نيرى يسجدون عند قدمى ، وأخذت منهم أسرى» وتسلمت منهم خيلا ، وخرضت عليهم جزية وهدايا ، ثم سرت الى لبنان وقطعت أشجار الارز لمعبدى «أنو» و «أداد» الالهين العظيمين ، سيدى ، وجئت به ، واتجهت الى بلاد أمورو ، واستوليت على جميع بلاد أمورو ، وتسلمت جزية جبيل وصيدا وأرواد» ، وفى «سيميريا» ركب العاهل الاشورى «بحر أمورو العظيم» (البحر المتوسط) ، ثم اتجه الى البر ، وقتل فى طريقه «حصان البحر» أو «درغبالا» ، كما اصطاد بعض من أمراء وحكام بلاد النهرين الثور البرى فى جبال لبنان (٢٨) •

هذا وقد انفسح المجال أمام أشور فى هذا الوقت نتيجة ظاهرتين، الواحدة : انكماش القوة المصرية المضاربة ، بعد كفاحها العنيف مع شعوب البحر (٢٩) ، ونتيجة لمشاكلها الداخلية ، وانكماش نفوذها بالتالى فى شمال شورية ، والاخرى : خمود حمية شعوب البحر، خلفاء الحيثيين فى آسيا الصغرى ، وزوال هيبتهم من نفوس جيرانهم، وترتب

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧ ، فيلب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٥٠ ، لبنان فى التاريخ ص ١٧٣ ، وكذا A. L. Oppenheim, Op Cit., P. 275. D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1968, P. 300 F J. Lewy, in HUCA, 19, 1946, P. 476 ARAS, I, 1927, Parag. 302.

(٢٩) انظر عن شعوب البحر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٥ - ٢٤٣ ، مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٧٣ - ٣٨٤) •

على هاتين الظاهرتين ، أن زعمت حوليات «تجلات بلاسر الاشوري» أن آشور وأربابه العظام منحوه البأس والسلطان ، وأوحوا اليه بأن يعمل على توسيع حدود أرضهم ، ومن ثم فقد أخضع اثنين وأربعين شعباً ، وحارب ستين ملكاً وانتصر عليهم ، وأنه قد هاجم أرض «نايري» (في أرمينيا ؟) وأجبر أمراءها الثلاثين على أن يسجدوا عند قدميه ، واحتجز أبناءهم رهائن عنده ، وأنه بلغ جبال لبنان ، وغزا أرض أمو و ، وتلقى جزى جبيل وصيدا وأرواد ، ثم هاجم أرض خاتى الكبرى ، وفرض الجزية على ملكها «ايل تشوب» ، وغزا الصحراء بذييله ورجاله ، وبعث من ربه آشور ، وهاجم «الاخلامو - الاراميين»^(٣٠) ، من أرض سوخي حتى قرقيش ، وأسر منهم وقتل ونهب ، وانتحر على ست مدن من مذهبهم على سفح جبل بشري ، وحرقها ودمرها ونقل غنائمهم الى آشور ، وهاجم في نهاية حكمه «الاخلامو - الاراميين» ثمانين وعشرين مرة ، بحيث عبر الفرات مرتين في عام واحد ، وتغلب عليهم من «تدمر»^(٣١) في أرض «أمورو» و «عنات» في أرض سكي ، حتى مدينة رابيقو في كاردونياش (بابل ؟) ، وقد جرب حظه مع بابل نفسها ، فانهزمت جيوشه أمام جيوش ملكها «مردوك - نادين - آخي» حيناً ، وانتصرت عليه حيناً آخر ، ودخاتها لأمد قصير^(٣٢) .

ومن المبدى أن حوليات «تجلات بلاسر الاول» لم تخل من ادعاء واضح في تعداد الشعوب التي أخضعها ، والتي قد لا يزيد أغلبها على مدن وقبائل متفرقة ، وفي تأكيد انتصاراته المستمرة ، على الرغم من أن تعدد حروبه مع جماعات بعينها ، مثل جماعات الاراميين : انما يدل

(٣٠) انظر عن «الاخلامو - الاراميين» (محمد بيومي مهران : بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٩٠ - ص ١٩٩ - ٢٠٠) .
(٣١) انظر عن «تدمر» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ ص ٥٣٣ - ٥٤٠) .
(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ، وكذا D D. Luckenbill, Op. Cit., P 271, 287, 300 F.

على عجزه عن الوصول الى نتائج حاسمة معهم ، غير أن هذه الحوليات ، لم تخل في الوقت نفسه من أهمية تاريخية في تصوير مناطق انتشار الاراميين بين قرقيش وتدمر وبابل ، ولم تخل من دلالتها على خطة رسمت طريق التوسع الاشوري بعد عهده ، في جنوب شرق آسيا الصغرى ولبنان وشمال سورية ، اشباعا لشهوة المجد ، والافادة من أخشابها ، وضمان تنفيذ مواثيقها التجارية لرغبات آشور ، أو على الأقل ، لضمان تعاملها معها ، وإن كان «تجلات بلاسر» قد عبر عن هذا الضمان بتلقى جزاها ، وكانت سياسته في معاقبة أعدائه نبراسا متواضعا للمعاملة الاشورية حين بلغت عنفوانها ، فكررت حولياته أنه حرق مدنا ، وشرد أهلها وقطع رؤوس زعمائها وعلقها على أسوارها واعتتر أبناء المستسلمين له رهائن عنده (٣٣) .

وعلى أية حال ، فإن أعمال «تجلات بلاسر الاول» لم تكن مقصورة على الحروب فحسب ، وإنما شملت كذلك مشاريع عمرانية ، لعل من أهمها تعمير العاصمة الاشورية القديمة «آشور» التي انتقل اليها ، واتخذها عاصمة لادبراطوريته ، هذا فضلا عن تجديد أسوار «نينوى» التي ددمت ، كما بنى — أو بنى له رجاله — قصرين ، فيما بين سورية والعراق ، الواحد في «تل برسيب» (تل أحمر) ، على الضفة الشرقية للفرات جنوبى قرقيش ، والآخر في «خادانو» (أرسلان تاش) ، على مقربة من تل برسيب وقرقيش ، وزخرفوا جدران القصرين برسوم حروبه ورحلات صيده وأساطير قوته ، وتأثروا فيها الى حد ما بالادلوب السورى ، كما ذكرت نصوصه أنه أمر باستيراد نباتات جديدة لقرع في بساتينه ، واستيراد قطعان من الماعز الجبلية لتطلق في ساحات الصيد والقنص المخصصة له (٣٤) .

(٣٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ .
(٣٤) طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٧ ، هنرى عبود : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٣٠٠-٣٠١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ ، وكذا
J. Laessoe, Op. Cit., P. 57.
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 464.

غير أن فترة الانتعاش والقوة العسكرية هذه ، سرعان ما انتهت باغتيال «تجلات بلاسر» الاول ، وبالتالي فقد دخلت آشور ثانية في فترة ضعف وارتباك سياسى واقتصادى ، دامت حتى نهاية العصر الاشورى الوسيط فى عام ٩١١ قبل الميلاد •

(٤ - التشريعات الاشورية

عُثِرَت البعثة الالمانية فى حفرياتها فى مدينة «أشور» فى الفترة (١٩٠٣-١٩١٤م) على لوحات تشريعية نسخت على الطين (Clay Tablets) وليس على لوحة حجرية (Stela) لتشريعات حمورابى - ترجع الى أيام الملك الاشورى «تجلات بلاسر» الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق م) • وان ردها البعض الى ما قبل عهده بزمان طويل ، وربما الى أواسط الالف الثانية قبل الميلاد ، وردها فريق ثالث الى الفترة فيما بين عامى ١٤٥٠ - ١٢٥٠ ق م، ومن ثم فهى تعود الى العهد الاشورى الوسيط •

وهناك مصادر أخرى للتشريعات الاشورية -، جاءتنا من الوثائق والمستندات القانونية التى وجدت كذلك فى آشور - وتشبه لغة القوانين الاشورية من هذا العهد الوسيط ، لغة السجلات الملكية التاريخية، ولكنها غفلت من أية اشارة أو دلالة الى معرفة مقننها أو مشرعيها ، ولكن يستنتج منها أن أحكامها كانت سارية فى مدينة آشور ومجاوراتها، وهى - بحالتها التى وصلتنا بها - لا تؤلف قانونا كاملا ، أو وحدة قانونية ، مثل قانون حمورابى ، وموادها لا تكمل بعضها البعض الاخر ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مواد القانون الاشورى لم تكن فى الاصل سوى قرارات أو أقضية سابقة صدرت بخصوص قضايا معينة ، فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية •

وعلى أية حال ، فالمعروف أن المكتشف حتى الان من القوانين الاشورية انما هو جد قليل ، لا يتفق وشهرة الدولة الاشورية وانجازات ملوكها ، ويرجح البعض أن ذلك انما كان بسبب اعتماد الاشوريين على

القوانين السابقة — وخاصة قانون حمورابى — وآية ذلك اكتشاف استنساخ لفقرات من قانون حمورابى فى مكتبة الملك «أشور بانيبال» الشهيرة ، كما أن المجموعة القليلة المعروفة لنا من القوانين الاشورية انما تتفق فى أحكامها مع القوانين البابلية التى سبقتها بنحو ألف عام ، هذا فضلا عن انهماك الملوك الاشوريين فى الشئون العسكرية والعمرانية التى شغلتهم الى حد ما ، عن شئون الادارة والتنظيم ، ومنها اصدار القوانين ، الى جانب أن الاشوريين انما قد حكموا امبراطورية واسعة ضمت شـوبا وأما مختلفة ، ذات ثقافات وأفكار وعادات تبائية، الامر الذى يـذكره ، الى حد ما ، ايجاد المبادئ القانونية التى يمكن أن تجتمع عليها شعوب الامبراطورية •

ومع ذلك كله ، فهناك مجموعتان رئيسيتان من القوانين الاشورية، الواحدة ترجع الى العهد الاشورى القديم (حوالى ٢٠٠٠ — ١٧٥٠ ق.م) ، وقد عثر عليها فى المستوطنة التجارية الاشورية فى «كانش» (كول تبة) فى آسيا الصغرى ، وهى مواد ترتبط بقضايا الشئون الاقتصادية ، وخاصة التجارية ، ورغم أنها لم تكتشف فى آشور ، غير أن طبيعة النصوص ، فضلا عن لغتها ، انما تشير الى أنها من نفس القوانين التى كانت تسود آشور •

وأما المجموعة الثانية ، فهى التى كشف عنها فى مدينة آشور فى الفترة (١٩٠٣ — ١٩١٤م) ، كما أشرنا آنفا ، وقد تعرضت هذه القوانين لما تعرضت له القوانين السابقة من شئون الاسرة وأمور البيع والشراء والمثروخ والرهون والاعتداء على الغير — أدبيا وماديا — وأنها قد سخرت كثيرا من العقوبات العامة والخاصة لصالح الدولة ، ومن ثم فقد سخرت المذنبين فى أعمال الملك (مشاريع الدولة) لفترات تتراوح بين عشرين وأربعين يوما ، وهددت بالخصى والاعدام على الخازوق فى بعض عقوباتها ، وأجازت رهن أفراد الاسرة ضمانا للديون ، وحرمت

الاشتغال بالسحر ، وجعلت عقوبته الاعدام ، ولأمر ما جعلت أمور النساء محورا لعدد كبير من بنودها ، وأساعت الظن بهن الى حد كبير .

وهكذا قضت على زوجة الرجل الحر ، سارقة المعبد ، أن ترد المسروقات ، وأن ينفذ فيها قضاء اله المعبد (مادة ١) ، وأما اذا جددت أو تدخلت في حديث لا رابطة له ، فانها تتحمل العقوبة وحدها ، ولا وزر ، على زوجها أو أولادها (مادة ٢) ، واذا سرقت امرأة من بيت زوجها المريض أو الميت ، وسلمته الى رجل آخر ، فانها يعدمان ، أما اذا كان زوجها حيا ، فعلى الزوج أن يقيم الاتهام ، وله أن يوقع عليها العقوبة المناسبة (مادة ٣) وأما اذا تسلم المسروقات من الزوجة عبدا أو أمة ، يقطع أنف العبد أو الامة ، وتصلم أذناهما ، عوضا عن المروق ، كما يصلم الزوج أذننى زوجته ، أو يعفو عنها ، وعندئذ يشمل العفو العبد أو الامة ، ولا ترد المسروقات ولا يعوض عنها (مادة ٤) ، وأما اذا سرقت الزوجة من بيت رجل آخر شيئا يزيد قيمته عن ٥ مينا من الرصاص ، فلزوجها حرية افتدائها ، على الا يصلم أذنيها ، فاذا لم يرغب زوجها في افتدائها ، فان صاحب المسروقات يأخذها ويقطع أنفها (مادة ٥) ، كما نصت القوانين على أنه اذا كان للزوجة وديعة بالخارج فان مستلم الوديعة يعتبر سارقا (مادة ٦) ، وقضت على من تضع يدها على مواطن بتغريمها ٣٠ مينا من الرصاص ، وجلدها عشرين عصا (مادة ٧) فاذا أصابت خصيته قطعوا اصبعها ، واذا أضرت الخصيتين ففأوا عينيها الاثنتين .

وقضت الشرائع على من يضع يده على زوجة آخر ، وعاملها كما يعامل الطفل ، فانهم عند مطاردته واتهامه يقطع أحد أصابعه ، فان كان قد قبلها تسحب شفته السفلى بحد سلاح باطة وتقطع (مادة ٩) ، وأما اذا دخل رجل وامرأة بيت رجل آخر ، وقتلا ، أو قتل أحدهما رجلا أو امرأة ، فان المقتلة يسلمون الى «سيد الحياة» ، وله أن يحكم بالاعدام أو العفو ، بشرط الاستيلاء على ما يملك أو تملك ، فاذا لم يكن لدى

المقاتل ، أو القاتلة ، ما يؤخذ منه ، فعندئذ يخصى ابنه أو ابنته (مادة ١٠) •

ونصت المادة (١٢) أنه إذا أمسك رجل بسييدة تسير في الطريق ، وراودها عن نفسها ، فرفضت ودافعت عن نفسها ، ولكنه اغتصبها عنوة ، يعدم ، ولا لوم على المرأة ، وأما إذا تركت امرأة بيت زوجها وترددت على بيت رجل آخر ، فان اضطجع معها ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقتل كلاهما (مادة ١٣) وأما إذا اضطجع معها في ماخور المعبد أو في الطريق ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقضى عليه بمثل قضاء الزوج في زوجته ، فإذا لم يعلم أنها زوجة ، فلا جريمة على الزانى ، وللزوج أن يوقع العقوبة التي يراها على زوجته (مادة ١٤) وأما إذا ضبط رجل رجلا آخر مع زوجته ، وأثبت الاتهام ، يعدم الاثنان ، وأما إذا جرى بالزانى الى حضرة الملك أو أمام القضاة وثبت الاتهام ، فيحكم على الزانى بما يحكم زوج المرأة عليها ، فان قتلها قتل ، وان صلم أذنيها ، خصى وشوه وجهه ، وان عفا عنها عفى عنه (مادة ١٥) ، وأما إذا كان الفعل برضى الزوجة ، فلا لوم على الزانى ، وللزوج أن يوقع على زوجته العقوبة التي يراها ، أما إذا زنى بها عنوة ، فان عقوبته عند رفع الدعوى راثبات الاتهام تكون مماثلة لعقوبة الزوجة (مادة ١٦) •

وقضت المادة (١٧) باختبار النهر على من يتهم امرأة رجل آخر بالزنى مع كثيرين ما لم يثبت ذلك بشهود ، وأما إذا قال ذلك سرا لجاره ، وزعم أنه لديه على ذلك شهودا ، فان لم يفعل يجلد أربعين جلدة بالعصا ثم يسخر شهرا في عمل الملك ، ثم يخصى ويدفع غرامة وزنة من النحاس (مادة ١٨) ، وأما إذا اتهم رجلا بأنه مأبون ، توقع عليه نفس العقوبة ، ويزيد الجلد الى خمسين (مادة ١٩) ، وأما إذا اضطجع رجل مع جاره وأقيمت عليه الدعوى وأثبت الاتهام ، فانهم يضطجعون معه ، ثم يخصى (مادة ٢٠) •

ونصت الشرائع على أن من يتسبب في اجهاض ابنة رجل آخر ،

يدفع وزنتين وثلاثين مينا من الرصاص ، ثم يجلد خمسين جلدة بالعصا ، ويسخر شهرا في خدمة الملك (مادة ٢١) ، وأن من يدفع امرأة الى الدعارة ، وهو لا يعلم أنها زوجة ، ويقسم على ذلك ، يدفع وزنتين من الرصاص الى زوجها ، فان كان يعلم أنها زوجة ، يدفع التعويض ، ويقسم على أنه لم يضاجعها ، فاذا أقرت المرأة على ذلك ، فانه بعد دفع التعويض يؤخذ الى النهر ، فان عاد منه يعامل نفس المعاملة التي عامل بها الرجل الاخر زوجته (مادة ٢٢) ♦

ونصت المادة (٢٣) انه اذا أخذت زوجة رجل زوجة رجل آخر الى بيتها ، وسلمتها الى رجل ليضطجع معها ، وكان الرجل يعرف أنها زوجة رجل ، يعامل كمن يضطجع مع زوجة ، وتعامل صاحبة البيت كزانية ، ومع ذلك اذا لم يوقع الزوج عقوبة على زوجته الزانية ، فلا عقوبة على الزانى ، ولا على صاحبة البيت ويطلق سراح الزانى ، أما اذا كانت الزوجة لا تدرك الموقف ، وأن صاحبة البيت أتت بالرجل عن طريق الحيلة واضطجع معها ، فاذا أعلنت عند خروجها من البيت أنها اغتصبت يطلق سراحها ، ويقتل الزانى وصاحبة البيت ، أما اذا لم تعلن الزوجة أنها اغتصبت ، يوقع عليها زوجها العقوبة التي يراها ، ويقتل الزانى وصاحبة البيت ، وقضت المادة (٢٤) انه اذا شردت امرأة من بيت زوجها الى بيت رجل عادى (أشورى) ، وبقيت معه ثلاثة أيام ، كان لزوجها أن يشوه أذنيها أو يعنف عنها ، وأن يطالب بصلم أذنى من آرتها ، وتغرم زوجها ان كان شريكا لها بغرامة كبيرة ♦

ونصت المادة (٢٥) أنه اذا مات زوج امرأة ، وليس لها ولد ، وكانت تعيش في بيت أبيها ، ولم يقسم أخوتها الميراث بعد ، فان من حقهم أن يستتلوا على الاملى التي منحها زوجها اياها ، وأن يقيموا دعوى لاسترداد ما بقى ، وليس هناك ما يكرهم على الالتجاء لأختبار النهر أو اجراء القسم ، أما اذا كانت المرأة تعيش في بيت أبيها ، ومات زوجها ، وكان له ذا الزوج أولاد ، فانهم يأخذون الحلى التي كان

زوجها قد أعطاها اياها ، فاذا لم يكن له أولاد ، فانها تأخذ الحلى
لنفسها (مادة ٢٦) ، أما اذا كانت المرأة تعيش في بيت أبيها ، ويتردد
عليها زوجها ، فان منحة الزواج التي كان زوجها قد منحها اياها ،
يستطيع أن يستردها ، ولكنه لا يمس متعلقات بيت أبيها (مادة ٢٧) .

واعتبرت الشرائع الزوجة متضامنة مع زوجها في ديونه وأخطائه
وجرائمه (مادة ٣٢) ، ونصت المادة (٣٣) على أن المرأة التي مات
زوجها ، وهي تعيش في بيت أبيها ، فان كان لها أبناء بقيت معهم حيث
نشأ ، فاذا لم يكن لها أبناء فمن حق والد زوجها أن يتزوجها هو ، أو
يزوجها لأحد أبنائه ، فاذا كان زوجها أو أبوه ميتين ، وليس لها ابن ،
تصبح أرملة ، وتذهب حيث نشأ .

وقضت الشرائع على زوجة المحارب الغائب أن تنتظره خمس
سنوات ، فاذا كان لها أولاد ينفقون عليها استمرت في عصمته (مادة ٣٦)
أما اذا علمت بأسره ، فعليها أن تنتظره عامين فقط ، على أن يكفل القضاء
لها ما تتعيش به — ان كانت غير ذات ولد — سواء من ايجار أرض
زوجها أو داره ، أو معاشات القصر الملكي ، ثم يسمح لها بالزواج من
آخر ، على أن يستردها زوجها الاول ، ان عاد من الاسر (مادة ٤٥) .

وقضت الشرائع على من يغتصب فتاة بكرا بغير رضاها ، بتجريد
من زوجته ، وتسليمها الى والد الفتاة لينكحها من يشاء ، وبأن يسلمه
المعتدى مهر البكر ، فان شاء بعد ذلك زوجها له ، وان شاء زوجها لغيره
(مادة ٥٥) ، وأما اذا كانت العذراء قد أسلمت نفسها لرجل ، يقسم
الرجل ، بذاك ، فلا تمس زوجته ، ويعطى مغويها الثلث الاضافي فضة
ثمنا للعذرية ، ويعامل الاب ابنته على الصورة التي يرضاها (مادة ٥٦) .

وجعلت التشريعات للزوج ولاية كاملة على زوجته ، وسمحت له بأن
يعفو عنها ، اذا أخطأت أو يطبق عليها بنفسها العقوبات البدنية التي
فرضها القانون على مثل حالتها ، فاذا كانت هذه العقوبات مما يسبب

عاهات دائمة ، مثل فقع العين أو صلم الاذنين أو الجلد المبرح ، نفذها أمام القضاة ، وبحضور موظف مسئول ، فإذا أتت أمرا لم يتناولوه القانون ، جاز له أن يخلق شعرها أو يعرك أذنيها ، دون عقاب (مواد ٥٧ - ٥٩) •

وسمحت الشرائع لوالد الخطيب الذي فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الآخرين الذين بلغوا العاشرة ، أو أحد أحفاده من خطيبها المفقود ، ولا يحق له أن يزوجها بولد دون العاشرة ، إلا برضى أبيها (مادة ٤٣) ، وسمحت للارامل من غير ذات الولد، بأن تتزوج الواحدة من أحد أبناء زوجها (من زوجة أخرى ؟) (مادة ٤٦) •

وأصرت الشرائع على خروج الحرائر محجبات من الرأس الى القدم ، لاسيما اذا خرجن وحدهن ، وعلى أن تسلك الجوارى سبيلهن ، اذا اصطحن ساداتهن ، وأعفت من الحجاب الكاهنات اللائى وهبن عفافهن للمعبد ، ولم يتزوجن ، وحرمت على العاهرات والاماء تمام التحريم ، فإذا أتينه جردن من ثيابهن ، وضربن بالعصا ، وصب القار على رؤوسهن ، وأوجبت على المواطنين في هذه الحالة أن يقبضوا عليهن محجبات ، ويشهدوا عليهن ، وتوعدت من يتغاضى عن ذلك بجلده وتسخيره وثقب أذنيه (مادة ٤٠) ، واشترطت لحصانة المخضبة أن يشهد سيدها خمسة من جيرانه أو ستة ، على أنها أصبحت زوجته ، وحينئذ يحق لها أن تتحجب ، ويحق لابنائها أن يرثوا في اقطاعيته (مادة ٤١) •

ولم تهمل التشريعات جانب المعبودات ، فقضت على من تثبت عليه البينة بالتجديف وسب المعبد بضربه أربعين عصا ، وقضت على من يتهم آخر بـزده الخطيئة ويعجز عن اثباتها بنفس العقاب البدنى ، مع تسخيره في أعمال الملك شهرا •

واعترفت التشريعات برهن أفراد الاسرة في دين ، ولكنها حرمت على الدائن أن يزوج ابنة مدينه الرهينة ، دون موافقة أبيها ، فان مات

أبوها وانتقلت ولايتها الى اخوتها ، يستطيع هؤلاء أن يحرروها من الدين خلال شهر ، والا جاز للدائن أن يزوجه بمن يشاء ، أو يبيعها اذا جاء ذلك في نصوص الدين ، ولكنها حرمت عليه أن يبيع الرهينة قبل نفاذ الاجل ، وقضت عليه بالضرب والسخرة والغرامة وفقد دينه ، ان فعل ، فان ماتت الرهينة عنده ميتة غير طبيعية ، عوض أهلها عنها بمثلها (مواد ٣٩ ، ٤٨) •

واشترطت في البيوع العقارية أن يعلن المنادى عن العين المباعة ثلاث مرات خلال شهر ، حتى يتسنى لأصحاب الحقوق أن يسجلوا حقوقهم لدى المسجل الحكومي خلال هذا الشهر ، فان خلت العين من الالتزامات ، وجب تسجيلها في حضرة ممثل ملكي — أو وزير — وكاتب المدينة والمسجلين والمنادين ، اذا تمت الصفقة في العاصمة ، أو أمام عمدة أى بلد آخر ، وثلاثة من أعيانها •

واستمرت التشريعات في أحكام أخرى كانت لها أشباهها في التشريعات القديمة ، لاسيما في شؤون الموارث والايجارات والعمل وما إليها (٣٥) •

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٧ - ٥٠٩ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء السادس - الاسكندرية ١٩٦٧ ص ٨٢ - ٩٣ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٩ - ٣٠١ ، رضا جواد الهاشمي : القانون والاحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني ص ٨٢ - ٨٤ ، ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ٣٥٨ - ٣٦١ وكذا

T.J. Meek, The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966, P. 180-188.

E. F. Weidner, in AFO, 12, 1937, P. 50 F.

G. R. Driver and J. C. Miles, The Assyrian Laws, Edited With Translation and Commentary, 1935.

الفصل الثاني

عصر الامبراطورية

عصر الامبراطورية

يقسم المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية — والذي امتد ثلاثة قرون (٩١١ — ٦١٢ ق م) — الى عصرين ، الواحد : عصر الامبراطورية الاولى ، ويشمل الفترة (٩١١ — ٧٤٥ ق م) ، والثاني : عصر الامبراطورية الثانية ، ويشمل الفترة (٧٤٥ — ٩١٢ ق م) ، وان امتد رسميا حتى عام ٦٠٩ ق م .

أولا : عصر الامبراطورية الاولى

(١) اداد - نيرارى الثانى (٩١١ — ٨٩١ ق م)

يبدأ المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية الاولى بالملك «أداد — نيرارى الثانى» (٩١١ — ٨٩١ ق م) ، Adad - nirari ، والذي قام بحملة الى الارضين الواقعة جنوب الزاب بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية عليها ، وضمان أمن وسلامة الطرق التجارية القادمة من الجنوب ، فضلا عن اشعار سكان المنطقة وسكان بلاد بابل باستعادة الدولة الى أيام قوتها السابقة ، وقد حققت الحملة أهدافها ، وتمت السيطرة على مدينة «الربخا» (كركوك الحالية) وجعلت منها مقاطعة آشورية .

هذا وقد عمل «أداد — نيرارى — الثانى» على تأمين حدوده الجنوبية ، الامر الذى اضطره الى اشعال الحرب ضد بابل مرتين ، غلبتها جيوشه فى المرتين ، ثم عقد معها معاهدة حدودية ، اعترفت فيها بابل بسيادته على أرض السواد ، من الخابور فى الغرب ، الى ما يجاور بغداد فى الجنوب الشرقى ، ثم اتجه بعد ذلك نحو الغرب ، لاسترجاع الاشراف الفعلى لدولته على تخومها الغربية ، حول نهري الفرات والخابور ، حيث كانت القبائل الارامية — والتي وصفت فى النصوص الاشورية بأنهم أهل برارى — قد اقتطعت — هى وحلفاؤها — أجزاء من الاراضى الاشورية ، وسيطرت عليها ، ومن ثم فقد قام «أداد — نيرارى» — بحملة عليها وأخضعها ، وأعاد لآشور حدودها القديمة ،

كما استولى على عدد من المدن على طول نهر الفرات ، ثم توجه شمالا حتى وصل الى المنطقة التي كانت تعرف بمملكة «خاني جلابات» وتمكن من القضاء عليها ، وأسر أميرها ، وضم أراضيها الى حدود الدولة الاشورية^(١) .

(٢) توكلتي - نينورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م)

جاء «توكلتي - نينورتا الثاني» (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م) (Tukulti - Ninurta, II) على عرش آشور بعد أبيه «أداد - نيراري الثاني» ، وقد وجه همته لأقامة الحصون على الحدود ، حيث وضع حاميات قوية ، عني بأن تسيطر على المنافذ المختلفة الى الشمال والغرب ، حتى يضمن طرق التجارة عبر طوروس والى سورية ، وحتى يأمن تسرب لا تؤمن عواقبه .

هذا وقد نهج الرجل نفس السياسة التي انتهجها أبوه من قبل ، فبدأ بحملة على بلاد «نأيري» في الجنوب الغربي من بحيرة «وان» (فان Van) وأخرى الى المنطقة التي تقع فيما بين الزابين - الاعلى والاسفل - وثالثة الى بلاد بابل ، حيث وصل الى «دور كوريجا لزو» و «سييار» دون معارضة تذكر ، وقد استمر في زحفه غربا فشمالا ، حتى وصل نهر الخابور ومنطقة نصيين ، وأخيرا قام بهجوم على منطقة «مشكو» (مشكي - Mushki) في آسيا الصغرى ، وهكذا كانت آشور - عند وفاته - تشمل كل شمال العراق ، من الخابور حتى زاجروس ، ومن نصيين حتى عنات وسامرا^(٢) .

(١) عيد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١١ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وكذا

D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1926, Parag. 355-360.

G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 263.

J. A. Brinkman, Op. Cit., P. 181.

(٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٤ - ١٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢ ، وكذا

(٣) آشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م)

وجاء على عرش آشور بعدد «توكلتى - نينورتا الثانى» ولده «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) (Ashurnasirpal, II) وفى الاكديّة (Assur - Nasir - apli) ، بمعنى «الاله آشور يحمى ولده ووريثه»^(٣) ، وقد تميز عهده بازدهار حضارى وثقوى عسكرى ، حيث تشير النصوص المسمارية الكثيرة التى تركها لنا الى النشاط العسكرى الكبير الذى شغل النصف الاول من حكمه ، ورغم أن جزءا كبيرا من أخبار هذا النشاط قد فقد ، فان ما عثر عليه مدونا على ألواح فى معبد «نينورتا» فى مدينة «كالح» (نمرود) انما يلقى كثيرا من الضوء على الحملات العسكرية التى قام بها العاهل الاشورى ، وان دل - فى الوقت نفسه - على قسوة بالغة اشتهرت بها حروب الاشوريين ، وقد كتب مؤرخه يصف - مثلا - سقوط مدينة «كينابو» التى كان يحكمها «هولاي» ، «لقد قتلت ٦٠٠ من العساكر بحد السيف ، وأحرقت بالنار ثلاثة آلاف أسير ، ولم أبق على أحد منهم حيا ليصبح رهينة فى يدي ، وقد وقع أمير المدينة أسيرا فى يدي ، لقد كومت جثثهم حتى صارت فى علوها ، وكأنها برج ، وأحرقت فثيتهم بالنار ، وأما الملك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته دامداموسا ، وأما المدينة نفسها فقد دمرتها وحرقتها بالنار»^(٤) .

والواقع أن الاشوريين - كما صوروا أنفسهم - انما كانوا أشرس الشعوب الشرقية القديمة فى معاملة أعدائهم ، وهكذا - وكما رأينا من

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 400-430.

G. Roux, Op. Cit., P. 263.

A. Dupont - Sommer, Les Arameens, Paris, 1949, P. 18, 31.

W. Schramm, Die Annalen des Assyrischen Königs, Tukulti - Ninurta, II, Bi. Or, XXVII, 1970, P. 147-160.

3) J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 99, No. I.

G. Roux, Op. Cit., P. 267, No. I.

وأنظر
(٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

النص السابق — فلقد صبغت نصوص هذا الفاتح الاشورى انتصاراته بطابع القسوة الشديدة ، فتحدثت عن أن رجاله كانوا يسلخون جلود كبار الاعداء احياء ، ويثبثونها على آثارهم وأبواب عاصمتهم بالمسامير، وكانوا يعذبون بعضهم على الخوازيق ، ويقطعون أيديهم ، ويجمعون جماجمهم في أكوام ، ثم يحرقون مئات من الاسرى ، ولا يستثنون النساء ، ويجدعون أنوف آخرين ، ويصلمون آذانهم ، ويبترون أصابعهم ويفقأون أعينهم ، وان لم تمنع أمثال هذه المعاملة «أشور ناصر بال» (الثنائي) من أن يشيد بفضل أربابه في تأييده ، ويكرّر اهتمامه بتقديم القرابين اليهم ، وحرصه على تخصيص أخشاب أرز جبال أمانوس لأبناء احتفالات معابدهم ، ولسنا مضطرين بطبيعة الحال أن نأخذ بحرفية هذين الضدين من المعلومات ، ففي كل منهما مبالغة ، مبالغة في تصوير القسوة لتكون عبـرة ، ومبالغة في تصوير التقوى للتغطية على الاخطاء ، وما ينطبق من هذا الحكم على نصوص «أشور ناصر بال الثاني» ، ينطبق على نصوص غيره من الملوك القدماء^(٥) .

وعلى أية حال ، فلقد استهل «أشور ناصر بال الثاني» عهده بتجديد شامل للنظم العسكرية ، فكان جيشا جديدا ومتطورا ، شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الاشوريين ، بينما اعتمد سلاح العربات — الى حد كبير — على فرسان من الحلفاء ، وعن طريق هذين السلاحين اثبتق فن حصار المدن ، والذي تطلب تزويد الجيش بكالات حربية أشبه بالدبابات في الجيوش الحديثة ، الامر الذي لم يصل اليه من قبل ، شعب آخر في المنطقة ، فيما يرى سمث^(٦) ، وقد اعتمد تصميم هذه الالات أساسا على معول لهدم الاسوار ، وهو أتسبه ما يكون بالمدفع ، وقد ثبت في

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٣ .

(٦) عبد القادر خليل : السياسة الخارجية للملك أشور ناصر بال الثاني — المجلة التاريخية المصرية — المجلد ٣٤ — لعام ١٩٨٧ ص ٤٥ وكذا A. A. Olmstead, History of Assyria, New York, London, 1923, P. 81. S.M.A. Sidney, The Foundation of The Assyrian, CAH, III, 1965, P. 12.

هيكل مغطى بمواد مختلفة ، وقد وضع هيكلها بأكمله فوق عجلات تراوحت فيما بين أربع وست عجلات في القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن اقتصرت على أربع بعد ذلك^(٧) .

على أن هناك من يرى أن هذه الآلات — وان لم تظهر صورها على المدران الاشورية ، قبل عهد «أشور ناصر بال الثاني» — فلقد أشارت وثائق «ماري» و «بوغازكوي» الى استخدامها منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد^(٨) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد بدأ الرجل حملاته في الجبهة الشرقية،ومن ثم فقد قام بحملة نجحت في اخضاع الاقوام الجبلية ، ومدت النفوذ الاشوري الى ماوراء حدود آشور السابقة ، ويحدثنا الملك الاشوري أن قواته قد عبرت جبالا شديدة الانحدار ، وسلكت مسالك وعرة ، لم تمهد من قبل لمرور الجنود والعربات ، وأن هذه المناطق تسمى أرض «توم» (Tumme) وأن قلعتها تدعى «جوب» (Gubbe) ، وقد فر رجالها الى جبل شديد الانحدار ، لا تستطيع الطيور — من شدة ارتفاعه — أن تبلغ منتصفه ، ومع ذلك فلقد نجح الفارون في اقامة تحصيناتهم عند قمته ، غير أن جنود الملك ، وهو على رأسهم ، سرعان ما وصلوا اليه ، بعد أيام ثلاثة ، فدمروا معسكرهم ، وشنتوا شملهم، وصبغوا الجبل بدماء مأتين من قتلهم ، ثم استولوا على المدن الحصينة في أرض «توم» والتي تقع الى المشرق من آشور^(٩) .

ويتجه العاهل الاشوري بجيوشه الى منطقة «كيوري» (Kiriuri) في شمال آشور ، وهي منطقة كانت تابعة للسيادة الاشورية ، وكانت

7) T. Madhloum, Assyrian Siege-Engines, in Sumer, 21, 1965, P. 9 F.

8) T. Madhloum, Op. Cit., P. 9.

A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 81.

9) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 84.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143.

وكذا

وكذا

تمد الملك بالخيول والبغال والماشية والضأن وأوانى البرونز والخمر ويشير الملك الى أن منطقتي «جيلزان» (في شمال آشور) و «هوبوشيك» (في شمال غرب آشور) قدمتا له — أثناء وجوده في كيروى — جزبتها من الخيل والذهب والفضة والقصدير والنحاس والالوانى النحاسية ، الامر الذى يشير الى أن المنطقتين إنما بقيتا على الولاء لملك آشور^(١٠) ، وعلى أية حال ، فسرعان ما اتجه الملك الى أرض «كيرهى» Kirhi فعبّر ممر «هوارن» ، حيث لقي هناك مقاومة عنيفة ، ولكنه تمكن من الاستيلاء على «نيشتون» عاصمة «كيرهى» (غرب هوبوشيك) ، وفر رجالها الى جبل مرتفع ، وكأنه سحابة في السماء ، غير أن جنوده سرعان ما تعقبوا الفارين ، فأعدم الملك منهم ٣٦٠ رجلا ، وقطع رؤوسهم ، واستخدم جثثهم كلبونات في بناء الاعمدة ، ثم استولى على ممتلكاتهم ، وقبض على ملكهم «بيوى» بن «بوياء» ، وأخذ أسيرا الى مدينة «أربيل»^(١١) (Arbela) ، وهناك سلخ جلده حيا ، ونشره على جدران المدينة ، ثم أقام لنفسه تمثالا سجل عليه انتصاراته^(١٢) .

ثم أرسل «أشور ناصر بال الثانى» بعد ذلك ، حملتين لاختضاع منطقة زامو (Zamua) (وادي السليمانية) ، وإقليم «تشخان»^(١٣) — شمال غرب آشور — نجحتا في تثبيت السيادة الآشورية عليها ، كما اشتد الصراع بين «أشور ناصر بال الثانى» وبين «بيت زمانى» ، وقد أخضعها مؤقتا ، وكانت أقوى ولاية أمورية في الشمال هى بيت أدينى (بيت

10) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 85.

(١١) أربيل : هو الاسم الاغريقى للمدينة الآشورية «أربا الو» بمعنى «الالهة الاربعة» أى المدينة ذات الالهة الاربعة ، وكانت مركز العبادة أشتار المحاربة ، وتقع على سفح زاجروس ، ومكانها الآن مدينة «أربل» الحالية (هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية ص ٦٣) .

(١٢) عبد القادر خليل : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٢ وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143, Parag. 441.

(١٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

E. G. Kraeling, Aram and Israel, 1918, P. 53.

عاديّني) ، ذلك لانها انما كانت تشغل مركزا استراتيجيا على الطريق العام من «حاران» الى سورية ، وكانت عاصمتها «تل بارسيب» — وهي تل أحمر الحالية ، على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، جنوبي قرقميش — وقد تدخلت اماره «بيت عاديّني» في اشعال الثورة بين الدويلات الامورية لمضايقه آشور ، وآية ذلك تلك الثورة التي اندلعت في «سورو» (Suru) عاصمة بيت خالوب في عام ٨٨٣ ق م ، فتدخل «أشور ناصر بال» وقضى على الثورة ، وأدب الثائرين ، كما تسلم الجزية من بعض الدويلات الارامية الاخرى (١٤) ، وفي عام ٨٧٨ قبل الميلاد قامت ثورة جديدة في «لاق» و «خنداق» و «سو-و» فقضى عليها العاهل الاشوري بعنف ، خاصة وقد كان من ورائها ملك باتل ، كما قام بتأديب «بيت عاديّني» لتكف عن تحريك هذه الثورات ، ومن ثم فقد تقدم نحوها ، وأجبر ملكها على دفع الجزية (١٥) .

وفي عام ٨٧٦ قبل الميلاد ، ظهر الملك الاشوري أمام «قرقميش» وطلب المرور ، ولم يقاوم ملكها ، وقبل أن يدفع ائاثوة كبيرة ، منها عشرون تالنتا (Talents) من الفضة (حوالي ألف رطل) ، وعبر الجيش الاشوري الفرات ، واخترق سورية الى الساحل ، وقد نهجت الممالك الحيثية الاخرى نهج قرقميش ، وقد يشير هذا الفشل الذي منيت به الدويلات الحيثية في الاتحاد لمواجهة الغازي الاشوري ، الى ما بينها من خصومات ، لاندرى عنها شيئا (١٦) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد استمر «أشور ناصر بال الثاني» في طريقه غربا نحو سورية الشمالية ، ثم اتجه الى الجنوب ، وعبر نهر العاصي ودخل لبنان ، ونزل الى البحر المتوسط بدون مقاومة ، وهناك تلقى

(١٤) بولس عياد عياد : الاراميون في مصر — القاهرة ١٩٧٥ ص ١٦
G. Roux, Op. Cit., P. 268.
وكذا
(١٥) E. G. Kraeling, Aram and Israel, New York, 1018, P. 56-69.
(١٦) O. R. Gureny, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 44.

خضوع المدن الفينيقية ، صور وصيدا وجبيل ، حوالى عام ٨٧٦ ق.م ، وأرغمها على أن تدفع الجزية ، وأن يقدم له سكانها الذهب والنحاس والفضة والقصدير والحديد والمنسوجات الملونة وكميات من خشب الابنوس والارز والصندل والعاج ، وأقام بهذه المناسبة لوحة تذكارية عند نهر الكلب - شمالى بيروت^(١٧) ، وهنا - عند نهر الكلب - تلقى المعاهل الاشورى هدايا «عمرى» (٨٧٦-٨٦٩ ق.م) ملك اسرائيل^(١٨) ، وهكذا - ولأول مرة - منذ عهد «تجلات بلالسر الاول» يصل ملك آشورى الى البحر المتوسط ، ويتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية .

ويحدثنا المعاهل الاشورى فى حواريته التى عثر عليها فى معبد نينورتا فى مدينة كالح ، فيقول : «لقد تحركت من بلاد بيت أدنى وعبرت الفرات عند قمة فيضانه بمعبير من جلد الماعز ، وقدمت نحو قرقيش ، وهناك تلقيت جزية من «سجارا» (Sangara) ملك الحيثيين (ثم يعدد ألوان الجزية من فضة وذهب وخناجر من ذهب ، ونحاس وحديد وأثاث خشبى مطعم بالعاج ، ومائتين من الفتيات متدثرات بالكتان الرقيق المحلى بأهداب ذات ألوان مختلفة من الصوف المصبوغ بالاحمر القانى والقرمزي ، وأنياب الفيلة والعربات) واستوليت على فرسان ومشاة قرقيش ، ثم جاءنى ملوك كل الولايات المجاورة ، فقبلوا قدمى ، وأخذت منهم رهائن ، ثم تحركوا معى الى لبنان (لاب - نا - نا = Dab - Na - Na ، ثم انتقلت من قرقيش مخترقا الطريق بين جبال «مونزيغانى» (Munzigani) و «همرجا» (Hamurga) مخلفا بلاد «أهانو» (Ahanu) على يسارى ، وتقدمت نحو مدينة «حزازو» (Hazazu) لصاحبها «لوبارنا» (Lubarna) وتسلمت هناك ذهباً وملابس كتانية ، ثم عبرت نهر «عبر» (نهر أفرين الحالى) حيث قضيت الليل،

وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 28.

18) A. Lods, Op Cit., P. 377.

17) F. C. Eislen, Study in Orient History, New York, 1907, P. 43.

ومن ضفافه انتقلت الى مدينة «كونولوا» (Kunulua) مقر «لوبارنا» وقد قبل قدمي ، رهبة من قوتي ، وخوفاً من جيشي الجبار ، ثم قدم لي الجزية (ثم يعدد ألوان الجزية ، ومن بينها ذهب وحديد وماثسية وأقمشة كتانية مصحلة بالصوف المبرقش ، والمختلف الألوان ، وأثاث خشبي ومغذيات) وأخذت فرسانه ومشاقه واستوليت منه على رهائن، ثم تقبلت جزية «جوسي» صاحب «ياهانى» من ذهب وفضة وصفيح وحديد وماثسية وكتان تأهداب صوفية مبرقشة .

وارتحلت من «كونواوا» مقر «لوبارنا» وعبرت العاصي (الاورنت = Arantu = Orontes) وقضيت الليل على ضفته ، ومن هناك اتخذت طريقى بين جبلى ياراق ويعتورى، وقضيت الليل على ضفاف «سانجورا» ومن هناك اتخذت طريقى بين جبال «ساراتينى» و «دوباتى»، وقضيت الليل على ضفاف بحيرة ... ثم دخلت «أرايو» قلصة «لوبارنا» ، واستوليت عليها ، وجععت القمح والقش من بلاد «لوهوتى» (Luhuti) وخزنتهما هناك ، وأقدت فى قصره احتفال «تاسلتو» (Tasiltu) ، ثم أسكنت مواطنين أثسويين فى المدينة ، ثم فتحت مدنا أخرى من مدن «اوهورتا» وهزمت أهلها فى معارك عنيفة ، فقضيت عليهم ، وهدمت أسوارها وحرقتها بالنار ، ووضعت الاحياء من أهلها على الخوازيق أمام المدين التى كانوا يسكنونها .

وفى هذه الرحلة استوليت على كل جبال لبنان المترامية الاطراف ، ووصلت الى البحر الكبير فى بلاد أمورو ، وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم ، وقدمت قرايينى من الماثسية للالهة جميعا ، وكانت جزية شاطئ البحر من سكان صير وصيدا وجبيل (بيبلوس) ومحالاته ومايزة وكايزة وأمورى وأرواد ، التى هى جزيرة فى البحر ، تتكون من ذهب وفضة وصفيح ونحاس وأوانى نحاسية وماثسية كتانية ، ذات أهداب مبرقشة ، وقردة كبيرة وصغيرة ، وعاج وأبنوس وأخشاب ، وتقبلت جزيتهم ، وقبلوا أقدامى .

ثم صعدت الى جبال أمانوس (خاماني Ha-Ma-Ni) وقطعت
كتلا من الارز والصنوبر والسرو ، وقدمت أضاحي قربانا لالهتي، وأقامت
هناك نصبا منحوتا يخلد أعماله الباهرة التي تتم عن بطولتي ، وأما
كتل الارز من جبال أمانوس ، فأمرت بارسالها الى معبد «ايسارا»
(Esarra) لبناء الهيكل المسمى «ياسماكو» (Iasmaku) للاعياد لخدمة
معابد «سن» و «شمش» الالهين اللذين يمنحان الضوء» (١٩) .

هذا ولم يقتصر اهتمام «أشور ناصر بال الثاني» على المجال
الحربي ، وإنما تعداه الى الميدان العمراني ، ومن ثم فقد أعاد بناء
مدينة «كالح» (نمرود) - التي أسسها شلمنصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) -
واتخذها عاصمة للامبراطورية الاشورية ، وأمر بحفر قناة
«باتي - خيجالي» (Patti-Hegalli) لاغراض الدفاع والري معا ، ثم
بنى القصر الذي كشف عن جزء منه ، فيما بين عامي ١٨٤٩ ، ١٨٥١ م ،
وكان يشغل مساحة قدرها ٤٠ ألف قدم مربع ، كما قام بتأثيثه وتزيينه ،
وقد استغرق هذا العمل خمس سنوات (٨٨٣ - ٨٧٩ ق.م) ، استخدم
فيها الآلاف من العمال والفنيين المحليين ، فضلا عن أعداد كبيرة من
الحرفيين والفنيين الذين جئ بهم من المناطق المفتوحة ، ولاسيما من
سورية ، وتم افتتاح المدينة في عام ٨٧٩ قبل الميلاد ، في احتفال مهيب
دعى اليه قرابة سبعين ألف شخص من مختلف الاقاليم .

هذا وقد عثر عام ١٩٥١ م على لوح الاحتفال - ومحمول الان
بمتحف الآثار بالموصل - وقد صور الملك على اللوح محاطا برموز آلهة
السماء ، وقد جاء بالنص المنقوش على اللوح ، أن الملك قد أقام احتفالا
- بمناسبة اتمام القصر والحدائق المحيطة به - دعا اليه ٦٩٥٧٤
شخصا من كل أنحاء الامبراطورية ، نزلوا ضيوفا على الملك على مدى

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٤ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 475-479.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 275-276.

عشرة أيام ، شربوا فيها خمرا ، وأكلوا على المائدة الملكية ، وأن الملك قد ذبح ٢٢٠٠ عجلا ، وستة عشر ألف خروف ، وقد شرب ضيوف الملك ألف قربة خمر ، وعشرة آلاف برميل من البيرة ، ثم ينتهي النص بقول الملك : امتننت على مدى عشرة أيام سعداء الناس من جميع أنحاء البلاد ، مع أهل كالح ، وقدمت لهم الخمر ، وأعددت لهم الحمامات والدهون العطرية ، ومنحتهم الأوسمة ، ثم أعدتهم الى بيوتهم في سلام وهناء (٢٠) .

هذا وتعد الآثار المكتشفة في مدينة «نمرود» (٢١) من أروع الآثار الآشورية ، وتعكس لنا المدى الذى وصله الفن والعمارة في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد كشف عن كثير من القصور الفخمة والمعابد والاسوار والبوابات ، فضلا عن مئات من ألواح الجدران التى كانت تغلق جدران قاعات القصور الداخلية ، وهى منحوتة نحتا بارزا دقيقا بمناظر مختلفة من الحياة الملكية والمعارك العسكرية ، والحياة اليومية ، وقد لون بعضها بألوان زاهية ظلت تحتفظ بها حتى يومنا هذا ، هذا وقد زينت مداخل القصور والقاعات الرئيسية بتمائيل ضخمة لحيوانات مركبة ، عرذت بالثيران المجنحة ، تعبر عن قوة الآشوريين ، فضلا عن حكمة وصلابة قوادهم ، فلتد حاول الفنان أن يعبر عن ثبات الثور وسيطرته على الأرض والسماء ، الى جانب قوته الطبيعية ، فمثله بخمسة أرجل ، وبأجنحة كبيرة ، كما عبر عن حكمة الآشوريين ومعرفتهم ، فجعل

(٢٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٩ ، وكذا
D. J. Wiseman, A New Stele of Assur - Nasir - Pal, Iraq, 14, 1952, P. 23-39.
G. Roux, Op. Cit., P. 271-272.

وكذا
(٢١) أنظر
M. E. L. Mallowan, Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1956, P. 50-64.

وكذا
M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.
AFO, 15, 1974-1977, P. 230-238.
وكذا

للثور رأس انسان ، وأما وضع الثيران المخصصة في الداخل الرئيسية فكانت بهدف حماية المبنى وساكنيه من الشرور ، فضلا عن اشعار الزائر ، ولأول وهلة ، بقوة الدولة وملكها ، هذا وقد كشف في نمرود أيضا عن أعداد من النصوص المسمارية وعلى مسلة لأشور ناصر بال وتمثال لخليفته شامنصر الثالث ، وعلى مجموعة من القطع العاجية ، أبرزها قذاعة تمثل قناعا لرأس فتاة جميلة عرفت عند الباحثين باسم «مونليزة النمرود» أو «فتاة البئر» حيث عثر عليها في أحد آبار المدينة.

هذا وتسجل حوليات «أشور ناصر بال الثاني» الكثير من المعابد التي أنشأها في عاصمته كالح ، فهناك معابد للآرباب : انليل ونيورتا وأداد وشالا (Shala) وجولا (Gula) وسين ونابو وعشتار ، ومعبد للالهة «سبتي» (Sibitti) ومعبد لـ «إشتار - كتموري» (Ishtar - Kitmuri) وغير ذلك من المعابد التي كرست لكبار الهة (٢٢) .

(٤) شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق م)

جاء «شلمانصر الثالث» (Shalmaneser, III) (شلمانو - أشاريدو = Shulmanu - Asharedu) - (بمعنى الاله شلمانو رفيع المقام) بعد أبيه «أشور ناصر بال الثاني» ، الذي أفاد من جهوده ، ومن ثم فقد استطاع أن يسود آسيا الغربية ، من الخليج العربي حتى جبال أرمنييا ، ومن الحدود الميدة حتى سواحل البحر المتوسط ، ولم يكن أقل اعتزازا بجبروته من أبيه ، فوصفته نصوصه بأنه «الأفعوان الكبير» (أوشوم جال = Usum - Gal) - وهو لقب وصفت به الآرباب ، وانتحله حمورابي والماوك الاشوريون ، ولعل فيه بعض الشبه بالصل الملكي المصري - وعلى أية حال فلقد وصف شلمنصر الثالث كذلك بأنه

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٧ - ١٤٨ ، وكذا

J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 103-106.

قد طحن أعداءه جميعا ، وأنه المقتدر الذي لا يعرف الرحمة في الحروب (٢٣) ♦

وعلى أية حال ، فلقد استمر النشاط العسكري الاشوري على أيام «سلمنصر الثالث» ، وتحول العديد من المدن الاشورية الى حصون ومعسكرات - كمدينة آشور وكالح - وقد تركز نشاط «سلمنصر الثالث» على الجبهة المربية والشمالية الغربية ، وهي أكثر الجبهات تهديدا لمصالح آشور الاقتصادية وأخطرها على أمنها ، ففي بداية عهده تشكل حلف من قرقميش و «بيت عاديني» وسمل في الشمال الغربي هدد طرق المواصلات التجارية الى آسيا الصغرى ومنطقة قليقيا ♦

وفي عام ٨٥٦ ق.م ، تمكن «سلمنصر الثالث» من الحاق الهزيمة بالحلف ، والاستيلاء على «تل برسيب» (٢٤) «تل أسمىر الحالية» - عاصمة ولاية بيت عاديني - وضمها الى الامبراطورية الاشورية ، ثم فرض الجزية على الدويلات المتحالفة معها ، وكانت هذه الانتصارات تهديدا لبقية الدويلات السورية ، بما فيها المدن الساحلية والجنوبية (٢٥) ♦

وهكذا رأينا «سلمنصر الثالث» يتقدم في عام ٨٥٣ ق.م ، الى وسط وجنوب سورية ، ولم تكن الولايات الصغيرة في سورية وفلسطين وقت ذاك بقادرة على أن تقف أمام هذا الخطر الداهم طويلا وكل ماكان في قدرتها أن تقوم به ، هو أن توحد قواتها ضد الخطر المشترك ، وفي الواقع فان حكام الولايات جميعا سرعان ما تناسوا خلافاتهم الشخصية ، واتحدوا من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وهنا يدرك الاراميون وبنو

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 273.
ANET, 1966, P. 276.

(٢٤) أنظر
F. Thureau - Danguin and M. Danguin, Til-Barsib, Paris, 1936.
(٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٨ - ١٤٩ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 274-275.

أسرائيل أن الخلاف بينهم — إذا ما قورن بمقاومة الغزو الاشوري —
فلن يعدو أن يكون خلافا على الحدود ، وإن عادت الخلافات مرة أخرى،
بمجرد انسحاب شلمنصر الثالث (٢٦) .

وعلى أية حال ، فلقد تجرأ شلمنصر الثالث ، وهاجم دمشق ، والتي
لم تكن صيدا سيئا ، على الرغم من طول منافستها مع جيرانها من
الاراميين والبدو والعبرانيين ، فعزمت على الوقوف في وجه جبروت
الاشوريين (٢٧) ، ومن ثم فقد عملت على تكوين تحالف قوى ، انضم اليه
أمير ولاية «موصري» في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن
أمير عربي آخر يدعى «جندب» (جنديبو = Gindibu) شارك في
المعركة الفاصلة بممدد محمول على ألف بعير ، الى جانب ما شارك به
أمراء ارواد واسرائيل وعمون وأرقناتا وغيرهم ، وكانت قواتهم تتكون
من ٦٢٩٠٠ من المشاة ، ١٩٠٠ من الخيالة ، ٣٩٠٠ عجلة حربية (٢٨) .

وهكذا ، وفي صيف ٨٥٣ قبل الميلاد ، تكون في «قرقر» (قرقار =
Karkara = Qarqar) — وهي موقع على نهر العاصي شمالي حماة —
حلف من الملوك السوريين والعرب ، يضم اثني عشر ملكا ، على رأسهم
«بنحدد الثاني» ملك دمشق ، و «أخاب» ملك اسرائيل (٨٦٩ — ٨٥٠
ق.م) حيث حدثت المعركة الشهيرة ، ورغم تفاخر «شلمنصر» بالنصر
في موقعة «قرقر» هذه ، وزعمه أنه ذبح ١٤٠٠ محارب ، وأن السهل
كان أصغر من أن يحتل الاعداد الضخمة من الجثث ، وأن الارض
الواسعة لم تكن تتسع لدفن قتلاه ، الذين امتلأ بجثثهم نهر العاصي ،
حتى أقام منها جسرا على النهر ، وأنه — أي شلمنصر الثالث — قد

26) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 216.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥ .

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 278.

S. A. Cook Israel and The Neighbouring, CAH, III, 1965, P. 263.

استولى على مركبات أعدائه ، فضلا عن خيلهم وسلاحهم ، ورغم كل هذه المزاعم ، فان الحقائق التاريخية تقول : ان نصره لم يكن حاسما ، ولم يؤد أبدا الى استسلام حماة ودمشق واسرائيل (٢٩) *

ولعل من الطريف هنا أن نقدم وصفا لحملة شلمنصر الثالث هذه — كما قدمتها نصوصه — فلقد جاء فيها — على لسان الملك نفسه — «حينما اقتربت من حلب (خالمان) خشي أهلها الحرب. وارتموا على قدمي فتلقيت جزاهم فضة وذهبا ، وضحييت أمام أداد حلب ، ورجعت من حلب ، وبلغت مدينتي ارهوليني الحموى ، فهاجمتها وهاجمت عاصمة أرجانا ، واستوليت على جزاه وممتلكاته ، وحرقت قصوره ، ثم واصلت المسير الى قرقر فدمرتها ومزقتها وحرقتها ، وكان أميرها قد استنجد بألف ومائتي عجلة حربية ، وألف ومائتي خيال ، وعشرين ألف من مشاة أداد ادري الأمورى ، وسبعمائة عربية وسبعمائة خيال وعشرة الاف من مشاة ارهوليني الحموى ، وألف عربية وعشرة آلاف من مشاة أخاب من أرض اسرائيل ، وخمسمائة جندي من «قوى» وألف جندي من موصرى ، وألف راكب جمل من جندييو العريبي (جندب العربى) و ٠٠٠ ألف من بأسا بن رهوبى العمونى ، وكلهم اثنا عشر ملكا تأهبوا للملاقاة فى معركة حاسمة ، فقاتلتهم بقوات أسور العظيمة التى هبأها لى مولاى آشور ، وبالسلاح التى قدمها لى مرشدى نرجال ٠٠٠ وأوقعت بهم الهزيمة بين مدينتى قرقر وجيلزار ، وذبحت ألفا وأربعمائة من جنودهم (١٤٠٠) بالسيف ، وانحططت عليهم انحطاط أداد ، حين يرسل عواصفه المطيرة مدرارا ، وبعثرت جثثهم فى كل مكان ، وملأت السهل كله بها ،

29) J. A. Montgomery, Arabia and The Bible, Philadelphia, 1934, P.27.

J. Finigan, Op. Cit., P. 204.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 279.

G. Roux, Op. Cit., P. 275.

Daniel David Luckenbill, ARAE, I, Chicago, 1926, Parag. 611.

J. B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton, 1950, P. 188.

وكذا

وكذا

وكذا

وأجريت دماءهم *** وضاق السهل عن نزول أرواحهم (الى العالم السفلى) • وجعلت جثثهم معبرا الى على نهر الأراننتو (الأورنت) (٣٠) •

وعلى أية حال فقد اضطر العاهل الآشوري الى إعادة الكرة مرات بهدف اخضاع سوريا وفينيقييا ، وفلسطين ، حتى استطاع في عام ٨٤٢ ق.م ، ارغام المدن الفينيقية — وخاصة صور وصيدا — على دفع الجزية له (٣١) •

ويقول الملك الآشوري في حولياته عن نصره هذا «في السنة الثامنة عشرة للملكي ، عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة ، وكان حزائيل ملك آرام يثق بجيوشه *** ولكنني حققت سقوطه ، وزحفت الى «بعلى رأسي» ، وهو رأس في البحر ، وأقمت صورتي هناك ، وفي ذلك الحين تلقيت الجزية من رجال صور وصيدا ، ومن ياهو بن عمري» (٣٢) •

وعلى أية حال ، فان «المسلة السوداء» (Black Obelisk) — والتي كشف عنها «سيرأوستن ليارد» (A. H. Layard) في عام ١٨٤٦ ، في قصر شلمنصر في مدينة نمرود ، والمحفوطة الان في المتحف البريطاني — (٣٣) تمثل على وجهها الثاني من أعلى حاملي الجزية الاسرائيليين وموظفيهم في ملابس مشغولة ، ذات أكمام قصيرة ، وعمامة تشبه غطاء الرأس ، والشكل المعام يبددهم عن أن يكونوا «حيثين قحا» ، وتشهد للتأثير القوي للحيثيين الاراميين ، حيث يمثل نصب الملك «شيشنق» شكلا آخر ، ينظر اليه كأشوري (٣٤) •

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥

31) A. Lods, Op. Cit., P. 377.

32) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 672.

33) C. J. Gadd, The Stones of Assyria, 1930, P. 48.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

A. H. Layard, Nineveh and its Remains, I, 1849, P. 181.

(٣٤) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٢ / ٩٠٨ وكذا

J. Fingan, Op. Cit., P. 264-265.

G. Roux, Op. Cit., P. 373.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 99.

وهناك ما يشير الى أن «سلمنصر الثالث» انما اضطر الى التوجه غربا ، للمرة الثانية ، وذلك للقضاء على الدويلات الرئيسية التي كانت في الحلف السوري ضد الاشوريين ، فدحر قوات دمشق في عام ٨٤٢ ق.م ، وان لم يحتل دمشق نفسها ، في حين قدم له ملوك صور وصيدا الجزية — كما أثرتنا آنفا — .

وأما بلاد بابل ، فكان ملكها «مردوك زاكير شوى» الاول ، مواليا للاشوريين ، غير أن انقسامها ما حدث في البلاط البابلي ، انتهى بقيام ثورة أهلية أيدتها القبائل الكادية في الجنوب والمدن الواقعة في منطقة ديلالى ، شرقى بلاد تابل ، مما اضطر الملك الاشورى «سلمنصر الثالث» الى تجهيز حملتين عسكريتين على المنطقة أنهت التمرد وأعادت الامن الى بلاد بابل ، وبدهى أن ذلك انما كان في مصلحة الملك الاشورى ، فقد أصبحت له اليد العليا على الملك البابلي بعد أن ناصره .

وهناك ما يشير الى وصول المتوات الاشورية الى ساحل الخليج العربى لتهدة قبائل كلديا ، وتلقى هدايا ملوكها، أو جزاها على حد قول نصوص سلمنصر الثالث ، التى روت قوله فيها : «هبطت الى كلديا ، وقهرت مدنها ، وسرت حتى البحر الذى يسمونه «البحر المالح» (الخليج العربى) ، وتسلمت في بابل جزية «أدينى بن داكورى» من الفضة والذهب وخشب «أوشو» والعاج «...» وقد صور فنانونه جزية «بيت داكورى» هذه يحملها أهلها بين صفوف النخيل ، ويشرف عليها حراسه وكتبته ، وسجلوها على أبواب قصره المكسوة بصفائح البرونز في بلاوات (٣٥) .

وأما في الجبهة الشمالية والشرقية فكانت دولة «أورارتو» (Urartu) أو «أارات» Ararat تغذى فيها الاضطرابات ، مما اضطر الملك

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٣ - ٥١٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا
D. Oates, Iraq, 15, 1963, P. 20-21.

الاشورى الى ارسال حملات تأديبية الى المنطقة الجبلية ، استطاعت أن تعيد الامن الى منطقة أعالي بلاد النهرين واقليمى «تبال» و «قو» (قليقيا) *

وهناك ما يشير الى أن السياسة العسكرية التى اتبعتها «شلمنصر الثالث» لم تلق التأييد الكامل داخل بلاد آشور ، فلقد حدث تمرد تزعمه أحد أبنائه «أشور — دانين — أبلى» Ashur - Danin - apli وأيدته كثير من المدن الاشورية الهامة — مثل آشور ونيوى وأرابيل وأرابخا (كركوك) — وعلى أية حال ، فلقد تولى ولى العهد «شمشى — أداد الخامس» مهمة القضاء على هذا التمرد ، الذى استغرق سنوات أربع ، توفى ابانها «شلمنصر الثالث» (٣٦) *

(٥) شمشى — أداد الخامس (٨٢٣ — ٨١١ ق م)

جاء «شمشى أداد الخامس» (Shamshi - Adad, V) بعد أبيه «شلمنصر الثالث» ، وبعد أن قضى على ثورة أخيه ، غير أن هذه الثورة انما ساعدت بعض الاقاليم النائية فى الانفصال عن الدولة الاشورية ، وقد تم ذلك على وجه الخصوص فى المنطقة الجبلية فى الشمال والشمال الشرقى فى منطقة تلاد «نائيرى» nairi ، مما اضطر «شمشى — أداد الخامس» الى ارسال عدد حملات عادة للسيطرة عليها ، هذا فضلا عن حملة ضد ملك بابل — الذى تورط فى حلف مع ملك عيلام وزعماء القبائل الكلدية والارامية فى الجنوب والشرق ضد آشور — وقد نجحت الحملة فى القضاء على الحلفاء فى عام ٨١١ ق م (٣٧) *

(٦) أداد — نيرارى الثالث (٨١٠ — ٧٨٣ ق م)

جاء «أداد — نيرارى الثالث» (Adad - Nirari, III) بعد أبيه «شمشى

(٣٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٠ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 276-277.

37) G. Goossens, in Histoire Universelle, I, Paris, 1956, P. 390.

أداد البخامس» ، وكان ما يزال قابصا ، فتولت أمه «سمورامات» (Sammuramat) — والتي عرفت في المصادر الكلاسيكية باسم «سميراميس» (Semiramis) — (٣٨) الوصاية عليه ، وحكمت نيابة عنه سنوات خمس •

وهناك ما يشير الى قيام تحالف جديد في بلاد الشام ضد الدولة الآشورية ، غير أن القوات الآشورية سرعان ما قضت عليه ، وتشير حويليات «أداد — نيرارى الثالث» الى أن قواته قدمت الى فينيقيا مرتين ، في عامي ٨٠٤ ، ٨٠٣ ق م ، وأنه قد تسلم الجزية من دويلات مختلفة في الشام «من الفرات حتى البحر العظيم ، التي تغرب فيه الشمس ، أخضعت بلاد حاتى وبلاد أمور كلها ، وبلاد صور وصيدون وعمرى (اسرائيل) وأدوم وفلسطين (الفلسطينيين) وفرضت عليهم جزية كبيرة» (٣٩) •

(٣٨) روى المؤرخون الكلاسيكيون أسطورة عن «سميراميس» تقول : أن أمها كانت الهة تعبد في عسقلان قرب البحر ، ويرمز اليها بصورة نصفها سمكة ، ونصفها حمامة ، ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت «محبوبة الحمام» وذلك لان الاسم «سمو — رامات» مركب من كلمتين ، الاولى «سمو» ومعناها «الحمامة» ، والثانية «رامات» (مات) ومعناها «المحبوبة» ، ومن ثم فمعنى الاسم «محبوبة الحمام» •

ثم عثر عليها كبير رعاة ملك آشور ورباها ، وتزوجها حاكم نينوى «أونيس» ، ولكن ملك آشور العظيم «نينوس» طمع فيها وأجبر زوجها على التخلي عنها ، فانتحر ، ولجأت هى الى الحيلة لتنتقم له ولنفسها ، فمكرت بالملك الغاصب ، وطلبت منه أن يعهد اليها بالعرش والسلطان خمسة أيام فرضى ، واستغلت هى سلطانها المؤقت ، وأمرت بسجن الملك ثم قتله ، واستأثرت بالعرش بعده أكثر من أربعين عاما (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٤ — Herodotus, I, 184.

Strabo, XV, I, 5, II, 5, XVI, I, 2.

Diodorus Siculus, II, 4-20.

W. Iilers, Semiramis, Wien, 1971.

39) G. Roux, Op. Cit., P. 279-280.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 281.

=

وكذا

هذا وقد تعاقب على العرش الآشوري بعد «أداد — نيرارى الثالث» عدد من الملوك الضعاف — شلمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٣ ق.م) و «أشور — دان الثالث» (٧٧٢ — ٧٥٥ ق.م) و «أشور — نيرارى الخامس» (٧٥٤ — ٧٤٥ ق.م) — لم يكونوا كفؤاً لمواجهة التحديات التي مارستها «أوراراتو» في الشمال ، والقبائل الكلدية في الجنوب، والحلف السورى في الغرب ، فضلاً عن التمزق الإدارى داخل الدولة الآشورية نفسها ، ومن ثم فقد انكشبت سلطتهم ، وضعف نفوذهم ، وعمت آشور ضائقة اقتصادية حادة بسبب قطع الطرق التجارية المؤدية الى سورية وآسيا الصغرى وبلاد بابل ، فاجتاحت آشور ثورة أهلية عارمة ، تزعمتها مدينة نمرود ، قضت على الملك الحاكم وأسرته ، ونصبت بدلاً عنه الملك «تجلات بلأسر الثالث» (Tiglathpileser, III) — الأخ الأصغر للملك آشور — نيرارى الخامس — والذي عرف في المصادر البابلية باسم «بول» (٤٠) .

وأياً ما كان الامر ، ففي حمأة هذه المشكلات الداخلية والخارجية سجلت النصوص الآشورية حدوث كسوف كلى للشمس ، وافق عام ٧٦٣ قبل الميلاد (أى في عهد آشور — دان الثالث) ، ورتبت عليه ما شاعت من تعليقات عقائدية وخرافية ، خاصة وأن الكسوف قد حدث في وقت ، تفشى فيه طاعون عظيم فتك بكثير من الناس ، وعلى أية حال، فلتقد اعتبر حادث كسوف الشمس هذا ، أساساً لضبط التقويم الآشورى اذا أمكن بالحساب الفلكى الدقيق ارجاع هذا الكسوف الى حزيران (يونيه) عام ٧٦٣ ق.م ، فصارت نقطة يقاس منها تسلسل التاريخ الآشورى ،

وكذا =

H. Tadmor, The Historical Inscriptions of Adad-Nirari, III, in Iraq, 35, 1973, P. 141-150.

D. D. Luckenbill, ARAB, I, Parag. 732-48.

وكذا

A. R. Millard and H. Tadmor, Iraq, 35, 1973, P. 57-64.

وكذا

(٤٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 280.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 1198.

واستعين بها كذلك لضبط التقويم البابلي ، بالاستعانة بحوادث من التاريخ البابلي عاصرت ما يماثلها من التاريخ الاشوري^(٤١) .

ثانيا : عصر الامبراطورية الثانية

(١) تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م)

يعتبر المؤرخون عصر الملك «تجلات بلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) بداية «عصر الامبراطورية الاشورية الثانية» ، وقد عرف الملك الجديد باسمين ، الواحد «تجلات بلاسر» — كما جاء في النصوص الاشورية — والثاني «بول» (Pul) أو «بولو» (Pulu) — وهو الاسم الذي أطلقته عليه المصادر البابلية عام ٧٢٨ ق م ، أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة — ويحتل الاسمان أكثر من تفسير واحد ، فقد يكون اسم «بولو» هو اسمه الشخصي ، ويدل بهذا على أنه لم يكن من صلب البيت الحاكم ، وإذا صح هذا أمكن افتراض أنه من قادة الجيش نظرا لما تجلّى من مهارته الحربية فيما بعد ، ولما اعتلى العرش تيمن باسم الفاتح القديم «تجلات بلاسر» وتسمى باسمه ، أو يكون اسم «بولو» مجرد مرادف بابلي ، اخترعه البابليون لغرض في نفوسهم ، وأيا ما كان الامر ، فلقد عرف هذا الملك في التوراة باسم «فول» ، ولعله تصحيف يهودي لاسم «بول» البابلي^(٤٢) .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر الثالث» بأنه كان اداريا من الطراز الاول ، ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين قد بدأوا منذ أيامه يقسمون امبراطوريتهم الى عدد من المقاطعات الرئيسية يدعى كل منها «بيخانو»

(٤١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٥ وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 281-282.
D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 734 F. وكذا
(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، ملوك ثان ١٥ / ١٩ - ٢٠ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 286.

أو «ناكو» ، ويشرف عليها سيد المقاطعة (بيل بيخاني) ، وهو الذي يمثل الملك في المقاطعة ، وينفذ أوامره ، وكانت واجباته تشمل الشؤون الادارية والمالية والعسكرية والدينية ، وكان مقر الحاكم في عاصمة المقاطعة ، ويساعده في ادارة شؤون مقاطعته مجموعة من الاداريين والكتبة والمساحين والمحاسبين والمرسل والفلكيين وقراء الفأل وضباط التجنيد ومرافقي الرى والمساعدين العسكريين والمترجمين وغيرهم ، وكانت المقاطعة مقسمة بدورها الى وحدات ادارية أصغر تدعى «قنو» (وتعنى حرفيا حلقة) ، وكان مركز ال «قنو» في المدن الرئيسية ، ويشرف عليها «رئيس المدينة» ، وهو الذي كان يقوم بجمع الضرائب وحفظ النظام ، فضلا عن الاشراف على الشؤون الادارية العامة ، هذا فضلا عن أن «تجلات بلاسر» الثالث انما عمل على تقسيم بلاد آشور الشرقية — من الناحية الادارية — الى قسمين ، الواحد : مقاطعة «أراباخا» (Arrapha) (كركوك حاليا) ، وقد امتدت حتى شرقى بغداد ، واثنى : شمل الارضين الواقعة الى الجنوب منها ، والتي تفصل بين عيلام وبابل (٤٣) .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر» أيضا بأنه كان قائدا عسكريا فذا ، استطاع ابان سنى حكمه ، القضاء على الفوضى والاضطراب السياسى والاقتصادى الذى ساد آشور في أعقاب الثورة الاهلية ، كما كتب له نجحا بعيد المدى في اعادة هئية الدولة في مختلف الجبهات ، هذا وقد بدأ «تجلات بلاسر الثالث» ميدان الفتوحات ببابل القريبة منه ، فهيمن عليها بعد جهود ، وعهد بأمرها الى صنيعة له تدعى «نابو نصر» (Nabu - Nasir) ، غير أن وفاة «نابو — نصر» انما كانت سببا في تمرد احدى القبائل الكلدانية ضد آشور ، وان ظلت المقاطعات الاشورية شرقى بابل على ولائها لآشور ، والامر كذلك بالنسبة الى سكان بابل المحليين (٤٤) .

(٤٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١ ، ١٥١ .
(٤٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ — ٥١٩ وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 284-285.

وأما بالنسبة لبلاد الشام ، فلقد بدأت آشور ترى — منذ عهد تجلات بلاسر الثالث — أن امتلاكها لبلاد سورية وفلسطين انما هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين من الاشوريين ، بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب نادرة في الشرق الادنى القديم ، وبسبب ثروتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط ، وتجاريتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك — وفي نفس الوقت — المدخل الى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد اتخذ «تجلات بلاسر الثالث» الخطوات الجادة مباشرة لضم الأجزاء الأساسية من سورية وفلسطين الى الامبراطورية الاشورية ، وتثبيت سيادة آشور على فلسطين وسورية، وانطلاقا من كل هذا ، فان الرجل لم يقنع — كغيره من الحكام الاشوريين — بقبول الجزية ممن يخضعهم لسلطانهم من أمراء سورية وفلسطين^(٤٥) .

وهكذا بدأ «تجلات بلاسر الثالث» يتجه نحو بلاد الشام ، وأقام معسكره الرئيسى ، فيما بين عامى ٧٤٣ ، ٧٤١ ق م ، فى «أرباد» (وهى أربادو بالاشورية — وتقع فى مكان تلى أرفاد الحالية ، على مبعدة ٢١ كيلا شمالى حلب) ، ومن هناك أرسل حملة الى دمشق ، ثم فرض الجزية على المدن الفينيقية ، وطبقا لما جاء فى «المسلة السوداء» فقد خضع له كذلك «مناحيم» ملك اسرائيل (٧٤٥ — ٧٣٦ ق م) ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد أحنى له رأسه ، وخفض له جناح الذل ، وابتاع رضاه بالمال الذى فرضه على بنى قومه من أصحاب الاملاك وقدمه للماعل الاشورى على هيئة أوان من ذهب وفضة وورصاص^(٤٦) .

على أن دمشق سرعان ما بدأت فى اعلان الثورة فى عام ٧٣٩ ق م ،

45) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 253.

(٤٦) محمد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء الثانى — الاسكندرية

١٩٧٨ ص ٩٣٤ — ٩٣٥ ، ملوك ثان ١٧/١٥ — ٢٢ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 281.

بل وبدأت تقوم بدور قيادي — ولاحر مرة — وذلك عندما تكونت كتلة سياسية بزعامة «رصين» ملك دمشق ، ومن ورائه كل تحالف الدويلات الأرامية ، ضد الآشوريين ، وسرعان ما انضم الى «رصين» الفينيقيون والمدن الفلسطينية والدويلات العربية في شمال غرب بلاد العرب ، فضلا عن دويلتي أدوم واسرائيل ، ولم يبق خارج الحلف سوى «أحاز» هلك يهوذا (٧٣٥ — ٧١٥ ق م) ^(٤٧) ، ومن ثم فقد هوجمت القدس (أورشليم) بقوات دمشق والسامرة ، بغية ازاحة «أحاز» عن عرشه وتتويج أحد الاراميين في مكانه ، ليضم يهوذا الى الحلف القائم ضد ملك آشور ^(٤٨) .

ومن ثم فقد قرر «أحاز» أن يستدعى قوات آشور لحمايته ، كما أرسل الهدايا من خزائن المعبد والقصر للعاهل الآشوري «تجلات بلاسر» (تغلث فلاسر في التوراة) سائلا اياه ، — بل وملحا في سؤاله — أن ينقذه من ملكي دمشق والسامرة ، على شريطة أن يكون له «عبدا وابنا» ^(٤٩) ، هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن الملك الآشوري لم يستجب لنداء «أحاز» ، غير أن هناك ما يشير الى أن «تجلات بلاسر» ، انما كان في تلك الاوانة في شمال سورية ، ورتما كان مع جيشه في مكان ما في مجاورات دمشق ، وعلى أية حال ، فمن الواضح أن الاحداث بدأت تتحرك سريعا ، وقد أنقذ التدخل السريع الحاسم «أحاز» من موقفه الصعب ، قبل أن تسقط اورشليم (القدس) في أيدي المهاجمين من الاسرائيليين والاراميين ، وان كان «تجلات بلاسر» بالتأكيد ما كان في حاجة الى توسلات أحاز ملك يهوذا ، ليقوم بحملته ضد سورية وفلسطين ، فلقد كان في هذه الفترة — على أية حال — انما يهدف الى اخضاع سورية وفلسطين لآشور تماما ، ومنذ عام ٧٣٨ ق م ، وقد

47) G. Roux, Op. Cit., P. 285.

وكذا

Werner Keller, The Bible as History, London, 1967, P. 241-242

(٤٨) ملوك ثان ١٦/٥ ، اشعيا ١٧/٣ — وكذا

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 116.

(٤٩) أخبار أيام ثان ١٦/٧ — ٨ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

أصبحت «حماة» من أملاكه ، فقد كان يرنو بناظره نحو دمشق
— بنادى ذى بدء — ثم اسرائيل فيما بعد (٥٠) *

وفي عام ٧٣٣ قبل الميلاد ، تقابل الملك الاشورى مع ملك دمشق ،
فهرب «رصين» الى عاصمته دمشق. ومن ثم فقد قام العاهل الاشورى
بمحاصرة العاصمة الارامية (دمشق) واتلاف ما حولها من حدائق
ومدن ، هذا فضلا عن الاغارة على حلفاء الاراميين والانتصار عليهم ،
مما جعل دمشق تصبح في عزلة تامة (٥١) *

ونقرأ في التوراة أن «تجلات بلاسر» قد أخذ «عيون وابل بيت معكة
ويانوج وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى ، وسباهم
الى أشور» (٥٢) ، هذا وتشير احدى الحوليات الاشورية من عهد
«تجلات بلاسر» الى أنه قد استولى على كل مدن اسرائيل — ماعدا
السامرة — ومن ثم فاننا نستطيع أن نستنتج من ذلك — ومن قوائم
الاقاليم الاشورية — أن تجلات بلاسر الثالث انما قد ترك ملك اسرائيل
«فمح» (٧٣٥ — ٧٣٢ ق م) جبل أفرام والمدينة الملكية السامرة ،
وأما بقية المناطق الاسرائيلية فقد أدمجت في نسق الولايات
الاشورية (٥٣) *

وأيا ما كان الامر ، فإن الممالك الصغيرة في سورية وفلسطين — والتي
كانت قبل ذلك ، وعلى مدى قرنين من الزمان قادرة على حفظ كيائها ،
دونما تدخل من الخارج تقريبا ، وجدت الان نفسها أمام أشور القوية
الطامعة الطاغية ، وقد نجح «تجلات بلاسر» في أن يجتاح في عدة

(٥٠) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٣٧/٢ — ٩٣٨ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 259-260.

51) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-119.

M. Noth, Op. Cit., P. 260-261.

وكذا

(٥٢) ملوك ثان ١٥ / ٢٩ ، وكذا

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118.

53) M. Noth, Op. Cit., P. 261.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, P. 341.

وكذا

حملات الى الغرب مدينة دمشق ، بعد حصار دام عامين ، وأن يقتل ملكها «رصين» ، وهكذا ، وبسقوط دمشق في عام ٧٣٣ ق.م ، حان الوقت للاشوريين أن يضموا سوريا بأكملها الى امبراطوريتهم ، وانتهت قوة الاراميين السياسية ، وأصبحت السيادة على الدويلات الارامية لآشور ، وبالتالي فقد زال الحاجز الذي كان يحول دون سقوط السامرة (٥٤) .

ونقرأ في التوراة أن «فقح» فقد عرشه وحياته في مؤامرة على رأسها «هوشع بن أيلة» وأن الأخير قد نصب نفسه ملكا في السامرة على ما بقي لاسرائيل ، وان كنا لا ندري أكان ذلك برضى من تجلات بلأسر (٥٥) ؟ أم أنه كان بريئا من دم «فقح» ، فحمله هوشع وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «هوشع» ملكا على اسرائيل (٧٣٣ - ٧٢٤ ق.م) من قبل الاشوريين ، يدين لهم بالولاء ، ويدفع لهم الجزية عن يد وهو صاغر (٥٦) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن تجلات بلأسر انما اتبع وسائل أربعة لتثبيت قبضته على أطراف دولته ، وهي تعيين حكام آشوريين على مدنها الكبيرة ، دون الاكتفاء بحكامها المحليين ، وايفساد مندوبين فوق العادة لتفقدوها وتنفيذ مطالب دولته منها ، وربما كان من أولئك المندوبين من يلقبون بلقب «رأبشاق» الذي ذكرته لهم قصص التوراة ، وفرض عبادة الارباب الاشوريين على بعض أهل المدن العنيدة (مثل غزة) ثم تشريد أهل المناطق المفتوحة الخطرة ، وتهجير أغلب الأيدي العاملة منهم الى بلاد أخرى بعيدة عنهم ، حتى لا تقوم لبلادهم قائمة ، مع احلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يضغطوا على

54) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 119.

وكذا
(٥٥) ملوك ثان ٣٠/١٥ ، محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٣٩/٢ ،
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 341.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 284

56) S. A. Cooke, Op. Cit., P. 382.

السكان الاصليين ، أو يظلوا بينهم أغرابا مستضعفين ، وتهجير بعض آخر الى دولة آشور نفسها ، حتى يظلوا تحت اشراف حكامها ، وحتى يمكن استغلالهم في خدمتها استغلالا مباشرا ، فضلا عن يستعبدون منهم استعبادا تاما عند خاصة أهلها ، وكان من هذا القليل أن عهد في عامه الثالث الى تهجير ثلاثين ألفا ، وثلاثمائة شخص من سكان المنطقة السورية التي تمتد من حماء الى البحر ، الى منطقة تسمى «كو» وتهجير آخرين الى منطقة تدعى «الابا» ، ويبدو أنه أحل محلهم سكانا جلبهم من منطقة «لولومو» في جبال زاجروس ، ومن نائيري ، قرب بحيرة فنان ، وهجر بأمره في عام آخر عددا كبيرا من أهل «بيت خموريا» ، أى أرض عمري^(٥٧) ، الى آشور ، بل وادعت نصوصه أنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصار المتنافسين في بابل نفسها ، بعد أن أخضعها لحكمه المباشر^(٥٨) .

وأما علاقة الاشوريين ببلاد العرب ، فلقد رأينا من قبل أن «شامنصر الثالث» أول من ذكر العرب في حواريته^(٥٩) ، عن معركة قرقر عام ٨٥٣ ق م ، وأن أمير ولاية «موصري» — في شمال غرب الجزيرة العربية — قد انضم الى حلف الملوك السوريين ضد شامنصر ، فضلا عن أمير عربى آخر يدعى «جذب» (جنديبو) شارك في المعركة بمدد محمول على ألف بعير^(٦٠) ، ورغم أن النص الاشورى لم يشر الى موقع ولاية

(٥٧) عرفت اسرائيل في الوثائق الاشورية باسم «أرض عمري» أو «أرض بيت عمري» ، وحتى بعد سقوط أسرة عمري في عام ٨٤٢ ق م ، فقد كان ملك اسرائيل بالنسبة الى الاشوريين هو «ابن عمري» ، وربما يعزى هذا بدرجة ما الى أن الاسرائيليين انما قدامتصلوا — لأول مرة — بأشور أثناء عهد أسرة عمري ، وربما أثناء عهد عمري نفسه ، وهو الذى أرسل بهداياه الى الملك «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) عندما تقدم هذا الاخير حتى نهر الكلب شمالى بيروت ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٨٩٩/٢ ، وكذا

A. Lads, Op - Cit, P. 377

(٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٩ .

59) N Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941, P. 4.

60) J. Montgomery, Op. Cit., P. 27.

M Noth, Op. Cit., P. 245-246.

S. A. Cook, in CAH, III, 1965, P. 363.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 279.

وكذا

جندب هذه ، فان القرائن تشير الى أنها انما كانت في أطراف البادية؛ بل ان «ألويس موسل» انما يذهب الى أنها تقع الى الجنوب من دويلة دمشق^(٦١) ، كما أن هناك من يشير الى أن العاهل الاشوري قد مد حدوده حتى الكويت ، ومن ثم فقد اتصل بالقبائل التي تقطن هذه البقاع من بلاد العرب^(٦٢) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأ الاشوريون يهتمون ببلاد العرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما فكروا في بسط نفوذهم عليها ، ربما بسبب الرغبة في حماية طرق القوافل القادمة من جنوب بلاد العرب ، محملة بالبخور وغيره من المنتجات التي كانوا يتوقعون الى الحصول عليها ، وربما اتقاء لغارة مفاجئة قد يقوم بها الاعراب في شمال الجزيرة العربية ضد الامبراطورية الاشورية ، وأيا ما كان السبب ، فاننا نقرأ في حوليات «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ - ٧٣٧ ق م) التي عثر عليها في «الكالح» (نمرود) عن جزية من «زبيية» (زبيبي) ملكة بلاد العرب - وربما كان مقرها دومة الجندل (أدوماتو عند الاشوريين ، دومة في التوراة) ، وهي مدينة الجوف الحالية ، على مبعدة ٤٠٠ كيلا شرقى البتراء - والامر كذلك بالنسبة للملكة «سمسى» (شمس) التي قدمت للعاهل الاشورى جمالا ونياقا^(٦٣) ، فضلا عن تعيين تقيم يمثله في بلاطها^(٦٤) . ويقول النص الاشورى : «أما شمس ملكة بلاد العرب ، فلقد قتلت ١١٠٠ من رجالها ، واستوليت على ثلاثين ألف جمل ، وعشرين ألف رأس من الماشية وخمسة آلاف اناء توابل ، وكل ممتلكاتها ، وأخذت منها هذه وغيرها ، وأما هي فقد هربت الى مدينة «بازو» Bazu ، وهو اقليم ليس به ماء ، ثم أدركت مدى قوة جيشي ، فجاءت لى بالجمال والنياق ، ووضعت عليها حاكما»^(٦٥) .

61) A. Musil, Arabia Deserta, P. 477.

62) G. Roux, Op. Cit., P. 277.

63) N. Abbot, Op. Cit., P. 4.

64) A. Musil, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 477.

65) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

وهكذا يبدو واضحاً أن الملكتين العربيتين (زيبية وشمس) إنما قد اضطررتا إلى تقديم فروض الطاعة للملك الآشوري ، وربما كان ذلك بعد استيلائه على غزة ، وقطع طريق البخور^(٦٦) ، بل أن النص الآشوري إنما يشير كذلك إلى أن الملك الآشوري إنما قد أخذ الجزية من «تيماء» — على مبعدة ١٢٥ كيلاً شمال مدائن صالح — كما أخذها كذلك من غيرها من الواحات العربية^(٦٧) ، فضلاً عن «سبأ» — وهي الجبالية السبئية التي خلفت المعينيين في ديدان (العلا الحالية) على مبعدة ٢٤ كيلاً جنوبى مدائن صالح — ومن هنا فإن «سبأ» إنما ترد في النص بعد تيماء مباشرة^(٦٨) .

(٢) شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق م)

مات تجلات بلاسر الثالث ، وخلفه على عرش آشور ولده «شلمنصر الخامس» (Shalmaneser, V) وفي عهده أعلن «هوشع» ملك إسرائيل (٧٣٢ - ٧٢٤ ق م) العصيان ضد آشور ، ونقرأ في التوراة «أن ملك آشور وجد في هوشع خيانة ، لأنه أرسل إلى «سوا» ملك مصر ، ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة»^(٦٩) ، والمعروف تاريخياً أنه لا يوجد ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم «سوا» ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا ال «سوا» ، وربما كان الملك المقصود في نص التوراة هو الملك «أوسركون الرابع» (٧٣٠ - ٧١٥ ق م) من الأسرة الثانية والعشرين^(٧٠) .

66) A. T. Olmstead, A History of Assyria, Chicago, 1933, P. 189.
(٦٧) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية - مجلة الدارة - العدد الاول - الرياض ١٩٧٥ ص ٨٢ .

68) A. Musil, The Nothern Hegaz, N. Y., 1926, P. 288.
A. Van den Branden, Histoire de Thamoud, P. 7.

وكذا
(٦٩) ملوك ثان ١٧/٤ - ٥ .
(٧٠) أنظر عن الآراء التي دارت حول «سوا» (محمد بيومي مهران إسرائيل ١٩٤٠/٢ - ٩٤٥ وكذا

K. A Kitchen, Op. Cit., P. 373-374.
A. H. Gardiner, JEA. 50, 1964, P. 94.

وعلى أية حال ، وأيا كان اسم ملك مصر الذي استعبد به «هوشع» ضد آشور ، فلقد تقدم الملك الاشوري «سلمنصر الخامس» نحو «السامرة»^(٧١) — عاصمة دويلة إسرائيل — واستمر في حصارها نحو من أعوام ثلاثة ، وإذا أمكننا أن نضع سقوط السامرة في السنة التاسعة من حكم هوشع ، فإن هذا الحدث التاريخي الخطير ، انما يكون قد تم في ربيع عام ٧٢٢ ق.م ، في وقت كان «سلمنصر الخامس» ما يزال ملكا على آشور ، وطبقا لما جاء في سفر تاريخي بابلي ، يرجع الى عام ٥٠٠ ق.م ، ويتحدث عن الفترة من عام ٧٤٥ ق.م ، الى عام ٦٢٦ ق.م ، أن موت «سلمنصر الخامس» انما كان في شهر Toletu ، وأن اعتقال «سرجون الثاني» عرش آشور انما كان في اليوم الثاني من نفس الشهر ، وهذا يتأخر به الى ديسمبر من عام ٧٢٢ ق.م ، كما يعتبر هذا السفر تدمير مدينة «السامريين» — والتي يمكن أن توجد بالسامرة — من الاحداث الهامة في عهد «سلمنصر الخامس» ، وتؤرخ المعركة بعام ٧٢٢ ق.م ، وفي الغالب فيما بين الربيع والخريف من هذا العام ، وان كان هناك من يقرأ اسم المدينة على أنها «السامريين» بدلا من «السامريين» ، ويرى أنها ليست مدينة السامرة ، وان كان هذا الاحتمال ضعيفا^(٧٢).

هذا وطبقا لما جاء في رواية «يوسف اليهودي» — كما جاءت في الحوليات السورية —^(٧٣) فلقد اجتاحت «سلمنصر الخامس» فينيقيا

R. Sayed, VI, 17, 1967, P. 116-118.

S. Yeivin, VI, 2, 1952, P. 164.

R. Borger, JNES, 19, 1960, P. 49-53.

Von Bissing, RT, 34, 1912, P. 125.

A. T. Olmstead, Western Asia in The Days of Sargon of Asseria, Chicago 1908, P. 56, 70.

(٧١) أنظر عن السامرة (محمد بيومي مهران : إسرائيل ٩٠٠/٢ —

=
وكذا

• (٩٠٢

72) J. Finegan, Op. Cit., P. 208.

A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 45.

A. T. Olmstead, AJSL, 21, P. 181 F.

73) Josephus, Antiquities, IX, 14, 2.

وكذا

ومدنها ، وكانت صيدا وصور البرية وعكا ترغب في تحرير نفسها من السيطرة المالية لمدينة صور التي في الجزيرة وزعامتها ، ومن ثم فقد اعترفت بسيادة الفاتح الاشوري ، وأعطته أسطولا يتكون من ستين سفينة ، يعمل فيها نحو ثمانمائة مجدف فينيقي ، وقد تفرق أسطول شلمنصر في معركة مع سكان الجزيرة ، ولكن عددا كافيا من جنوده بقي ليقوم بمحاصرة الجزيرة من الساحل ، وكانت الابار الموجودة داخل المدينة القائمة في الجزيرة كافية لحاجات السكان ، وأخيرا أنتهى الحصار الذى دام سنوات خمس بمعاهدة تحفظ لصور كرامتها^(٧٤) .

(٣) سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م)

تولى «سرجون الثانى» Sargon, II (شارو — كين Sharru - Kin) عرش أشور بعد «شلمنصر الخامس» الذى لا نعرف علاقته به ، على وجه اليقين ، وان كان هناك من يذهب الى أنه ابن للملك «تجلات بلاسر الثالث» ، وعلى أية حال ، فلقد كان «سرجون الثانى» على رأس أسرة حكمت الدولة الاشورية حتى نهاية كيانها السياسى ، ونسبت اليه (الاسرة السرجونية) .

وهناك ما يشير الى أن بعض الاقاليم والمقاطعات الاشورية البعيدة قد استغلت فرصة اعتلاء سرجون العرش — ربما بشكل غير شرعى — وأعلنت التمرد بتحريض من دولة «أورارتو» وعيلام ومصر وبغض المدين السورية ، فضلا عن القبائل الجبلية والكلمية ، وقد تمكن «مردوخ — ابل — ادينا» (مردوخ بالادان الثانى فى التوراة) من اغتصاب العرش البابلى ، بعون من عيلام ، ورغم محاولات سرجون الثانى القضاء عليه فى الفترة الاولى من اعتقاله العرش ، غير أنه ظل ملكا على بابل لمدة سنوات عشرة (٧٢٠ - ٧١٠ ق م) ، وذلك لانشغال سرجون بالجبهة الغربية ، وقد قاست بلاد بابل فى عهده من ضائقة مالية ، بسبب تحكم القبائل الكلمية والعيلامية فيها ، وكان البابليون يستغيثون بسرجون

(٧٤) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٥٨ .

الثانى ، الذى ما ان نجح فى توطيد مركزه فى الجبهة الغربية ، حتى اتجه الى بلاد بابل وفتح مدينها ، ونصب نفسه نائبا عن الاله فيها ، غير أنه أعاد تنصيب «مردوخ — ابل — ادينا» (Marduk - Apal - Iddina) زعيما على قبيلته الكلدية^(٧٥) .

على أن الخطر الرئيسى الذى كان يواجهه الدولة الاشورية ، انما هو دولة «أورارتو» فى الشمال (أرمينيا المعاصرة) ومملكة «زركتو» شرقى بحيرة وان (غان) ، فضلا عن الميديين الايرانيين ، ولم تتمكن الحملات التأديبية من القضاء على الاضطرابات التى أثارها هذه القوى فى المنطقة مما اضطر «سرجون الثانى» الى القيام بحملة عسكرية كبيرة على المنطقة فى عام ٧١٤ ق م ، وقد عرفت هذه الحملة لدى الباحثين «بحملة سرجون الثامنة» ، وأخذت تفاصيلها فى التقرير الذى كتبه سرجون على شكل رسالة للاله آشور ، أبى الارباب ، الجبار الذى يسكن فى معبد «جبل البلدان العظيم» ، ثم يرسل تحياته الى الالهة الاخرى التى تختص بالمصير ، والى الالهات اللواتى لهن هياكل فى المعبد ، وبعد أن يرسل بتحياته الى مدينته وبلاطه يثمنى السلام لنفسه ولجيشه ، ثم يربط توقيت الحملة بشهر «دوزو» المكرس للمعبود نينورثا ، والذى كان موعدا لحملة التى انطلقت من عاصمته «كالح» (نمرود) .

ثم يمضى فى وصف الصعاب التى قابلته فى عبور الانهار ، أبان فيضائها ، وكيف عبر الزاب الاعلى والاسفل ، دون أن يعترض جنوده خوف أو ملل ، حتى بدأت الانهار أمامهم ، وكأنها قنوات صغيرة ضيقة ، وكيف عبر الجبال العالية ، المغطاة بأشجار كثيفة ، التى تتخللها الوديان المظلمة كظلام غابة الأرز ، وكيف انطلق الفرسان والمشاة والعربات الحربية فوق الجبال كالنصور ، وعندما وصلت الحملة أرض العدو ، تقدم ملكها وعائلته ونبلائه ومستشاروه بجزاهم من الماشية وخيول

(٧٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٦ — ١٨٧ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 287-288.

العربات وسائقها ، ثم قبل الملك أقدام العاهل الاشوري ، وسأله أن يعيد حدود دولته الى سابق عهدها ، فأجابه سرجون الى سؤاله ، وقبل جزيته وجزية مختلف امرائه ، ثم نصب عليهم حاكما آشوريا *

ثم تصف الوثيقة سرجون بأنه جد حريص على طاعة قوانين «شمس» ، وأنه يصغى باجلال الى كلمات الالهة الكبار ، ولا يتجاوز وصاياها ، وأنه مستقيم ورحيم ، يكره الباطل ولا ينطق بسوء ، وأنه شجاع لا يخشى العدو ، فرمى بنفسه بين صفوفه كالسهم ، وألحق به هزيمة شنعاء ، وجنى كثيرا من الغنائم ، وأسر مائتين وستين من أقارب «روساس» (Rusas) ملك «أورارتو» الذي سرعان ما امتطى صهوة جواده ، وانطلق هاربا بجيشه ، وسرعان ما سقطت المعقل بعد ذلك ، الواحدة تلو الاخرى ، عندما أحرق الاشوريون المحاصيل ، ونهبوا مخازن الغلال ، ثم يمضى سرجون فيقول : لقد قدت حيوانات معسرى نحو الريف القريب من المدينة ، فدمرت الحيوانات المحاصيل ، فضلا عن السهول *

غير أن ملك «موساسير» mussasir — وتقع فيما بين غربى بحيرة قزوين وجنوبى بحيرة فان — قد نقض العهد الذى قطعه على نفسه أمام الالهة — آشور وشمس ونبو ومردوخ — ولم تصل هداياه ، أو يأت ليقبل قدمى سرجون ، ومن ثم فقد استحق العقاب السريع *

وهكذا تمكنت الحملة من تحقيق أهدافها ، والقضاء على أسباب الاضطرابات فى المنطقة ، على الرغم من الصعوبات الكثيرة التى واجهها الجيش الانشورى أثناء تقدمه فى المنطقة الجبلية^(٧٦) *

(٧٦) جورج كونتنينو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وأشور — ترجمة سليم التكريتى وبرهان عبد التكرينى — بغداد ١٩٨٦ ص ٢٦٠ — ٢٦٥ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٣ — ١٥٤ ، وكذا

J. Laessoe, Op. Cit., P. 113-114.

H. W. Saggs, Iraq, 20, 1958, P. 182-212.

D. D. Luckenbill, Op Cit., Parag. 139-189.

A. L. Oppenheim, JCS, 19, 1960, P. 133-147.

G Roux, Op Cit , P. 289-290

وأما بالنسبة لبلاد الشام : فإن سرجون الثانى انما يحدثنا عن تمرد فى شمال الشام تزعمته مدينة «حمّاة» (Hamath) ، وأنه استطاع أن يقضى على هذا التمرد فى «قرقر» (Qarqar) عام ٧٢١ ق.م ، كما يحدثنا عن سقوط السامرة — عاصمة دويلة اسرائيل قائلًا : «فى بداية حكمى ، وفى السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أهلها ٣٧٣٩٠ مواطنًا ، واستوليت على خمسين عسيرة من السلاح الملكى ، ثم ملأتهما بسكان أكثر مما كان فيها ، فأحلت بها مواطنين جدد ، من بلاد كنت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب : كما يفعل الاشوريون» (٧٧) .

وانطلاقًا من هذا ، فإن سقوط السامرة انما قد تم فى أوائل السنة الاولى من عهد «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) ، وأن ذلك قد حدث بعد فترة ما من ديسمبر عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، ومن ثم فربما كان ذلك فى أوائل عام ٧٢١ ق.م ، الامر الذى يتناقض مع رواية «سلمنصر الخامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م) التى تنسب سقوط السامرة الى أيامه (٧٨) ، بل ان هناك وجهًا للنظر يذهب الى أن السامرة انما سقطت فى عام ٧١٥ ق.م (٧٩) ، وهناك آخر يرى أنها سقطت فى عام ٧١١ ق.م (٨٠) .

وعلى أية حال ، فاذا كانت السامرة قد سقطت فى ربيع أو حتى خريف عام ٧٢٢ ق.م ، فقد بقيت شهور قليلة من هذه السنة ، حتى وفاة «سلمنصر» فى ديسمبر من تلك السنة ، وأن ذلك ربما قد جعل الامر

77) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II, Part, I, The Annals, P. 5.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 284-5.

وكذا

(٧٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٤٠/٢ — ٩٥٠ ، بلاد الشام ص ٣٨٦ — ٣٨٩ ، وكذا

J. Fingan, Op. Cit., P. 210.

79) BIFAO, LI, P. 27.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 342.

وكذا

80) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 210.

سهلا بالنسبة الى سرجون الثانى — فى نقوش كتبت فى فترة من عهده — من أن ينسب الى نفسه — تيتها وتفاخرا — الامر الذى قام به فى الواقع سلفه «شلمنصر الخامس» ، وأن نفى سكان السامرة انما قد بدىء به بالكاد على أيام شلمنصر الخامس ، غير أن الانجاز الفعلى لهذا النفى ، ربما كان من عمل سرجون الثانى ، دون غيره^(٨١) ، هذا فضلا عن أن سرجون ربما كان قد شارك فى احتلال السامرة مع أخيه شلمنصر الخامس ، قبل اعتلائه العرش ، ولعل من المفيد هنا أن نشير الى أن رواية التوراة انما تذهب الى أن شلمنصر قد حاصر السامرة ، وأنهم قد «أخذوها» فربما تشير صيغة الجمع هنا الى اشتراك «سرجون الثانى» مع «شلمنصر الخامس» فى نهاية الحصار ، ولكنها من ناحية أخرى ، قد تشير ببساطة الى «الجيش الاشورى» فى صيغة الجمع كذلك^(٨٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان سرجون الثانى قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية — ربما النبلاء والاغنياء — الى «حلج وخابور نهر جوزان ، وفى مدن مادي» ، وبعد سنوات قليلة — وربما فى عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق م — وبعد قتل فى سورية وفلسطين ، ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، بما فيها دمشق والسامرة ، تكررت العملية على درجة كبيرة ، ثم سرعان ما شارك سكان غربى الجزيرة العربية فى هذه الاضطرابات بنصيب كبير أو قليل ، وحين نجح العاهل الاشورى فى القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل — كما تقول التوراة — على أن يأتى بقوم آخرين ، وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم مجاميع من العرب ، حددهم النص الاشورى «بقبائل تامودى وايبا ديدى ومرسيما نو وجبايا ،^(٨٣)

81) A. T. Olmstead, AJSL, 47, P. 262.
J. Finegan, Op. Cit., P. 210.

وكذا

(٨٢) ملوك ثان ١٨/١٠ وكذا

J. Finegan, Op. Cit., P. 210, No. 291.

(٨٣) أنظر عن هذه القبائل العربية الشمالية (الويس موسل : شمال الحجاز — ترجمة عبد المحسن الحسينى — الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الرياض ١٩٨٠) .

والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء ، الذين لا يعترفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد أتوا بجزاهم لأى ملك ، سبيت الاحياء منهم ونقلتهم الى السامرة» (٨٤) .

ونقرأ في التوراة أن العاهل الاشورى قد جاء كذلك بقوم من بابل وكوث — وهى تل ابراهيم على مبعدة ٢٤ كيلا شمال شرق بابل — ومن «عوا وحماء وسفروايم ، ومن سوسة وعيلام» (٨٥) ، وربما كان الاشوريون يهدفون من وراء ذلك كسر التحالفات القديمة — بادخال أجنبى فى البلاد،ربما كانوا فى بعض الحالات من الاشوريين أنفسهم — وبداية لظروف جديدة أكثر ملائمة للامبراطورية الاشورية الطموح ، وعلى أية حال ، فمن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات ، وليس هناك من ريب ، فى أن الغزوات الاشورية انما قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة، كما أن الاحوال القديمة قد تغيرت ، واختفت المعالم القديمة ، واضمحلت المشاعر المحلية والقومية ، ودمرت الدويلات الحاجزة ، وأدى سقوط الممالك الارامنة الى اضعاف «أفرايم» (اسرائيل) وكشف سقوط الاخيرة دولة يهوذا (٨٦) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد أعاد الاشوريون تنظيم مملكة السامرة ،

84) A. L. Oppenheim, ANET, P. 296.

(٨٥) ملوك ثان ١٧/١٤ ، عزرا ٩/٢٤ .
(٨٦) عوا : مكان فى بلاد بابل غير معروف الان ، وأما «حماء» فهى مدينة على نهر العاصى ، شمال حمص ، احتلها الاشوريون حوالى عام ٧٢٠ ق.م ، وأسماها السلوقيون «ابيفانيا» ، وأما «سفروايم» ، فهما بلدتان على ضفتى الفرات على مبعدة ٢٥ كيلا جنوب غرب بغداد ، ويرى «رسام» أنهما «أبو حبة» الحالية ، ويرى آخرون أنهما «شومورية» شرقى بحيرة حمص ، وأما «سوسة» فهى عاصمة عيلام ، وهى دولة قديمة ارتبطت ببلاد النهرين بعلاقات مختلفة — ودية وعدائية — وتقع غربى مملكة فارس ، وشرقى مملكة بابل ، وجنوبى مملكة آشور وميديا .

على أنها اقليم آشوري يخضع لامرة حاكم آشوري ، ثم غزو الحاميات العسكرية الاشورية بجنود من مستوطنين ، أتوا بهم من بلاد بعيدة ، حدث لها ما حدث لفلسطين من غزو وتهجير ، وأخيرا فان هؤلاء الجدد سرعان ما تزاوجوا مع السكان الاصليين ، وهجروا تقاليدهم الى حد ما ، وظهر جنس جديد ، هم «السامريون» نسبة الى عاصمتهم «المسامرة» ، قريب الشبه بجيرانه اليهوديين دما وثقافة ، وان اختلفوا في ميولهم السياسية^(٨٧) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «سرجون الثانى» انما قد اتجهه — بعد سقوط السامرة — الى فينيقيا ، وكان «ايلو ايلي» — الموالى لمصر — هو ملك صور ، فدافع عن مدينته ضد الاشوريين وظهر كأهم شخصية فى منطقة الساحل الفينيقي فى عهد «سرجون الثانى» ويبدو أنه فرض سلطته على جزء كبير من فينيقيا ، حتى أنه حاول اخضاع قبرص كذلك^(٨٨) ، غير أن هناك من يرجح أن قبرص دفعت الجزية للملك «سرجون الثانى» ، وربما دخل قسم من الجيش الاشورى جزيرة قبرص ، كما أقيم نصب نقش عليه صورة سرجون ، ومن ثم فقد روت نصوصه أنه أخضع سبعة ملوك من اقليم «ايا» فى قبرص ، غير أن آشور لم تكن بالدولة البحرية التى تستطيع أن تمتد نفوذها على قبرص بمجهود يمينها ، كما ادعت نصوصها ، وانما يبدو أن صور وصيدا كانوا يسيطرون بالفعل على الجزيرة ، فلما دانت المدينتان لنفسوذ سرجون ، سارعوا بالتالى الى اعلان ولائهم فى قبرص ، حتى لايتصدى أعوان الاشوريين لعرقلة نشاطهم التجارى على سواحل الشام ، وفيما بينها وبين قبرص^(٨٩) .

87) C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 28-29.

(٨٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

(٨٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٤ .

هذا وتشير نصوص العام الحادى عشر الى أن «عزورى» (Izuri) ملك أشدود قد عمل على منع الجزية ، «وأرسل رسلا بالعدوات ضد آشور الى الملوك المجاورين ، ومن ثم فقد ألغيت حكمه وعينت بدلا عنه أخاه الأصغر «أهيميتى» (Ahimiti) ، غير أن الحيثيين ، هم دائما وراء الغدر والخيانة ، كرهوا حكم «أهيميتى» ، ونصبوا عليهم يونانيا ، هو «يامانى» ليس له حق فى العرش ، ولا يدرك المسئولية مثلهم ، وفى غضبة مفاجئة ، أسرعت فى عربتى — ومعى فرسانى فقط ، وهم لا يتخلون عنى حتى فى البلاد الصديقة — نحو أشدود ، فهرب «يامانى» (Ia - Ma - Ni) الى «مصر» (Musru) التابعة الان لاثيوبيا ، ولم يعرف المكان الذى اختبأ فيه ، ثم تقدمت نحو أشدود وحاصرتها، وغزت مدن أشدود ، جت (Gath) و «أشودديمو» (Asdudimmu) (٩٠) ، وأخذت معبوداتها وسكانها وذهبها وفنصتها وأمتعتها غنيمة ، ثم أعدت تنظيم هذه المدن ، ووضعت ضابطا من قبلى حاكما عليهم ، وأتيت بمواطنين من المناطق الشرقية التى أخضعتها ، وأسكنتهم هناك ، وأصبحوا مواطنين آشوريين يحملون نيرى ، وأرسل ملك أثيوبيا الذى يعيش فى بلاد بعيدة لا يمكن الوصول اليها ، ليسأل عن أبائى الملكيين ويقول : انه يسمع منذ زمن طويل عن آشور القوي ، وعن نبو ، وعن مردوك ، ان الضوء الخلاب لعظمة ملكى أعماء ، ثم ألقى (باليونانى) فى القيوود وصفه فى أربطة الحديد ، ثم ساقوه الى آشور فى رحلة طويلة» (٩١) .

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن «سرجون الثانى» انما حدثنا فى حوليات السنة الاولى أنه أخذ الجزية «من بىرو ، صاحب موصرى، ومن شمسى مملكة بلاد العرب ، ومن أتعمارا «يثع أمر» أمير سبأ ، تبرا وخيلا وجمالا» (٩٢) ، وأن أمير سبأ هذا انما كان يحكم — فيما يرى موصل —

90) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

91) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 62.

92) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargoa, 11, King of Assyria, Part, I, The Ammals, Paris, 1929, P. 5.

في شمال بلاد العرب ، على مقربة من البادية — اما في أعالي الحجاز ، أو في نجد — واما في المناطق الجنوبية من الاردن^(٩٣) ، كما يشير «سرجون الثاني» أيضا الى أنه تلقى الهدايا من ملوك ساحل البحر ، وآخرين من البادية ، تبرأ وأحجارا كريمة وعاجا وحبوبا وأبنوسا وكل أنواع العطور ، وخيلا وجمالاً^(٩٤) .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن ملوك ساحل البحر والبادية هؤلاء ، انما كانوا يحكمون أرضا واسعة ، تمتد من البحر الاحمر وحتى البادية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنهم كانوا يحكمون المنطقة التي تقع الى الشرق من مكة المكرمة ، وحتى حدود سبأ الشمالية^(٩٥) ، بل أن «هومل» ليذهب الى أن نفوذ الملك الاشوري انما قد وصل الى سبأ نفسها ، ومن ثم فقد أسرع ملكها يحمل الجزية الى سرجون ، حتى لا تقع أملاكه آخر الامر تحت سلطان الاشوريين^(٩٦) ، وأيا ما كان الامر ، فإن سرجون انما يشير كذلك الى أنه تلقى هدايا من ملك «دلمون»^(٩٧) (جزيرة البحرين) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن سرجون الثاني انما قد ذكر في معرض حديثه عن «دلمون» أنه أخضع الى سلطانه «بيت ياكين» في ساحل البحر المر الى تخوم دلمون ، والراجح أن إقليم «بيت ياكين» انما قد امتد حتى شمل دولة الكويت ، أو جزء منها ، كما أن العاهل الاشوري قد غزا ، فضلا عن ذلك ، مجسان وملوفا ، وربما للسبب التقليدي ، وهو الحصول على أحجار من «مجان»^(٩٨) .

93) A. Musil, Northern Hegaz, P. 479.

94) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

95) E. Glaser, Op. Cit., P. 260 F.

96) F. Hommel, Grundriss, P. 58.

97) J. H. Belgrave, Welcom to Bahrain, London, 1965, P. 87.

G. Roux, Op. Cit., P. 261.

وكذا

(٩٨) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٧ .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه ، أن «سرجون الثانى» لم يستقر فى عاصمة واحدة ، فلقد اتخذ فى أول أيام حكمه مدينة أشور عاصمة له ، ثم انتقل منها الى «كالح» (نمرود) ، وفى منتصف حكمه اتخذ من «نينوى» عاصمة له ، وأخيراً ، وفى السنة التاسعة من الحكم (حوالى عام ٧١٣ ق.م وربما فى عام ٧١٧ ق.م) بدأ فى بناء عاصمته الجديدة «دور — شاروكين» (Dur - Sharrukin) — أى مدينة سرجون أو حصن سرجون ، وقد اختار لها موقعا فى قرية كانت تدعى «مكانبا» ، وهى «خرسباد الحالية» على مبعده ١٦ كيلا شمال شرق نينوى ، وقد استمر بناء المدينة حوالى سبع سنين (٧١٣ — ٧٠٦ ق.م) ، ولكنه لم يتمتع بها طويلا فقد مات فى العام التالى (عام ٧٠٥ ق.م) ، وقد ترك بعض أجزاءها غير كاملة ، ولم يكتف خلفاؤه بهجرها والانتقال الى نينوى ، وانما شوهوا كثيرا من منحوتاتها ، ونقلوا بعضها الى قصورهم فطمست معالمها ، وان ظل اسمها فى ذاكرة الأجيال المتأخرة ، فلقد عرف العرب اسم «سرجون» ، وشوه الساسانيون اسم المدينة ، وأطلق عليها اسم «خسرو — أباد» أو «مدينة خسرو» ومن هنا جاء اسمها الحالى محرفا الى «خرسباد» أو «خورسباد»^(٩٩) .

(٤) سنحريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق.م)

جاء «سنحريب» (Sennacherib) (سين — آخى — اريبيا = Sin-Ahhe-eriba) بعد أبيه «سرجون الثانى» الذى مات غيلة ، على أن الامبراطورية كانت وقت ذاك تنعم باستقرار نسبى ، نتيجة لجهود سرجون العسكرية الكبيرة ، ولاسيما فى الجبهة الشمالية ، ومن ثم فقد كان عهد «سنحريب» عهد رخاء اقتصادى تمثل فى نشطائه العمرانى الذى شمل كثيرا من المدن الاشورية ، وخاصة «نينوى» التى اتخذها عاصمة له عند توليه الحكم ، بدلا من عاصمة أبيه «دور — شروكين» (خرسباد الحالية) .^{*}

(٩٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٢ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 291-292.

وقد اهتم «سنخريب» بعاصمته نينوى كثيرا ، فأعاد بناء أسوارها ببواباتها ، وبلغ محيط المدينة ثلثه المنحرف قرابة اثني عشر كيلا ، وشيد القصور والمباني الملكية في الموقع المعروف حاليا باسم «تل قوينجق» في حين تركزت المعابد في موقع «تل النبي يونس» ، وقد كشفت الحفريات التي أجريت في «تل قوينجق» عن الفن الآشوري المعماري ، فضلا عن التأثيرات السورية على الطرز المعمارية والفنية ، والتي تشير الى مدى افادة «سنخريب» من الحرفيين السوريين الذين جلبهم معه ، وأسكنهم في نينوى ، كما عمل «سنخريب» على فتح الشوارع والساحات الكبيرة وفق تصميم كامل للمدينة ، هذا فضلا عن انشاء حدائق وبساتين داخل المدينة ، زرع فيها مختلف أنواع النباتات والاشجار التي كانت تنمو في المناطق الجبلية ، فضلا عن تلك التي وصلتها الجيوش الآشورية في سورية ولبنان ، كما قام بعمل بركة صناعية كبيرة جمع فيها شتى أنواع الطيور والاسماك والحيوانات المائية ، الى جانب ارواء البساتين والحدائق .

هذا وقد اهتم سنخريب بتوصيل المياه العذبة الى نينوى ، ومن ثم فقد قام بتنفيذ مشروع ري مازال آثارها باقية ، حتى يوم الناس هذا ، فلقد أتى بالمياه العذبة الى نينوى من مكان قريب من منبع نهر «الكومل» — على مبعده ٨٠ كيلا من نينوى — أو «الجومل» (Gomel) من مجاز جبلي في «بافيان» وذلك عن طريق قناة شيدت بحجر الكلس ، ونظرا لمرورها في مناطق ، فيها الوديان وفيها المرتفعات ، فقد شيدت لها قناطر على بعض الوديان ، بلغ طول احداها ٣٠٠ ياردة ، وعرضها ٢٤ ياردة ، وقد نحت عند صدر القناة — عند القرية المعروفة الان باسم «خنس» — على وجه حجرة شاذقة صورة كبيرة للمعبودات ، وقد سجل عليها موجزا بأخبار تشييد المشروع (١٠٠) .

(١٠٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٥ - ١٥٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٣ ، وكذا
J. Loessoe, Op. Cit., P. 114.

وعلى أية حال ، فإن السلام النسبى الذى تمتعت به آشور فى أول عهد سنخريب لم يدم طويلا ، فسرعان ما اضطربت الامور فى بلاد بابل وفى بلاد الشام ، فلقد عز على بابل أن تنجب زعيما من أهلها الاصليين يستعيد لها مجدها القديم ، فتعاقب على حكمها فى عهد «سنخريب» (سينا خريب) ما لا يقل عن ستة ولاة ، ليس فيهم بابلى أصيل واحد ، ومن ثم فقد استطاع أحد العبيد أن يصل الى العرش البابلى لمدة شهر ، ثم ظهر على المسرح «مردوخ بالادان الثانى» (٧٠٣ ق م) — وكان سرجون الثانى قد أخضعه من قبل (وقد حكم فى الفترة ٧٢١ — ٧١٠ ق م) ، ثم عفى عنه بعد القضاء على حركته — غير أن «مردوخ بالادان الثانى» انما يقوم بتمرده هذه المرة (أى عام ٧٠٣ ق م) بعون من «شتروك ناهونتى الثانى» ملك عيلام ، وبعض أمراء العرب ، ولكن «سنخريب» ظهر عليهم ، فغلبهم عام ٧٠٣ ق م ، على مقربة من كيش ، ووضع حاكما من قبله ، هو «بعل ابنى» الكلدانى (٧٠٣ — ٧٠٠ ق م) الذى نشئ فى نينوى ، ولكن «بعل ابنى» Bel - Ipni عاد بدوره فثأمر مع «مردوخ بالادان» (Merodac - Baladan) والعيلاميين فاقتيد أسيرا ، ووضع دكانه «أشور — نادن — شومى» (Ashur - Nadin - Shumi) من أبناء الملك سنخريب (٧٠٠ — ٦٩٣ ق م) ، وقد حارب فى بابل وميزوبوتاميا العليا ، ثم ضد الكاشيين ، ثم لقن أهل الحدود عند ميديا درسا آخر . واضطر «مردوخ بالادان» فى نهاية الامر الى أن يهرب الى عيلام ، الاثر الذى أدى الى انشاء أول أسطول حربى كبير فى تاريخ الاشوريين ، اشترك فى بنائه صنائع من صيدا وصور وتبرص وعملوا فيه عاما كاملا فى تل ترسيب على الفرات ، وفى نينوى على دجلة ، وتحرك الاسطول الى نقطة الانطلاق برفاد «كارون» عند مدينة «ناجيتى» ، وانتهى الامر بهزيمة «مردوخ بالادان» ، ومع ذلك فلم ترسخ بابل ، وانما استمرت فى ثوراتها ، فحوصرت مدى عام ، ثم فتحت عنوة فى عام ٦٨٩ ق م ، وخربها رجال سنخريب تخريباً عنيفا ، وسلطوا نهر الفرات على أنقاضها حتى أغرقوها ، وبمنطق المنتصر المعوج لم يتورع ابن سنخريب عن تبرير هذا التخريب على

حساب البابليين المغلوبين تقولونه : «لقد كانوا من قبل يذلون الضعيف ، وشاع الطغيان في مدينتهم والمرشا والنهب ، وكان الولد يسب أباه في الطريق ، والعبد يهين مولاه ، والجارية تصعى سيدتها ، ولقد عطلوا القرامين ووضعوا أيديهم على كنوز «اساجيل» (معبد الارباب) ، وباعوا الفضة والذهب والاحجار الكريمة منه الى عيلام ، فغضب مردوك انليل الالهة ، ودبر أمره على قهر البلد وتشتيت أهلها» ، غير أن سنحريب بعد عامين من هذه الاحداث (أى في عام ٦٨٧ ق.م) ، أشرك معه في الحكم ولده «اسر حدون» وجعل منه حاكما على بابل ، وكان الامير الصغير ابنا لامرأة بابلية ، وزوجا لبابلية أيضا ، فأعاد لبابل بعضا من عزها القديم ، وحاول تجديدها ، واحياء ما تهدم من مبانيها (١٠١) .

وهناك ما يشير الى أن سنحريب انما قام بعدة حروب في غرب بحيرة وان (فان) وفي قليقيا ، وفتح المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى الساحلية ، ، وبنى في طرطوس مدينة آشورية يدير منها أملاكه هناك (١٠٢) ، ونقرأ في نص آشورى أن سنحريب قد أرسل حملة الى منطقة الخليج العربى ، نجحت في القضاء على أرض البحر (١٠٣) ،

(١٠١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ،
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 242, 246-247, 318-322, 350, 353-354.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 301-302.
S. Parpola, Iraq, 34, 1972, P. 21-34.
J. A. Brinman, in JCS, 25, 1973, P. 89-99.
G. Roux, Op. Cit., P. 294-279.
102) G. Roux, Op. Cit., P. 294-295.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 486-488

وكذا

(١٠٣) كان هناك رأى سائد يذهب الى أن أرض البحر انما هي الاغوار الواقعة الى الشمال من الخليج العربى ، غير أن هناك اتجاهات جديدة يجعلها جزءا من شبه الجزيرة العربية نفسها ، متضمنة شواطئ الخليج العربى ، حتى جزيرة البحرين ، وربما كانت تشمل كذلك النفود حتى خليج العقبة (انظر

(P. K. Hitti, History of The Arabs, 1960, P. 38.

واجباره على الفرار الى عيلام^(١٠٤) .

كان موت «سرجون الثانى» فى عام ٧٠٥ قبل الميلاد ، وتولية «سنحريب» (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) بمثابة الاشارة للثورة التى انتشرت كالنار فى الهشيم بين الولايات الموالية لآشور ، وفى هذه الاثناء تدخل «مردوخ بالادان» ملك بابل ، الذى كان يقود الثورة فى الاراضى الغربية ، بطريقة أكثر حزمًا فى السياسة اليهودية ، ونظرا لشفاء «حزقيا» ملك يهوذا (٧١٥ – ٦٨٧ ق.م) من مرضه الخطير الذى كان قد أصيب به ، وللثقة فى التخلص من قبضة الاشوريين ، فان «حزقيا» استقبل بعثة من قبل الملك البابلى ، تحمل اليه السلام ، وتحضر اليه الهدايا ، وقام حزقيا بفتح خزائنه ، ومحتويات مخازنه الحربية ، وتم التحالف مع بابل ، الذى اشترك فيه العرب وآخرون .

وأما مصر ، فقد كان لها هناك فى اورشليم حزب قوى ييغى التحالف معها ، ويطلب الحماية منها ، وينجح الان فيما فشل فيه من قبل ، فلا يسمع حزقيا لنصائح «اشعيا» النبى (٧٣٤ – ٦٨٠ ق.م) ، ولا يضيع على نفسه فرصة موت سرجون الثانى ، ومن ثم فان ملك يهوذا انما يطلب من مصر التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم مركز الشائرين ، ومساعدتهم على التخلص من النير الاشورى ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون^(١٠٥) ، فضلا عن القبائل العربية فى شمال الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) ، وفوق الجميع كانت مصر ، وأخيرا حزقيا ملك يهوذا ، حيث «عصى على ملك آشور ، ولم يتعبد له» على حد تعبير التوراة^(١٠٦) .

(١٠٤) جورج فضلو حورانى : العرب والملاحه فى المحيط الهندى – ترجمة السيد يعقوب بكر – القاهرة ١٦٥٨ ص ٣٨ .
 (١٠٥) أنظر عن ممالك مؤاب وأدوم وعمون (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٤٧/٢ – ٥٥٨ ، بلاد الشام ص ٢١٥ – ٢٢٦) .
 (١٠٦) ملوك ثان ١/٢٠ – ١٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٥ – ٣٩٦ ، وكذا
 M. Noth, Op. Cit., P. 267-268.

وهكذا انتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد في آشور لاثارة المتاعب في طريقه ، وكانت بابل تسعى لرفع نير آشور عن كاهلها ، وان لم يكتب لها نجحاً في مساعيها ، وكانت مصر تستهدف استعادة نفوذها على فلسطين ، وهكذا تجددت العداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين — مصر وأشور — في عهد سنحريب (١٠٧) *

وعلى أية حال ، فلقد نهج سنحريب نهج سلفه ، فأعاد فتاح المدن الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا ، بعد أن أعلنت صور وعسقلان المعصيان ، فسارع اليهما سنحريب وأخضعهما عام ٧٠٠ ق م ، ثم عين «أبو بعل الثاني» ملكاً على صيدا ، وحدد له الجزية التي يلتزم بأدائها ، ثم بعد ذلك قدم ملك «أرواد» و «أورملكي» ملك جبيل (بيلوس) الولاء لملك آشور ، وقام سنحريب بعد ذلك بنقل عمال فينيقيين الى عاصمته نينوى ، ليقوموا بصنع سفن لهم تشبه سفنهم ، وقد جهزت هذه السفن ببخارة من صور وصيدا ، فضلاً عن اليونانيين ، وربما القبارصة كذلك ، واستطاع سنحريب أن يقوم بهذا الاسطول لبحملة بحرية (نهرية) على الدجلة لاختضاع شعوب «بيت ياقين» أو «بيت ياكين» Bit - Iakin واليلاميين ، وأن يعود من هناك بأسرى ، وذلك في عام ٦٩٤ ق م (١٠٨) *

وفي عام ٧٠١ قبل الميلاد ، كان الجيش الاشورى قد اتجه الى فلسطين لغزوها ، واخضاع مدنها الساحلية ، الواحدة تلو الاخرى ، وفي هذه الاثناء ظهرت قوة مصرية في الجنوب الغربى من فلسطين قرب «التقية» أو «التكة» — وهى خربة المقنع الحالية ، على مبعده ٩ كيلا جنوبى عقرون ، ١١ كيلا شمالى تبنة (تمنة) — وأكبر الظن أن المصريين لم يستخدموا قوة كبيرة وقت ذاك ، وعلى أية حال ، فان سنحريب يصف منافسيه بأنهم «ملوك مصر» — أى حكام المدن — وربما كانوا

(١٠٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٦ .

(١٠٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، وكذا

G. Roux, Op Cit., P. 296-297.

دن الأتراء فضلا عن النبالة وفرسان الفرعون «طهراقا» (٦٨٩ — ٦٦٤ ق.م) ، ومن الواضح أن الإشارة في التوراة عن تدخل «ترهاقة» (طهراقا) ملك كوش ضد سنحريب ، إنما هي خطأ تاريخي ، ذلك لأن «شباكا» إنما كان ما يزال في عام ٧٠١ ق.م ، ملكا ، وأن ابن أخيه «طهراقا» لم يخلفه على العرش ، إلا في عام ٦٨٩ ق.م (١٠٩) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن قوات «سنحريب» قد اخترقت بلاد يهوذا ، وفتحت حصونها واحدا أثر آخر ، ثم احتلت سبتا وأربعين مدينة مسورة ، مع عدد من المدن الصغرى ، أو بمعنى آخر ، فإن بلاد اليهودية كلها تقريبا قد سقطت في أيدي الآشوريين ، وكل ما استطاع حزقيا الحفاظ عليه إنما كان أورشليم ، كما أن واحدة أو اثنتين من القلاع الحصينة في الجبهة الغربية استمرت تقاتل الآشوريين ، ومنها «لاخيش» التي اتجه إليها سنحريب وأحكم الحصار عليها جنوده ، وهنا لم يكن أمام حزقيا شيئا يفعل في هذا الموقف الميئوس منه إلا الخضوع لسنحريب ، والا جزية كبيرة يدفعها له صاغرا ذليلا ، ومن ثم فقد أرسل حزقيا إلى المعاهل الآشوري في «لاخيش» — ويرجح الآن أنها «تل الدوير» على بعد ٨ كيلا غربى بيت جبرين (١١٠) — يقول : «قد أخطأت ، أرجع عني ، ومهما جعلت على حملته ، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة ، وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جميع الفضة المربودة في بيت الرب ، وفي خزائن الملك» (١١١) .

ويبدو أن سنحريب قد أدرك أنه من خرق الرأى أن يترك أورشليم

(١٠٩) قاموس الكتاب المقدس ١٠٣/١ ، والتر امرى : مصر وبلاد النوبة — ترجمة نعمة حندوسة — القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 450.

M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 268.

(١١٠) أنظر

W. Albright, ZAW, 6, 1929, P. 3.

W. M. F. Petrie, Tell el-Hesi (Lachish), 1891.

(١١١) ملوك ثان ١٨/١٣ — ١٦ .

الحصينة من ورائه في يد حزقيا ، ومن هنا فقد أرسل قسما من جيشه ، تحت امرة ثلاثة من قواده لحصار اورشليم والاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ حصار اورشليم ، وأرسل ضباط سنحريب رسالة سخرية الى حزقيا الذي بدا في مدينته «كالطير في القفص» ، وانتشر الرعب بين القوم الذين خيل اليهم أن ساعة اورشليم الاخيرة قد دنت ، وافتح سنحريب لايخيش بعد ذلك ، ثم يتجه الى «التكة» لمهاجمة الجيش المصرى الذى كان يقوده «طهراقا» ، وفى أثناء ذلك حدث ما يدعو «سنحريب» الى العودة الى نينوى ، وأنقذت اورشليم ، وسمح لحزقيا بأن يحتفظ بعرش يهوذا — كتابع لاشور — وان أجبر على دفع الجزية المتأخرة ، وأن يرسل بناته ومحظياته الى سنحريب فى نينوى ، ومن المتفق عليه أن سنحريب قد أوقع على حزقيا عقابا قاسيا ، وأنه جعل سلطانه مقصورا على دويلة المدينة الصغيرة اورشليم ، واستولى منه على كل بلاد يهوذا ، التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له ، وهم «متنى» ملك أشدود ، و «سلبيل» ملك غزة ، و «بادى» ملك عقارون ، الذى استعاد سلطانه القديم ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، ٣٠ وزنة من الذهب ، ٨٠٠ وزنة من الفضة ، وأحجارا كريمة ، وكتل ألواح كثيرة من الحجر الأحمر ، ومخادع مطعمة بالعاج وغير ذلك (١١٢) .

هذا وقد اختلفت الآراء فى الاسباب التى دعت سنحريب الى العودة المفاجئة الى بلاده — خاصة وأن العاهل الاشورى لم يشر الى تلك الاسباب — ومن ثم فهناك من يجمع ذلك الى اضطراب خطير فى نينوى نفسها ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم وحمائل دروعهم ، فكانت النتيجة أنهم أصبحوا عزلا من السلاح ، ومن ثم فقد ولوا الادبار ، وسقط الكثيرون

(١١٢) ملوك ثان ١٧/١/١ - ٣٧ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 288.

M. Noth, Op. Cit., P. 268-269.

P. R. Dougherty, JBL, XLIX, 1930, P. 160-171.

K. Fullerton, AJSL, XLII, 1925, P. 1-25.

منهم صرعى^(١١٣) ، وأخيرا ترجعها التوراة الى أن «ملاك الرب قد خرج وضرب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا ، ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة ، فانصرف سنحريب ملك آشور ، وذهب راجعا وأقام في نينوى»^(١١٤) .

وهكذا بات من الصعب علينا أن نعرف أسباب عودة سنحريب على وجه اليقين ، ذلك لأن كلا من روايتي التوراة و «هيرودوت» انما تجعلها لأسباب غير عادية، فالأولى ترجعها الى قدرة «يهوه» — رب اسرائيل — ومن ثم فهي تعبر عن وجهة النظر اليهودية في هذه الاحداث ، والثانية ترجعها الى قدرة الاله «هيفايستوس» — الاله المصري بتاح^(١١٥) — وعلى أية حال ، فلتن صدقت احدي الروائتين — أوهما معا — فذلك نوع من خوارق الامور ، وان كان الامر غير ذلك ، فربما كانت هناك أسباب داخلية في نينوى نفسها ، دعت سنحريب الى العودة الى بلاده ، ليكون على مقربة من الاحداث ، وهذا ما نرجحه ونميل الى الاخذ به ، خاصة وأن سنحريب قد مات غيلة بعد ذلك^(١١٦) .

وأما علاقة الملك الاشورى «سنحريب» بالقبائل العربية في شمال غوب شبه الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) فاننا نقرأ في نقوش ولده الملك «اسرحدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق م) أن أباه «سنحريب» انما قد أخضع «أدوماتو» وأخذ أصنامها الى عاصمته نينوى ، والامر كذلك بالنسبة الى الاميرة «تبوءة» (Tabue) (تاربو) ، ويذهب «ألويس موسسل» الى أن سلطة الملكة «تعلخونو» (Telhunu) قد امتدت من دومة الجندل وحتى حدود بابل ، وأن الملكة العربية انما قد وقفت الى جانب الثوار البابليين ضد

(١١٣) هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجة ، ومراجعة وتقديم أحمد بدوي — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .
(١١٤) ملوك ثان ٣٥/١٩ — ٣٧ ، أشعيا ٣٦/٣٧ .

115) J. Laessoe, Op. Cit., P. 114.

(١١٦) أنظر : محمد بيومي مهران : اسرائيل ٢/٩٧٠ — ٩٧٨ ، بلاد الشام ص ٣٩٧ — ٤٠٠ .

سنحريب ، ومن ثم فما أن انتهى العاهل الاشوري من القضاء على التمرد البابلي، حتى اتجه الى دومة الجندل ، وفرض الحصار عليها (١١٧) .

وهناك ما يشير الى أن خلافا وقع بين «تلخونو» (تلخونو) وبين «حزائيل» (حز - ايلي) - سيد قبيلة قيدار - الذي تولى قيادة الجيوش ضد سنحريب ، الامر الذي أدى الى استسلام الملكة ، وفرار حزائيل الى البادية ، فضلا عن أسر الاميرة «تبوءة» وأخذها الى العاصمة الاشورية ، تمهيدا لاعدادها لتكون ملكة على قومها في «أدوماتو» ، تعمل بأمر آشور ، وتنفذ سياسة ملوكها فيما يختص بالاعراب (١١٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك نقشا عثرت عليه بعثة المانية يفيد تقديم هدايا من أحجار كريمة وعطور للعاهل الاشوري «سنحريب» من «كرب ايلو» السبئي ، والذي يرى العلماء فيه المركب «كرب ايل بين» (١١٩) ، وأن كان الاشوريون قد أطلقوا عليه لقب «ملك» . وهنا فليس هناك من تعاليل لهذا الخطأ التاريخي ، سوى أنهم كانوا يجهلون ألقاب الحكام في سبأ في تلك الفترة (١٢٠) ، ويبدو أن سنحريب قد حقق كذلك نجاحا على الاعراب ، كان سببا في أن يفرض نفوذه عليهم بدرجة كبيرة ، تدعو «هيودوت» الى أن يطلق عليه لقب «ملك

117) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 299.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, P. 518.

G. Roux, Op. Cit., P. 308.

A. Musill, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 480.

(١١٨) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - الجزء الاول - بيروت ١٩٦٩ ص ٥٩٢ ، وكذا

British Museum Tablets, K., 3087, 3405.

(١١٩) أنظر عن «كرب ايل بين» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ ص ٢٧٨) .

(١٢٠) جواد على : المرجع السابق ١٨٠/٢ ، وكذا

BASOR, 137, 1955, P. 10.

Encyclopaedia Biblica, 19, P. 785.

D. Nielsen, Handbuch, I, P. 76.

العرب والاشوريين»^(١٢١) أو ان كان أستاذنا الدكتور أحمد بدوى طيب الله ثراه — يرى أن أكبر الظن أن المقصود بالعرب هنا قد كانوا سكان وادى النهرين ، ومن يليهم من أهل البقاع المجاورة الذين خضعوا يومئذ لسلطان سنحريب^(١٢٢) .

ومن ثم فعلينا ألا نبالغ كثيرا في هذه الامور ، فمن المستبعد أن يكون الاشوريون قد وصلوا الى جنوب بلاد العرب ، وفرضوا الجزية على دولة سبأ ، وربما كان الأرجح أن بعض الجاليات السبئية كانت مستقرة على طول الطريق بين شمال شبه الجزيرة العربية وسورية وفلسطين ، وهذه هي التي تعرضت لغارات الاشوريين ، وحتى الجزية التي يزعم الاشوريون أنهم أخذوها من الملكات العربيات أو الامراء العرب ، انما كانت هدايا أكثر منها جزية ، وأن السبئيين انما كانوا ينظرون الى أنفسهم كأنداد للملك آشور ، أو حلفاء لهم ، وربما كان هناك تحالف بين الفريقين ضد البدو الجامحين من أبناء الشمال^(١٢٣) .

(٥) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م)

كانت نهاية «سنحريب» مدزنة ، وطبقا لما جاء في السجلات الاشورية ورواية التوراة ، فلقد اغتاله أحد أبنائه في ظروف غامضة ، وتولى العرش بعده ولده «اسرحدون» (Esarhaddon) آشور — أخا — أدين = (Ashur - aha - Iddin) ، بمعنى الإله آشور أعطى أخا ، وقد خلف لنا «اسرحدون» وثيقة يروى فيها طريقة اختياره — رغم أنه لم يكن الابن الأكبر والوريث الشرعى — للعرش ، ثم المؤامرات التي حيكت

121) Herodotus, II, 141.

(١٢٢) أحمد بدوى : هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٧١ .
(١٢٣) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤١ - ٣٤٤ ، محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق الأدنى القديم ص ١٥٢ ، فؤاد حسنين : التاريخ العربى القديم ص ٧٦ ، ٨٧ ، وكذا

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38.

ضده ، وأخيرا انتصاره على أخوته ووصوله الى العرش بعد مرحلة
الفوضى والاضطراب التي سادت البلاد حينما من الدهر (١٢٤) .

ولاشك في أن مهمة أسرحدون الاولى في تلك الظروف انما كانت
المقضاء على الفتن والاضطرابات التي وقعت - وخاصة في الجيوش -
بعد اغتيال سنحريب ، فضلا عن التمرد الذي وقع في بعض الاقاليم
التي استغلت فرصة الاضطرابات ، غير أن السياسة التي اتبعها
اسرحدون في معالجة المشكلة البابلية كانت تختلف اختلافا كبيرا عن
سياسة والده ، ولعله أفاد من الاخطاء التي وقع فيها أبوه . نرى جانب
ممارسته الفعلية في حكم بابل في عهد أبيه . فإذا أضفنا إلى ذلك
- ما أشرنا اليه من قبل - من أن اسرحدون انما كان ابن لأميرة بابلية .
وزوجا لأخرى بابلية ، لكان من الطبيعي أن يتبع الرجل مع بؤن بابل
سياسة اللين والترحيب ، فعمل على احيائها واعادة تعمير ما كان أبوه
قد دمره ، كما أعاد للسكان أملاكهم التي كانت قد سلبت منهم أثناء
سيطره القبائل الكلدية ، ثم ولى عليهم ولده الاكبر «شمش سوموكن» .
وتجاوز عن سلطان الكلدانيين في أرض البحر ، مع طاعتهم لولده . وربما
لم يفعل ذلك بدافع العاطفة وحدها ، وانما بدافع الرغبة في استفرغ
لتنفيذ حلمه الكبير بغزو مصر ، وأيا كان الهدف من وراء هذه السياسة
فالذي لا ريب فيه أنها وجدت قبولا حسنا . ونجحا كبيرا بين صفوف
البابليين ، حتى غدت بابل نفسها قاعدة عسكرية للقوات الاسورية في
مواجهة الاخطار المتوقعة من الشرق دائما ، كما لم تلق محاولات حكم
عيلام في احتلال بابل وتحريض القبائل ضد الاشوريين أي صدى عند
البابليين .

وأما في الجبهة الشمالية والشمالية الغربية فقد كانت بعض القبائل
السيثية (Scythian) قد توغلت في المنطقة ، كما عادت الى الظهور بعض

(١٢٤) ملوك ثان ٣٦/١٩ - ٣٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 299.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 290.

الكميرية (Cimmerian) ، فوقعت بينها وبين القوات الاشورية صدامات مسلحة ، في حين أبرمت معاهدات صداقة مع بعض الامراء الميديين Medes ، ويبدو أن السياسة العامة التي اتبعها اسرحدون في معالجة المشاكل هي الجنوح للسلم ، كلما كان ذلك ممكنا ، حتى وان اقتضى الامر خسران بعض الاقاليم (١٢٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن اسرحدون لم يتبع سياسة اللين هذه في بلاد الشام ، ويحدثنا التاريخ أن ملك صيدا «عبد ملكوتى» — خليفة أتوبعل الثانى الذى عينه سنحريب ملكا على صيدا — قد ظن أن في وسعه أن يستقل بصيدا ، ومن ثم فقد ارتبط ببعض الامراء المجاورين في حلف أدرك أهدافه «اسرحدون» فعجل بالقضاء عليه ، وباعت المحاولة بالفشل ، بعد أن أغتصبت صيدا في عام ٦٧٨ ق.م ، وعوملت بقسوة حتى لا تعود لمثلها ، وحاول «عبد ملكوتى» الفرار بحرا ، ولكنه أقتيد أسيرا ، «وصيد كالسمكة من البحر» ، ثم أعدم ، وانتقم اسرحدون من أهل صيدا أبشع انتقام ، فدمر المدينة ، وهدم عمرانها ، ودك بيوتها ، وأطاح بتدصيناتها وأسوارها ، وقذف بأحجارها في البحر ، وكانت هذه الكارثة أول الكوارث التي تواتت على صيدا عبر التاريخ .

وسرعان ما أمر اسرحدون سكان صيدا بالانتقال عنها الى بلاده ، وأحل محلهم أقواما من الخليج العربى ، أو من شرق الامبراطورية الاشورية ، وأمر بتعمير مدينة جديدة في موضع صيدا أسماها «كار — اسرحدون» أى «مدينة اسرحدون» ، وان ذهب «فليب حتى» الى أنها

(١٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ ، وكذا

J. Nougayrol, AFO, 18, 1958, P. 314-318.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-302.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 639 F.

مجرد حصن آشوري أقامه اسرحدون ، بجانب موقع صيدا ، بقصد
القاء الرعب في قلوب أهل صيدا (١٢٦) *

وأيا ما كان الامر، فلقد كانت معاملة اسرحدون اديفة صيدا ، آثارها
الشديدة على المعارضة الفينيقية ، ضد الاشوريين ، ومن ثم فقد رأينا
«ياكين أرسل» ملك أرواد يسلم مدينته — فضلا عن ابنته — للعاهل
الاشوري ، كما خضعت مدن فينيقية أخرى — تحت زعامة «بعل» ملك
صور — لاسرحدون ، ووقعت معاهدة بين «بعل» واسرحدون ، غير أن
ملك صور سرعان ما مزقها حين شعر بأن الوقت أصبح مناسباً لنزع
النير الاشوري *

وهناك نصب عند نهر الكلب — على مقربة من نصب رعمسيس
الثاني (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق.م) يمثل اسرحدون واقفا بتيه وفخار ،
قرب كتابة أثرية تروى خبر الاستيلاء على منف وعسقلان وصور ، وفي
نصب آخر في «زنجري» (سما القديمة) — عند عينتاب في شمال
سورية — يقف اسرحدون ممسكا بحبل ربط به «بعل» ملك صور ،
و «طهراقا» ملك مصر ، من الانف ، وان كان من المؤكد تاريخيا أن
«طهراقا» لم يقع أبدا في الاسر ، ومن ثم فالمراد من النصب الدعاية
والتفاخر الكاذب (١٢٧) *

(١٢٦) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ١٥٩ — ١٦٠ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣٠ ، يوسف مزهر : المرجع السابق
ص ٥٠ ، فيليب حتى ، المرجع السابق ص ١٥٥ ، عبد العزيز سالم :
المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ ، وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 29.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 289-290.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 527-528.

(١٢٧) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 582-585.

R. Mouterde, Le Nahr el-Kelb, Beirut, 1932, Pl. VI, P. 18.

A. T. Olmstead, History of Assyria, N. Y., 1923, P. 384.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 499.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-301.

R. Borger, Op. Cit., P. 107-109.

وأما عن دويلة «يهودا» فتحدثنا التوراة أن «منسى» ملك يهوذا (٦٨٧ — ٦٤٣ ق.م) قد سبى الى بابل ، ثم أعيد مرة أخرى الى عرشه ، وليس هناك وثائق آشورية تؤكد ذلك ، وان كان هناك ما يشير الى أن اسرحدون قد استدعى مجموعة من مواليه الصغار — ومنهم منسى — للمساهمة في بناء القصر الملكي ، ولكن ليست هناك أية اشارة الى اعادة «منسى» الى عرشه ، وعلى أية حال ، فان هذا الامر الاخير انما قد حدث مع الامير المصري «نخاو» أمير «ساو» (سايس) ، ومن ثم فليس من الغريب أن يحدث مثل ذلك مع «منسى» ، حين تأكد الاشوريون من ولائه لهم ، غير أن الشيء المميز للنص التوراتي أنه يعزو حرية منسى وعودته الى عرش يهوذا الى خضوعه لرب اسرائيل (يهوه) ، وبدهى أن هذا ليس صحيحا ، كما أنه لا يتفق وسيرة منسى وأعماله الدينية ، كما قدمتها التوراة نفسها ، وحتى أن كثيرا من الباحثين انما يرون في منسى وما تم في عهده من مخالفات دينية انما كان سببا في سقوط اورشليم ونفى يهوذا (١٢٨) .

وأما عن علاقة اسرحدون بمملكة أدوماتو (دومة الجندل) ، فلقد أتى «حزائيل» — سيد قيدار ، والذي كان قد فر الى البادية عند سقوط أدوماتو في يد سنحريب — أتى الى نينوى ، وقدم فروض الطاعة الى اسرحدون ، الذي رد اليه أصنام قومه التي كان أبوه «سنحريب» قد أخذها أسيرة الى نينوى ، وان كان اسرحدون قد حرص على أن يسجل عليها تفوق اله آشور ، وأن ينقش عليها اسمه الشخصي ، فضلا عن تعيين الاميرة «تبوءة» ملكة على دومة الجندل ، الامر الذي لم يقدر له ما تمناه الاشوريون من نجاح للاميرة العربية ، بسبب العداء العميق

(١٢٨) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٧٨/٢ — ٩٨٠ ، ملوك ثان
٣/٢١ — ٧ ، ٢٦/٢٣ — ٢٧ ، ارمياء ٤/١٥ ، جون الدر : المرجع السابق
ص ١٠٤ — ١٠٥ ، وكذا

W. F. Albright, Op. Cit., P. 79.
C. Roth, Op. Cit., P. 35
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 295.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 293-294.

بين العرب والاشوريين ، والذي ما كان في استطاعة «تبوءة» — وربما عدم رغبته — في التضاء عليه (١٢٩) .

ولعل هذه العوامل هي التي دفعت اسرحدون الى أن يعيد «حزائيل» الى زعامة قيidar ، في مقابل جزية قدرها خمسة وستون جملا ، وعشرة مهور ، أكثر من ذي قبل ، وأن يعهد بالامر نفسه الى ولد حزائيل المدعو «ياتاع» بعد وفاة الاب في عام ٦٧٥ ق م ، وان زاد الجزية الى الف «منا» من الذهب ، فضلا عن ألف حجر كريم ، وخمسين جملا ، ومائة زكيبة «كونزو» ، مع عطور أكثر مما كان يدفع أبوه (١٣٠) .

ولنقرأ هذا النص الاشوري : «من أدوماتو قلعة العرب ، التي فتحها أبى سنحريب ، ملك آشور ، وأخذ كل ممتلكاتها وتمثيلها غنيمة ، وجاء بها الى آشور ... جاء حزائيل ملك العرب بهدايا كثيرة الى نينوى ، مدينة حكمى ، وقبل قدمى ، وألتمس أن أعيد التماثيل ، وأخذتني به شفقة ، فأصلحت ما حل بصور المعبودات وآلهة العرب وأعدتها معه ، بعد أن سجلت عليها قوة آشور ربى ، كما سجلت عليها اسمى ، وجعلت «تاربو» (تبوءة) التي تربت في قصر أبى ملكة عليهم ، وأعدتها الى بلادها مع آلهتها ، وفرضت عليه (حزائيل) جزية اضافية ٦٥ جملا ، ١٠ مهور ، أكثر من ذي قبل ، ولما مات حزائيل وضعت ابنه «ياتاع» مكانه ، وفرضت عليه جزية اضافية : ١٠ مينا من الذهب ، ١٠٠٠ قطعة من أحجار «بيوتى» ، ٥٠ جملا ، ١٠٠ زكيبة «كونزو» مع عطور ، أكثر مما كان يدفع أبوه ، وبعد ذلك حرض «وهب» العرب على الثورة ضد «ياتاع» الا أنه كان طامعا في الملك ، ولكنى أنا اسرحدون ملك آشور ، محب العدالة ، الذي يعد الاندراف دنسا ، أرسلت جيشي

(١٢٩) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٣

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 291.

— ٣٤٤ —

D Wiseman, The Vassal-Treaties of Isarhaddon, London, 1958, P. 4.

(١٣٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور

القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٤ .

لمساعدة «ياتاع» ، واستطاع الجيش أن يخضع كل العرب ، وأمسكوا بالمدعو «وهب» ومحاربيه في القيود ، وجاءوا بهم الى ، فوضعت أطرافنا في رقابهم ، علقتهم على قائم بوابتي» (١٣١) .

على أن القيداريين سرعان ما عادوا الى الثورة من جديدة — وبقيادة ياتاع نفسه هذه المرة — غير أن ثورتهم لم يكتب لها ما تمناه الثوار من نجاح ، فلقد استطاع الاشوريون القضاء عليها ، واضطر «ياتاع» الى أن يغادر مخيمه لينجو بنفسه ، ففر وحيدا ، وصار الى الاصقاع البعيدة .

وهكذا كان البدو شوكة في جنب الدولة الاشورية ، تدفعهم مصر وبابل الى الثورة ، فان فشلوا كان في رحاب البادية خير مأوى يتوارون فيه عن الانظار ، فتعجز جحافل الاشوريين عن مطاردتهم ، وكانت البادية دائما موطن البلايا والمحن التي يبتلى بها المغازي (١٣٢) ، وهكذا ما كان الواحد منهم تظاً قدماء شمالي بلاد العرب ، حتى تزوعه البلايا ، ومن ثم يصور له ذعره الشديد «آفات ذات رأسين ، فضلا زحافات مرعبة تدف بأجنحتهما» (١٣٣) ونقرأ في التوراة عن نهائم الجنوب ، «الأفعى» والثعبان السام الطيار» (١٣٤) ، ويؤكد «هيرودوت» أن الأفاعي منتشرة في كل بلاد العالم ، غير أن الحيات لا ترى الا في بلاد العرب (١٣٥) .

ونقرأ في نصوص اسرحدون عن دملة أخرى ضد قبائل عربية تنزل

131) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298-299.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

وكذا

A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 22.

J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1963, P. 832.

(١٣٢) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٢ — ٥٩٤ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit, P. 916, 946.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38-39.

133) D. Luckenbill, Op. Cit., II, Parag. 558.

(١٣٤) أشعيا ٣٠ / ٦ .

135) Herodotus, III, 109.

أرض «بازو» Bazu. و «حازو» Hazu (١٣٦) ، وهما موقعان يقوم على تحديد مكانهما جدل طويل ، فالتوراة تتحدث عنهما ، (وهما هنا بوزا وحزوا) على أنهما من أولاد ناحور (١٣٧) ، أخى إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم فربما كان للأول صلة بأرض «بيوز» (١٣٨) ، وان ذكر «بيوز» بعد «ددان وثيماء» في سفر ارمياء (١٣٩) ، قد يفيد أنها كانت من مجاورتهما ، على أن هناك من يرى أنها «بازو» التي جاءت في نص سنحريب ، ومن ثم فهي العربية الشمالية ، على أن آخرين انما يذهبون الى أنها تقع في جنوب شرق الجوف (١٤٠) .

هذا ويذهب «ألويس موسيل» — طبقا لما جاء في النص الاثوري عن بازو — الى أنها تقع في غرب وجنوب «تدمر» في وادي السرحان عند الحدود الشرقية لسوران ، وأن «حازر» انما تقع في شرق وادي السرحان ، فضلا عن المنطقة الجبلية الى الشمال منه ، وأن الجيش الاثوري انما سلك طريقه الى هذه المناطق ، تلك الطرق التجارية المارة من الحواف الشرقية لحوران الى دمشق (١٤١) ، على أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب الى أنها في داخل بلاد العرب ، بينما يذهب وجه خامس للنظر الى أنها «نجد» وأن البادية التي تحدث عنها اميرحدون انما هي «النفوذ» ، وأما «حازر» فهي الاحساء (١٤٢) ، وأخيرا فلقد ذهب «رولنسون» الى أنها ربما كانت امارة الحيرة ، وما يتصل بها حتى جبل شمر (١٤٣) ، بينما اختار البعض أنها انما تقع في الميامة .

136) A. Musil, Op. Cit., P. 482.

- (١٣٧) تكوين ٢٢ / ٢ - ٢٢ .
 (١٣٨) قاموس الكتاب المقدس ١ / ٢٥٥ ، ٢٧٣ .
 (١٣٩) ارمياء ٢٥ / ٢٠ - ٢٤ .
 (١٤٠) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٧ ، وكذا EB, P. 615.
 A. Musil, Op. Cit., P. 483-484.
 141) S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 18.
 A. Musil, Op. Cit., P. 484.
 142) Ptolemy, V, 19, 2.
 J. H. D. Belgrave, Op. Cit., P. 96.
 G. Rawlinson, The Five Great Monarchies, II, P. 470.
 (١٤٣) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٥ - ٥٩٩ .

على أن أخطر غزوات اسرحدون ، تلك التي قام بها ضد «مصر»
 — أرض الكنانة — غلقد كان الملك المصرى «طهراقا» (٦٩٠ — ٦٦٤ ق.م) هو الذى ينظم المقاومة ضد الاشوريين فى غربى آسيا ، ويتعاون مع امرائها — خاصة أمراء صور وصيدا — فى صد الاشوريين ، وكان من الواضح أنه منذ زمن بعيد كان يجب الوصول الى ما يحسم الامور بين البلدين — آشور ومصر — وكان «اسرحدون» قد جند كل إمكانات آشور لمهاجمة مصر فى عام ٦٧٧ ق.م ، وربما الأرجح فى عام ٦٧٤ ق.م ، ولكنه لقى هزيمة نكراء بعد معركة دموية — كما روت المصادر البابلية — ونجت مصر من الغزو الاشورى ، ولكن الى حين ، ذلك لان هزيمة اسرحدون كانت قد توصلت الى درجة أفقدت الجيوش الاشورية هيبتها ، وشجعت الدول التابعة لها على محاولة التخلص من سيادتها ، مما اضطر اسرحدون الى الاستعداد لمحاولة الغزو ، حرصا على سمعة امبراطوريته ، وانتهازا لفرصة اطمئنان «طهراقا» الى أن هزيمة آشور بلغت حدا جعلها لا تفكر فى العودة الى غزو مصر ، كما جعلت الامراء السوريين — وعلى رأسهم بعل صور — ينضمون تباعا الى طهراقا ♦

وهكذا ظهر اسرحدون فى سورية فجأة فى عام ٦٧١ ق.م ، فعاقب ملك صور على انضمامه لمصر ، ثم تقدم نحو مصر عن طريق سيناء ، بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه ، وكانوا أدلاءه فى السير حتى وصل وادى طميلات ، ثم الى منف ، حيث قاتل دون انقطاع فى معارك دموية ضد طهراقا ، ونجح فى احتلال منف وتدميرها والسيطرة على مناطق الدلتا ، واضطر طهراقا الى الاتجاه الى الجنوب ، وظن اسرحدون أن مصر دانت له ، ووزع الامراء الذين رأوا فى انتصاره فرصة لاسترداد حريتهم على حساب طهراقا ، فعين «نخاو» ملكا على سايس ومنف ، وأمن الملوك الصغار فى مصر السفلى والوسطى ، وغير كثيرا من أسماء المدن المصرية الى أسماء آشورية ، نسبها الى آلهة بلاده ، وصور رجاله طهراقا جاثيا أمامه مخزوما من أنفه بحبل يرجو عفو ، مع أن طهراقا لم يقع فى قبضته ولم يهادنه أبدا ، بل وأمر بترحيل جماعات من الاطباء والبيطريين والسحرة والكتبة

والموسيقيين ، بل والحدائين وصانعي الجعة والخبازين ، ومن لف لفهم الى عاصمته نينوى •

غير أن صدمة الغزو ، ووقوع مصر — ولأول مرة في تاريخها المجيد للغزو الاجنبى ، اذا سلمنا بأن وجود الهكسوس في مصر منذ قرابة ألف عام، كان تسللاً، ولم يكن غزواً كان عنيفاً — ولقيت أرض الكنانة من آشور أشد أنواع القسوة والهمجية، وهنا نرى المصريين كل شيء، إلا أن عنصراً أجنبياً غزا بلادهم ، واتصل امراء الدلتا بالملك طهرقا في طيبة (الاقصر) طالبين منه أن يزحف الى الدلتا ، وسوف يجد في كل مكان من الذخيرة والامكانات البشرية والمادية ، ما يقوى به جيشه ، ولربى طهرقا النداء ليخلص الدلتا ومنف من ذل الاستعمار ، ويعزل الامراء الذين خضعوا لملك آشور ، ويعلم اسرحدون بما حدث ، ويجن جنونه ، ويخرج في حملة جديدة في عام ٦٦٩ ق م ، ولكنه يموت في «حران» ، وهو في طريقه الى مصر (١٤٤) •

(٦) آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق م)

خلف «أشور بانيبال» (Ashurbanipal) (أشور — بان — ابل = Ashur-ban-Apli) بمعنى (الاله آشور خالق الابن) — أباه في عرش آشور ، وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات اللازمة لتفسيادى ما قد يحدث من مؤامرات كالتى حدثت في عهد أبيه ، ففى عام ٦٧٢

(١٤٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٥ - ٦٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٣١٦ وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 293-294.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 584-585.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, P. 103.

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, P. 391-392.

A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1965, P. 209.

ق.م ، أعلن اسرحدون في اجتماع كبير في العاصمة ، حضره حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين ، عن تعيين ولده «أشوربانيبال» وليا للعهد على بلاد آشور ، وتثبيت ولده الثانى «شمش شوم أوكن» وليا للعهد على بلاد بابل ، وذلك بعد أن أخذ موافقة العائلة الملكية وموافقة الالهة القومية ، ثم طلب من الحكام والقادة أن يقسموا اليمين أمامه ، معترفين بهذه الترتيبات ومعاهدتين الملك على تنفيذها ، كما أخذت وثائق مكتوبة تثبت جميع الترتيبات ، وحددت العقوبات على كل من يحث بيمينه أو يغير من وصية الملك أو يعمل على عدم تطبيقها ، وقد نفذت الترتيبات بعد وفاة اسرحدون ، فاعتلى «أشوربانيبال» عرش آشور ، بينما اعتلى أخوه «شمش — شوم — أوكن» (Shamash-Shum-Ukin) عرش بابل (١٤٥) .

غير أن تقسيم الدولة على هذه الصورة ، لا بد وأن يؤدي — ان عاجلا أو آجلا — الى أن تنور المطامع في نفس كل من الاخوين ، فيحاول كل منهما أن يغتال نصيب الآخر من هذه الدولة المترامية الاطراف ، وهو أمر كان له — كما سنرى — أثره في تمزيق الدولة ، بل وفي ضياعها آخر الامر ، ومع ذلك فإن المرحلة الاولى من عهد «أشوربانيبال» انما تكاد تمثل الذروة في سلطان الامبراطورية الاشورية ، ولكن لم تحل خاتمة القرن السابع قبل الميلاد ، حتى نشهد الانهيار التام على أيدي الميديين .

وعلى أية حال ، فلقد وصف «أشوربانيبال» بأنه كان أديبا ميالا للعلوم ، فارسا مغوارا ، وقائد عربات لا يشق له غبار ، يعرف كيف يصوب للهدف بقوسه وسهامه ، كما تعلم ممارسة السياسة والادارة حتى أتقنها على خير وجه ، وقد فرغ لهذه الشؤون جميعا ، وخاصة خلال خروج أبيه الى حروبه ، فلقد كان اسرحدون يترك شئون البلاد — أثناء خروجه لحروبه — الى زوجته الملكة «نيكوا» التي كانت تشرك

(١٤٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 304.

معها ولدها «أشور بانينال» اشراكا فعليا في ادارة شئون الدولة (١٤٦) *

وفي عام ٦٦٦/٦٦٧ ق.م ، جمع «أشور بانينال» جيشا من الاشوريين والاسوريين وخرج به الى مصر ، حيث هاجمها برا وبحرا ، وسرعان ما التقى مع جيوش «طهراقا» في معركة مكشوفة رهيبه ، تحقق له النصر فيها ، وانسحب «طهراقا» الى الجنوب مع قلة من قواته ، وقد وجد «أشور بانينال» أن الملوك الذين عينهم أبوه من قبل قد هربوا ، وأنه يحتاج الى اعادة تعيينهم ، وتقدم اسطوانه «رسام» المشهورة قائمة بأسماء هؤلاء الامراء الصغار ، فضلا عن المدن الهامة وبعض مدن مصر الوسطى كاهناسيا والاشمونين وأسيوط ، ثم يتبع الاشوريون طهراقا الى طيبة — معقل الوطنية المصرية العتيقة — ورغم دفاع أبنائها — الشجاع والمستमित — استولى الاشوريون عليها ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وان نجت من التخریب ، وهكذا تم احتلال طيبة — ولأول مرة في التاريخ — وفر طهراقا الى نباتا ، ومع ذلك فلم يستطيع الاشوريون البقاء في الصعيد ، وفضلوا — وربما الاصح أنهم اضطروا — الى تركه لأهله ، واكتفوا بأخذ الجزية ، مفضلين البقاء في الدلتا ، وهنا بدأت الحركات السرية تنتشر في الصعيد والدلتا ، ومالبث الامراء المصريون أن غافقوا لانفسهم *

ومن أسف أن أمر الثورة قد كشف ، وأعمل الاشوريون السيف في مدن هؤلاء الامراء الثوار «ولم يستثنوا واحدا من تانيس والمدن الاخرى التي تعاهدت على الثورة» فشنقوهم على الاسوار ، وسلخوا جلودهم وغطوا بها أسوار المدن ، وأرسلوا زعماء الثورة الى نينوى مفقدين في الحديد ، حيث أهلكوا جميعا ، ولم يستثن غير «نخاو الاول» أمير ساو ، ربما لأنه اكتسب ود الاشوريين ، وربما لأنه وريث الأسرة الرابعة والعشرين ، وسليل أكبر بيت منافس لطهراقا ، ومن ثم فقد أبقوا عليه ، وقربه اليه «أشور بانينال» وخلع عليه وسلمه عددا من

(١٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

أختامه الذهبية ، وأهداه هدايا كثيرة مرموقة باسمه ، وعين ولده «بسماتيك» (وهو الذى سيقدر له أن يطرد الاشوريين من مصر) أميرا على «أتريب» ، بل وأعطاه اسما آشوريا *

وعلى أية حال ، فلقد هدأت الدلتا ، أما الصعيد فكان يغلى كالرجل ، ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد الغازى الاشورى ، ولكن التوجيه كان ينقصه ، فولى وجهه شطر الجنوب ، وكان طهرقا قد مات ، وهو الذى كان فى نظر الكهنة فى طيبة ومنف — فضلا عن الصعيد — الحاكم الشرعى للبلاد ، يؤرخون الاثار باسمه ، ومن أيام حكمه ، وان كان هناك من يدعى الملك فى «ساو» ، فضلا عن الحاميات الاشورية ومن يدورون فى فلكها (١٤٧) *

وخاف طهرقا على عرش مصر والنوبة ، شاب متحمس يدعى «تانونت أمانى» (٦٦٤ — ٦٥٦ ق م) فلبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا اتجه به الى الشمال ، حيث قوبل على طول الطريق بالتهليل والترحاب ، ونظروا اليه نظرتهم الى المنقذ من الغزاة الاشوريين ، حتى وصل منف وحاصر القوات الاشورية وسيطر عليها ، وطبقا لما جاء فى «لوحة الحلم» ، فلقد أتى اليه أمراء الدلتا ، وقدموا له آيات الولاء ، فسمح لهم بالعودة الى أقاليمهم ، ومباشرة شئونها *

وسرعان ما علم الملك الاشورى بذلك ، فأرسل جيشا الى مصر فى ٦٦٤/٦٦٣ ق م ، طوق به «تانونت أمانى» فى منف ، ففر الى طيبة ، حيث تبعه الاشوريون ودخلوا طيبة وهدموها ، على الرغم من مقاومة

(١٤٧) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣١٠ — ٣١٣ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٧ — ٦٢٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 294.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1968, P. 585.

G. Roux, Op. Cit., P. 304-305.

H. Von Zeissl, Athiopen und Assyr in Agypten, 1944, P. 39-40.

أهلها الصعادية القوية ، وشجاعة أميرها «منتومجات» ، واضطر «تانوت أمانى» الى الفرار الى «نباتا» ، فقام الاشوريون بأكبر عملية سلب ونهب فى تاريخ المدينة القديم ، وربما كانوا أول من سرق المسلات المصرية ، كما لم تسلم تماثيل الفراعنة من عبثهم ، حيث يسجل الملك الاشورى على نفسه أنه اغتصب ٦٥ تمثالا ، سجل عليها انتصاراته ، وربما نقلها الى بلده كذلك .

وقد دوى صدى مأساة سقوط طيبة فى أيدي الاشوريين فى العالم القديم كله ، ذلك لان الشرق القديم لم يكن بقادر على أن ينسى — أو حتى يتناسى — أن طيبة ظلت كبرى عواصمه السياسية والمدنية طيلة عدة قرون ، وأن عمارتها الدينية كانت — وماتزال — أكبر من أن تدانى، وهكذا كان احتلالها وتدميرها عنوة ، جعل النبى العبرانى «ناحوم» (٦٥٠ — ٦٢٥ ق م) يتخذ منه — بعد نصف قرن — العبرة على أن نبينوى الاشورية ، لم ولن تكون أعز من طيبة المصرية ، المنيعه برجالها، الحصينة بمياهها (١٤٨) .

وأما فينيقيا ، فلقد حوصرت صور على أيام «أشور بانينال» للمرة الثالثة ، فأقامت الحصون الدفاعية على الارض الرئيسية ، ووضعت

(١٤٨) محمد بيومى مهران : حركات التحرير ص ٣١٣ — ٣١٦ ، مصر ٦٢٩/٣ — ٦٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، ناحوم ٨/٣ — ١٠ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, Parag. 919-934.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 347-348.

G. Roux, Op. Cit., P. 305-306.

K. A. Kitchen, Op Cit., P. 394.

H. Schafer, ZAS, 35, 1897, P. 67-69.

PM, VII, P. 396-397.

Urk, III, 1905, P. 57-77.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P: 294-295.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 772.

A. Spalinger, Assurbanipal and Egypt, JAOS, XCIV, 1974, P. 318-328.

L F. Hartmann, JNES, 21, 1962, P. 25-37.

المتاريس في كل الطرق. — برا وبحرا — اضطر أهلها المحاصرون. أن يشربوا من ماء البحر ، كما اضطر بعلمها الى أن يستسلم في ظروف قاسية ، وفي صورة تدعو الى الشجن ، اذ سلم اينته وبنات أخيه الى العاهل الاشوري المنتصر ، كزوجات تحمل كل منهن بائنيتها الضخمة ، كما سلم ولده «ياحي ملكي» (Iahimilki) .

وكان هذا أكثر مما يطمع فيه آشور بانينال ، فرد الابن ، اذ لم تكن له به حاجة ، واكتفى بالنساء اللواتي ضمنهن الى حريمه ، واستولى الاشوريون على خيرات صور ، وعلى أسطولها الذي استخدموه في اخضاع «ياكنلو» (Iakinlu) ملك أرواد ، الذي اضطر في نهاية الامر الى أن يستسلم ويبحث بابنته الى نينوى محملة بالهدايا ، ولم تحتل أرواد هذه المهانة فشاعت ملكها ، واضطر أبناؤه العشرة الى الاتجاه الى بلاط «أشور بانينال» يحملون الهدايا ، وكل منهم يطمع في أن يوليه «أشور بانينال» في مكان أبيه ، واستطاع أحدهم وهو «عزي بعل» (Iziba'l) أن يحقق الهدف وأن يجلس في مكان أبيه على عرش أرواد (١٤٩) .

وأما بلاد العرب الشمالية ، فهناك ما يشير الى أن «ياتاع» الذي كان قد فر على أيام «اسرحدون» سرعان ما عاد الى الظهور على أيام «أشور بانينال» مظهرا الولاء للعاهل الجديد ، الا أنه سرعان ما أعلن الثورة من جديد ، منضمًا الى أخى الملك «أشور بانينال» المدعو «شمس شوم أوكين» ، ويحدثنا «أشور بانينال» أن التأثير الجديد ، «ملك عريبو» (بلاد العرب) : «قد نقض الاتفاق الذي تحميه الاقسام لى ، ولم يذكر أنى عاملته برحمة ، بل نزع نير حكى الذي كان الاله

(١٤٩) نجيب ميخائيل : سورية ص ١٣٠ - ١٣١ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 295-296.

JAOS, LXI, 1941, P. 258.

AFO, XIII, 1940, P. 233.

G. Roux, Op. Cit., P. 306.

أشور قد أحله فوقه ، وتخلص من الجبال التي كان يجرها * * وامتنع
عن تقديم الهدايا والجزى الكبيرة ، واستمع — كما فعلت عيلام — الى
دعاية الثورة التي شنتها أكد ، ولم يكثرث بالايمان التي كان قد أقسمها
لى ، أنا أشور بانبيال ، الكاهن المقدس ، الضادم والدائم للصلاة
والابتهال الى الآلهة ، ذلك الذى صاغته يد الاله أشور نفسه ، واستسلم
بقواته التي «ابياتى» (Abiate) و «عامو بن تيرى» (Aamu Son of Te'ri)
وسلعهما على مد يد المساعدة لأخى الشرير «شمش شوم أوكين»
وحرض سكان بلاد العرب على الانضمام له ، ثم أخذ ينهب الشعوب
التي منحى اياها أشور وعشتار وبقية الآلهة العظام ، لتصبح تحت
قبضتى ، ولأكون راعيا لها (١٥٠) *

وعلى أية حال ، فلقد نجح «أشور بانبيال» فى عام ٦٤٨ ق م فى
القضاء على الثورة ، واضطر «ياتاع» الى الاختفاء فترة من الوقت عند
أحد الامراء ، والذي اضطر آخر الامر الى أن يسلم «ياتاع» وزوجه
«أديا» (عديا = Adia) الى «أشور بانبيال» ، حيث وضع فى قفص
ليعرض على الناس عند أحد أبواب نينوى ، ويتسول الملك الاشورى
«لقد حبسته فى مربوط الكلاب ، ووضعته مع بنات آوى و الكلاب ، وأقمته
عند حراس الباب فى نينوى» ، وأما «ابياتى» الذى أمسك بقدمى لانقذ
حياته ، فقد أخذتني به المرافة ، فجعلته يقسم بكبار الآلهة ، ثم عينته
بدلا من ابن حزائيل ، كملك على بلاد العرب» (١٥١) *

-
- (١٥٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٧
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 297-298.
وكذا
D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 880.
M. Streck, Assurbanipal und die Letzten Assyrischen Könige Bis Zum
Untergang. VAB, VII, Leipzig, 1916, P. 139 F.
(١٥١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٧ - ٣٤٨ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 819.
A. Musil, Op. Cit., P. 88-65.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298.
M. Streck, Op. Cit., P. 135 F.

وأما عن الاعراب ، فان آشور بانبيال يقول عنهم «اشتدت عليهم
وفاة الجوع والعطش ، ولكي يسدوا رمقهم ، أكلوا لحوم صغارهم ،
وشقوا الجمال وشربوا دماءها ، كما شربوا الماء الملوث ليطفئوا ظمأهم ،
ولم يفلت أحد ممن صعدوا الى الجبل أو اختبأوا في البلاد من يدي ،
بل أمسكت بهم في يدي في مخابئهم — رجالا ونساء — فضلا عن الدمير
والجمال والماشية ، وأخذتها كلها غنيمة الى آشور وقد ملأوا الارض
التي منى اياها آشور الى أقصى اتساعها ، ورتبت قطعانا ، ووزعت
الجمال — وكانما هي ماشية — على أهل آشور ، حتى أن الجمال كان
يشتري في بلادى بأقل من شاقل من الفضة في السوق ، هذا فضلا عن
العمال انما كانوا يأخذون الجمال والعبيد كهدايا ، وصناع الجعة
كمحنة ، والبستاني كأجر اضافي ، وقد سأل أهل بلاد العرب بعضهم
بعضا : ما بال العرب قد أحرق بها الشر ؟ فكان الجواب : تلك عاقبة
من ينكث العهد ، ويخرق المواثيق ، التي قطعناها للاله آشور ، ويعاند
«آشور بانبيال» الملك الذي يجب عليه الاله انليل (١٥٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الانتسار الى أن العاهل الاشوري انما قد
زين قصره في نينوى بنقوش تمت المعارك التي دارت بينه وبين العرب ،
والتي يبدو منها أن عرب الشمال انما كانوا رجالا متوسطى القامة ،
يرتدون ملابس صوفية ، بينما تركوا رؤوسهم عارية ، وشعورهم تتدلى
على أكتافهم ، كما كانوا ملتحمين بلحي مدببة قصيرة ، وتصورهم المناظر
وهم يركبون الجمال ، وعلى الواحد منها رجلان ، الواحد لقيادة البعير ،
والآخر لضرب القوس (١٥٣) .

هذا وقد أدت تلك الاحداث الى أن يضطرب الامن في الجبهة

-
- (١٥٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٤٨ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠٦ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., II, P. 855.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 299-309.
153) B. Meissner, Zwi Reliefs Assorbanipals Mit Barstellungen Von
Arabein, in Oslamica, II, 1926, P. 392.

الشمالية والشمالية الشرقية ، وذلك لانشغال الجيش الاشورى فى الجبهة الغربية ، الامر الذى اضطر «أشور بانينال» الى القيام بدملة الى هناك ، فيما بين عامى ٦٦٥ — ٩٥٥ ق.م (١٥٤) .

وأما فى «بابل» فلقد استقر فيها الامير الاشورى «شمش — شوم — أوكين» فترة طويلة فنهض بها ، وكانت الامور تسير بين الاخوين فى بداية الامر بهدوء ودونما أى اضطراب ، غير ان مملكة عيلام انما كانت دوما تعمل على التدخل فى شئون بلاد بابل بغية السيطرة عليها ، مستغلة بعض القبائل الكلدانية والارامية المناوئة للاشوريين ، وهكذا بدأت تعمل على اشعال نار الفتنة بين الاخوين (أشور بانينال وشمش شوم — أوكين) (١٥٥) ، وسرعان ما بدأ الامير «شمش — شوم — أوكين» يستغل امكاناته ونفوذه فى ولايته فى التضيق على أخيه «أشور بانينال» ، ثم ضم اليه حلفا قويا من العيلاميين والامراء الكلدانيين فى «أرض البحر» ، فضلا عن لفيف من السوريين وأمرأء البدو المتذمرين ، غير أن ميزان القوى سرعان ما أصبح الى جانب «أشور بانينال» ، ومن ثم فقد تسددت جيوشه الحصار على بابل لمدة عامين ، حتى تفشت فيها الوبئة والمجاعات ، واضطرت الى التسليم ، وأشعل أميرها النار فى قصره ، وهلك فى لهيبه ، ثم رادت جيوش «أشور بانينال» بابل خرابا على خرابها ودمرتها تدميرا عنيفا ، فى عام ٦٤٨ ق.م ، وربما فى عام ٦٥٠ ق.م ، لم تفق منه الا بعد جيل كامل ، يوم هبت هبتها الاخيرة للانتقام لنفسها ، وللقضاء على دولة أشور كلها ، والغريب أن أنصار «أشور بانينال» لم يتورعوا عن تمثيله على لوحة صغيرة باسمها مستبشرا ، يرفع بيده سلة من الخوص المجدول الى ما فوق مستوى تاجه الطويل ، وسجلوا حوله نصوصا تشيد بفضله فى اعادة بناء «اساجيل» مقر مردوك (١٥٦) .

(١٥٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., 306.

(١٥٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٦٠ .

(١٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ .

واتسد «أشور بابييا» على الحدابين الجنوبيين في أرض البحر ، حتى اضطروا إليهم «نابو بعث شوماتي» خليف أحيه «تسمتس شوم أوكين» إلى الفرار إلى عيلام ، وعين «أشور باننيال» «دوباتسو» بلاطه واليا عليهم ، غير أن «نابو بعث شوماتي» سرعان ما اضطروا - اثر مهادنة بين ملك آشور وملك عيلام - من أن يأمر تابعه بأن يقتله بسلاحه حتى لا يعاني تعذيب أعدائه ، ومع ذلك فلقده مثل الآشوريون بجثته حين سلمت إليهم ، فقطعوا رأسها ، وحرّموا دفنها .

واستمرت الحروب الخاطفة بين آشور وعيلام ، تناول فيها الجانبان النصر والهزيمة ، حتى استطاع «أشور باننيال» أن ينتصر على العيلاميين ، وأن يدمر عاصمتهم «سوسة» تدميراً شاملاً (حوالي عام ٦٤٠ ق م) ، وأن يستولي على كنوزها ، وأن يدمر معابدها ، وأن يأسر معبوداتها ، وأن يفتح توابيت مقابرها الملكية ، ويستخرج عظام موتاهها ثم ينقلها إلى آشور ، حتى يحرمها الخلود في أرضها - على حد قوله - وهكذا أنهى ملك آشور مملكة عيلام (١٥٧) .

بقيت الإشارة إلى أن التاريخ إنما ينسب إلى الملك «أشور باننيال» أنه قد اشتهر بحبه للعلوم ، وأنه قد أسس مكتبته الشهيرة التي كشف عنها في عاصمته نينوى في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . وفي الواقع فلقد سبقه إلى ذلك سلفه «سرجون الثاني» الذي أنشأ مكتبته في نينوى ، ثم زاد في هذه المكتبة ، وأسس أمثالها أولاده وحفدته ، غير أن أكثرهم احتفاء بالثقافات القديمة وجمعها في مكتبته إنما كان «أشور باننيال» ، الذي أرسل رقاعاً إلى ولايته على الأقاليم يأمرهم فيها بالتحري عن الألواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ، ويقول لكل منهم فيها : «لا يجوز لأي إنسان أن يمنع شيئاً من الألواح عنك ، وإذا عثرت على أية لوحة أو رقية لم أعينها لك وتجد فيها صلاحية لقصرنا ، استول عليها وأرسلها إلى» ، وقد عثر في أطلال قصره في «نينوى» على لوحات

(١٥٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٩ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤١٩ - ٤٢١ .

كثيرة زادت من معرفتنا بالاداب القديمة ، حيث أمدتنا مكتبة الملك «أشور بانبيال» بكثير من الاداب البابلية والاشورية ، لعل من أشهرها «ملحمة جلجاميش» وخرافة أدانا ، والحوار بين السيد والخدام ، وللحكم وقصة الخلق ولحملة الطاعون ، وكثير من المعارف (١٥٨) •

(٧) نهاية الامبراطورية الاشورية

كانت ظواهر الامور في أخريات أيام «أشور بانبيال» تدل على أن امبراطوريته وطيذة الاركان في سائر أنحاءها ، غير أن الضعف سرعان ما يدب فيها ، ويحدثنا الملك الاشورى نفسه أن أياما سودا قد حلت في أرجاء مملكته ، وأنه كان يقاسى آلاما جسيمة — جسمانية وروحية — سلبت روحه ، وكما رأينا من قبل ، فتلقد قام حلف أسهم فيه أخوه «شمش شوم أوكين» — الحاكم شبه المستقل في بابل — هذا فضلا عن أن العناصر البابلية نفسها كانت تسعى للتخلص من النفوذ الاشورى ، وارجاع عظمة بابل الى سابق عهدها •

وهكذا كان على أشور أن تواجه نضالا دمويا مع عيلام وبابل ، فضلا عن ثورات الولايات السورية ، والاشتباك مع ليديا في معارك طاحنة ، وقد أدت هذه الظروف المقلقة في أشور ، وتوحيد مصر على «بسماتيك الاول» (٦٦٤ — ٩١٠ ق م) الى الامتناع عن دفع الجزية لأشور ، وعقد محالفة مع «جيجس» ملك ليديا ، ثم اعلان استقلال مصر عن أشور ، ومن عجب أن المصادر المصرية — وكذا الاشورية — لم تذكر شيئا مفصلا عن ذلك ، حتى بات من الصعب علينا أن نتعرف بالضبط كيفية انتهاء الحكم الاشورى في مصر ، ولعل كل ما نستطيع أن نقدمه الان هو : أن بسماتيك الاول تمكن — بعد أن نجح في استعادة الوحدة القومية لمصر — من اعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا ، انضم اليه جنود الايونيين والكاريين ، وقد اكتسح هذا الجيش الحاميات الاشورية

(١٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٣ ، وانظر
G. Contenau, Op. Cit., P. 315 F.

القوية التي كانت تعسكر في الدلتا وطردتهم نهائيا من مصر ، ففر هؤلاء الى فلسطين وتحصنوا في أشدود ، ورأى بسماتيك الاول — كما رأى أحمر الاول من قبل ابان حرب الهكسوس — أنه لا أمن ولا أمان لمصر، الا اذا اجتث الشر من جذوره ، ومن ثم فقد تبعهم الى هناك ، وانتهاز الفرصة ليعيد لمصر شيئا من مركزها الممتاز في غربى آسيا (١٥٩) .

وعلى أية حال ، فلقد حدث بعد موت «أشور بانيبال» في عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، نزاع حول وراثة العرش وقد وقع عبء ذلك على ولده وخليفته «أشور — ايتل — ايلانى» (٦٢٦ — ٦٢٤ ق.م) (Ashur - etil - Ilani) الذى قضى فترة حكمه القصيرة في الدفاع عن عرشه ، ثم جاء من بعده «سن — شومو — ليشر» ، ثم «سن — شار — اشيكون» (Sin-Shar-Ishkun) ثم «أشور — أو بالث الثانى» (٦١١ — ٦٠٩ ق.م) (Ashur - Uballit, II) (١٦٠) .

وعلى أية حال ، فلقد أدت الاضطرابات الداخلية الى سقوط العاصمة الاشورية «نينوى» في أيدي البابليين والميديين في عام ٦١٢ ق.م ، وان كان هناك من الباحثين من يذهب الى أن العاصمة الاشورية انما سقطت في أغسطس من عام ٦١٣ قبل الميلاد ، بعد معركة دموية ضد الحلفاء ، بدأت في شهر يونية عام ٦١٣ ق.م ، وأيا ما كان الامر ، فلقد قضى البابليون والميديون على دولة آشور ، وقتلوا ملكها «سن — شار — اشيكون» ، ودفعوه الى الاحتراق بنيرانها — فيما تروى المصادر الكلاسيكية — ثم دمروا «نينوى» تدميرا كاملا وعنيفا .

159) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 252-253.

وكذا

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1907, Parag. 989-995.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1926, Parag. 784-785.

A. Spalinger, JEA, 13, 1927, P. 136-136.

Herodotus, II, 147-157,

(١٦٠) أنظر : ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٦٢ ، ثم قارن :

G. Roux, Op. Cit., P. 468.

وليس هناك من ريب في أن سقوط العاصمة الاشورية «نينوى» دوى في أنحاء المعالم القديم وقت ذاك ، اذ اعتبره سكان الشرق الادنى القديم ، رمزا لسقوط الظلم ، وفجرا جديدا للشعوب التي غلبت على أمرها ، وطالما رزحت تحت نير آشور ، التي لم ترع شيئا من المبادئ الانسانية في معاملة الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي كتب عليها أن تحكمها آشور بالحديد والنار ، وأن تذيبها من العذاب ألوانا ، ربما لم يعرفها التاريخ القديم من قبل ، أو على الاقل لم يمارسها بالطريقة التي مارسها بها الاشوريون *

وعلى أية حال ، فلقد اقتسم الفريقان المنتصران — البابلى والميدى — مملكة آشور ، فاستولى الميديون على قسمها الشرقى ، وأخذ البابليون جنوبها ، واضطرت الحكومة الاشورية — بقيادة الملك «أشور أو بالط الثانى» — أن تجعل من «حران» عاصمة لها (١٦١) *

وفي هذه الاثناء كان «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م) قد أصبح ملكا على مصر ، فتابع سياسة أبيه «بسماتيك الاول» في مساعدة آشور ، فضلا عن أن يجعل لمصر صوتا مسموعا في سياسة الشرق القديم ، وأن يحتفظ بأشور الضعيفة ، كحاجز بينه وبين القوى الخطيرة التي ظهرت في الشرق ، والتي تهدد الان آشور في المقام الاول ، ولكنها ربما تتجاوز ذلك الى الشرق الادنى القديم كله في الغد القريب ، وأخيرا لكى يسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة في سورية وفلسطين ، وهكذا أسرع «نخاو الثانى» — على رأس جيشه — لمساعدة «أشور أو بالط الثانى»

(١٦١) أنظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٢ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٩ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 258.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 124.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 303-305.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 57.

C. J. Gadd, The Fall of Nineveh, London, 1923.

القابع في حران ، أملا في عون يأتيه من مصر ، وهكذا أرادت الاقدار أن يكون البلد الذي كان هدف الاشوريين لمدة جيلين مضيا ، هو الان عون آشور الكبير والوحيد (١٦٣) .

وهكذا ، وفي عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، ظهر «نخاو الثاني» كخصم قوي ورئيسي للملك بابل «نابو بولاسر» وسرعان ما تتقدم القوات المصرية نحو حران لنجدة آشور ، ورغم أن فرعون لم يوفق في انقاذ آشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولوا في عام ٩٠٦ / ٩٠٥ ق م ، على معقل كيمو خو ، وهزموا البابليين في «قوراماتي» ، وهما موقعان على الفرات الى الجنوب من قرقميش (١٦٣) ، وأما «حران» فلقد استطاع «نبوخذ نصر» بن «نابو بولاسر» ملك بابل ، من أن يستولي عليها ، وأن يقضي على الجيش الآشوري ، وذلك في عام ٦٠٩ قبل الميلاد (١٦٤) .

(١٦٢) محمد بيومي مهران : إسرائيل ١٩٨٢/٢ ، مصر ٦٥٠/٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273-274.

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219.

163) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

164) M. Noth, Op. Cit., P. 273.

الباب السابع
العصر البابلي الاخير
٦٢٦ - ٥٣٩ ق م

الفصل الأول

الدولة الكدانية

(١) تقديم :

حكمت الدولة الكلدانية قرابة تسعة عقود من الزمان (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) حكم فيها ستة ملوك^(١) ، وتمثل الفترة الأخيرة من عهود الاستقلال والحكم الوطني في العراق القديم ، ظلت البلاد بعدها تنتقل — على مدى حوالى اثنى عشر قرنا — من احتلال الى احتلال ، حيث صارت العراق ولاية تابعة مرة الى الفرس الأخمينيين ، ومرة الى الاغريق السلوقيين ، ثم الى الفرس الفريثيين ، ثم الى الفرس الساسانيين ، حتى جاء الفتح الاسلامى في العقد الرابع من القرن السابع الميلادى *

وعلى أية حال ، فان المؤرخين ما يزالون مختلفين في أصل الكلدانيين ، كما أنهم على غير يقين بشأن تاريخ بعينه ، يمكن القول أنه هو الوقت الذى دخل فيه الكلدانيون العراق ، فقد ظهروا — كقوة سياسية — فجأة ، ثم سرعان ما استقروا في منطقة الخليج العربى ، حتى عرفت باسم «الخليج الكلدانى» كما أنهم كانوا على معرفة باللغة الاكدية ، على أن هناك في سفر أيوب (١٤/١ - ١٧) من العهد القديم ما يشير الى أن مراع الكلدانيين إنما كانت على مقربة من مساكن السبئيين ، وان كنا لا نعرف على وجه اليقين ، المراد بالسبئيين هنا ، أهم القوم الذين كانوا يسكنون في جنوب بلاد العرب ، أو أولئك الذين كانوا يسكنون في شمال غرب بلاد العرب ، وقد اعتمد أصحاب الرأى الاول على وجود كتابات بالعربية الجنوبية القديمة في مواقع من جنوب العراق — كما في أور والوركاء ونفر — الامر الذى ربما رجح هجرتهم من «عمان» في جتوت شرق الجزيرة العربية *

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٦ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٣ .

على أن هناك من يرجح أن الكلدانيين — أو قبائل كلدو ، أو كالدو — انما كانوا فرعاً من الاراميين الرعاة، الذين جعلوا ضفاف الفرات قبلتهم منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو نحوه ، وأحسست بابل بخطرهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حين كتب كل من الملك البابلي «كادشمان أنايلى» والملك الحثي «خاتوسيل» الى زميله بتعكير صفو الامن على الطرق التجارية الواصلة بين الدولتين ، وبمرور الزمن زادت قوة الاموريين ، واستمر توسعهم في ازدياد ، حتى تمكنت قبائل «كالدو» آخر الامر أن تمتد في جنوب العراق ، حتى الخليج العربى ، وأن تكون ست امارات ، كان أكبرها «بيت داكورى» و «بيت ياكين» ، وسيطرت قبائل أخرى على ما بين بابل وبورسييا •

(٢) نابوبولاسر (٦٢٦ - ٦٠٥ ق م) :

كان «نابو بولاسر» (Nabo - apla - usur) هو مؤسس الدولة الكلدانية (العصر البابلى الاخير — أو الحديث) ، ربما في ٢٣ نوفمبر عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، وربما كان ابناً للأمير كلدى يدعى «كاندا لانو» (Kandalanu) عينه «أشور بانىيال» على «بابل» بعد مقتل أخيه وعمل قائداً في الجيش الاشورى ، وحاكماً على الاقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وولى عرشها بعد تفكك أوامر البيت الاشورى الحاكم ، واكن لم يتعد سلطانه في بداية أمره ما حولها ، ثم سرعان ما أعلن الثورة على آشور ، ولم تستطع القوات الاشورية في «نبيور» من هزيمته ، الامر الذى مكنه من أن يعلن نفسه ملكاً على «بابل» ، وأن يؤسس الدولة الكلدانية ، وأن يعقد حلفاً مع الملك الميدي «كى أخسار» (كياكسارس = Cyaxares) ، وأن يزوج ولده «نبوخذ نصر» من ابنة الملك الميدي^(٢) ، ثم يتحالف الفريقان — البابلى

(٢) ليس هناك من دليل في المصادر البابلية على زواج (نبوخذ نصر) من الاميرة الميديه التى دعته المصادر الكلاسيكية «أموهين» (أريتان أو أميتان) ، ومن عجب أن يذهب المؤرخون اليونان والرومان الى أن «نبوخذ نصر» قد شيد لزوجه الميديه الحداثق المعلقة في بابل كى تذكرها

=

والميدى — ضد آشور ، ثم احتلان العاصمة الاشورية «نينوى» ، ثم ينجح «نبوخذ نصر» فى القضاء على الجيش الاشورى فى «حران» (عام ٦٠٩ ق م) ، ثم يعمل على أن يرث الامبراطورية الاشورية فى بلاد الشام ، فغزلا عن الحدود توسع المصريين فى بلاد الشام (٣) •

ومن المعروف أن الفرعون «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق م) كان قد خرج على رأس جيشه فى عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، لمساعدة الملك الاشورى «أشور أو باط الثانى» — القابع فى حران — ضد البابليين والميديين ، ولكى يسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة فى غربى آسيا ، وهناك فى «مجدو» اعترضه ملك يهوذا «يوشيا» (٦٤٠ — ٦٠٩ ق م) ، ومنع الجيش المصرى من التقدم ، فأنذره «نخاو» بالهسنى ، ولكنه لم يرعو ، الامر الذى أدى الى أن يشتبك الجيشان — المصرى واليهودى — فى معركة يكتب فيها النصر للمصريين ، ويدفع «يوشيا» حياته ثمنا لهذه المغامرة ، كما يدفع اليهود ثمن خطيئتهم فى عدم تقدير قوة المصريين الحقيقية ، وبسبب سياستهم الم فلسطين بالتالى خاضعة لمصر •

وعلى أية حال ، فسرعان ما تابع «د

ببيتها الجبلية ، بل أن أمر الحقائق المعلقة هذه قد ذكرتها المراجع القديمة والحديثة ، رغم عدم وجود أى دليل تاريخى عليها ، حتى أن الاثاريون الالمان ظنوا فى بداية هذا القرن العشرين أنهم اكتشفوا تلك الحقائق ، عند عثورهم على بئر عميقة فى منطقة من القصر الجنوبى غطيت بغرف ثلاثية ، ظنوا أنها حوت جهازا يسحب الماء الى هذه الحقائق المعلقة ، ثم أظهرت حفريات هيئة الاثار العراقية أن هذه المنطقة بالذات عبارة عن حجرات خزن تحت الارض ذات عقادات قوية ، وروت المصادر الكلاسيكية أن «نبوخذ نصر» قد زود قصره ببرندات (بالكونات) زرع فيها شتى الاشجار التى جلبها من اقطار مختلفة ، وربما كانت هذه «البلكونات» التى وضعت بها الاشجار هى التى أسماها الكتاب الكلاسيكيون «الحقائق المعلقة» (انظر : سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ١٦٥) (٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٠ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P 273.

G. Roux, Op. Cit., P. 345.

سورية ، ليقوم بمحاولة أخيرة لمساعدة آشور ضد البابليين ، ورغم أن فرعون لم يوفق في أنقاذ آشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولى في عام ٦٠٦ / ٦٠٥ قبل الميلاد على معقل «كيمو خو» ، وهزم البابليين في «قوراماتا» ، وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقميش ، كما نجح كذلك في أن يخضع المدن الساحلية مثل عسقلان وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيريوغليفية عثر عليه في «صيدا» يشير الى سيطرة «نخاو» على الساحل الفينيقي ، وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول في البحر المتوسط^(٤) .

(٣) نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) :

ورث «نبوخذ نصر» (وصحة اسمه فى البابلية «نابو - كدورى - أوصر» (Nabu-Kudurri-usur) (بمعنى الاله نابو يحمى الحدود) أباه «نابو بولاسر» ، وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى استقرت له الامور تماما ، وفشلت كل محاولات مصر للابقاء على الامبراطورية الاشورية .

وهنا ما يشير الى تجدد العداء بين مصر وبابل ، ذلك لأن «نبوخذ نصر» لم يتخل مطلقا عن الوصول الى الحدود المصرية ، ومن ثم فقد اتجه «نبوخذ نصر» فى عام ٦٠١ ق.م ، الى مصر ، ولكنه رد عنها بعد

(٤) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٨٠/٢ - ٩٨٥ ، مصر - ٣ / ٦٥٠ - ٦٥٣ ، ملوك ثان ٢٩/٢٣ - ٣٥ ، أخبار أيام ثان ٢٥/٢٥ - ٢٥ ، ١/٢٦ - ٤ ، ارميا ١/٤٧ ، وكذا

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219-222.

J. Yoyotte, Nechao, P. 372.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

PM, 7, P. 384.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 23, 67.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 396-397.

M. Noth, Op. Cit., P. 280.

C. Roth, Op. Cit., P. 53-56.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

أن تحمل الكثير من الخسائر ، بل واضطر أن يعود الى بلاده ، وأن يبقى هناك عاما ، يسترد فيه أنفاسه ويستعيد قواه ، ويعيد تنظيم جيشه ، بل ان هزيمته هذه انما قد أنهت العداوة المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية ، ومن ثم فقد تجمدت السياسة الحربية الشمالية لمر بقية عهد «نخاو» ، سواء نتيجة عقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين بابل ، وهذا ما رواه «هيرودوت» ، وزاد عليه أن «نخاو» قد زوج اخته أو ابنته من «نبوخذ نصر» فصارت ملكة على بابل ، وهى رواية لم تتأكد بعد ، أو نتيجة لأنشغال «نخاو» بحدوده الجنوبية ، أو لرغبته فى الاتجاه الى احراز سيادة بحرية لأغراض التجارة وأغراض الحرب ، وحماية السواحل معا ، وقد لوحظت كثرة ألقاب «قباطنة الأساطيل الملكية فى الاخضر الكبير فى نصوص عهده»^(٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن المصادر العربية انما تتحدث كثيرا عن حروب زعمت أنها دارت بين «نبوخذ نصر» (وقد أسمته بختنصر) وبين العرب (وقد ناقشناها بالتفصيل فى كتابنا «تاريخ العرب القديم»)^(٦) — هذا فضلا عن حروبه ضد «عدنان» — جد العرب العدنانية — التى دارت موقعتها الفاصلة عند «ذات عرق» ، حقق فيها الماهل الكلدانى نصرا مؤزرا على العرب ، كما عاد منها بجسم غفير من

(٥) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٨٨/٢ - ٩٨٩ ، مصر ٦٥٣/٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، وكذا K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, (1100-650 B.C) 2nd Warminster, 1986, P. 407. J. D. Wiseman, Op. Cit., P. 29-31, 70-71. H. De Meulenaere, Op. Cit., P. 60-61. Herodotus, I, 184-186.

(٦) انظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم - الاسكندرية ١٩٨٩ ص ١٨٤ - ١٩٢ ، وانظر : تاريخ الطبرى ٥٥٨/١ - ٥٦٠ ، الكامل لابن الاثير ٢٧٠/١ - ٢٧٢ ، المسعودى : مروج الذهب ١٣٠/٢ - ١٣١ ، الاكليل ٢٨٥/٢ - ٢٨٩ ، ابن حبيب : كتاب المجبر ص ٥ - ٧ ، معجم ياقوت ٣٢٨/٢ - ٣٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٢ ، تاريخ الخميس ص ١٦٦ - ١٧٦ .

السبائيا والاسرى ، أسكنهم الانبار (٧) ♦

وبدهى أننا لا نرفض مبدأ قيام حروب بين «نبوخذ نصر» والعرب ، خاصة والربيل يسى جاحدا الى توسيع امبراطوريته ، ثم ان حروبه في سورية وفلسطين ، لا بد وأن تكون قد شملت الاعراب المقيمين هناك ، فضلا عن أولئك الذين يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية ، هذا الى جانب مجاورة عاصمته بابل الى العربية الشرقية ، وكل هذا يدعو الى الاحتكاك بين الطرفين ، والى تحرش العرب بجيوش نبوخذ نصر ، فضلا عن أذماع المعاهل البابلي في شبه الجزيرة العربية (٨) ♦

غير أننا نرغض الأسباب التي دارت من أجلها تلك الحروب الطاحنة بين العرب والبابليين — كما تصورها المصادر العربية — فليس صحيحا أن المعاهل البابلي إنما قام بحروبه المزعومة هذه بأمر من «برخيا» اليهودي ، الذي تزعم المصادر العربية أنه أوحى اليه أن يذهب من نجران الى بابل ، وأن يأمر «نبوخذ نصر» بغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ، فيقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، ويستبيح أموالهم ، عقوبة لهم على كفرهم ، وعلى قتلهم الانبياء بغير حق» (٩) ، وأن «نبوخذ نصر» قد نادى — ابان المعركة الضروس ضد العرب بقيادة عدنان — «يا لثارات الانبياء» ، ثم سرعان «ما أخذت السيوف العرب من كل جانب ، وكتب للملك البابلي النصر ، بل وقد أصبحت بلاد العرب طوال أيامه خرابا» (١٠) ♦

ونحن في حل من إعادة مناقشتنا لهذه الروايات ، فذلك أمر سبق أن

(٧) تاريخ الطبرى ١/٥٥٨ - ٥٦٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١/٢٧٠ - ٢٧٢ .

(٨) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، وكذا

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 35.

(٩) تاريخ الطبرى ١/٥٥٨ - ٥٦٠ ، ابن الاثير ١/٢٧١ .

(١٠) ابن الاثير ١/٢٧٢ ، تاريخ الطبرى ١/٥٥٩ - ٥٦٠ .

ناقشنا في كتابنا «تاريخ العرب القديم» ، وعلى أية حال ، فالرواية — كما أشرنا اليها نقلا عن المؤرخين الاسلاميين — جد هشة ، وسهام المريب توجه اليها من كل جانب ، وليس بالوسع القول أنها ترقى فوق مذلان الشبهات ، ثم ان قصة الغزو هذه ليست الا ترديدا لنبوءات ارميا — كما جاءت في التوراة — وحتى هذه ، فقد اختلطت فيها فتوحات «نبونيد» في بلاد العرب ، بفدوحات «نبوخذ نصر» (١١) .

على أن هذا كله ، لا يمنعنا من القول بأن «نبوخذ نصر» قد أرسل حملة — في عام حكمه السادس — الى سكان البادية من العرب ، دونما تحديد بادية بعينها ، أو قبيلة بذاتها ، وأن الحملة قد نجحت في نهب مواشي أولئك الذين قدر عليهم أن توجه ضدهم ، وأخذ أصنامهم (١٢) .

وأما «دويلة يهوذا» فلقد ظلت فترة تفاضل بين الخضوع لمصر أو بابل ، وفاز الحزب المصري آخر الامر باليد العليا ، وثار «يهويقيم» (٦٠٩ — ٥٩٨ ق.م) ملك يهوذا ضد سيده البابلي «نبوخذ نصر» (١٣) ، وربما ساعده على ذلك هزيمة البابليين أمام المصريين ، ومن ثم فقد انضم الى مصر ، رغم تحذيرات النبي ارميا (١٤) ، ونقرأ في التوراة : أن «يهوه» رب اسرائيل ، قد أرسل الى «يهويقيم» جماعات من المكدانيين والاراديين واوابيين والامونييين ، لآباد يهوذا (١٥) ، والواقع أن «نبوخذ نصر» لم يتدخل بنفسه في هذا التمرد الذي قام ضده في عام ٥٩٨ ق.م ، لأنه رأى أن امبراطورية عظيمة مثل امبراطوريته لا تخلو من الثورات المحلية الصغيرة ولكنه سرعان ما غير رأيه ، وأسرع بنفسه

(١١) ارميا ٤٤ — ٥١ ، جواد على : المرجع السابق ص ٦٠٩ ، وكذا S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954, P. 35.

(١٢) D. J. Wiseman, Op Cit., P. 31, 48, 71.

(١٣) A. Madamat, Op. Cit., P. 223.

(١٤) ارميا ١٤/٤٦ وما بعدها ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(١٥) ملوك ثان ٢/٢٤ .

الى يهوذا ، وبينما كان في الطريق اليها مات «يهوياقيم» وخلفه ولده
«يهوياكين» على عرش يهوذا (١٦) *

وما أن وصل يهوذا ، على رأس قواته الرئيسية ، حتى أطبق الحصار
على القدس (أورشليم) ولم يقاوم «يهوياكين» ، وإنما خرج ومعه أمه
وزوجاته وآل بيته ، وسلموا أنفسهم للفتح الكلداني في مارس ٥٩٧
ق.م ، وتم نقلهم الى بابل ، وتنتظر التوراة الى هذا المنفى على أنه مرحلة
حاسمة في تاريخ يهوذا ، فلقد تم فيه ابعاد حوالي عشرة آلاف رجل ،
يكونون هم وأسره قرابة الثلاثين ألفا ، معظمهم من أورشليم ، والبقية
الباقية من مدن الجنوب (١٧) *

هذا وقد نشر «وايزمان» في عام ١٩٥٥م إحدى اللوحات المحفوظة
في المتحف البريطاني وقد جاء فيها «(في السنة السابعة للملك (نبوخذ
نصر) في شهر (Chisleb) جمع الملك جيشه وتقدم نحو أرض حاتي
(سورية) وعسكر أمام مدينة اليهودية ، واستولى عليها في اليوم التالي
من Adar (مارس ٥٩٧ ق.م) وأخذ الملك «يهوياكين» أسيرا ، وعين
مكانه «صدقيا» ملكا بحسب قلبه (برغبته) ، وفرض عليه جزية ثقيلة ،
وأحضره الى بابل» ، ولعل هذا التقرير البابلي الرسمي لا يختلف كثيرا
عن نظيره التوراتي (١٨) *

ولعل هذا انما يلقي ضوءا جديدا على سياسة «نبوخذ نصر» نحو
يهوذا ، فهو يعين ملكا جديدا ، ولكنه في نفس الوقت يحتفظ للملك السابق
بمركزه كملك — كما تدل على ذلك نقوش اكتشفت في قصر «نبوخذ نصر»
ونشرها «فيدنر» (E. E. Veidner) ، فضلا عن اختتام من «بيت
شمش» و «بيت مرسيم» ، وربما من «لاخيش» و «تل النصبة» ، وكلها

16) A. Malamat, Op. Cit., P. 223-224.

(١٧) محمد ببيومي مران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٤١٠ —
٤١١ ، ملوك ثان ١٠/٢٤ — ١٤ ، ارميا ١/٢٤ ، ٢٠/٢٧ ، ٢٩/١ — ٠٦
(١٨) ملوك ثان ٨/٢٤ — ٢٠ ، أخبار أيام ثان ٩/٣٦ — ١٠ ، وكذا
W. Keller, Op. Cit., P. 280.

تؤكد مركز «يهوياكين» الملكى أثناء سببه^(١٩) — وبدهى أن هذا بمثابة نوع من التهديد لخليفته فى الأرض المحتلة ، ولعل هذا هو السبب فى سلوك «صدقيا» المتردد ، والمتناقض كذلك ، والذى انتهى به آخر الامر الى الثورة على القوة التى وصل الى الحكم عن طريقها ، فلقد كان أعداؤه فى يهوذا من نادية ، والملك البابلى (نبوخذ نصر) من ناحية أخرى ، يهددونه عن طريق الاشارة الى بديله الملكى «يهوياكين» ، ومع ذلك فقد انتهى الامر بثورة صدقيا على بابل ، مما أدى فى نهاية الامر الى السبى البابلى فى عام ٥٨٦ ق م^(٢٠) .

وعلى أية حال ، فلقد كانت السياسة المصرية على أيام «بسماتيك الثانى» (٥٩٥ — ٥٨٩ ق م) أكثر نشاطا ، وطبقا لبردية ديموطيقية متأخرة ، فلقد قام الفرعون فى السنة الرابعة من حكمه بحملة الى فينيقيا وان كان هناك من يرى أنها لم تكن لأغراض حربية ، ما دام الفرعون قد استدعى كهنة المعابد للاسهام فيها ، وفى عهد الفرعون «واح ايب رع» (ابريس = حفرع فى التوراة) بدأت مصر تتجه الى ممارسة القوة لاستعادة فلسطين ، وكان سر تغيرها أمرين ، هما رغبة مصر فى الاغادة من امكانات قواتها البحرية النامية فى مراقبة موانئ الشام ، لتعطيل مصالح البابليين فيها ، وحتى لا يستغلوها ضدها ، ثم عودة البابليين الى التوسع الحربى فى فلسطين ، وحصارهم لاورشليم عام ٥٨٨ قبل الميلاد^(٢١) .

19) H. G. May, Three Hebrew Seals and Status of Exiled Jehoiakin, in AJSL. LVI, 1939 P. 146-148.

وكذا

W. F. Albright, King Joiachin in Exile, in BA, 4, 1942, No. 4.

J. Finegan, Op. Cit., P. 226.

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢٠) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٤١٢ — ٤١٣ ، وكذا

A Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، ارميا

٣٠/٤٤ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 360.

وأما «يهوذا» فلقد انقسم أهلها إلى فريقين ، الواحد : يتزعمه «حننيا» ، والاخر : ويتزعمه «ارميا» ويعلن أن «نبوخذ نصر» هو «خادم يهوه» ، وأن القبضة الحديدية ولن تتمزق ، وفي الواقع ، فلقد كان «ارميا» من أشد الانبياء حقدا على قومه ، يدافع عن بابل ، ويعلم في المثل أنها ستسقط عذاب في يد الرب ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينصحتهم بالانسحاب إلى مصر «نبوخذ نصر» ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله في تلك الايام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين (٢٣) ، ثم أخذ يتنابأ بمودة ملك مصر إلى بلده ، ثم استيلاء البابليين على اورشليم ، وأنه يجب وضع أعناق الامة تحت نير ملك بابل بأمر «يهوه» رب اسرائيل ، وأما المنفيين في بابل منذ أيام «يهوياكين» فقد كانت لهم آمال كبار بفجر من الحرية (٢٣) .

ونشطت مصر في بث المواين لها في اورشليم ، ورغم تحذيرات الانبياء للحزب الموالي لمصر ، فطبقا لما جاء في التوراة ، فضلا عن أوستراكا من لاخيث ، فلقد أرسلت بعثة عسكرية الى مصر ، وعقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا ، بحضور صدقيا في اورشليم (٢٤) ، وهناك اشارة ، في التوراة على أن صدقيا قد استدعى إلى بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله ، وعلى أية حال ، فلقد قام الفرعون «ابريس» (٥٨٩ - ٥٧٠ ق م) بدور رئيسي في اتخاذ القرار بالثورة ، ومن ثم «فقد تمرد صدقيا على ملك بابل» (٢٥) .

(٢٢) أرميا ٥/٢١ - ١٠ .

(٢٣) أرميا ١/٢٨ - ١٤ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 399-400.

W. D. E. Oesterley, Op. Cit., P. 233.

W. Keller, Op. Cit., P. 384.

(٢٤) أرميا ٢٣/٢٦ - ٢٤ ، ٣٠/٢٧ ، حزقيال ١٥/١٧ ، وكذا

K. M. Kenyon, Archaeology in The Holy Land, London, 1970, P. 294-296.

(٢٥) ملوك ثان ٢٤/٢٠ ، أرميا ٥٩/٥١ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 401.

W. Keller, Op. Cit., P. 281.

وهكذا اضطر «نبوخذ نصر» للقيام بحملة الى فلسطين ، وأخذ يحتل مدن يهوذا ، الواحدة تلو الاخرى ، ما عدا اورشليم ، ومدن الحدود في لايخيش وعزيقة (تل زكريا) ^(٢٦) ، ثم اضطرت لايخيش أن تستسلم ، بعد مقاومة باسلة ، كما تشير الى ذلك حفريات أعوام (١٩٦١ - ١٩٦٧) ، ثم تلتها «عزيقة» ^(٢٧) .

واتجه البابليون بعد ذلك الى اورشليم بكل قوتهم ، وفرضوا الحصار عليها ، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا ، على الرغم من انتشار المجاعة في المدينة ، والمكوس الثقيلة ، الى جانب نصائح ارميا بالخصوع لبابل ^(٢٨) ، وأخيرا وصات المساعدة العسكرية من مصر ، ومن ثم فما أن «سمع الكلدانيون المحاصرون اورشليم بخبرهم (أى خبر القوة المصرية) حتى صعدوا عن اورشليم» ، ورغم أن الوثائق المصرية سلمتة تماما في هذا المصدد ، إلا أنه - فيما يبدو - أن الجيش المصرى ظل فترة يحمى اورشليم ، ثم تحول عنها الى احتلال مدن الساحل الفينيقي ، بعد أن حول اهتمام البابليين عن اورشليم ، وبعد أن ترك فيها رجالا أقوياء من الحزب المصرى ^(٢٩) .

وما أن يمضى غير قصير وقت ، حتى عاد «نبوخذ نصر» الى حصار اورشليم ، وبغل اختلاف الرأى بين المحاصرين ، وانتشار المجاعة في المدينة ، فعلهما ، وأخيرا سقطت المدينة في أغسطس من عام ٥٨٧ ق.م ، وحاول صدقيا الهرب ، ولكنه أسر وهو يعبر وادى الاردن قرب أريحا ،

(٢٦) ارميا ٧/٣٤ ، وكذا

K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.

27) K. M. Kenyon Op. Cit., P. 291-293.

28) W. Keller, Op. Cit., P. 383.

وكذا

M. Noth Op. Cit., P. 286.

(٢٩) ارميا ٥/٣٧ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 285.

ثم أخذ الى نبوخذ نصر في «ربلة» التي اتخذها مركزا لقيادته ، وهناك ذبح أبناءؤه أمام عينييه ، وسلمت عيناه ، وقيد مسلسلا في الاغلال الى بابل ، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة (٣٠) *

ونهب الغزاة اورشليم ، وأشعلوا فيها النيران ، وأحرقوا القصر الملكي والمعبد ، وطبقا لرواية التوراة ، فان ذلك قد تم في اليوم السابع من الشهر الخامس ، من نفس السنة ، وضاع معبد سليمان ، ومعه البقية المفترض أنها باقية من التابوت الذي كفت الروايات عن ذكره ، بعد نقله الى معبد سليمان ، وكان قد أقيم في مكان خفى من المعبد كهدف تقليدي خاض بالعبادة ، مع أنه لم يلعب دوراً هاماً في العبادة العامة (٣١) هذا ولم تكشف حفريات (١٩٦١ - ١٩٦٧) عن أطلال منازل القرن السابع قبل الميلاد على المنحدرات الشرقية التي دمرت في هذه الفترة (٣٢) *

وهكذا انتهت دويلة يهوذا ، وادمجت في التنظيم الادارى للامبراطورية البابلية ، واتباعا للمعرف الاشورى ، فان «نبوخذ نصر» قد أبعد البقية الباقية من الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، وأرسلوا الى ربلة حيث لقوا حتفهم ، وأما بقية السكان فقد أقتيد الجزء الاكبر منهم (وقد قدره البعض بأربعين ألفا ، وقدره آخرون بخمسين ألفا) أسرى الى بابل ، وهذا ما عرف «بالسبى البابلى» ، وقد أبقي «نبوخذ نصر» المزارعين في أماكنهم ، ولم يجلب — كما فعل الاشوريون — سكانا جديدا ، بل وترك الادارة لواحد من يهوذا — هو «جداليا» (٣٣) —

30) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

وكذا

31) M. Noth, Op. Cit., P. 286-287.

32) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291.

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٦ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٤١٥ - ٤٢٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 288.

W. Keller, Op. Cit., P. 402.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 402-403.

وأما عن المدن الفينيقية ، فلتقد ادعى البابليون الجدد السيطرة على فينيقيا وسورية وفلسطين — كورثة للامبراطورية الاشورية — ومن ثم فقد أرسل «نبوخذ نصر» في عام ٥٧٢ ق.م ، جيشا لمحاصرة «صيدا» حتى استسلمت له ، وأما «صور» فقد استطاعت أن تصمد أمامه ١٣ عاما ، تحطمت مئاوحتها بعدها ، فاستسلم ملكها «اثبعل الثالث» ، وعنتذ دخلتها قوات البابليين ودمرت مبانيها وسوتها بالارض ، وهكذا انتهت غزوات «نبوخذ نصر» بضياح استقلال صور وصيدا ، وان استطاعت صيدا بعد ذلك أن تحل محل صور في زعامة المدن الفينيقية^(٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان أن وثيقة الاخبار البابلية انما تشير الى تحرك عيلامى ضد بابل مما جعل «نبوخذ نصر» يخرج على رأس جيشه ، حتى اذا ما كان على مسيره يوم من تجمع العيلاميين ، اذا بهم ينسحبون ، ونقرأ في نفس المصدر عن تمرد عسكري ضد «نبوخذ نصر» في السنة العاشرة من الحكم قام به «بابا — آخى — بولط» ،الذى اتهم بالخيانة في السنة الحادية عشرة من الحكم، ثم حكم عليه بالاعدام، وتشير محاكمته الى أنه ورث عن أبيه أرضين منحها اياه «نابوبولاسر» ، ومن ثم فربما كان يطمح الى الوصول الى السلطة مستغلا فرصة غياب «نبوخذ نصر» المستمرة في حملاته العسكرية^(٣٥) .

وهناك ما يشير الى أن حروب «نبوخذ نصر» الكثيرة ، لم تشغله عن الاهتمام بالمدن الكبرى — وخاصة بابل وبور سيبار ولارسا والوركاء وسيبار وأرر ودلبات — وقد نشطت حركة العمران في بابل ، كما لم تنتشط من قبل ، وبلغ محيط عمرانها ١٨ كيلا ، وروى المؤرخون ألاغارقة أن أسوارها كانت دائرية ، وقد أحاطت بها أربعة خطوط دفاعية ، أولها سور المدينة الداخلى ، وقد بنى من اللبن ، وكان ذا أبراج ، بلغ سمكها

(٣٤) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ١٦٤ — ١٦٥ ، وكذا D. Harden, Op. Cit., P. 54.

D. Baramki, Op. Cit., P. 30.

(٣٥) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٧ .

١٢٧٠ مترا ، ثم تلاه ، وعلى مبعده ١٢ مترا ، سور آخر خارجي ضخم ، بلغ محيطه ١٩ كيلا ، وقد بنى من الاجبر المثبت بالقار ، وبلغ سمكه ٨١ مترا ، وقد أطل على خندق واسع ، ودعم أصحابه أساسه بجدار ساند يرتفع بارتفاع الخندق ، بلغ سمكه ٣٢٥ مترا ، أما خطا الدفاع الخارجيان ، فسمى أحدهما باسم السور الماذي ، وامتد من الشمال الى الجنوب ، من بادة «الحديثة» على نهر دجلة ، حتى «أبو حبة» على نهر الفرات ، وامتد الآخر من «خان الناصرية» على نهر الفرات حتى مدينة «كيش» على أحد فروعها (٣٦) .

ولعل من أهم مباني «نبوخذ نصر» في بابل ، قصره الجنوبي (قلعة نبوخذ نصر) ، وهو قصر كبير تكاد مساحته تبلغ ٥٢ ألف متر مربع ، وتربط الجدار الشمالي للمدينة ، وبنى داخل حصن كبير ، على عادة القصور الملكية في بلادهم (٣٧) ، ومبطله من المشرق من الساحة الكبيرة المكشوفة ، الواقعة بين القصر وشارع الموكب (٣٨) ، وفي القصر أكثر من ١٧٢ غرفة ، وبها عدة بيوت سكنية للحاشية وخدم القصر ، ويطل جناح الملاة غربا على نهر الفرات ، ويعزله عن النهر بناء كبير غريب ، يبلغ طوله ٢٥٠ متر ، وسمك جدرانها ٢٥ مترا ، وفي وسطه ساحة مستطيلة تحتوى على بقايا غرف كثيرة ، ويعتقد - أنه اذا كانت هناك حقا حقائق مسلقة في بابل - فلا بد أن تكون في هذا البناء ، لأنه على ضخامته ذو جبهة متدرجة على النهر بثلاث درجات ، مما يتيح انشاء حديقة مدرجة على النهر (٣٩) .

وأما نواة القصر فكانت الساحة الرئيسية ، وغرفة العرش (٥٢ × ١٧ مترا) والتي تميزت عن قاعات العرش الاشورى ببساطة طابعها ،

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٥٥٦ .

(٣٨) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣٩) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلي الحديث - كتاب حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ ص ١٧٨ .

واحتل عرشها مشكاة كبيرة (أو حنية أو مدرابا ضخما) ، وتوسط جدارها المواجه للمدخل ، وكسيت جدران بهو القصر الكبير بقوالب الآجر ذات السطوح الخزفية الزرقاء الداكنة ، وزخرفت في أسافلها فريز من الاسود الحارسة ، صورت تصويرا جانبيا (على العكس من أسود خورسباد الاشورية التي تواجه الداخل) ، كما زخرفت في أعلاها بما يمثل أساطين ذات تيجان مركبة ، تصل بين تيجانها ، وتعلوها زخارف تكوينية تتألف من زهيرات محورة ، ومعينات صغيرة ، وتعاقبت في كل هذه الوحدات الزخرفية ألوان بيضاء وصفراء فوق الأرضية الزرقاء الداكنة ، فخلعت طابعا من البهجة على زخارفها الرقيقة^(٤٠) .

(٤) خلفاء نبوخذ نصر :

جاء بعد «نبوخذ نصر» ولده «أويل — مردوك» (Awel-Marduk) ولدة عامين اثنين (٥٦١ — ٥٦٠ ق م) ثم تلاه القائد البابلي ، زوج ابنة «نبوخذ نصر» والمدعو «نرجال — شار — أوسر» (Nergal-Shar-Usur) (Nerigalissar) (٥٥٩ — ٥٥٦ ق م) وقد عرف بنشاطه العمراني ، وبحملة مظفرة على (سيلييسيا) ، وتفيض كتاباته مدحا ودعاء للمعبودين «مردوخ» و «نبو» وتفسير لتعميره لمعبيهما في بابل وبورسييا .

وجاء بعده ولده «الاباشي — مردوك» (Labashi-Marduk) لفتره قصيرة جدا ، رأى البعض أنها شهران ، ورأى آخرون أنها تسعة ، انتهت بقتله في يونيه ٥٥٦ ق م ، في مؤامرة غير معروفة التفاصيل^(٤١) .

وجاء على عرش بابل «نابونيد» (Nabonidus = نابونيدس) (٥٥٦ — ٥٣٩ ق م) ، وهو موظف كبير من أصل آرامي ، ومن أسرة كهنوتية ، فأبواه كانا كاهني معبد اله القمر في حران ، أو على الأقل كان

(٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٦ .
41) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 37-42, 75-77.
G. Roux, Op. Cit., P. 351.

من أسرة يؤيدها الكهنة ، ولو أنه لم يعتبر نفسه في نصوصه غريباً عن الدوحة الحاكمة ، فادعى أن الرؤى والآيات تعاقبت لتبشره بتأله سيكون خليفة «نبوخذ نصر» ، ومتبعاً لسنة ، برضى من مردوك وبقيّة الآلهة ، هذا وقد أراد ، بعد اعتلائه العرش ، أن يحقق حسن ظنه بنفسه ، فأسرف في اظهار تتواها ازاء المعبودات بتجديد معابدهم وزيادتها ، وكان من أشهر ما جدد «زاقورة أور» التي اعتبر مشيدها «أور — نامو» من أسلافه ، وكذا معبد الشمس في سيبار ، الذي اعتبر مشيده «نارام سن» الأكدي من أجداده ، وأسرف في ادعاء حب العلم والشغف بجمع اللوحات والانار القديمة ، وشاركته في هذه الرواية ابنته التي عينها كبرى كاهنات رب القمر ، وادعى بأن الرب اختارها زوجة بنفسه ، بعد أن هدد الدنيا بسواد وجهه ، أى بخسوفه ، كما شاركته الدعوة الى رعاية المعابد سيدة عجز ، تدعى «اداد كوبى» (Adad-Quppi) ، لعلها كانت أمه أو جدته تعدت المائة في عهده ، وكانت لا تزال ذات سلطان وقوة جسدية وعقلية كاملة ، وقد ماتت بعد أن بلغت الرابعة بعد المائة من عمرها (٤٢) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «نبونيد» (نابونيد = نبونائيد) ، انما قد اتجه ، على رأس جيشه — الى «حاران» التي ظلت بأيدي الميديين منذ سقوط الدولة الاشورية ، وحررها وبدأ فيها بتعمير معبد «سين» الذي ادعى أنه أهمل نتيجة الاحتلال الاجنبى ، وفي عام ٥٥٣ ق م ، كان «نابونيد» في سورية ، ثم في منطقة جبال الامانوس في شمال غرب سورية ، وفي نهاية العام قتل ملك أدوم ، الذي لابد أنه قد ثار عليه ، ووصل الى غزاة ، كما نصب في صور الملك «حيرام الثالث» (٤٣) .

(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ ، مؤيد سعيد : العراق في التاريخ ص ٢٣٦ ، وكذا

C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus, AS, 8, P. 46 F.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 311-312.

G. Roux, Op. Cit., P. 352-353.

(٤٣) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

G. Roux, Op. Cit., P. 352.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 305-307.

ونقرأ في النصوص البابلية أن «نابونائيد» (Nabu-Na'id) قد قضى عشر سنوات في المنفى في «تيماء»^(٤٤) — على مبعدة ١٠٤ كيلا شمالاً مدينة العلا ، في شمال غرب الجزيرة العربية — وهناك ما يشير إلى أن الرجل قد جرد حملة على «أدومو» (دومة الجندل) ، ثم سار من هناك إلى تيماء ، حيث استولى عليها ، وقتل أميرها (ملكو) ، ثم أقام بها قصراً أقام فيه حيناً من الدهر ، حيث أصبحت «تيماء» وكأنها قد غدت خليفة لبابل ، ويحدثنا أحد نصوص الملك البابلي عن ذلك قائلاً «واتجه الملك إلى تيماء في وسط بلاد العرب ، وبناشر مسير الحملة عن طريق لم يعهد من قبل ، وذبح أمير تيماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين في مدينته وفي الاقليم ، ثم استقر في تيماء ، وجعل هذه المدينة رائعة وفخمة ، وحولها إلى ما يشبه قصور بابل»^(٤٥) .

وهكذا أقام «نابونيد» في تيماء ، ولم يعد منها إلا في عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كانوا على خلاف معه طوال تلك الفترة ، وربما كانت عودته بسبب التهديدات الفارسية لبابل^(٤٦) ، وان كانت هناك رسالة دؤرخة بالعام السابع من حكمه ، نستطيع أن نستنتج منها أنه لم يتخل أبداً عن إدارة الأمور في العاصمة بابل ، وأنه كان يوالى إرسال توجيياته لولده الذي كان شريكاً له في الحكم ، ونائباً له هناك ، مما يدل

44) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs Oxford, 1961 P. 363.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 35.

45) R. P. Dougherty, Nobonidus and Belshazzar, New Haven, 1932, P. 106.

A. Musi, Northern Nejd, N. Y., 1928, P. 225.

S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century, A. D. in BSOAS, 1954, P. 53, 88.

G. Roux, Op. Cit., P. 356.

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 39.

46) Gardiner, Op. Cit., P. 363.

R. P. Dougherty, Op. Cit., P. 107.

S. A. Cook, CAH, 4, P. 194.

وكذا

وكذا

على أنه لم يتنازل عن سلطاته كلها تماما ، بل ان الوثائق جميعا انما تشير اليه بوصفه الملك (٤٧) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد عثر في «حران» عام ١٩٥٦م (٤٨) على كتابة يتحدث فيها «نابونيد» من أنه قد أخضع «تيماء» - على مبعدة ٨٠ كيلا شمالى مدائن صالح ، ١٠٤ كيلا شمالى العلا - و «ديدان» (ددانو - العلا الحالية على مبعدة ٣٣٧ كيلا من المدينة ، على مبعدة ٢٤ كيلا جنوبى مدائن صالح) و «ندك» (الحائط) و «خير» (خبر) و «يثرب» (أثريبو = المدينة المنورة) ، وكانت مدينة الرسول - ﷺ - هى آخر موضع استطاع البابليون الوصول اليه في بلاد العرب ، وربما كان السبب في هذه الحملة ، انما هو مهاجمة العرب لمناطق خاضعة للبابليين ، وربما كان بسبب رغبة البابليين في السيطرة على الطريق التجارى البرى بين الشام وجنوب بلاد العرب ، وأيا ما كان السبب ، فان النص انما يشير الى أن «نابونيد» قد عقد صلحا مع مصر وميديا ، كما كبّد العرب في تلك المناطق التى كتب عليها أن تخضع له ، خسائر فادحة (٤٩) .

وذلك على مقربة من تيماء بقايا معبد ، عثر فيه على نقش - محفوظ الآن بمتحف اللوفر في باريس - ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، نقرأ فيه بلغة آرامية : أن كاهنا قد أتى الى تيماء بصنم جديد (صلم هجم) ، وبنى له معبدا ، وعين له كاهنا ، كما صورته في زى بابلى ، ولعل هذا شئ اسبب أن ليعنن انما قد ذهب الى أن قدوم هذا الاله ،

(٤٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٣١ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٤٨) C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus in Anatolian Studies, VII, 1958, P. 35-92.

(٤٩) جواد على : المرجع السابق ٦١٤/١ ، وكذا

A. R. Burn, Op. Cit., P. 3, 8.

انما كان على أيام «نبونيد»^(٥٠) ، هذا فضلا عن أن هناك كتابتين ثموديتين ترجع الى عهد هذا الملك ، وقد جاء في الواحدة جملة «رمح ملك بابل» ، وجاء في الثانية «حرب ديدان» ، فاذا كان ذلك كذلك ، فإن حروب نبونيد في بلاد العرب الشمالية ، انما أصبحت تقويمها يؤرخ الثموديون به^(٥١) .

ولعل من الغريب أن حوليات «نبونيد» قد أغفلت ذكر «تامود» (ثمود) ، رغم أن نصوصا ثمودية قد أسارت الى حروب هذا الرجل — كما أشرنا آنفا — ورغم أن «نبونيد» قد كتب له أن يسيطر على شمال شبه الجزيرة العربية ، وجزء من وسطها ، تحدده نصوصه بالمدينة المنورة (أثريو = يثرب) ، ورغم أن الثموديين انما كانوا يقطنون في تلك البقاع التي كتب عليها أن تخضع لسلطانه ، بل ربما شاركوا في واحدة أو أخرى من المعارك التي دارت ضده ، وربما كان السبب في ذلك أن الرجل تعتمد أن يخفى هزيمة أصابته من الثموديين ، وذلك بتجاهلهم في نصوصه ، أو أن سلطانه كان مقتصرا على المراكز التجارية التي جاءت في حولياته ، مثل تيماء وديدان وخيبر ويثرب^(٥٢) .

(٥٠) جواد على : المرجع السابق ص ٦١٢ - ٦١٣ ، محمد بيومي
مهران : المرجع السابق ص ٣٥٣ ، وكذا

J. A. Montgomery, Op. Cit., P. 67.

S. Smith, Op. Cit., P. 79-80.

G. A. Cook, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions Oxford, 1907, P. 195-196.

51) A. Van dan Branden, Les Textes Thamoudeens de Philby, II, P. 54.

52) A. Van Branden, Op. Cit., P. 54-55.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 80, 86.

الفصل الثاني

الغزو الفارسي

(١) قيام الدولة الفارسية :

لم تدم الامبراطورية البابلية الجديدة (المكلدانية) طويلا ، فلقد سارت — فى واقع الامر — فى طريق الانهيار السريع بعد موت «نبوخذ نصر» فى عام ٥٦٢ ق م ، وكان «نبونيد» (٥٥٥ — ٥٣٩ ق م) — آخر ملوك الاسرة — قد سمح للتنظيم السياسى بأن ينهار ، ويسقط مع كهنة اله الامبراطورية «مردوت» . ومن سوء الحظ فلقد كانت الاحداث تأخذ مجرى آخر فى المرتفعات الايرانية المجاورة ، والتي أصبحت بعد فترة قصيرة ذات تأثير حاسم فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، ومن المعروف أن السلطة الميدية قد ساهمت بطريقة حاسمة فى سقوط الامبراطورية الاشورية — كما رأينا من قبل — كما أن ثمرة انتصارهم قد أكسبتهم الجزء الجنوبى من الامبراطورية الاشورية ، فضلا عن بلاد الميديين نفسها ، وسرعان ما مدوا سيطرتهم الى أرمينيا وجبال آسيا الصغرى ، من ناحية الغرب على امتداد نهر «هاليس» ، وأما فى الجزء الجنوبى الشرقى ، فقد أخضعوا الحكام الفرس من الاخمينيين ، الذين كانوا يحكمون عيلام القديمة ، ثم اتخذ ملكهم «هواخشير» (كيكاساريس = Cyaxares) من «أكتانا» — ومكانها الان مدينة همدان الحالية — عاصمة لمملكته (١) .

وعندما مات «كساريس» فى عام ٥٨٥ ق م ، خلفه على عرش ميديا ولده «استياجيس» Astyages (٥٨٥ — ٥٥٠ ق م) ، والذي ربما كانت هناك بوادر ضعف قد شابت أخريات أيامه بسبب حكمه الطويل ، وربما بسبب ما أحاط بدولة الميديين من ترف مسرف ، ترتب على كثرة الاسلاب والمغانم ، وطغيان سياسى ترتب على غرور الحكام

(١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٠٢٧/٢ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 300.

J. Junge, Dareios, I, König der Perser, 1944, P. 14 F.

الذين أسكرتهم نشوة انتصاراتهم المتكررة ، وقد روى الكتاب القدامى من الاغارقة أن «استياجيس» (ستاجيس) غضب ذات مرة على أحد كبار رجال دولته ، فقتل ولده أمامه ، وأرغمه على أن يأكل احشائه ، هذا فضلا عن طموح قبلى صدر عن جزء من الدولة للسيطرة على أجزائها الاخرى، وقد صدر هذه المرة عن اقليم «أنشان» — فى عيلام القديمة — وهو اقليم كانت حياته سائرة ، وكان حكامه يمتنون للبيت الماذى بصلة القرابة أو صلة المصاهرة ، واستطاعوا أن يحتفظوا بمكانتهم ازاءه طوال ثلاثة أجيال ، ولكنهم ظلوا يعنفقون أنهم أعرق أصالة منه ، وأحق بالملك منه ، وأقدر على تحقيق العدالة ، وقد حقق حلمهم ذاك أميرهم قورش^(٢) — كما سنرى — *

وهكذا كانت الصورة فى الجانب الفارسى تختلف عن الجانب الميدى، وقد انتهزت Parsua فرصة انهيار عيلام ، وضمت إليها مقاطعة «بارسا» (Parsa) — وهى المنطقة فيما بين أصفهان وشيراز — وعندما مات «تياسبيس» (Teispes) قسمت مملكته بين ولديه «أريار سمنيس» Ariarsmnes و «كيروش الأول» (Cyrus, I) ثم سرعان ما اتحدت المملكتان تحت قيادة «قمبيز الاول» (Cambyses, I) (٦٠٠ — ٥٥٩ ق.م) ابن «كيروش الاول» ، والذي تزوج من «ماندانة» (Mandane) ابنة «استياجيس» ملك الميديين ، وكان ثمرة هذا الزواج «كيروش الثانى» الذى أصبح فى عام ٥٥٨ ق.م ، ملك أنشان (Anshan) — وربما كانت مدينة مسجيدى سليمان الحالية — والتى أصبح يحكم منها ، حتى أسس عاصمته «بازار جادة» Pasargadae^(٣)

وهكذا أصبحت بلاد فارس موحدة ، كما أصبح لها حاكم واحد هو

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٩ ، محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٣٩ .
3) E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, 1935, P. 40.
وكذا G. G. Cameron, History of Early Iran, 1936, P. 219 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 353-354.
M. Noth, Op. Cit., P. 300.

«كيروش» أو «قورش» الثاني Cyrus = Kurash (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م) ، وبدأ الحاكم الجديد يبحث له عن حليف ضد ميديا ، وكانت بابل هي الحليف الأقرب - والمنطقي كذلك - ذلك لأن بابل ، رغم أنها كانت منذ جيلين مضيا حليفة ميديا ، إلا أن ذلك انما كان مؤقتا ، انتهى عهده بتدمير آشور ، وتقسيم امبراطوريتها بين الحليفين ، وأصبحت ميديا الآن العدو الذي تخشاه بابل ، وهكذا عقد تحالف بين كيروش ملك «أنشان» و «نبونيد» ملك بابل في عام ٥٥٥ ق.م ، ضد الميديين ، وفي عام ٥٥٣ ق.م ، أعلن «كيروش» الثورة ضد الميديين ، ونجح بعد سنوات ثلاث من خلع جده لأمه «أستياجيس» الذي لم يستطع سوى مقاومة طفيفة ، قبل أن يتم ابعاده عن عاصمته «أكبتانا» ، واستولى «كيروش الثاني» على عرش ميديا ، وبالتالي فقد أصبح ملكا على الميديين والفرس سواء بسواء . هتخذنا من «أكبتانا» عاصمة له (٤) .

وهكذا رأت بابل بعينها الان المملكة الفارسية الاكثر خطورة تظهر قوية بنجوارها ، بدلا من المملكة الميديية ، وبدأت دول غربى آسيا تنتظر بقلق الى الفاتح الجديد ، وكانت «ليديا» هي البادئة ، بعد أن بلغت أوج مجدها وراثتها في عهد ملكها «كرويسوس» Croesus (٥٦٠ - ٥٤٦ ق.م) ، وأخضعت المدن الايونية والايولية في آسيا الصغرى لنفوذه ، حتى اهتد ساطانها من نهر هاليس الى بحر ايجيه ، وطمعت في أن تنزل البحر وتسيطر على جزره ، وأصبحت شيئا عظيما في نظر اغريق الشرق والغرب معا ، ثم أقلقته نهضة فارس ، فأرادت أن تكون هي البادئة ، وطلبت عون اغريقية شبه جزيرة «لاكيدايمونيا» وزعيمتها اسبرطة ، كما طالبت عون بابل ومصر (٥) .

4) A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 34-36.

G. Roux, Op. Cit., P. 354-355.

Herodotus, I, 127-130.

Strabo, XV, 3, 8

Diodorus Siculus, II, 34, 6.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ .

وهكذا عقدت لبيديا وبابل ومصر وبعض الشعوب الاغريقية حلفا فيما بينها ضد الفرس ، وبدأ كرويسوس ملك لبيديا يناصر فارس العداء ، وطلب العون من حلفائه ، وكانت مصر هي الوحيدة التي احترمت كلمتها ، ومع ذلك فلم تغن عنه شيئا أمام الطوفان الفارسي الذي سرعان ما هاجمه في دياره ، واستولى على عاصمته «سارديس» في عام ٥٤٦ ق.م ، وأخذه أسيرا ، وبذلك أنتت نهايته على غير ما توقع لنفسه ، وعلى غير ما توقع الاغريق له (٦) .

ولم تمض سنون خمسة حتى أصبحت فارس تحتل المكانة الاولى في الشرق ، ثم سرعان ما مدت نفوذها حتى البحر المتوسط ، ومن ثم فقد أصبحت مدن الساحل الايوني تحت قبضة الحاكم الفارسي الذي تركها لتصرف قواده .

وأما عن «نبونيد» ملك بابل ، فيبدو أنه تظاهر بمحالفة الفرس ضد الميديين ، رغبة منه في استعادة مدينة «حاران» من الميديين ، وقد نجح في ذلك ، وجدد معبد المدينة الذي دمره الميديون والبابليون أثناء سقوط المدينة في عام ٦٠٩ ق.م ، بعد هزيمة «أشور أو بلط الثاني» في عام ٦٠٩ ق.م ، ثم سيطرة «كياكس» على ميزوبوتاميا الشمالية ، وربما أراد اتقاء خطر الميديين ، حلفاء بابل الاقدمين (٧) .

وأيا ما كان الامر ، فإن الملك البابلي «نبونيد» — كما رأينا من قبل — انما يتجه بدد ذلك بقواته ، فيغزو شمال سورية حتى «حماة» ، ثم جنوبا

6) Herodotus, I, 129, 177 etc.

(٧) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٤٠ — ٣٤١ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273.

S. Smith, Babylonian Historical Texts, London, 1924, P. 27 F.

A. T. Olmstead, History of Assyria. P. 636.

G. Roux, Op. Cit., P. 355.

C. J. Gadd, The Fall Nineveh, London, 1923,.

حتى «أدوم» وغزة ، وأخيرا يتجه الى «تيماء»^(٨) ، حيث يقضى هناك عشر سنوات^(٩) ، ربما ليحيني أهميتها التجارية على الطريق التجاري بين ساحل البحر المتوسط وشمال غرب بلاد العرب وبين العراق ، وينتفع باقتصادياتها ، أو على أمل أن يستعين بها وبوسطها البدوي ، في تطعيم جيشه بقوات غنية ، يحيى بها مجد دولته ، ويستعد بها لمعركة قادمة بينه وبين الفرس ، ولكن خاب أمل الرجل في هذا كله ، وخابت سياسته مع تيماء وجيرانها ، اذا اشتد عليها ، وقتل ملكها^(١٠) .

على أن هناك اتجاها آخر ، يذهب الى أن «نبونيد» انما كان هناك في المنفى ، وأنه لم يعد من هناك ، إلا في عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طال من قبل خلافتهم معه^(١١) ، على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب الى أن «نبونيد» انما قد ذهب الى تيماء لأن هذا المكان هو المركز القديم لعبادة اله العمر «سين» ، الذي جعله «نبونيد» فوق «مردوك» ، وكل الالهة البابلية الاخرى^(١٢) .

(٢) الاحتلال الفارسي لبابل :

... وأيا ما كان الأمر ، فان الاحداث التي جرت في الامبراطورية البابلية انما كان لها دوى عظيم بين الشعوب الخاضعة لها ، والتي لديها من الاسباب ما يجعلها تأمل في انهيار محتمل الوقوع لسلطة بابل

8) G. Roux, Op. Cit., P. 356.

J. Lewy, HUCA, 1946, P. 434-450.

W. F. Albright, JRAS, 1925, P. 293 F.

(٩) يقترح البعض أن «نبونيد» ذهب الى تيماء في السنة الرابعة

من حكمه ، وبقي هناك على الاقل حتى السنة الحادية عشرة

J. Lewy, HUCA, 19, 1945-1946, P. 434-450.

J. Finegan, Op. Cit., P. 228-229.

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦١ .

11) A. H Gardiner, Op. Cit., P. 364.

12) J. Lewy, Op. Cit., P. 434-450.

J. Finggan, Op. Cit., P. 229.

الجديدة ، وتطلع اليهود الذين أبعدوا في بابل بأمل كبير الى كيروش
المقوى المنتصر ، وتنبا أنبيأؤهم بسقوط بابل على يده (١٣) *

وفي هذه الاثناء كان كيروش قد صحت عزيمته على ضم بابل الى ملكه
في بداية تنفيذ مشروعه لغزو الهلال الخصيب كله ، بل ان هجومه على
المدينة العريقة انما جاء بعد فترة قصيرة جدا ، وبعد أن كان قد نجح في
مد سلطانه في اتجاهات مختلفة ، ولم يعد أمامه سوى الامبراطورية
البابلية الجديدة (اكادانية) بأملاكها في بلاد الرافدين وسورية وفلسطين
وأنة كان يعرف أن ذلك أبعد علوا في سلطته ، وأن كل ما يحتاج اليه
لمواجهتها هو الاطاحة بها بسرعة *

وفي نفس الوقت ، فلقد حاول «نبونيد» أن يعد العدة لانتقاء العاصفة
الوشيجة الوقوع ، فبذل جهدا أخيرا ، لاعادة أقدم صور العبادة البابلية،
ولكن الأثرس — ينصصرهم في ذلك كهنة مردوك — لم يتركوا له وقتا
لتحقيق ما يريد ، فضلا عن البلاد — ومدينة بابل بالذات — كانت تقاسي
الامرين ، من سوء الادارة ، وانتشار المجاعات بين أهلها (١٤) *

وفي عام ٥٤٧ قبل الميلاد ، بدأ كورش غزو بابل ، وكان الجيش
البابلي وقت ذاك في حالة غير مرضية عسكريا ، ذلك لأن هذا الجيش قد
انشغل — بعد انتصارات نايونيد في سورية وفلسطين — ببناء معبد اله
المقر «سين» في حران ، تحقيقا لرغبة والدته نبونيد أو جدته الملكة
«أداد كوبى» (Adad-Quppi) ، وهكذا ، وفي ربيع عام ٥٤٧ ق.م ،
عبر كورش (كيروش) دجله جنوب أربيل (ربما في مخمور) ، وضفى
بملك محلى على ضفاف هذا النهر ، وفي عام ٥٤٦ ق.م ، حاول الزحف
في اتجاه الجنوب ، قاصدا الخليج ، وفي هذا الاثناء جاءت قوات عيلامية

(١٣) اشعياء ٨/٤٤ ، ١/٤٥ ، ١/٤٧ — ١٥ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 301.

14) G. G. Cameron, New Light in Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932,
P. 304.

الى أكد ، وبدأ ملك عيلامى يحكم فى الموركاء ، وهذا يعنى أن بلاد بابل أصبحت بين فكى الكماشة •

وبدأ كيروش يسيطر على منطقة «جوتيوم» (Gutium) بين المزاب الاسفل ودجلة وجبال السليمانية — وهى منطقة كانت تحت حكم نبوخذ نصر ، وكانت «أرانجا» (كركوك) مركز ادارتها ، وعهد الى «جوبارو» (جوبرياس) (Gubaru-Gobryas) أن يتولى حكمها ، وهو حاكم بابل فى الاصل ، ولكنه انحاز الى كيروش^(١٥) •

وقرب بداية أكتوبر من عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، قاد كيروش معركة فى «أوبيس» (Opis) على الدجلة ، على مقربة من المدائن — وأحرق أهل أكد بالنار ، وبهذه الطريقة الإيجابية من الرعب البغيض ، أفقد كيروش خصومه شجاعتهم ، وفى ١١ أكتوبر استسلمت «سيبار» دون قتال ، وحاول «نبونيد» الهرب الى الجنوب الغربى متجها الى الصحراء ، غير أن البدو من أدوان كيروش قطعوا عليه الطريق وأجبروه على العودة ، وفى ١٢ أو ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق م ، دخل «جوبرياس» (Gobryas) محافظ «جوتيوم» الخائن مدينة بابل ، ومعه قوات كيروش ، دون معركة ، وان ظلت القلعة والقصر يقاومان فترة ، حتى ذهب البعض الى أن الغزاة لم يتغلبوا على الحامية المحاصرة الا بالحيلة ، وهكذا اسقطت امبرادورية «نبوخذ نصر» على يد أحد الضباط البابليين ، وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق م ، بدأ الكتاب يؤرخون باسم العاهل الجديد «كيروش ملك العالم» •

وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق م ، دخل كيروش نفسه مدينة بابل ، وفرشت الورد فى طريقه ، ورحب به كهنة مردوك ، الذين لم يكونوا راضين عن حكومة نبونيد ، وأعلن الغازى الجديد الامان لسكان بابل ،

(١٥) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 357-358.

وأن يبعده الى منطقة نائية ، في «كرمانيا» ، ليصبح حاكما عليها ، أو لتكون منفى له ، وعلى أية حال ، فلقد قضى كيروش في عام ٥٢٩ ق.م (وربما ٥٣٠ ق.م) حين كان يهاجم الطورانيين عند حدوده الشمالية ، بعد أن نجح خلال ثلاثين عاما من أن يرتفع من بداية متواضعة ، لكي يصبح أقوى حاكم في عصره (١٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن سقوط بابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، ومن قبلها سقوط «نينوى» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ، لا يعد أبدا كنهاية لتاريخ العراق القديم ، كدولة مستقلة فحسب ، وإنما الامر أكثر من هذا وأخطر ، ذلك لأنه في هذا الوقت ، وفي هذه المنطقة من مناطق الشرق الأدنى القديم ، انتهت سيادة العناصر السامية ، وبدأت سيادة العناصر «الهندو - أوربية» من «الفرس الاخمينيين» (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) و «الآغريق» ، بما في ذلك عصر الاسكندر الأكبر والسلوقيين (٣٣١ - ١٣٥ ق.م) ، حيث شيد «سلوقس الاول» - أحد قواد الاسكندر - مدينة «سلوقية» على نهر دجلة (وهي تل عمر الحالية على نهر دجلة ، مقابل طيسفون ، أى طاق كسرى). فكان ذلك ضربة قاضية على بابل ، حيث هجرها الناس ، وبدأ الخراب يعمها منذ ذلك الحين ، ثم «الفرس الفريثيين» (١٣٥ ق.م - ٢٢٦ م) ثم «الفرس الساسانيين» (٢٢٦ - ٦٣٧ م) وقد نقل الفرس الفريثيون العاصمة من «سلوقية» الى «طيسفون» - على مبعده ٧٠ كيلا من بابل - وتقع طيسفون على دجلة ، مقابل سلوقية ، وقد عرفت المدينتان (سلوقية وطيسفون) باسم «المدائن» والتي ظلت العاصمة حتى الفتح الاسلامي ، وعلى أية حال ، فيمكن أن نجعل مدة عهود الاحتلال الاجنبى ، قرابة اثني عشر قرنا متتالية (٥٣٩ ق.م - ٦٣٧ م) ، حتى جاء الاسلام الحنيف ، فحصر الارض والقوم من ذل الاستعمار ، ودنس الاستعباد ، فضلا عن تحرير العقول من وثنية الماضي ، وهكذا أصبح القوم في العراق - كما أصبحوا

18) A. H. Gardiner, Op. Cit, P. 364.

وعين الخائن «جوبرياس» واليا (ستراب = Satrap) على إقليم بابل الجديدة ، وأعيد الموظفون الى وظائفهم ، وأعلن كيروش أنه «الملك العظيم ، الملك القوي ، ملك بابل ، ملك سومر وأكد ، ملك كل أنحاء العالم» ، وهكذا انتقلت مقاليد الامور في الامبراطورية البابلية الجديدة الى كيروش ، وسرعان ما خضعت له بلاد النهرين بدون صعوبة ، واعتزفت سورية وفلسطين بالغازي الجديد^(١٦) ♦

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن تأسيس الامبراطورية الفارسية لم يكن مجرد تغيير في السيادة ، وانما كان تغييرا جوهريا في سياسة العواهل دن آشور وبابل تجاه الشعوب الخاضعة لهم ، الذين كانوا يحاولون توطيد سلطانهم عن طريق وضع السكان الوطنيين في الاقاليم الخاضعة لهم تحت وصايتهم ، وترحيل الطبقات الاعلى مرتبة الى اقاليم أخرى ، هذا فضلا عن ادخال دين الامبراطورية الرسمي في عواصم الاقاليم ، الى جانب الاديان المحلية ، واستمر الفرس في سياسة تسادح نسبي ، وان احتفلوا تماما بالسلطة الفعلية ، والتي كانت مركزة في شخص الملك وكبار المرظفين في أيديهم^(١٧) ، كما استعملوا القسوة عند الثورة ضدهم ♦

وأما ملك بابل «نبونيد» فلقد رأى كيروش أن يحفظ عليه حياته ،

(١٦) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ، وكذا

Nalonus Charonicle, III, 12-22.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 315-316.

R. W. Rogers, Cuneiform Parallels to The Old Testament, London 1912, P. 381.

A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 50-51.

R. Ghishman, Iran, (Penguin Books), 1954, P. 131-132.

R. A. Parker and W. H. Dubberstien, Babylonian Chronology, 626 B.C.-AD 45, 1942, P. 11.

17) M. Noth, Op. Cit., P. 302.

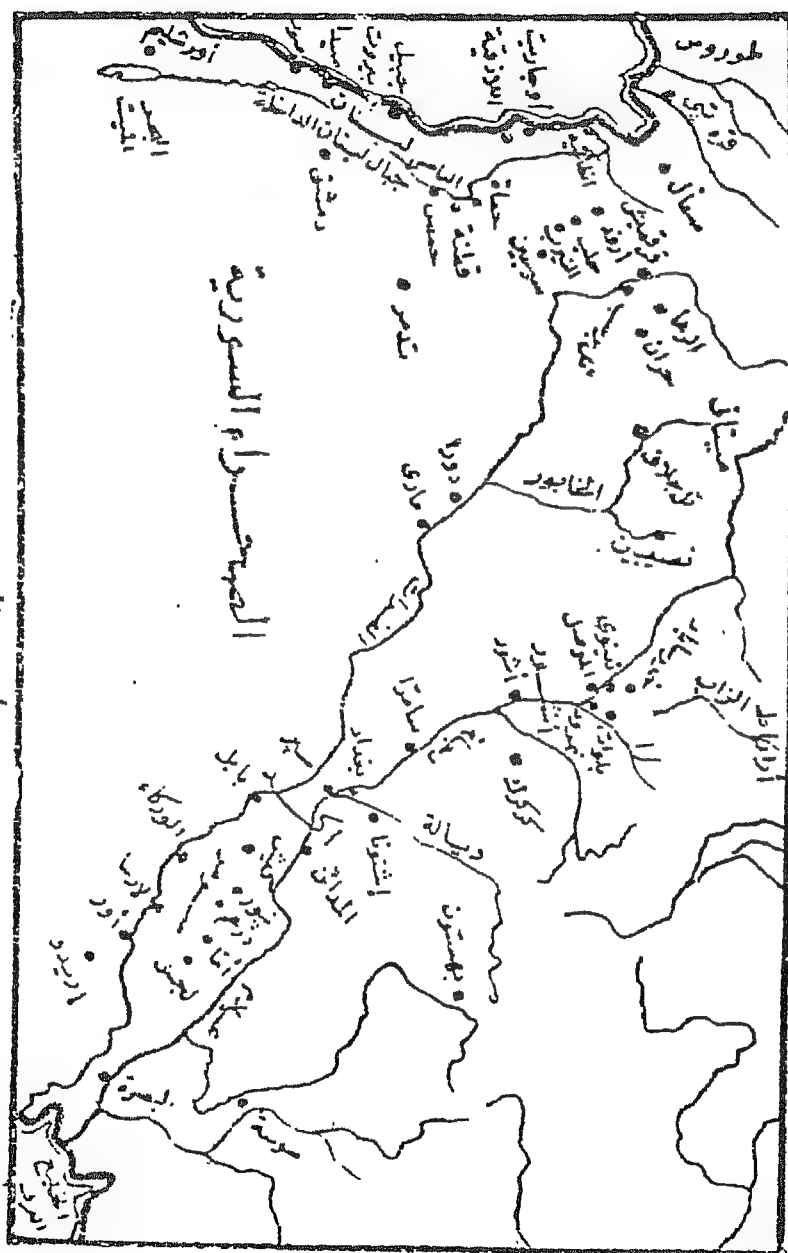
في غيره من بلاد الشرق الادنى القديم — يؤمنون بالله الواحد الاحد ،
الذي لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير •

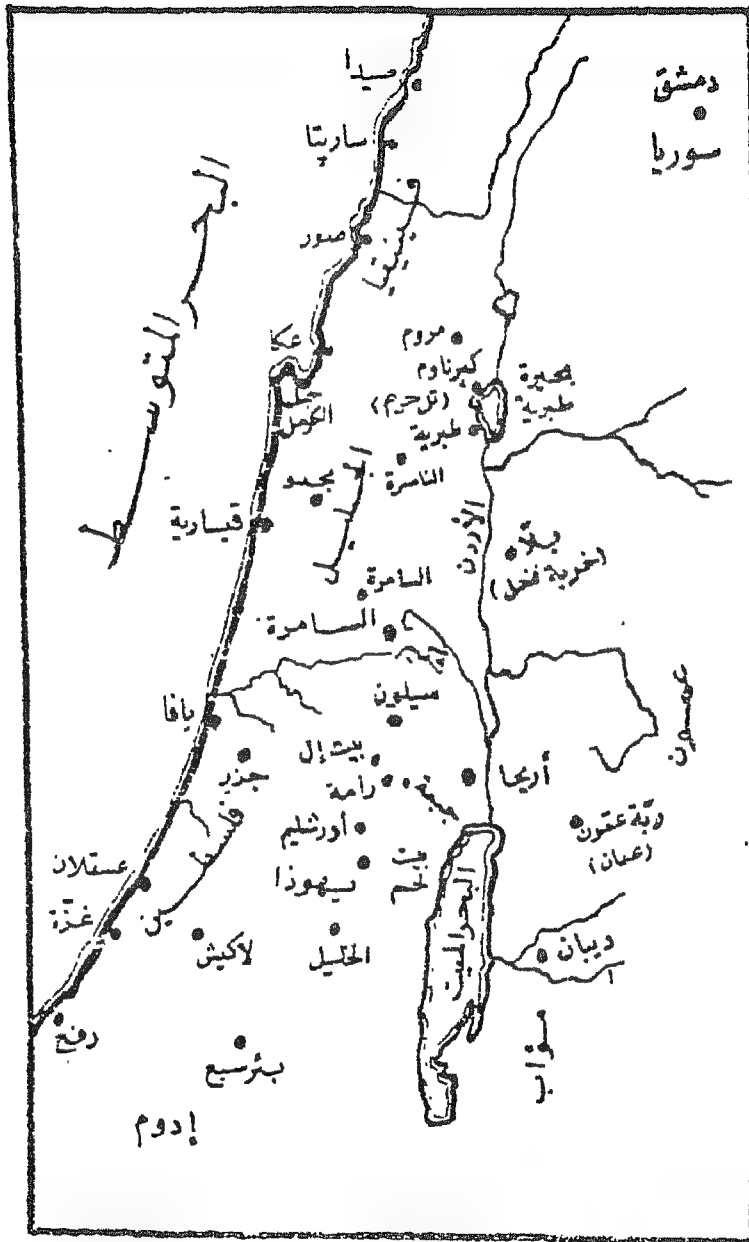
وأخر دعوانا ، أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا
محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين
تم بحمد الله ، ،

الخـرائط

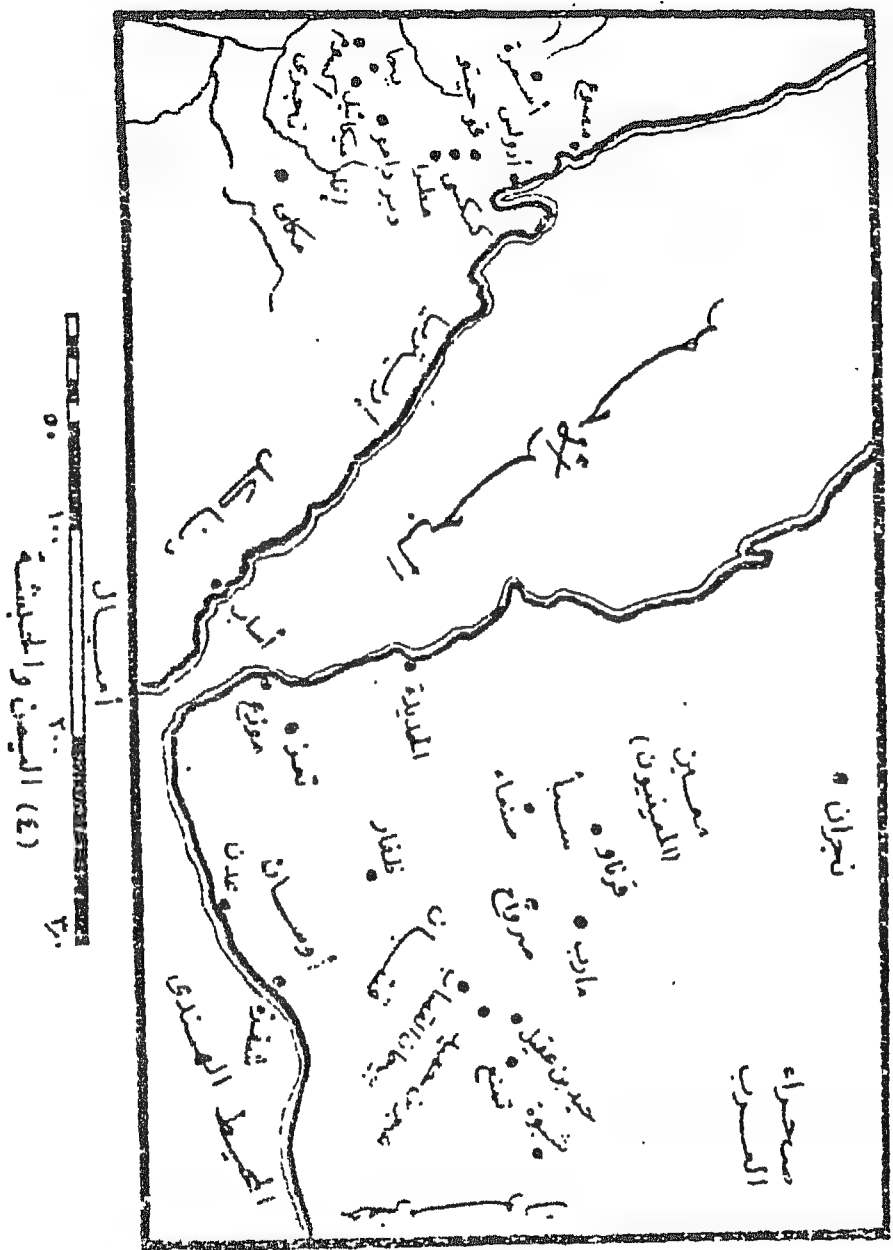


أميال
0 10 20 30 40 50
(د) المنطقة السامية





أميال
0 10 20 30 40 50
(٣) فلسطين



المراجع المختارة

أولا - المراجع العربية :

القرآن الكريم

التسوية

الدكتور أحمد أمين سليم

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - بيروت ١٩٨٩ .
- ٢ - القيم الأخلاقية والسلوكية في العراق القديم - بيروت ١٩٨٤ .
- ٣ - دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها - الجزء الأول - بيروت ١٩٨٨ .

الدكتور أحمد سوسة

- ١ - تاريخ حضارة وادي الرافدين (جزءان) - بغداد ١٩٨٦ .

الدكتور أحمد فخري

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق القديم - القاهرة ١٩٦٣
- ٢ - مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١ .

الدكتور تقى الدين الدباغ

- ١ - العراق في عصور ما قبل التاريخ - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - الثورة الزراعية والقرى الأولى - حضارة العراق - الجزء الأول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور رشيد الناصوري

- ١ - جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا - الكتاب الأول - بيروت ١٩٧٧

رضا جواد الهاشمي

- ١ - التجارة - القانون والاحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سامى سعيد الاحمد

- ١ - الادارة ونظام الحكم - حضارة العراق - الجزء الثانى -
بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - الزراعة والرى - حضارة العراق - الجزء الثانى - بغداد
١٩٨٥ .
- ٣ - العصر البابلى القديم - العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - سلالة بابل الحديثة - العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٥ - الادب - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سليمان حزين

- البيئة والانسان والحضارة فى وادى النيل - تاريخ الحضارة
المصرية - الجزء الاول - القاهرة ١٩٦٢ .

الدكتور طارق عبد الوهاب مظلوم

- النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلى الحديث -
من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور طه باقر

- ١ - مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة - القسم الثانى - تاريخ
العراق القديم - بغداد ١٩٥٥ .
- ٢ - مقدمة فى ادب العراق القديم - بغداد ١٩٧٦ .
- ٣ - ملحمة جلجاميش - بغداد ١٩٨٠ .
- ٤ - شرائع العراق القديمة - مجلة سومر - بغداد ١٩٤٧ .

الدكتور عامر سليمان

- ١ - العلاقات السياسية الخارجية - حضارة العراق - الجزء
الثانى - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - العصر الاشورى - العراق فى التاريخ القديم - بغداد ١٩٨٣ .
- ٣ - جوانب من حضارة العراق القديم - العراق فى التاريخ -
بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - التراث اللغوى - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد
١٩٨٥ .

- ٥ - القانون في العراق القديم - الجزء الأول - الموصل ١٩٧٧ .

الدكتور عبد الحميد زايد

- ١ - مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢ - الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ .

الدكتور عبد العزيز صالح

- الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ .

عبد الكريم عبد الله

- ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة
الأكدية - مجلة سومر - العدد ٣٠ - بغداد ١٩٧٤ .

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

- ١ - كفاحنا ضد الغزاة - العصر الفرعوني - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢ - حضارة مصر والشرق القديم - العراق القديم - القاهرة .

الدكتور فاضل عبد الواحد على

- ١ - السومريون والاكديون - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - سلالة ايسين الثانية - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٣ - حضارة بلاد وادي الرافدين - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - عشتار ومأساة تموز - بغداد ١٩٧٣ .
- ٥ - الطوفان - بغداد ١٩٧٥ .

فرج بصمة جى :

- بحث في الفخار - صناعته وأنواعه في العراق القديم - مجلة
سومر - العدد ٢١ - بغداد ١٩٦٥ .

الدكتور فوزى رشيد

- ١ - الشرائع العراقية القديمة - بغداد ١٩٧٩ .

- ٢ - الجيش وال سلاح - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد
١٩٨٥ .

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور

- معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٨ .
معالم حضارة الشرق الأدنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٩ .

الدكتور محمد بيومي مهران

- ١ - الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية - الاسكندرية
١٩٦٦ م .
٢ - مصر والعالم الخارجى في عصر رعمسيس الثالث -
الاسكندرية ١٩٦٩ .
٣ - اخناتون : عصره ودعوته - الاسكندرية ١٩٧٩ .
٤ - الساميون والكرام التي دارت حول موطنهم الاصلى -
الرياض ١٩٧٤ .
٥ - قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - الرياض ١٩٧٥ .
٦ - العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض
١٩٧٦ .
٧ - حركات التحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ .
٨ - تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ .
٩ - اسرائيل - التاريخ - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٨ .
١٠ - اسرائيل - الحضارة - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٩ .
١١ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - في
العراق - بيروت ١٩٨٨ .
١٢ - مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٣ - مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٤ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٥ - الحضارة المصرية - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٦ - الحضارة المصرية - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٧ - الحضارة العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد عبد اللطيف

- ١ - تاريخ العراق القديم - الاسكندرية ١٩٧٧ .
- ٢ - المراكز التجارية الآشورية في وسط آسيا الصغرى - الاسكندرية ١٩٨٤ .

الدكتور محمد عبد القادر محمد

- ١ - الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين - القاهرة ١٩٦٥ .

الدكتور محمود الأمين

- قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة : مجلة كلية الآداب -
عدد يناير ١٩٦١ - بغداد ١٩٦١ .

الدكتور مؤيد سعيد

- ١ - العراق خلال عصور الاحتلال - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلي الحديث - حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور نجيب ميخائيل

- مصر والشرق الأدنى القديم (٦ أجزاء) - الاسكندرية ١٩٦٣ -
١٩٦٦ .

هنري عبود

- معجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ .

ثانيا : المراجع المترجمة الى اللغة العربية :

أندرية بارو :

بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي - بغداد ١٩٨٠ .

ألويس موسل :

شمال الحجاز - ترجمة عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية ١٩٥٢

أنطون مورتجات

الفن في العراق القديم - ترجمة عيسى سيلمان وسليم التكريتي -
بغداد ١٩٧٥ .

جورج سارتون :

تاريخ العلم - بلاد ما بين النهرين - ترجمة الدكتور طه باقر -
القاهرة ١٩٦٣ .

جورج كونتينو :

الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم طه التكريتي ،
وبرهان عبد التكريتي - بغداد ١٩٨٦ .

جيمس فريزر :

الفلكلور في العهد القديم - ترجمة نبيلة ابراهيم - القاهرة ١٩٧٢

جيمس هنري برستد :

انتصار الحضارة - ترجمة الدكتور أحمد فخرى - القاهرة ١٩٦٦

سبتيانو موسكاتي :

الحضارات السامية القديمة - ترجمه وزاد عليه - السيد يعقوب
بكر - القاهرة ١٩٦٨ .

صمويل نوح كريم

١ - أساطير العالم القديم - ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ،
ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٤ .

٢ - من ألواح سومر - ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخرى
القاهرة ١٩٥٨ •

ل • ديلا بورت :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة محرم كمال ومراجعة الدكتور
عبد المنعم أبو بكر - الالف كتاب (٣٥) - القاهرة •

ليو أوبنهايم :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة سعد فيضى - بغداد ١٩٨١ •

فيلب حتى :

١ - لبنان فى التاريخ - ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة -
بيروت ١٩٥٩ •

٢ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة جورج حداد
وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨ •

هورست كلنجل :

حمورابى ملك بابل وعصره - ترجمة غازى شريف - بغداد ١٩٨٧

ثالثا : المراجع الأجنبية

Abbot, (N.)

Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941.

Al-Adami, (K. A.)

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 24, 1968.

Albright, (W. F.),

The Epic of The King of Battle, in JSOR, 7, 1923.

Ali, (F. A.)

New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973.

Andrae, (W.),

Babylon, Berlin, 1952.

Baqir, (T.)

I - Tell-Harmal, in Sumer, II, 1946.

Baqir, (T.)

Excavations at Aqar-Quf, Iraq, Supplement, 1944-1945, Iraq, VIII, 1946, P. 73-92.

Barmaki, (D.)

Phoneici and The Phoenicians, Beirut, 1961.

Barton, (G. A.),

The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.

Bibby, (G.)

Looking for Dilmun, (Penguin Books) 1972.

Bohl, (F. M. T.)

King Hammurabi of Babylon in The Setting of his Time, Amsterdam, 1946.

Bottero, (J.)

1. Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. Syria During The Third Dynasty of Ur, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Bottero, (J.) and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Branden, (A. Van den)

Les Textes Thamoudeens de Philby, II, Louvain, 1956.

Breasted, (J. H.)

1. La Conquete de la Civilisation, Payot-Paris, 1945.
2. A. History of Egypt, From The Earliest Times to The Persian Conquest, New York, 1946.
3. The Dawn of Conscience, New York, 1939.

Brinkman, (J. A.),

1. Materials and Studies for Kassite History. I, Chicago, 1976.
2. A. Political History of Post-Kassite Babylonia (1158-722 B. C.), Rome, 1968.

Budge, (E. A. W.)

The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, New York, 1920.

Cameron, (G. G.)

1. History of Early Iran, 1936.

Deimel, (A.),

Codex Hammurabi, 1930 (3rd ed by E. Bergmann, 1953).

Dhorme, (E.),

Les religions de Babylonie et d' Assyrie, Paris, 1949.

Dossin, (G.)

Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938.

Dougherty, (R. P.),

Nabonidus and Belshazzar, New-Haven, 1929.

Dougherty, (R. P.),

The Scaland of Ancient Arabia, New Haven, 1932.

Driver, (G. R.) and Miles, (J. C.),

1. The Assyrian Laws, Oxford, 1935.
2. The Babylonian Laws, 2 Vols, Oxford, 1952-1955.

Drower, (M. S.),

Syria Before 2200 B. C, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Dupont-Sommer, (A.),

Les Arameens, Paris 1949.

Edwards, (I-E.S.),

The Early Dynastic Period in Egypt, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Edzard, (D. O.), and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Egami, (N.),

I—The Preliminary Report of Excavations at Telul Athal-
athat, in Sumer, 13, 1957.

2. New Light on Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932.

Carter, (T. H.),

Studies in Cassite History and Archaeology, Bryn, 1962.

Childe, (V. G.),

New Light on The Most Ancient East, London, 1952.

Clark, (G.)

Prehistory of The World, Cambridge, 1962

Clay, (A. T.),

1. The Empire of The Amorites, New Haven, 1919.
2. Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

Cole, (S.),

The Neolithic Revolution, London, 1961.

Conteneau, (G.),

1. Everyday Life in Babylon and in Assyria, London, 1954.
2. Manuel d'archeologie Orientale, 3 Vols, Paris, 1927-1931.

Cook, (S. A.)

Israel and The Neighbouring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.

Cooke, (G. A.)

A Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Oxford, 1907.

Cronwall, (P. B.)

On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946.

Dabbagh, (T.),

1. Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965.
2. Half Pottery, in Sumer, 22, 1966.

Egami, (N.) and Others

Brief Report of The Third Season's Excavations at Tell, II, of
Telul Eth-Thalathat and Some Observations, in Sumer, 22, 1966.

El-Wailly, (F.) and Ab es-Sooif, (B.)

The Evcavations at Tell es-Sawwan, First Preliminary Report,
1964, in Sumer, 21, 1965.

Eilers, (W.),

The Code of Hammurabi, in AO, 31, 1931.

Eissfeldet, (O.),

The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975.

Fadhil, (A.A.),

Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970.

Feigin, (S. I.) and Landsberger, (B.)

The Date-List of The Babylonian King Samsu-ditana, in JNES,
14, 1955.

Fleisch, (H.),

Introduction a Etude des Langues Semitiques, Paris, 1947.

Finegan, (J.),

Light from The Ancient Past, The Archaeological Background
of Judaism and Christianity, Princeton, 1969.

Finkelstein, (J. J.),

1. The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968.
2. The Year-dates of Samsuditana, in JCS, 13, 1959.

Finkelstein, (J. J.),

Ammisaduqua's Edict and The Babylonian, Lawcods, in JCS,
15, 1961.

Frankfort, (H.),

1. Kingship and The Gods, Chicago, 1948.
2. The Art and Architecture of The Ancient Orient (Penguin Books), 1970.
3. The Last Predynastic Period in Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1973.
4. Archaeology and The Sumerian Problem. London 1932.
5. The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951.
6. Before Philosophy (Penguin Books), 1954.

Frankfort, (H.) and Jacobsen (Th.),

The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940.

Gadd, (C. J.),

1. The Cities of Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. The Dynasty of Agade and Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, 1971.
3. Babylonia C. 2120-1800 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. The Fall of Nineveh, London, 1923.
5. The Harran Inscription of Nabonidus, Anatolian Studies, VII, 1958.

Gardiner, (A. H.),

Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961.

Garrod, (D. A. E.),

Primitive Man in Egypt, Weastern Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.

Gelb, (I.),

The Name of The Goddess Innin, JNES, 19, 1960.

Ghirshman, (R.),

Iran, (Penguin Books) 1954.

Ginsberg, (H. L.),

Aramaic Letters, in ANET, 1966.

Goetze, (A.),

1. The Laws of Ishnunna, New Haven, 1956.
2. The Laws of Ishnunna, in ANET, 1966.

Cray, (J.),

Near Eastern Mythology, New York, London, 1969 .

Gureny, (O. R.),

The Hittites, (Penguin Books) 1969.

Gyles, (M. F.),

Pharaonic Policies and Administration (663-323 B. C.) Carolina, 1959.

Hall, (H. R.),

The Ancient History of The Near East, London, 1963.

Hallo, (W. W.), and Simpson, (W. K.),

The Ancient Near East, A History, U. S. A., 1971.

Harden, (D. B.),

The Phoenicians, London, 1962.

Harper, (R. F.),

The Code of Hammurabi, London 1904.

Hartman, (F.),

L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923.

Hastings, (J.),

Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1936.

Heidel, (A.),

1. The Gilgamesh Epic and The Old Testament Parallels, London, 1949.
2. The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

Hinz, (W.)

Persia C. 2400-1800 B. C. in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Hitti, (P. K.)

1. The Near East in History, Princeton, 1961.
2. History of Syria, London, 1951.
3. History of The Arabs, London, 1960.

Jacobsen, (T.)

1. Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, 2, 1943.
2. A Survey of The Girsu, (Tello) Region, in Sumer, 25, 1969.
3. The Sumerian King List, in AS, II, 1939.
4. Towards The Image of Tammuz, JHR, I, 1961.

Jacobsen, (T.) and Kramer, (S. N.),

The Myth of Inanna and Bilulu, in JNES, 12, 1958.

James, (E. O.),

Mythes et Rites dans Le Proche-Orient Ancien, Paris, 1960.

Kramer, (S. N.),

Lipit-Ishtar Lawcode, in ANET, 1966.

Kramer, (S. N.) and Falkenstein (A.),

Ur-Nammu Law Code, *Orientalia*, 23, 1954.

Kundtson, (J. A.),

Die El-Amarna Tafeln, 2 Vols, Leipzig, 1908.

Kupper, (J. R.),

1. Archives Royal de Mari, 6, 1954.
2. Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, Part, I, Cambridge, 1973.

Labat, (A.),

Elam and Western Persia, 1200-1000 B. C, CAH, Part, 2, A, Cambridge, 1980.

Laessoe, (J.),

The People of Ancient Assyria Translated from The Danish by,
F. S. Leigh-Browne, London, 1963.

Lambert, (M.),

1. La Periode Presargonique, in Sumer, 8, 1952.
2. Les reforms d'urukagina, in Revue d'assyriologie, V. 1956.

Lambert, (W. G.),

1. Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960.
2. Nabonidus in Arabia, Seminar for Arabian Studies, London, 1972.

Langdon, (S. H.),

Sumerian Origins and Racial Characteristics in *Archaeologia*, 1920.

Jawad, (A.),

The Eridu Material and its Implications in Sumer, 30, 1974.

Kramer, (S. N.), Baqir, (I.) and Levy, (S. J.),

Fragments of a diorite Statue of Kurigalzu in The Iraq Museum,
in Sumer, 4, 1948.

Keller, (W.)

The Bible As History, London, 1967.

Kenyon, (K. M.),

Archaeology in The Holy Land, London, 1970.

King (L. W.),

1. Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, London, 1918.
2. History of Sumer and Akkad from Prehistoric Times to The Foundation of The Babylonian Monarchy, London, 1910.
3. History of Babylon from The Foundation of The Monarchy to The Persian Conquest, London, 1915.

Kitchen, (K. A.),

The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kraeling, (E. G.)

Aram and Israel, New York, 1918.

Kramer, (S. N.),

1. The Sumerians, Chicago, 1970.
2. The Deluge, in ANET, 1966.
3. Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944
4. Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944.
5. The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964.

Layard, (A. H.),

Discoveries in Nineveh and Babylon, 1853.

Leemans, (W. F.),

1. Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960.
2. Ishtar of Lagala Leiden, 1952.

Lewy, (H.),

Assyria C 2600-1861 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Lewy, (J.),

Amurritica, in HUCA, 32, 1961.

Lie, (A. G.)

The Inscriptions of Saigon, II, King of Assyria, Part, I, The Annals, Paris, 1929.

Lloyd, (S.) ,

1. Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948.
2. Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955

Lloyd, (S.) and Safar, (F.),

1. Tell-Uqair, in JNES, 2, 1943.
2. Tell-Hassuna, in JNES, 4, 1945.
3. Eridu, in Sumer, 4, 1948.

Lods, (A.)

Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962

Loud, (G.)

Khorsabad, Chicago, 1936-1938.

Luckenbill, (D. D.),

Ancient Records of Assyria and Babylonia, I-II, Chicago, 1968.

Malamat, (A.),

1. The Last Wars of The Kingdom of Judah, in JNES, 9, 1950.
2. The Aramaeans in Aram Naharaim and The Rise of Their State, Jerusalem, 1952.

Mallowan, (M. E. L.),

1. Early Mesopotami and Eran, London, 1965.
2. The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.
3. The Early Dynastic Period in Mesopotamia in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.
5. Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1965.

Masry, (A. H.),

Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974.

Mccown, (D. E.),

Excavations at Nippur, in JNES, XI, 1962.

Meek, (T. J.),

1. The Code of Hammurabi, in ANET, 1966.
2. The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966.
3. The Neo-Babylonian Laws, in ANET, 1966.
4. Mesopotamian Legal Documents, in ANET, 1966.

2. The Northern Nejd, New York, 1928.
3. In The Arabia Desert, New York, 1930.

Noth, (M.)

The History of Israel, London, 1965.

Nougayral, (J.),

The Code of Hammurabi, in RA, XLV, 1955.

Oates, (J.)

1. First Preliminary Report on a Survey in The Region of Mandali and Badra, in Sumer, 22, 1966.
2. A Preliminary Report, The First Season's Excavations at Choga Mami, in Sumer. 25, 1969.

Olmstead, (A. T.),

1. History of Assyria, New York, 1923.
2. Western Asia in The Days of Sargon of Assyria(New York, 1908.
3. History of Palestine and Syria, Chicago, 1931.
4. History of The Persian Empire, Chicago, 1970.

Oppenheim, (A. L.),

1. The Archives of The Palace of Mari, in JNES, XI, 1952.
2. The Sumerian King List, in ANET, 1966.
3. Sargon of Agade, in ANET, 1966.
4. Gudea, Ensi of Lagash, in ANET, 1966.
5. The Sargon Chronicle, in ANET, 1966.
6. Naram-Sin in The Cedar Mountain, in ANET, 1966.
7. The City of Assur in 714 B C, in JCS, 19, 1960.

Pallis, (S. A.)

The Antiquity of Iraq, Copenhagen, 1956.

Mellaart, (J.),

1. Earliest Civilizations of The Near East, London, 1974.
2. The Earliest Settlements in Weastern Asia frim The Ninth to The End of The Fifth Millenium B. C, in CAH, I, Part, I, Cambridge 1970.

Mercer, (S. A. B.),

The Tell-El-Amarana Tablets, I-II, Toronto, 1939.

Millard, (A. R.) and Tadmor, (H.),

Adad-Nirari, III in Syria, Iraq, 35, 1973.

Mortgat, (S.) ,

Aegypten und Verderasien in Altertunl, Munchen, 1950.

Morgan, (J-de),

La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926.

Mortensen, (P.),

On The Chronology of Early Village Farming Communities in North Iraq, in Sumer, 18, 1962.

Moscatti, (S.)

1. Ancient Semitic Civilization, London, 1957.
2. The Face of The Ancient Orient, London, 1960.

Mougayrol, (J.) and Aynard, (J. M.)

La Mesopotamie, Paris, 1965.

Munn-Rankin, (J. M.),

Assyrian Military Power 1300-1200 B C, in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980.

Musil, (A.)

1. The Northern Hegas, New York, 1926.

Parker, (R. A.), and Dabberstien, (W. H.),

Babylonian Chronology 626 B. C - A. D 45, London, 1942.

Parrot, (A.)

1. Mari, Paris, 1953.
2. Archeologie Mesopotamienne, Technique et Problemes, Paris, 1953.
3. Sumr, London, 1960.
4. Assur, (Gallimard, France, 1961).
5. Nineveh and Babylon, 1961.

Peake, (H. J. E.),

The Origins of Agriculture, London, 1928.

Place, (V.),

Ninive et l'Assyria, Paris, 1867-1870.

Poeble, (A.),

The Assyrian King List from Khorsbad, in JNES, I, 1942.

Roth, (C.),

A Short History of The Jewish People, London, 1969.

Roux, (G.),

Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980.

Rogers, R. W.),

Cuneiform Parallels to The Old Testament, London, 1912.

Saggs, (H. W. F.),

The Greatness That Was Babylon, London, 1962

Sayce, (A. H.),

Menes and Narman-Sin, in JEA, 6, 1920.

Seidl, (U.),

Die Babylonischen Kudurru-Reliefs, in BM, 4, 1968.

Smith, (S.),

1. Early History of Assyria to 1000 B. C, London, 1928.
2. Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954.

Smith, (W. S.),

Interconnection in The Ancient Near East, London, 1965.

Sollberger, (E.),

The Flood, London, 1962.

Spalinger, (A.),

Assurbanipal and Egypt, a Source Study, in JAOS, XCIV, 1974.

Speiser, (E. A.),

1. The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950.
2. The Epic of Gilgamesh, in ANET, 1966.
3. The Legend of Sargon, in ANET, 1966.
4. Mushkenum, in Orientalia, XXVII, 1958.

Szlechter, (E.),

Le Code d'Ur-Nammu, in RA, XLIX, 1955.

Tadmor, (H.),

The Historical Inscriptions of Adad-Ninuri, III, in Iraq, 35, 1973

Thureau - Dangin, (F.),

1. Textes de Mari, in BA, 33, 1936.
2. Une Relation de la Huitieme Campagne de Sargon, Paris, 1912.

Unger, (M. F.),

Unger's Bible Dictionary Chicago, 1970.

Ward, (W. A.),

Egypt and The East Mediterranean, From Predynastic Times to
The End of The Old Kingdom, in JESHO, VI, 1963.

Winckler, (H.),

The History of Babylonia and Assyria, New York, 1907.

Wiseman, (D. J.),

1. The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962.
2. Assyria and Babylonia, I, 200-1000 B. C, in CAH, II, Part,
2, A, Cambridge, 1980.
3. A. New Stele of Assur-Nasir-Pal, in Iraq, 14, 1952.
4. Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956.

Woolley, Sir Leonard),

1. Excavations At Ur, London, 1963.
2. Ur of The Chaldees, London, 1965.
3. The Beginnings of Civilization, New York, 1965.

Yasin, (W.),

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 26, 1970.

Yeivin, (G. E.),

The Sepulchers of The Kings of The Hous of David in JNES,
7, 1948.

Zeissl, (H. Von),

Athiopen und Assyrer in Agypten, Hamburg, 1944.

1. Encyclopaedia Biblica.
2. Encyclopaedia Britannica.
3. Encyclopaedia of Islam.
4. Encyclopaedia of Religion and Ethics.
5. The Jewish Encyclopaedia N. Y., 1903.

محتویات الكتاب

اهــداء ز
تقديم ط

الباب الاول

عصور ما قبل التاريخ

- الفصل الاول : في شمال العراق ٣
- ١ - العصر الحجري القديم ٥
- ٢ - العصر الحجري الاوسط ٦
- ٣ - العصر الحجري الحديث ٨
- ٤ - العصر الحجري النحاسي ٢٠
- الفصل الثاني : في جنوب العراق ٢٥
- ١ - حضارة اريدو ٢٨
- ٢ - حضارة الحاج محمد ٢٩
- ٣ - حضارة العبيد ٣٠
- ٤ - حضارة الوركاء ٣٨
- ٥ - حضارة جمدة نصر ٤٣

الباب الثاني

السومريون

- الفصل الاول : قصة الطوفان ٥٣
- ١ - تقديم ٥٥
- أولا : قصة الطوفان السومرية ٥٣
- ثانيا : قصة الطوفان البابلية ٦٨
- ١ - ملحمة جلجاميش ٦٨
- ٢ - قصة بيروسوس ٧٦
- ٣ - قصة اتراسيس ٧٨

- الفصل الثاني : السومريون ٨٣
- ١ - تقسيم ٨٥
- ٢ - الموطن الاصلى للسومريين ٨٧
- ٣ - دويلات المدن السومرية ٩٤
- ٤ - أسرة لجش الاولى (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) ... ١٠٣
- ٥ - عهد لوجال زاجيرى وتوحيد المدن السومرية ... ١١٢

الباب الثالث

العصر الاكدي

- الفصل الاول : السياسة الداخلية ١١٧
- ١ - الساميون فى جنوب العراق ١١٩
- ٢ - سرجون الاول (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) ... ١٢٣
- ٣ - ريموش (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق.م) ... ١٣٢
- ٤ - مانيشتوسو (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق.م) ... ١٣٣
- ٥ - نارام - سن (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) ... ١٣٤
- ٦ - شار كالى شارى (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق.م) ... ١٣٥
- الفصل الثانى : السياسة الخارجية ١٣٧
- ١ - سرجون الاول ١٣٩
- ٢ - ريموش ١٤٤
- ٣ - مانيشتوسو ١٤٥
- ٤ - نارام - سن ١٤٦
- ٥ - شار كالى شارى ١٥٤

الباب الرابع

العراق فيما بين نهاية أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

- الفصل الاول : العراق فيما بين نهاية أسرة أكد وقيام أسرة
اور الثالثة ١٥٩
- ١ - الجوتيون (٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق.م) ... ١٦١

- ٢ - أسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٣
- ٣ - أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٧
- الفصل الثاني : أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٧١
- ١ - أور - نامو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) ... ١٧٣
- ٢ - شولجي (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م) ... ١٧٨
- ٣ - امار - سين (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) ... ١٨٣
- ٤ - شوسين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق.م) ... ١٨٤
- ٥ - ايبى - سين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٨٦
- الفصل الثالث : ايسين ولارسا واشنونا ... ١٩١
- ١ - أسرة ايسين ... ١٩٣
- ٢ - أسرة لارسا ... ٢٠٢
- ٣ - مملكة اشنونا ... ٢٠٥

الباب الخامس

البابليون

- الفصل الاول : أسرة بابل الاولى ... ٢١٣
- ١ - بابل ... ٢١٥
- ٢ - قيام الاسرة البابلية الاولى ... ٢١٨
- ٣ - حمورابى ... ٢٢٠
- ٤ - قانون حمورابى ... ٢٢٨
- ٥ - خلفاء حمورابى ... ٢٨٥
- ٦ - نهاية أسرة بابل الاولى ... ٢٨٨
- الفصل الثاني : الاسرات البابلية من الثانية الى الرابعة ... ٢٩١
- اولا : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحرى الاولى) ... ٢٩٣
- ثانيا : أسرة بابل الثالثة - أو الدولة الكاشية ... ٢٩٦
- ثالثا : أسرة بابل الرابعة - أسرة ايسين الثانية ... ٣١٣

الباب السادس

الأشوريون

- الفصل الاول : الآشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية ... ٣٢١
- (١) - الموقع والسكان ٣٢٣
- ٢ - العواصم الآشورية ٣٢٦
- ٣ - مراحل التاريخ الآشورى ٣٣٢
- أ (عصر التبعية السومرية - الاكدية ... ٣٣٣
- ب (العصر الآشورى القديم ... ٣٣٥
- ج (العصر الآشورى الوسيط ... ٣٤٣
- د (التشريعات الآشورية ... ٣٥١
- الفصل الثانى : عصر الامبراطورية ... ٣٥٩
- أولا : عصر الامبراطورية الاولى ... ٣٦١
- ١ - اداد - نيرارى الثانى (٩١١ - ٨٩١ ق م) ... ٣٦١
- ٢ - توكلتى - نينورتا الثانى (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م) ... ٣٦٢
- ٣ - آشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) ... ٣٦٣
- ٤ - شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق م) ... ٣٧٢
- ٥ - شمشى - اداد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق م) ... ٣٧٨
- ثانيا : عصر الامبراطورية الثانية ... ٣٨١
- ١ - تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) ... ٣٨١
- ٢ - شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق م) ... ٣٨٩
- ٣ - سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م) ... ٣٩١
- ٤ - سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) ... ٤٠٠
- ٥ - اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م) ... ٤١٠
- ٦ - آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق م) ... ٤١٩
- ٧ - نهاية الامبراطورية الآشورية ... ٤٢٩

مؤلفات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أولا - التاريخ المصرى القديم :

- ١ - الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢ - مصر والعالم الخارجى فى عصر رمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩
- ٣ - حركات التحرير فى مصر القديمة القاهرة ١٩٧٦
- ٤ - اخناتون : عصره ودعوته القاهرة ١٩٧٩

ثانيا - فى تاريخ اليهود القديم :

- ٥ - التوراه (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٣ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٦ - التوراه (٢) - مجلة الاسطول - العدد ٦٤ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٧ - التوراه (٣) - مجلة الاسطول - العدد ٦٥ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٨ - قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة
- مجلة الاسطول - العدد ٦٦ الاسكندرية ١٩٧١
- ٩ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول -
العدد ٦٧ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٠ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول -
العدد ٦٨ الاسكندرية ١٩٧١
- ١١ - أخلاقيات الحرب عند اليهود - مجلة
الاسطول - العدد ٦٩ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٢ - التلمود - مجلة الاسطول - العدد ٧٠ الاسكندرية ١٩٧٢
- ١٣ - اسرائيل - الجزء الاول - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٤ - اسرائيل - الجزء الثانى - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٥ - اسرائيل - الجزء الثالث - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩

- ١٦ - إسرائيل - الجزء الرابع - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩
١٧ - النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل الاسكندرية ١٩٧٩

ثالثا - فى تاريخ العرب القديم :

- ١٨ - الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى الرياض ١٩٧٤
١٩ - العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة الرياض ١٩٧٦
٢٠ - مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة الرياض ١٩٧٧
٢١ - الديانة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٧٨
٢٢ - العرب والفرس فى العصور القديمة الاسكندرية ١٩٧٩
٢٢ - الفكر الجاهلى القاهرة ١٩٨٢

رابعا - فى تاريخ العراق القديم :

- ٢٤ - قصة الطوفان بين الآثار والكتب المفسدة الرياض ١٩٧٦
٢٥ - قانون حمورابى وأثره فى تشريعات التوراه الاسكندرية ١٩٧٩

خامسا - سلسلة دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

- ٢٦ - الجزء الاول - فى بلاد العرب بيروت ١٩٨٨
٢٧ - الجزء الثانى - فى مصر بيروت ١٩٨٨
٢٨ - الجزء الثالث - فى بلاد الشام بيروت ١٩٨٨
٢٩ - الجزء الرابع - فى العراق بيروت ١٩٨٨

ساد - سا - سلسلة مصر والشرق الادنى القديم :

- ٣٠ - مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨
٣١ - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨
٣٢ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨
٣٣ - الحضارة المصرية - الجزء الاول الاسكندرية ١٩٨٩
٣٤ - الحضارة المصرية - الجزء الثانى الاسكندرية ١٩٨٩
٣٥ - تاريخ العرب القديم الاسكندرية ١٩٨٨
٣٦ - الحضارة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٨٨
٣٧ - بلاد الشام الاسكندرية ١٩٩٠

- ٣٨ - المغرب القديم
الاسكندرية ١٩٩٠
- ٣٩ - العراق القديم
الاسكندرية ١٩٩٠
- سابعاً - سلسلة : في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين :
- ٤٠ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الاول -
بيروت ١٩٩٠
- ٤١ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثاني -
بيروت ١٩٩٠
- ٤٢ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثالث -
بيروت ١٩٩٠
- ٤٣ - السيد فاطمة الزهراء
بيروت ١٩٩٠
- ٤٤ - الامام على بن أبي طالب (الجزء الاول)
بيروت ١٩٩٠
- ٤٥ - الامام على بن أبي طالب (الجزء الثاني)
بيروت ١٩٩٠
- ٤٦ - الامام الحسن بن علي
بيروت ١٩٩٠
- ٤٧ - الامام الحسين بن علي
بيروت ١٩٩٠
- ٤٨ - الامام على زين العابدين
بيروت ١٩٩٠

ثامناً - معجم البلدان الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم :
(بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/محمد جمال الدين مختار) - تحت الطبع



المؤلف في سطور

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

- ١ - ولد في البصيلية - مركز ادفو - محافظة أسوان .
- ٢ - حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمعهد المعلمين بقنا ، حيث تخرج فيه عام ١٩٤٩ م .
- ٣ - عمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم (١٩٤٩ - ١٩٦٠) .
- ٤ - حصل على ليسانس الآداب بمرتبة الشرف من قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٠ م .
- ٥ - عين معيدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦١ م .
- ٦ - حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف في التاريخ القديم من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٧ - عين مدرسا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٨ - عين أستاذا مساعدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٤ م .
- ٩ - عين أستاذا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩ م .
- ١٠ - أعير الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض في الفترة ١٩٧٣ - ١٩٧٧ م .
- ١١ - عين عضوا في مجلس ادارة هيئة الآثار المصرية في عام ١٩٨٢ م .

- ١٢ - عين عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في عام ١٩٨١م .
- ١٣ - أعير الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة في الفترة ١٩٨٣-١٩٨٧م .
- ١٤ - عين رئيسا لقسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية في كلية الآداب جامعة الاسكندرية (١٩٨٧ - ١٩٨٨م) .
- ١٥ - أختير مقرا للجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (١٩٨٨ - ١٩٨٩م) .
- ١٦ - عين أستاذا متفرغا في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في عام ١٩٨٩م .
- ١٧ - عضو لجنة التراث الحضارى والأثرى بالمجالس القومية المتخصصة .
- ١٨ - عضو اللجنة الدائمة للآثار المصرية في هيئة الآثار .
- ١٩ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢٠ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢١ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في التاريخ .
- ٢٢ - أشرف وشارك في مناقشة أكثر من ٢٥ رسالة دكتوراه وماجستير في تاريخ وآثار وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم في الجاسعات المصرية والعربية .
- ٢٣ - أسس وأشرف على شعبة الآثار المصرية بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٨٢ .
- ٢٤ - شارك في حفائر كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في الوقف - مركز دشنا - محافظة قنا ، (في عام ١٩٨٠/١٩٨١م) ، وفي «تل الفراعين» مركز دسوق - محافظة كفر الشيخ (في عام ١٩٨٣/٨٢) .

الفن للثقافة
٤٨ شارع جوهرة - الرياض - المملكة العربية السعودية
تليفون ٨٠٢٢٥٠

